T. C.
MİLLİ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 21

اسرار التنزيل

[illegible]

٢١

اسرار التنزيل للامام فخر الرازي بخط عرب
قطعه متوسطه مسطر
جلد واحد

كتاب

للشيخ الامام العالم العامل
الورع العلامة المتقن
المجتهد ذي التصانيف
المفيدة فخر الدين الرازي
الله تعالى وقدس روحه

تملك هذا الكتاب
ربه الفقير مولانا بدر الدين محمد
يسر الله تعالى ...
الايمان

من كتب
...

سنة ١٤٥

من نعم الله تعالى على العبد الفقير الى رحمة
محمد بن عبد الرحمن سليمان ...

... بهذا الكتاب المبارك ابو بكر بن فلاح داعيا لمالكه
... علو الارتقاء في درجات دار البقا
... اخلاص على الحقيقة بالتحقيق
... العالمين بجاه حبيبه الصديق
... يا رب العالمين

وجعله ...
وختم لنا وله ...

صاحبه
عبد الغفار حلبي

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KİTAPLIĞI
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 24

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن برحمتك
الحمد لله الذي اظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه ما حير عقول العقلاء في عجايب
قدرته وردع خطرات هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته يعلم عجيج الوحوش
في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف الحيتان في البحار الغامرات
وتلاطم الماء بالرياح العاصفات الذي عظم حلمه فعفا وعدل في كل ما قضى وعلم
ما يمضي وما مضى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر
بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى كان ولا مكان ولا حين
ولا اوان ولا وقت ولا زمان ولا ظل ولا غمام ولا هوا ولا هوام ولا خلق بيان هوام
ولا ايام ولا جامد ولا جارية ولا راكد ولا هامد ولا متحرك ولا ساكن ولا ظاهر
ولا باطن ولا قلم ولا لوح ولا جن ولا روح ولا عرش ولا كرسي ولا جني ولا انسي ولا خفض
ولا رفع ولا ضر ولا نفع ولا طول ولا عرض ولا سما ولا ارض ولا ليل ولا نهار ولا جنة
ولا نار واحد وحداني ليس معه ثاني باق لا يبلى دايم لا يفنى عالم لا يلهو حافظ
لا يسهو جبار لا يضام عزيز لا يرام حي لا يموت ذو الملك والملكوت والعزة
والجبروت احمده حمدا يليق بعلو شانه وباهر برهانه وقديم احسانه وعظيم
امتنانه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة مقرونة بالصدق والصواب
مبرأة عن الشك والشبهة والارتياب واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين
الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم تسليما
اما بعد فهذا كتاب نرجو من فضل الله العميم واحسانه القديم ان يوفقنا
لنظمه وتنقيحه وتهذيبه وتلويحه ورتبناه على اربعة اقسام القسم الاول
ما يتعلق بعلم الاصول والثاني ما يتعلق بعلم الفروع والثالث ما يتعلق بعلم
الاخلاق وتصفية الباطن والرابع ما يتعلق بالمناجاة والدعوات ونسال الله
العظيم ان يوفقنا لاتمامه انه خير مامول واكرم مسوول القسم الاول
من هذا الكتاب وهو ما يتعلق بعلم الاصول واعلم ان القران العظيم قد دل على ان

معاقد الايمان مبنية على امور اربعة كما قال سبحانه والمومنون كل امن بالله
وملايكته وكتبه ورسله فنحن رتبنا علم الاصول على هذه القواعد الاربعة القاعدة الاولى
في معرفة الله تعالى واعلم ان معرفة الله تعالى لا تحصل الا بمعرفة امور خمسة معرفة
الذات والصفات والافعال والاحكام والاسما فنحن جعلنا معرفة الله تعالى
مبنية على هذه الاصول الخمسة

نخ الاصل

الباب الاول في معرفة الذات

وفيه فصول الفصل الاول في اسرار كلمة لا اله الا الله قال الله تعالى لرسوله فاعلم
انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات واعلم انه تعالى قدم الامر
بمعرفة التوحيد على الامر بالاستغفار والسبب فيه ان معرفة التوحيد اشارة
الى علم الاصول والاشتغال بالاستغفار اشارة الى علم الفروع والاصل
يجب تقديمه على الفرع فانه ما لم يعلم وجود الصانع امتنع الاشتغال بطاعته
وخدمته وهذه الدقيقة معتبرة في ايات كثيرة اولها ان ابرهيم عليه السلام لما
اشتغل بالدعا قدم المعرفة على الطاعة فقال رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
فقوله هب لي حكما اشارة الى استكمال القوة النظرية بمعرفة حقايق الاشيا
وقوله والحقني بالصالحين اشارة الى استكمال القوة العملية بالاجتناب عن طرفي
الافراط والتفريط فقدم العلم على العمل وثانيها انه تعالى لما اوحى الى
موسى عليه السلام راعى هذا الترتيب فقال وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني اشارة الى علم الاصول وقوله فاعبدني اشارة
الى علم الفروع وثالثها ان عيسى عليه السلام لما انطقه الله تعالى في وقت
الطفولية قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا فقوله اني عبد الله اشارة الى
علم الاصول وقوله آتاني الكتاب اشارة الى علم الفروع فان الاحتياج الى الكتاب
انما يكون في معرفة الاحكام والشرايع لا في معرفة ذات الله وصفاته ورابعها
الآية التي نحن فيها على ما قررناه ولا نزاع ان افضل الانبيا والرسل عليهم السلام
هولاء الاربعة فلما ثبت ان الله قدم الامر بمعرفة الاصول على معرفة الفروع

في حقها ولا الانبياء المكرمين شيئا ان الحق الصحيح ليس الا ذلك ومما يؤكد ذلك
وجوه اخرى احدها ان اكثر المفسرين على ان اول ما انزل الله تعالى على محمد عليه السلام
هو قوله اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم
بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وهذه الاية مشتملة على دلايل التوحيد وذلك لان
اظهر الدلايل الدالة على وجود الصانع الحكيم تولد الانسان من تلك النطفة ثم انه
تعالى ينبه في هذه الاية على لطيفة عجيبة ولا يأتي شرحها الا في معرض السؤال
والجواب فان قال قايل لا بد من رعاية النظم بين اجزاء الكلام وها هنا ذكر الله تعالى
تولد الانسان من النطفة فقال الذي خلق خلق الانسان من علق ثم ذكر بعده انه تعالى
علم الانسان ما لم يعلم فاي مناسبة بين هذين الامرين الجواب ان اخس المراتب
وادناها العلقة وذلك لانه يستقذرها كل احد واعلى المراتب واشرفها كون
الانسان عالما محيطا بحقايق الاشيا كانه قيل عبدي تامل الى اول حالك حين كنت
علقة وهي اخس الاشيا والى اخر حالك حين صرت ناطقا عالما بحقايق الاشيا
وهو اشرف المراتب حتى يظهر لك انه لا يمكن الانتقال من تلك الحالة الخسيسة الى هذه
الدرجة الشريفة الا بتدبير اقدر القادرين واحكم الحاكمين سبحانه وتعالى عن قول الظالمين
وثانيها انه تعالى في اول سورة البقرة مدح المؤمنين من اول السورة الى قوله واولئك هم
المفلحون ثم ذم الكافرين في ايتين اولهما قوله ان الذين كفروا الى قوله ولهم عذاب
عظيم ثم ذم المنافقين في ثلث عشرة اية اولها قوله ومن الناس من يقول امنا الى قوله يا ايها
الناس اعبدوا ثم لما مدح المؤمن وذم الكافر والمنافق كانه قيل هذا المدح والذم
لا يستقيمان الا بتقديم الدلايل على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد فان اصول
الاسلام في هذه الثلثة فلهذا السبب بين تعالى صحة هذه الاصول الثلثة بالدلايل
القاطعة فبدا اولا باثبات الصانع وتوحيده وبين ذلك بخمسة انواع من الدلايل
اولها انه تعالى استدل على التوحيد بانفسهم واليه الاشارة بقوله ربكم الذي خلقكم
وثانيها باحوال ابايهم واجدادهم واليه الاشارة بقوله والذين من قبلكم وثالثها

اجمعوا
خلق
انظر اصول الاسلام هذه الثلثة

باحوال الارض واليه الاشارة بقوله الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء
وخامسها بالاحوال الحادثة المتعلقة بالسماء والارض واليه الاشارة بقوله وانزل
من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فان السماء كالاب والارض كالام ينزل قطر
المطر من صلب السحاب الى رحم الارض فيتولد منه انواع النبات ولما ذكر هذه
الدلايل الخمسة رتب المطلوب عليها فقال فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون وذلك
لان هذه الدلايل تدل على وجود الصانع من وجوه وعلى كونه تعالى واحدا من
وجه اخر فانها من حيث انها حدثت مع جواز ان لا تحدث ومع جواز ان تحدث
على خلاف ما حدثت تدل على وجود الصانع القادر ومن حيث انها حدثت لا على
وجه الخلل والفساد دلت على وحدة الصانع كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا فلهذا السبب ذكر بعد تلك الدلايل الخمسة ذينك المطلوبين احدهما اثبات
الصانع والثاني اثبات انه واحد لان قوله فلا تجعلوا لله اندادا مشتمل على اثبات
الاله وعلى اثبات كونه واحدا ثم ها هنا لطيفة اخرى مرعية في هذه الاية وهي ان
الترتيب الحسن المفيد في التعليم ان يقع الابتدا في التعليم من الاظهر فالاظهر مترقيا
الى الاخفى فالاخفى وهذه الدقيقة مرعية في هذه الاية وذلك لانه سبحانه قال اعبدوا
ربكم الذي خلقكم فجعل استدلال كل عاقل بنفسه مقدما على جميع الاستدلالات
لان اطلاع كل احد على نفسه من اطلاعه على احوال غيره فيجد بالضرورة من نفسه انه
تارة يكون مريضا وتارة يكون صحيحا وتارة ملتذا وتارة متالما وتارة شابا وتارة
شيخا ولا انتقال من بعض هذه الصفات الى غيرها الا باختياره ولا باختيار احد
وايضا كثيرا ما يجتهد في كل شيء فلا يجد وكثيرا ما يكون غافلا عنه فيحصل وعند ذلك يعلم
كل عاقل عند نقض العزايم وفسخ الهمم انه لا بد من مدبر يكون تدبيره فوق تدبير البشر
وربما اجتهد العاقل الذكي في الطلب فلا يجد والغر الغبي يتيسر له ذلك المطلوب
فعند هذه الاعتبارات يلوح له صدق قول الامام الشافعي رضي الله عنه في شعر له
ومن الدليل على القضا وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق

الثمار
ورابعها باحوال
والنبات
والسماء بناء

اتم

ويظهر له ان هذه المطالب انما تحصل وتتيسر بنا على قسمة قسام لا يمكن منازعته
ومغالبته كما قال سبحانه نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ثم ان مراتب
هذه له اعتبارات غير محصورة فتارة كما قال سبحانه امن يجيب دعوة المضطر اذا
دعاه واخرى كما قال تعالى في قوله قل من يكلوكم بالليل والنهار وبالجملة فلما كان
اطلاع كل واحد على احوال نفسه اشد من اطلاعه على احوال غيره لا جرم قدم هذا
الدليل على ساير الدلايل ثم هذه المرتبة يتلوها مرتبة اخرى وهي علم كل احد باحوال
ابايه واجداده واهل بلدته ثم ان هذه المرتبة الثانية يتلوها ثالثة وهي علم الانسان
باحوال الارض التي هي مسكن له لانه يرى فانها مختلفة الاجزا كما قال تعالى وفي الارض
قطع متجاورات وجنات وقال ايضا ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب
سود ثم هذه المرتبة الثالثة يتلوها مرتبة رابعة وهي العلم باحوال الافلاك فان بعضها
تخالف بعضا في العلو والسفل والصغر والكبر والبطو والسرعة واختلاف احوال الكواكب
المذكورة فيها كما قال تعالى كل في فلك يسبحون وقال رب المشارق ورب المغارب
وقال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره وقال تعالى تبارك الذي جعل في السما
بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وقال في سورة نوح الم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وقال في يس لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون وقال فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ثم بعد هذه المرتبة الرابعة
مرتبة خامسة وهي الاحوال المتولدة من السما والارض وهي نزول القطر من صلب
السحاب ووقوعه في رحم الارض ثم بعد ذلك يحدث في الارض الواحدة انواع من
النبات بحيث يخالف كل واحد منها صاحبه في اللون والشكل والطعم والطبع
والخاصية فمنه ما يكون اداما ومنه ما يكون فاكهة ومنه ما يكون دوا ومنه ما يكون
سما ومنه ما يكون علفا لساير الحيوانات فذكر في تحصيل المطعومات قوله تعالى
انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا الى اخر الايه وقال ان الله فالق الحب

والنوى بل اذا نظرت الى ورقة واحدة من اوراق الورد وجدت احد وجهيها
في غاية الحمرة والوجه الاخر في غاية الصفرة مع انها تكون في غاية الرقة وقلة
الثخانة ونحن نعلم بالضرورة ان نسبة تاثير الكواكب وحركات الافلاك والطبايع
الى كل واحد من وجهي تلك الورقة الرقيقة جدا من الورد نسبة واحدة فاختصاص
احد وجهي تلك الورقة بالحمرة والاخرى بالخضرة لا بد ان يكون لاجل القادر المختار
الذي يفعل بالعلم والقدرة لا بالعلة والطبيعة واذا عرفت ذلك ظهر لك ان الله تعالى
في ترتيب هذه الاصل الخمسة وتقديم بعضها على البعض حكما بالغة واسرارا مرعية
فسبحان من لا نهاية لعلمه ولا غاية لحكمته ثم انه تعالى لما بين دلايل اثبات
الصانع ووحدانيته اردف هذه المسالة بمسالة اقامة الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وهي قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وذلك لان
التحدي وقع بكل القران في قوله قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلما عجزوا عن معارضة كل القران اتبعه
بالتحدي بعشر سور من القران فقال هاهنا فاتوا بسورة من مثله فلما عجزوا عنه
اتبعه بالتحدي باية واحدة فقال فلياتوا بحديث مثله فلما عجزوا عنه مع توفر الدواعي
ظهر كونه معجزا باهرا وبرهانا قاهرا ثم انه اتبع هذه المسلة بمسلة المعاد وهي قوله
وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كانه قيل انا
قد ذممنا مدح المومنين وذم الكافرين والمنافقين فلو لم يكن معاد بجد المحسن ثمرة احسانه
ويجد المسي عاقبة اساته لم يكن ذلك لايقا بحكمتي وهذا هو المراد من قوله في يونس
ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وقال في سورة طه واقم الصلاة
لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى وقال في صاد ام
نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين ام نجعل المتقين كالفجار فظهر
بما ذكرنا انه تعالى لم يذكر في اول كتابه الا دلايل التوحيد والنبوة والمعاد وثبت انه
لا بد من تقديم الاصول على الفروع فلهذا السبب قدم الله تعالى الامر بالتوحيد

فقال فاتوا بعشر سور مثله مفتريات
فلما عجزوا عنه اتبعه
بالتحدي بسورة

على الاصل بلا استعمار فقال فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك الوجه الثالث
في تقرير هذا الاصل انه تعالى قال في اول سورة النحل ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون فقوله تعالى لا اله الا انا
اشاره الى علم الاصول وقوله فاتقون اشارة الى علم الفروع الوجه الرابع ان
موسى عليه السلام لما ادعى الرسالة عند فرعون قال له فرعون وما رب العالمين يعني
ان رسالتك متفرعة على اثبات ان للعالم الها فما الدليل عليه ثم ان موسى عليه السلام لم ينكر
هذا السؤال اشتغل بذكر الدلايل الدالة على وجود الصانع فقال ربكم ورب ابايكم بل م
الاولين فاستدل على وجود الصانع اولا باحوال نفسه وثانيا باحوال ابايه
وهو نظير قوله تعالى في سورة البقرة اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
وظهر بما ذكرنا وجوه الفايدة في انه تعالى ذكر اولا قوله فاعلم انه لا اله الا الله
وذكر ثانيا قوله واستغفر لذنبك والله اعلم بحقايق كتابه فهذا ما يتعلق بالدلايل
القرانية الدالة على تقدم علم الاصول على علم الفروع ولنوكد كل هذه الوجوه
بعشرة اوجه اخرى فالوجه الاول وهو ان شرف العلم بشرف المعلوم
فمهما كان من المعلوم اشرف كان العلم الحاصل به اشرف ولما كان اشرف
المعلومات ذات الله تعالى وصفاته وجب ان يكون معرفته وتوحيده اشرف
العلوم الوجه الثانية ان العلم اما ان يكون دينيا او غير ديني ولا شك ان العلم
الديني اشرف من غير الديني واما العلم الديني فاما ان يكون علم الاصول او ما عداه
اما عداه علم الاصول فان صحته موقوفة على صحة علم الاصول لان المفسر
انما يبحث عن معاني كلام الله تعالى وذلك فرع على معرفة الصانع المختار المتكلم
واما المحدث فانه يبحث عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك فرع على ثبوت
نبوته والفقيه انما يبحث عن احكام الله تعالى وذلك فرع على ثبوت التوحيد والنبوة
فثبت ان هذه العلوم باسرها مفتقرة الى علم الاصول وظاهر ان علم الاصول
غني عنها باسرها فوجب ان يكون علم الاصول اشرف الوجه الثالثة ان شرف

هو الكفر والبدعة وهما اخس ... ان يكون علم ... اشرفها فوجب

الشي قد يظهر بواسطة خسيسة ضده فكلما كان ضد الشي اخس كان هو
اشرف ولا شك ان ضد علم الاصول اخس العلوم الوجه الرابعة ان شرف العلم
تارة يكون لشرف موضوعه وتارة لشدة الحاجة اليه وتارة لقوة براهينه
ودلايله وذلك لان علم الهيئة اشرف من علم الطب نظرا الى ان موضوع علم
الهيئة اشرف من موضوع علم الطب وان كان علم الطب اشرف من حيث الحاجة أن ثم
الى علم الطب اشد وعلم الحساب اشرف منهما من حيث ان براهين هذا العلم اقوى
وعلم الاصول مستجمع لهذه الخصال اما شرف الموضوع وذلك لان المبحوث
عنه معرفة ذات الله تعالى وصفاته وقدسه وعظمته وعزته ولا شك انه
اشرف الاشيا واما شدة الحاجة اليه فظاهرة لان الحاجة اما في الدين واما في
الدنيا اما في الدين فلان من عرف هذه المطالب استحق الثواب العظيم وتخلص عن
العقاب الاليم وصار من زمرة الملائكة المقربين في جوار رب العالمين ومن جهلها
صار محروما عن الثواب العظيم مستوجبا للعقاب الاليم وصار من زمرة
الابالسة والشياطين وبقي في دركات الضلالات ابد الابدين ودهر الداهرين العالم
واما في الدنيا فان معظم مصالح انما ينتظم بسبب الرغبة في الثواب والرهبة
من العقاب ولولا لوقع الهرج والمرج في العالم واما قوة براهين هذا العلم فلان
براهينها مركبة من المقدمات البديهية الضرورية وهي اقوى العلوم والمعارف
فثبت ان علم الاصول مستجمع لجميع خصال الشرف فوجب ان يكون اشرف
العلوم الوجه الخامسة ان هذا العلم لا يتطرق اليه النسخ والتغير ولا يختلف
باختلاف النواحي والامم بخلاف ساير العلوم فوجب ان يكون هذا العلم اشرف
العلوم الوجه السادسة ان الانسان لا يكون من اهل النجاة والدرجات الا مع
هذا العلم وقد يكون من اهل النجاة وان لم يتعلم شيا من الفقه اصلا البتة
اما انه لا بد في النجاة من علم الاصول لان الجاهل بالله تعالى وصفاته البتة
لا يكون من اهل النجاة بالاجماع واما انه قد تحصل النجاة بدون الفقه فلان

للانسان قبل البلوغ لا يكون مكلفا بشيء من الاعمال فاذا بلغ وقت الضحوة
ففي هذه الساعة لم يجب عليه شيء من الصلوة والزكوات والصيامات وسائر
العبادات فلو مات في هذه الساعة مع المعرفة بالتوحيد لقي الله مؤمنا
حقا ولو قدرنا ان هذا الذي بلغ كان امراة كما بلغت حاضت وبقيت
مدة اخرى في البلوغ وهي غير مكلفة لا بالصلوة ولا بالصيام ولا بالقراءة فاذا
انقضى زمان حيضها وماتت فهي قد لقيت حضرة الله تعالى مؤمنة حقا فعلمنا
ان النجاة واستحقاق الدرجات لا يتوقف على الفقه وهي موقوفة على معرفة
الاصول الحجة السابعة ان الايات المشتملة على دلايل علم الاصول اشرف
من الايات المشتملة على دلايل علم الفروع بدليل انه جاء في فضيلة قل هو الله احد
وآمن الرسول واية الكرسي وشهد الله ما لم يجئ مثله في فضيلة قوله تعالى ويسلونك عن
المحيض واحل الله البيع وحرم الربوا يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين ولان
الزهاد والعباد مواظبون في شرايف الاوقات على قراءة هذه الايات المشتملة
على الالهيات دون الايات المشتملة على هذه الاحكام الحجة الثامنة ان الايات
الواردة في الاحكام الشرعية اقل من ستماية اية واما البواقي فهي في بيان التوحيد
والرد على عبدة الاوثان واصناف المشركين وفي اثبات النبوة والمعاد ومسئلة
القضا والقدر واما الايات الواردة في القصص فالمقصود منها اما التوحيد
واما النبوة اما على التوحيد فهو ان يستدل بها على قدرة الله تعالى وحكمته
كما قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب واما على النبوة فمن
وجهين الاول كما قال تعالى لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب وكما قال
تعالى في سورة الشعرا بعد ذكر القصص وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح
الامين على قلبك فوجه الاستدلال به انه عليه السلام لما لم يتعلم علما ولم يقرا
كتابا ولم يتلمذ لاستاذ استحال منه رواية هذه القصص الا عن وحي الله تعالى
وتنزيله والثاني انه يذكر القصة الواحدة مرارا مختلفة وكل متشابهة في الفصاحة

مع ان الفصيح اذا ذكر قصة واحدة بالالفاظ الفصيحة عجز عن ذكرها بعينها
مرة اخرى بالالفاظ الفصيحة فيستدل بفصاحة الكل على كونها من عند الله تعالى
لا من البشر فدل هذا على ان معظم القران في علم الاصول ولنشر الى معنى
الدلايل اما دلايل التوحيد فتارة بالخلق والانسان من النطفة والله تعالى ذكر
هذا الدليل في القران اكثر من ثمانين مرة وتارة بدلايل الافاق وهي احوال السما والارض
والهوا والنبات والحيوان وهي اظهر من ان تحتاج الى الشرح واما الدلايل الدالة
على الصفات فنقول اما الذي يدل على العلم فكقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض
ولا في السما هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا وهذا هو دليل المتكلمين فانهم
يستدلون باحكام الافعال واتقانها على علم الفاعل وهاهنا استدل سبحانه
بتصوير الصور في ظلمات الارحام على كون الفاعل عالما وقال ايضا الا يعلم من خلق
وهو اللطيف الخبير وهو عين تلك الدلالة وقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو
وهذا تنبيه على كونه تعالى عالما بكل المعلومات لانه تعالى يخبر عن المغيبات فيقع
تلك الاشيا على وفق ذلك الخبر وذلك يدل على كونه تعالى عالما بالمغيبات واما
صفة القدرة فكل ما ذكر تعالى في القران من الثمار المختلفة والحيوانات المختلفة
مع استوا تاثير الطبايع والافلاك فانه يدل على صفة القدرة وسيجي الاستقصا
في هذه الانواع القرانية ان شا الله تعالى الحجة التاسعة انه تعالى حكى عن كثير من الانبيا
عليهم السلام انهم كانوا طول عمرهم مشتغلين بهذه الدلايل ولنذكر ما ينبه على المقصود
اما الملايكة عليهم السلام فانهم لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
كان المراد ان خلق امثالها اولا سببا للشر والفتنة وذلك قبيح والحكيم لا يفعل
القبيح فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم ما لا تعلمون والمعنى والله اعلم اني لما
كنت عالما بكل المعلومات كنت قد علمت في خلقهم وايجادهم حكمة لا تعلمونها
انتم فلما سمعوا ذلك سكتوا واما مناظرة الله تعالى مع ابليس فالقران ناطق بها
واما الانبيا عليهم السلام فاولهم ادم عليه السلام وقد اظهر الله الحجة على فضله بان اظهر

علمه على الملايكة وذلك محض الاستدلال واما نوح عليه السلام فقد حكى الله تعالى
عن الكفار انهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومعلوم ان مجادلة الرسول
مع الكفار لا تكون في تفاصيل الاحكام الشرعية فلم يبق الا انها كانت في التوحيد
والنبوة وايضا عليه السلام لما امرهم بالاستغفار في قوله فقلت استغفروا ربكم
انه كان غفارا افي الحال ذكر ما يدل على التوحيد فقال الم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا واما ابرهيم عليه السلام
فالاستقصا في شرح احواله في هذا البيان يطول وله مقامات احدها مع نفسه
وهو قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي الى اخر الاية وهذا هو
طريقة المتكلمين فانه استدل بافولها وتغيرها على حدوثها ثم استدل بحدوثها
على وجود محدثها كما اخبر الله تعالى عنه في قوله قال يا قوم اني بريء مما تشركون
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض ثم انه تعالى عظم شانه بسبب ذلك
فقال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشا وايضا قال في
وقت دعايه ما هو محض الاستدلال وهو قوله الذي خلقني فهو يهدين والذي
هو يطعمني ويسقيني الى اخر الاية وثانيها حال ابرهيم عليه السلام مع ابيه وهو قوله
يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا الى اخر الاية وثالثها
حاله مع قومه تارة بالقول واخرى بالفعل اما بالقول فهو قوله ما هذه التماثيل
التي انتم لها عاكفون واما بالفعل فقوله فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون
ورابعها حاله مع ملك زمانه حيث قال ربي الذي يحيي ويميت الى اخر الاية فهذا
كله مباحث ابرهيم عليه السلام في معرفة المبدا واما بحثه في معرفة المعاد فهو قوله
رب ارني كيف تحيي الموتى الى اخر الاية واما موسى عليه السلام فانظر الى مباحثاته
مع فرعون واعلم ان موسى عليه السلام ما كان يعول في الاستدلال الا على
دلايل ابرهيم صلى الله عليه وذلك لانه تعالى حكى في سورة طه ان فرعون قال لموسى وهرون
فمن ربكما يا موسى فقال ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وهذا هو الدليل

الذي ذكره ابرهيم عليه السلام حيث قال الذي خلقني فهو يهديني ثم حكى تعالى عن
موسى في سورة الشعرا انه قال لفرعون ربكم ورب ابايكم الاولين وهذا هو الذي عول
عليه ابرهيم عليه السلام في قوله ربي الذي يحيي ويميت فلما لم يكتف فرعون بذلك
طالبه بدليل اخر قال موسى رب المشرق والمغرب وهذا هو الذي عول عليه ابرهيم عليه السلام
في قوله فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وهذا ينبهك على ان التمسك
بهذه الدلايل حرفة هؤلاء الانبيا عليهم السلام ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ
من تقرير دلايل التوحيد ذكر بعده دلايل النبوة فقال او لو جيتك بشي مبين
وهذا يدل على انه عليه السلام فرع بيان النبوة على بيان التوحيد والمعرفة
واما سليمن عليه السلام فله مقامان احدهما في اثبات التوحيد والاخر في اثبات
النبوة اما المقام الاول في اثبات التوحيد فهو قوله تعالى حكاية عنه الا يسجدوا
لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا اله الا هو
رب العرش العظيم وهذه الاية دالة على وصف الله تعالى بالقدرة وبالعلم اما القدرة
فقوله يخرج الخبء في السموات والارض وسمي المخبو بالمصدر وهو يتناول جميع
انواع الارزاق والاموال واخراج من السما بالغيث ومن الارض بالنبات ونقرره
ما قدمناه واما العلم فيدل على ثبوته قوله ويعلم ما تخفون وما تعلنون واعلم
ان المقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وتلخيص الدلالة على قانون الجدال
على وجهين الاول ان الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج الخبء ويكون عالما بالخفيات
والشمس ليست كذلك فهي لا تكون الها اما انه سبحانه يجب ان يكون قادرا
عالما على الوجه المذكور فلما انه واجب الوجود لذاته فلا تختص قدرته وعلمه
ببعض المقدورات وبعض المعلومات دون بعض واما ان الشمس ليست كذلك
فلانها جسم متناهي وكل ما كان متناهيا في الذات كان متناهيا في الصفات
واذا كان كذلك امتنع ان يكون الشمس قادرة على اخراج الخبء وعالمة بالخفيات
واذا لم تعلم من حالها ذلك لم تعلم من حالها كونها قادرة على جلب المنافع ودفع

المضار فيرجع حاصل هذا الدليل الى ما ذكره ابرهيم عليه السلام في قوله لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا الوجه الثاني ان هذا اشارة الى دليل
ابرهيم عليه السلام في قوله ربي الذي يحيي ويميت الى اخر الاية وبيانه انه سبحانه هو الذي
يخرج الشمس من المشرق بعد افولها فهذا هو المراد باخراج الخبا في السموات وهو المراد
من قول ابرهيم لا احب الافلين ومن قول موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وحاصل
الكل يرجع الى ان افول الشمس وطلوعها يدلان على كونها تحت تدبير مدبر قاهر
فكانت العبادة لقاهرها ومدبرها والمتصرف فيها اولى واما اخراج الخبا
من الارض فالمراد منه اخراج النطفة من بين الصلب والترايب وهو المراد من قول ابرهيم عليه السلام
ربي الذي يحيي ويميت ومن قول موسى ربكم ورب ابايكم الاولين فان قيل ان ابرهيم وموسى
عليهما السلام قدما دلايل النفس على دلايل الافلاك فان ابرهيم قال اولا ربي الذي
يحيي ويميت ثم قال ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وموسى عليه السلام
قال ربكم ورب ابايكم الاولين ثم قال رب المشرق والمغرب فلم عكس سليمن عليه السلام هذا
الترتيب فقدم دلايل السموات على دلايل الانفس فقال الذي يخرج الخبا في السموات
والارض قلنا ان ابرهيم عليه السلام وموسى كانت مناظرتهما مع من ادعى الهية البشر
فان نمرود وفرعون كل واحد منهما كان يدعي الالهية فلا جرم ابتدا ابرهيم وموسى
عليهما السلام بابطال الهية البشر ثم انتقلا الى ابطال الهية الافلاك والكواكب
واما سليمن عليه السلام فانه كانت مناظرته مع من يدعي الهية الشمس فان الهدهد قال
رايتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فلا جرم ابتدا بذكر السموات ثم بذكر
الارضيات ثم ان سليمن عليه السلام لما تمم دلايل التوحيد قال بعده الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم والمراد انه لما بين افتقار السموات والارض والشمس وساير الكواكب
الى مدبر خالق ذكر بعد ذلك ان كل ما كان جسما فهو مخلوق ومربوب سوا اكان
عظيما او صغيرا فقال الله لا اله الا هو رب العرش العظيم فهذا مقام سليمن عليه السلام
في تقرير دلايل التوحيد واما المقام الثاني في تقرير دلايل النبوة فهو قوله تعالى

حكاية عنه قال يا ايها الملا ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين قال عفريت من الجن
انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي
ليبلوني ااشكر ام اكفر واعلم ان اكثر الناس قالوا ذلك الشخص الذي قال انا اتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك هو غير سليمن وظنوا ان الكاف في قوله اتيك خطاب مع سليمان نخ
عليه السلام وعلى هذا التقدير لا بد وان يكون ذلك القايل غير سليمن عليه السلام الا ان هذا
ضعيف بل الصحيح عندنا ان الاتي بذلك العرش هو سليمن وذلك لانه عليه السلام انما قال ايكم
ياتيني بعرشها على سبيل التحدي فقال العفريت انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك فقال
سليمن عليه السلام للعفريت انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فهذا الكلام قاله سليمن للعفريت
تقريرا للتحدي الذي ذكره اولا وكسرا للعفريتية واظهارا للمعجزة والذي يدل عليه وجوه الاول
ان سليمن عليه السلام كان قد ذكر دلايل التوحيد اولا فافتقر بعد ذلك الى تقرير دلايل النبوة
مع بلقيس فان سليمن عليه السلام كان قد كلفها الاقرار بالتوحيد والنبوة وهذا معجز
دال على النبوة فوجب جعله معجزا لسليمن عليه السلام حتى يتم الدليل الثاني ان لفظة
الذي موضوعة في اللغة للاشارة الى شخص معين عند محاولة تعريفه بقصة معلومة
والشخص المعروف بان عنده علم الكتاب هو سليمن عليه السلام قال الله تعالى ففهمناها سليمن
وقال تعالى وورث سليمن داود فوجب انصرافه اليه اقصى ما في الباب ان اصف كان عالما
بالكتاب الا ان سليمن كان اعرف به من اصف لان سليمن رسول والرسول اعرف بكلام الله تعالى
من غيره فكان صرف هذا اللفظ الى سليمن اولى الثالث ان احضار العرش في تلك
الساعة اللطيفة درجة عالية فلو حصلت لاصف دون سليمن لاقتضى ذلك تفضيل
اصف على سليمن وانه غير جايز الرابع ان سليمن لو افتقر في هذا المعرض الى اصف
لاقتضى ذلك قصور حال سليمن في اعين الخلق الخامس ان سليمن عليه السلام قال
هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر وظاهره يقتضي ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله
بدعا سليمن فهذا ما يتعلق باشتغال سليمن عليه السلام بتقرير التوحيد والنبوة والله اعلم

فلما ذكر دلايل التوحيد وجب عليه ان يذكر بعده دلايل النبوة

واما عيسى عليه السلام فانه اول ما تكلم شرح امر التوحيد فقال اني عبد الله وشهادة حاله كانت دالة على صدق مقاله وهذه الكلمة الواحدة كانت جامعة لكل المقاصد اما دلالتها على التوحيد فلان انطاق الطفل في اول زمان الطفولية لا يتاتى الا من الاله القادر على كل المقدورات واما دلالتها على النبوة فلان اختصاصه بهذا الفعل الخارق للعادة دال على النبوة واما دلالتها على براءة امه عن طعن اليهود لعنهم الله فلانه لا يليق بحكمة الحكيم تخصيص ولد الزنا بهذه الرتبة العالية والدرجة الشريفة ثم انه عليه السلام بعد هذه الكلمة الوافية بتقرير كل الاغراض اشتغل الى بيان الشرائع فقال آتاني الكتاب وجعلني نبيا واما محمد صلى الله عليه وسلم فاعلم ان اشتغاله بتقرير دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اظهر من ان يحتاج فيه الى مزيد تقرير وذلك انه عليه السلام كان مبتلى بالرد على جميع فرق الكفار فالاول الدهرية الذين كانوا يقولون وما يهلكنا الا الدهر فالله تعالى ابطل قولهم بانه خالق الدهر والزمان والثاني الذين ينكرون القادر المختار والله تعالى ابطل قولهم بحدوث انواع النبات واصناف الحيوانات مع اشتراك الكل في تاثير الطبايع والافلاك والثالث الذين اثبتوا شريكا مع الله سبحانه وذلك الشريك اما ان يكون علويا او سفليا والشريك العلوي فمنهم من اثبت ذلك الشريك من الكواكب الشمس والقمر والله تعالى ابطله بدليل الخليل عليه السلام وهو قوله لا احب الافلين ومنهم من قال انه هو النور والظلمة والله تعالى ابطله بقوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ومنهم من قال يزدان واهرمن والله تعالى ابطله بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وبقوله اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا وبقوله ولعلا بعضهم على بعض سبحانه واما الشريك السفلي فمنهم من قال بالهية المسيح والله تعالى ابطله بقوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ومنهم من قال انه هو الوثن والله تعالى ابطله بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق الرابع الذين طعنوا في اصل النبوة وحكى الله تعالى عنهم قولهم ابعث الله بشرا رسولا ثم انه تعالى رد عليهم بقوله اهم يقسمون رحمة ربك الخامس الذين طعنوا في التكليف

انه

تارة بانه لا فائدة فيه والله تعالى رد عليهم بقوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها واخرى بان الحق هو الجبر وانه ينافي صحة التكليف والله تعالى اجاب عنه بقوله لا يسال عما يفعل والسادس الذين سلموا اصل النبوة وطعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والقران مملوء من الرد عليهم ثم ان طعنهم كان من وجوه تارة بالطعن في القران من حيث انه مشتمل على ذكر خسائس الحيوانات من البعوضة والنملة والذبابة فاجاب الله تعالى بقوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وتارة بان القران سحر وشعر فاجاب الله تعالى عنه بقوله فاتوا بسورة من مثله وتارة بالتماس سائر المعجزات وهو قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فاجاب الله تعالى عنه بان الدليل لما تم لم يبق للاقتراح في الزيادات فائدة وهو قوله سبحانه وتعالى قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وتارة بان هذا القران نزل نجما نجما وذلك يوجب التهمة فاجاب الله عنه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك وتارة بانه يحتمل ان يكون هذا القران من تلقاء الجن والشياطين كما جاء في حق الشعراء فاجاب الله سبحانه عنه بقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم السابع الذين انكروا الحشر والنشر والقران مملوء من الرد عليهم فثبت بمجموع ما ذكرنا ان الاشتغال بدلائل التوحيد والنبوة حرفة جميع الانبياء عليهم السلام

الحجة العاشرة على نهاية شرف هذا العلم قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وليس المراد منه المجادلة في فروع الشرائع لان من انكر نبوته فلا فائدة في الخوض معه في تفاريع الاحكام ومن اثبت نبوته فانه لا يخالفه فعلمنا ان هذا الجدال المامور به كان من تقرير مسائل الاصول واذا ثبت هذا في حق الرسول عليه السلام ثبت في حق امته لقوله تعالى حكاية عنه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ولقوله عليه السلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء بعدي

الحجة الحادية عشر قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وذلك يقتضي ان الجدال مع العلم لا يكون مذموما وايضا

حكى الله تعالى عن قوم نوح انهم قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومن المعلوم
ان ذلك الجدال ما كان الا في تقرير دلايل الاصول واذا ثبت هذا ثبت ان
الجدال في تقرير الدلايل مستحسن ثبت ان المراد من قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا
بل هم قوم خصمون محمول على ذم الجدال في تقرير الباطل الحجة الثالثة عشر
انه تعالى امر بالنظر فقال افلا يتدبرون القران افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الحجة الرابعة عشر انه تعالى ذكر التفكر الثالثة عشر صح
في معرض المدح فقال ان في ذلك لآيات لاولي الالباب ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار
وايضا ذم المعرضين فقال وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها
معرضون لهم قلوب لا يفقهون بها الحجة الرابعة عشر انه تعالى ذم التقليد
فقال حكاية عن الكفار انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون وقال بل
نتبع ما الفينا عليه اباءنا وقال بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وقال ان كاد ليضلنا
عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وقال في والد ابرهيم لئن لم تنته لارجمنك واهجرني مليا
وكل ذلك يدل على وجوب النظر وفساد التقليد الحجة الخامسة عشر
انه تعالى حكى عنهم انهم سالوا محمدا صلى الله عليه وسلم عن امور كقوله يسلونك عن المحيض
ويسلونك عن الانفال فذكر في كل هذه المواضع قل كذى وكذى الا في اية واحدة
وهي انهم سالوا عن مسلة اصولية وهي قوله ويسلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا
فههنا ذكر حرف التعقيب يعني يا محمد اذكر هذا الجواب في الحال لان هذه
المسلة اصولية فلا يجوز تاخير الجواب عنها لان ذلك يقدح في الايمان اما ساير
المسايل فهي فروعية فلا يكون تاخير الجواب عنها الى وقت الحاجة ضارا فثبت
بمجموع هذه البيانات وجوب تقديم علم الاصول على علم الفروع فلا جرم قال الله تعالى
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فقدم الامر بمعرفة التوحيد على الامر بالاستغفار
والله اعلم بالصواب الفصل الثاني في فوايد لا اله الا الله

الفايدة الاولى ان هذا الذكر لما كان افضل الاذكار قال العدو والولي لما جاءته المحنة
فزع اليه والولي لما جاءته المحنة فزع اليه اما العدو فلان فرعون لما قرب من الغرق
قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل والمعنى انه لا اله يقدر على ان يجعل
النار راحة كما في حق ابرهيم والماء عذابا كما في حقي الا الذي امنت به بنوا اسرايل
واما الولي فكما في حق يونس عليه السلام قال الله تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا
انت سبحانك اني كنت من الظالمين والمعنى لا اله الا انت فانك انت الذي تقدر على حفظي
حيا في بطن الحوت ولا قدرة لغيرك على هذه الحالة فان قيل كل واحد منهما نادى فلم
قبل نداء احدهما ولم يقبل نداء الثاني قلنا الفرق من وجوه الاول ان يونس عليه السلام
قد سبقت له المعرفة مع هذه الكلمة فسبق المعرفة اعانه على قبولها منه واما فرعون
فقد تقدمت له سبق النكرة وذلك لان الذي تقدم له في النداء الى نفسه كما قال تعالى
فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى واما يونس عليه السلام فقد كان ينادي الله ولا تكن كصاحب
الحوت اذ نادى وهو مكظوم وايضا قال فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه
وهنا ينبهك على ان من حفظ الله في الخلوات حفظه في الفلوات الثاني ان يونس عليه السلام انما
نادى بهذه الكلمة مع الحضور فقال لا اله الا انت وكان في الحضور والشهود
واما فرعون فانه قالها على الغيبة فقال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل
فاحال العلم بحقيقة هذه الكلمة على الغير الثالث ان فرعون ذكر هذه الكلمة على
سبيل التقليد لبني اسرايل فقال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل واما
يونس اعاد ذكرها على سبيل الاستدلال مع العجز والانكسار وذلك لانه قال
فنادى في الظلمات فحصل له العجز وانكسار القلب بسبب تلك الظلمات ثم قال بعده
سبحانك اني كنت من الظالمين فحصل له العجز والانكسار بسبب الزلة فلما كانت هذه
الكلمة مسبوقة بالعجز والانكسار وملحوقة بها لا جرم صارت مقبولة لقوله
امن يجيب دعوة المضطر اذا دعاه الرابع ان فرعون انما ذكر هذه الكلمة لا للعبودية
بل لطلب الخلاص من الغرق بدليل قوله تعالى فلما ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي

امنت به بنو اسرائيل واما يونس عليه السلام فهو قالها لما حصل له من انكسار
بسبب التقصير في الطاعة والعبودية بدليل قوله تعالى سبحانك اني كنت من الظالمين
فظهر فضيلة الفرق من هذا الوجه الفضيلة الثانية لهذه الكلمة انه تعالى امرك
بطاعات كثيرة من الصلوة والزكاة والصيام والحج ويستحيل ان تكون موافقا لك في شي
منها ثم امرك بان يقول لا اله الا الله ثم انه تعالى يوافقك فيها فقال شهد الله انه لا اله
الا هو الى قوله العزيز الحكيم والمقصود وجهان احدهما ان تكون العبد مواظبا على
ذكرها طول عمره الثاني كانه قيل عبدي جعلت هذه الكلمة اول البداية واخرها
فاجعلها انت ايضا اول عمرك واخره حتى تفوز بالنجاة والسلامة وها هنا نكتة
لطيفة وهي انه تعالى جعلك ثالث نفسه في هذه الشهادة وكفاك هذا فخرا الثانية روي ان
يوسف عليه السلام اراد ان يتخذ وزيرا فجاء جبريل عليه السلام وقال ان الله يامرك
ان تتخذ فلانا وزيرا لك فنظر يوسف عليه السلام فكان في غاية الدناءة فسال جبريل البدء
عليه السلام عن السبب فقال ان له عليك حق الشهادة لانه هو الذي شهد ان
كان قميصه قد من قبل الاية وفيه اشارة ان من شهد لمخلوق وجد وزارة في الدنيا
فمن شهد لله بالتوحيد فلان لا يجد مغفرته ورحمته في العقبى الثالثة في
الحديث ان الله وملايكته يؤمنون عند تامين الامام فمن وافق تامينه تامين الملايكة
غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وفيه اشارة ان من وافق تامينه تامين الملائكة مرة
واحدة غفر له فمن وافقت شهادته شهادة الله الف مرة لا يصير
مغفورا الرابعة انه تعالى سماك وقت التخليق مختارا قال وربك يخلق
ما يشاء ويختار اي مختارا له لانه اثبت له الاختيار للعبد وفي موضع الذنب
جاهلا قال انه كان ظلوما جهولا وفي موضع الرزق دابة فقال وما من دابة
في الارض الا على الله رزقها وفي وقت الطاعة اجيرا ونوفيهم اجورهم وعند
الشهادة عالما والملائكة واولو العلم ثم ان العلم افضل الدرجات وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما والغرض منه التنبيه على الدرجات فانه من

حيث اني خلقتك مختارا اي فلا جرم موسى حيث قلت وانا اخترتك وحين
اذنبت فانت جاهل والجهل عذر في بعض الوجوه وحين تشتغل بطلب الرزق
فكالبهيمة لانه لا تكفل برزقك فيما هو مقدر لك يصل اليك وما ليس مقدرا لك
لا يصل اليك فكان الطلب عديم الفايدة فكان شبه افعال البهايم وحين
تشتغل بالعمل كنت كالاجير وكل ذلك درجات نازلة اما حين تشتغل بالشهادة
والتوحيد فانت من العلماء الغايصين في لجة بحر التحقيق والتوحيد وبلغت الغاية
القصوى في المنقبة والشرف كما قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات الخامسة قال تعالى وما تلك بيمينك يا موسى ووقعت
هذه الاشارة على العصا وعلى اليد اما العصا فقوله تلك واما اليد فقوله بيمينك
فصارت العصا من قوة هذه الاشارة تلقف حبال السحرة وعصيهم وصارت
اليد بيضا وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وكلمة لا اله الا الله
وهي صفة وحدانيته وجلاله وعزته لا تشتغل باقتناء اثار العصيان عن قلبه
وانارة روحه بنور المعرفة والهداية السادسة عصا موسى عليه السلام
اخرج من الجنة فبطلت عصى السحرة عندها فهذه الكلمة انما ظهرت من شجرة العزة
والربوبية والعظمة فنرجوا ان تبطل الذنوب عندها السابعة روي
عن الحجاج انه امر بقتل رجل فقال لا تقتلني حتى تاخذ بيدي وتمشي معي في
دارك فاجابه اليه فقال الرجل لحرمة صحبتي معك في هذه الساعة ان لا تقتلني
فعفى عنه وها هنا وقعت للمومنين صحبة مع الله الكريم في هذه الشهادة
فنرجوا ان يغفر الله له الثامنة وجد المومنين لهذه الشهادة ابوة
ابرهيم عليه السلام قوله تعالى ملة ابيكم ابرهيم وامومية ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وازواجه امهاتهم واخوة المومنين انما المومنون اخوة واستغفار للانبيا
واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات واستغفار الملائكة ويستغفرون للذين
امنوا وشفيعا مثل محمد صلى الله عليه وسلم شفاعتي لاهل الكبائر من امتي

ومشاركة الله في اسم المومن المهيمن فلا ننسبه ما ازال عنه هذه التشريفات افترى
انه يخرجه عن رحمته ارحم الراحمين وكرم اكرم الاكرمين التاسعة يحكى انه عرض
عسكر بين يدي احمد عليه وكان يسال عن اسما الرجال فيجيبونه فسال واحدا عن
اسمه فسكت لانه محمد فقال ذلك واعطاه خلعة جسيمة فاذا كان حال سمي الملك
ذلك فكيف من كان سمي ربه تعالى وفي الخبر يوتى برجل يوم القيامة اسمه محمد
فيقول الله تعالى اما استحييت ان عصيتني وانت سمي حبيبي وانا استحيي ان اعذبك
وانت سمي حبيبي فاذا كان لا يعذب سمي رسوله فمن جوامع فضله ان لا يعذب سمي نفسه
وهو المومن الفضيلة الثالثة لهذه الكلمة ان كل طاعة فانه يصعد
الملك بها اما قول لا اله الا الله فانه يصعد بنفسه دليله قوله تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب ثم قال والعمل الصالح يرفعه اي العمل الصالح يرفعه الملك الى الله عز وجل
هكذا قال بعضهم الفضيلة الرابعة قال بعضهم الحكمة في قوله اذا
الشمس كورت واذا النجوم انكدرت ان يوم القيامة تتجلى كلمة لا اله الا الله فيمحق
من ذلك نور الشمس والقمر لان تلك الانوار انوار مجازية عرضية ونور لا اله الا الله
نور ذاتي واجب الوجود لذاته والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة فلا جرم يبطل
كل نور في مقابلة هذا النور بل يبطل كل وجود في مقابلة هذا الوجود كما قال
تعالى كل شيء هالك الا وجهه الفضيلة الخامسة ان جميع الطاعات
تزول يوم القيامة مثل الصلاة والصيام والحج فان التكاليف الظاهرة تزول في عالم
القيامة اما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عنهم وكيف يمكن زوالها عنهم والقران
يدل على انهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد توجب المواظبة على الذكر
والتوحيد انما قلنا انهم مواظبون على الحمد لقوله تعالى حكاية عنهم وقالوا
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده دعواهم فيها
سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين لا اله الا هو
له الحمد في الاولى والاخرة فثبت انهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد مواظب

على الذكر لا محالة فعلمنا ان جميع العبادات زايلة عن اهل الجنة الا طاعة الذكر
والتوحيد والتحميد الفضيلة السادسة ما روي في الخبر انه اذا قال
العبد لا اله الا الله فانه سبحانه يعطيه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة على وجه
الارض قال المحققون السبب في ذلك انه لما قال هذه الكلمة فكانه قد رد على
كل كافر وكافرة يثبت لله ضدا او ندا او شريكا فلا جرم يستحق الثواب بعددهم
الفضيلة السابعة قال السدي رحمه الله عليه في قوله تعالى حم عسق
الحا حلمه وحلمه وحجته والميم ملكه ومجده والعين عظمته وعلمه وعزه وعدله
والسين سناه وسره والقاف قهره وقدرته يقول الله بحلمي وحلمي وحجتي
ومجدي وملكي وعظمتي وعلمي وعزتي وعدلي وسناي وسري وقهري وقدرتي
لا اعذب بالنار ابدا من قال لا اله الا الله الفضيلة الثامنة قيل اذا
كان اخر الزمان فليس لشي من الطاعات من فضل كفضل كلمة لا اله الا الله لان صلواتهم
وصيامهم يشوبها الريا والسمعة وصدقاتهم يشوبها الحرام ولا اخلاص
في شي منها اما كلمة لا اله الا الله فهي ذكر الله تعالى والمومن لا يذكرها الا عن
صميم القلب الفضيلة التاسعة الاحاديث الواردة في فضل
هذه الكلمة الاول قوله عليه السلام افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا الحمد لله
الثاني عن ابن عمر انه عليه السلام قال ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في الموت
ولا عند النشور وكاني انظر الى اهل لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم
من التراب ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والثالث يروى ان المامون
لما انصرف من الهروية الى العراق واجتاز نيسابور وكان على مقدمته علي بن موسى الرضا
فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا نسالك بحق قرابتك من رسول الله ان تحدثنا حديثا
ينفعنا فروى عن ابيه عن ابايه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل انه قال
لا اله الا الله حصني من دخل حصني امن عذابي والرابع روي عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يفتح الله ابواب الجنة وينادي مناد من تحت العرش

ايتها الجنة وكل ما فيك من النعم لمن انت فتنادي الجنة وكل ما فيها نحن لاهل لا اله الا الله
ونشتاق الى اهل لا اله الا الله ولا نطلب الا اهل لا اله الا الله ولا يدخل علينا الا اهل
لا اله الا الله ونحن محرمون على من لم يقل لا اله الا الله ولم يؤمن بلا اله الا الله وعند هذا
يقول النار وكل من فيها من العذاب لا يدخلني الا من انكر لا اله الا الله ولا اطلب
الا من كذب بلا اله الا الله وانا حرام على من قال لا اله الا الله ولا امتلي الا ممن جحد
لا اله الا الله وليس غيظي الا على من انكر لا اله الا الله قال فتجي رحمة الله ومغفرته
فيقولان انا لاهل لا اله الا الله وناصر لمن قال لا اله الا الله ومحب لمن قال لا اله الا الله
ومتفضل على من قال لا اله الا الله وابيحت الجنة لمن قال لا اله الا الله وحرمت النار
على من قال لا اله الا الله واغفر كل ذنب لمن قال لا اله الا الله ولا اجب مغفرة ورحمة على
من قال لا اله الا الله وما خلقت الرحمة الا لاجل لا اله الا الله ولا تخلطوا قول
لا اله الا الله الا بما يوافق لا اله الا الله **الخامس** قال عليه السلام امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الا بحقها وحسابهم على الله قال بعض العلماء انه تعالى جعل العذاب عذابين
احدهما السيف في يد المسلمين والثاني عذاب الآخرة فالسيف في غلاف يرى
والنار في غلاف لا يرى فقال تعالى لرسوله من اخرج لسانه من الغلاف الذي يرى
وهو الفم وقال لا اله الا الله ادخلنا السيف في الغمد الذي يرى ومن اخرج لسان
القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو السر فقال لا اله الا الله ادخلنا سيف
عذاب الآخرة في غمد الرحمة حتى يكون واحد بواحد ولا ظلم ولا جور
السادس عن انس قال عليه السلام من قرا عند منامه شهد الله انه لا اله الا هو
الى قوله ان الدين عند الله الاسلام خلق الله سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم
القيامة ثم قال انا على ذلكم من الشاهدين **والسابع** عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
قال ان فاتحة الكتاب واية الكرسي وشهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام
وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب

يقول الله تعالى بي حلفت لا يقرأكن أحد من عبادي الا جعلت الجنة مثواه على ما كان
فيه ولا اسكنته حظيرة القدس ولا نظرت اليه بعين الرحمة كل يوم سبعين مرة
ولا قضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد
الثامن ابو سعيد قال قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقول اربع كلمات
اللهم اني اشهدك وكفى بك شهيدا واشهد حملة عرشك وملايكتك وجميع خلقك
اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك الا كتب الله له صكا
من النار **التاسع** عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم يجاء برجل من امتي يوم القيامة
على رؤوس الخلايق فينشر عليه تسع وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر فيقال له
اتنكر من هذا شيئا اظلمك الحافظون فيقول لا يا رب فيقال الك عذر فيقول
لا يا رب فيقول الله ان لك عندي وديعة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة
فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه
البطاقة مع هذه السجلات فيقول الله تعالى لا ظلم اليوم فيوضع السجلات
في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع
اسم الله شي **العاشر** عن انس انه قال صلى الله عليه وسلم ما زلت اشفع الى
ربي ويشفعني حتى اقول يا رب شفعني فيمن قال لا اله الا الله فيقول الله هذه
ليس لك يا محمد انما هذه لي وعزتي وحلمي ورحمتي لا ادع في النار احدا قال لا اله
الا الله واعلم ان اهل الوفا ذكروا في تفسير لا اله الا الله وجوها **الاول**
قال ابن عباس لا اله الا الله لا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل الا الله ولا معطي
ولا مانع الا الله **الثاني** لا اله يرجى فضله ويخاف عدله ويومن جوره ويؤكل
رزقه ويترك امره ويسال عفوه ويركب نهيه ولا يحرم فضله الا الله الذي هو
رب المومنين وغفار المذنبين وملجا التايبين وستار المعيوبين وغاية رجاء
الراجين ومنتهى مقصد العارفين **الثالث** قول العبد لا اله الا الله اشارة الى
المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتسليم الى الملك الحميد فاذا قال العبد

الخدري رحمه [illegible]

لا اله الا الله فالمعنى لا اله لذا الآلا والنعما والقدرة والبقا والعظمة والسنا والعز والثنا والسخط والرضا الا الله الذى هو رب العالمين وخالق الاولين والاخرين وديان يوم الدين الرابع لا اله للرغبة ولا اله للرهبة الا الله الذى هو كاشف الكربة عن عمران بن حصين قال عليه السلام يا حصين كم تعبد اليوم من اله فقال اعبد ستا او سبعا فى الارض وواحدا فى السما فقال عليه السلام وايهم تعبد لرغبتك ورهبتك فقال الذى فى السما فقال عليه السلام فيكفيك اله السما ثم قال يا حصين لو اسلمت علمتك كلمتين ينفعانك فاسلم حصين ثم قال يا رسول الله علمنى هاتين الكلمتين فقال عليه السلام قل اللهم الهمنى رشدى واعذنى من شر نفسى
الخامس قيل فى قوله تعالى شهد الله يشهد فى عوالم القدس وحظاير الجلال وسرادقات الصمدية والملائكة يشهدون بهذه الشهادة فى السموات واولوا العلم يشهدون بهذه الشهادة فى الارضين وقال جعفر الصادق رضى الله عنه وقد سالوه عن هذه الاية ان الله يشهد لنفسه بالفردانية والصمدية والاحدية والالهية ثم خلق الخلق فشغلهم بعبادة هذه الكلمة وذلك لان شهادة الحق لنفسه حق وشهادتهم له رسم وكيف يستوى الرسم مع الحق واين للتراب طاقة بنور رب الارباب وقال سعد بن جبير كان حول الكعبة ثلثماية وستون صنما فلما نزل شهد الله خرت الاصنام سجدا حول الكعبة واما خاتمة المجلس ففيها وجوه الاول اسلم نصرانى ايام الشبلى ببغداد فقال الشبلى ما سبب اسلامك فقال كنت فى جبال النصرانية اكرم دين النصرانية ورزقت دين الاسلام بغير اكرام ذلك الدين فصاح الشبلى وقال اذا كان من يكرم الدين الباطل والله يرزقه الدين الحق فمن يكرم الدين الحق الا يرزقه الرحمة والمغفرة الثانى حكى ان رجلا كان واقفا بعرفات وكان فى يده سبعة احجار فقال ايتها الاحجار السبعة اشهدى انى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فنام فراى فى النوم كان القيامة قد قامت وحوسب ذلك الرجل فوجبت له النار فلما ساقوا به الى باب من

ابواب جهنم جاء حجر من الاحجار السبعة والقت نفسها على تلك الباب فاجتمعت ملايكة العذاب على رفعها فلم يقدروا ثم سيق الى الباب الثانى فكان الامر كما فى الاول وهكذى الابواب السبعة فسيق به الى العرش فقال الله سبحانه عبدى اشهدت الاحجار فلم تضيع حقك وانا شاهد على شهادتك على توحيدى ادخلوه الجنة فلما قرب من باب الجنان واذا ابوابها مغلقة فجاءت شهادة ان لا اله الا الله وفتحت الابواب ودخلها الرجل الثالث راو يزيد بن هرون فى المنام بعد موته فقالوا ما فعل الله بك قال غفر لى ربى قلنا بالحديث قال لا قلنا بالعلم والزهد قال لا قلنا فبماذا قال اتانى ملكان مهيبان فقالا لى من ربك وما دينك ومن نبيك قلت امثلى يسال عن هذا وقد كنت ادعو الخلق اليه منذ سبعين سنة فانصرفا عنى الرابع زاد الما فى بغداد حتى اشرف على الغرق فقال بعض الصالحين رايت فى بعض تلك الليالى كانى واقف على طرف واقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم غرقت بغداد فجا انسان حسن الصورة وكنت اعلم انه ملك وجا اخر من ناحية اخرى فقال احدهما للاخر الذى امرت به فقال امرت بتغريق بغداد ثم نهيت عنه فقال ولم قال رفعت ملايكة الليل اقتض ببغداد سبعمائة فرج حرام فغضب الله وامرنى بتغريقها ثم رفعت ملايكة النهار فى صبح هذا اليوم سبع ماية اذان واقامة فغفر الله لهاولا بهولا فقال فاصبحت الروي فانتبهت وجيت الى الدجلة فاذا الما قد نقص الخامس قال بعضهم لا اله الا الله محمد رسول الله اربعة وعشرين حرفا وساعات الليل والنهار كذلك وكانه قيل كل ذنب اذنبته من الصغير والكبير والسر والجهر والخطا والعمد والقول والفعل فى هذه الساعات فهى مغفورة بهذه الحروف والكلمات وايضا قول لا اله الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة اعضا وللنار سبعة ابواب كما قال تعالى لها سبعة ابواب فكل كلمة من هذه الكلمات السبعة يغلق بابا من الابواب السبعة على عضو من الاعضا السبعة وقيل ايضا ان كلمة لا اله الا الله اثنا عشر حرفا فلا جرم وجب

ان الباب خمسة

اثنا عشر فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة اما الظاهرة فالصلاة والزكاة والصوم
والحج والجهاد واما الباطنة فالتوكل والتفويض والصبر والرضا والزهد والتوبة
السادس سال الشبلي رجل فقال لم تقول الله ولا تقول لا اله الا الله
فقال لان الصديق رضي الله عنه اعطى ماله كله فلم يبق له شي فتخلل بكسا بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما خلفت لعيالك فقال الله فكذا انا اقول الله فقال السايل
أريد أعلى من هذا فقال الشبلي اخشى اني اموت عند لا انكارا فلا اصل الى الاقرار
قال السايل اريد أعلى من هذا فقال الشبلي قال الله لرسوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون فقام الشاب وزعق زعقة فقال الشبلي الله فزعق ثانيا فقال الشبلي الله
فزعق ثالثا ومات فاجتمع اقران الفتى وتعلقوا بالشبلي وادعوا عليه الدم
وحملوه الى الخليفة فاذن لهم فدخلوا وادعوا الدم فقال الخليفة للشبلي وما
جوابك فقال روح حنت فرنت فسمت فصاحت فدعيت فسمعت فعلمت
واجابت فما ذنبي قال فصاح الخليفة خلوا سبيله السابع سيل بعض العلما
عن قوله تعالى وبير معطلة وقصر مشيد فقال البير المعطلة قلب الكافر تعطل عن قول
لا اله الا الله الثامن جاءت امراة الى بعض اكابر الصوفية بقارورة من
زيت وقالت يا شيخ احب ان تصلح قناديل المسجد من هذا الزيت فقال الشيخ ايما والقصر المشيد معمور بقول لا اله الا الله
احب اليك نور يصعد الى السقف او نور يصعد الى العرش فقالت المراة بل نور
يصعد الى العرش فقال الشيخ اذا اصببت هذا النور في القناديل صعد النور الى
السقف واذا اصببتيه في طعام الفقرا صعد النور الى العرش ثم اصلح طعاما
من ذلك الدهن للفقرا فلما اكلوا قال قولوا من صدق واخلاص لا اله الا الله واجعلوا
ثوابها لتلك المراة التاسع روي ان امية بن خلف الجمحي كان ذا مال
واولاد وكان له صنم يعبده من دون الله تعالى وكان له اثنا عشر مملوكا ولم يكن
احب اليه من بلال وكان موكلا ببيت الصنم وكان بلال يسجد لله في بيت الصنم
وكان يقول احد احد فبلغ ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فسر بذلك وبلغ هذا الخبر الى

أمية فقال يا بلال اتسجد لرب محمد فقال نعم اسجد لله الكبير المتعال فوثب اليه امية
يضربه ويعذبه فلما كان نصف النهار جعله عريانا وطلى عليه الزيت واقامه على
الرمضا تحت الصبيان فكان اذا اصابه الشمس وحر الرمل يقول احد احد فمر عليه
ابو بكر الصديق رضي الله عنه وارضاه فقال يا امية الى كم تعذب هذا الغلام فقال
اشتريته بمالي فانا احق بعذابه فقال لا كرامة لك تعذب عبدا قال لا اله الا الله
فاختصما فقال ابو بكر رضي الله عنه لي غلام ابيض على دينك فانا اشتريه بذلك العبد
وعشر اواق من الذهب وفي رواية اخرى باوقيتين فقال امية لو طلبت مني هذا
الغلام بدرهم لبعته فقال ابو بكر ولو ساومتني بكل ما املكه لاشتريته
فاخذ بيد بلال وستره بردايه ومسح وجهه من التراب وجابه الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال يا معشر قريش اشهدوا انه حر لوجه الله تعالى فانزل الله في شانه والليل اذا يغشى
العاشر قال بعض الحكماء في سوال الملكين ان الملائكة طعنت في بني ادم
بقولها اتجعل فيها من يفسد فيها فقال الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون فاذا مات
المومن بعث الله الى قبره ملكين ويقولان له من ربك وما دينك فيقول ربي الله وديني الاسلام
فيامرهم الله تعالى ويقول اشهدا للملائكة بما سمعتما لان اقل الشهود اثنان
ثم يقول الله تعالى لملائكتي انظروا الى عبدي قد اخذت روحه وماله فماله لعدوه
وزوجته في حجر غيره وضيعته في يد غيره ثم ان الملائكة سالوه في بطن الارض فلم
يذكر عن شي الا عن توحيدي وتنزيهي لتعلموا اني اعلم ما لا تعلمون وايضا قالوا
الحكمة في هذا السوال ان الله تعالى قال في الابتدا الست بربكم قالوا بلى فشهد الله
عليهم فلما اخرجهم الى الدنيا شهدوا بالتوحيد وشهد عليهم الانبيا والمومنون
بذلك فاذا مات ودخل القبر ساله الملكان عن هذه الشهادة فشهد بها في قبره
فسمع الملائكة تلك الشهادة فاذا جا يوم القيامة جا ابليس ويريد ان ياخذه
ويقول هذا من شيعتي تبعني في المعاصي فيقول الله تعالى ليس لك عليه سلطان الله صح
لاني سمعت منه التوحيد في الابتدا والانبيا والرسل سمعوا منه ذلك في الوسط

والملائكة سمعوا منه ذلك في الدنيا فكيف يكون من شيعتك وكيف يكون لك عليه
سلطان اذهبوا به الى الجنة **الحادي عشر** قال بعضهم حضرت مجلس
يحيى بن معاذ الرازي فقرا رجل فيه قوله تعالى فقولا له قولا لينا فبكى يحيى بن معاذ
وقال هذا رفقك بمن يقول انا اله فكيف رحمتك بمن يقول انت الاله هذا رفقك بمن
يعاديك فكيف رفقك بمن يتولاك ويناديك هذا رفقك بمن يقول انا الرب فكيف
رفقك بمن يقول انا العبد وانت الرب الهي قول لا اله الا الله تمام كفارة خمسين سنة
فما تصنع بذنوب ساعة **الثاني عشر** قال بعضهم في تفسير قوله تعالى فقولا له
قولا لينا يعني ذلك القول اللين ان يقول موسى وهرون لفرعون رحمتك عمرك اربع مائة
سنة تقول انا ربكم الاعلى فانت بقول منكر ما ذكره احد من الكفار قبلك فقل مرة
واحدة انت الرب الاعلى ليغفر لك الله كفر اربع مائة سنة **الثالث عشر** سئل الشبلي عن — سئل صح
ارجا اية في القران فقال قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
والله تعالى اطلق للكافر دخول الجنة بذكر الكلمة مرة واحدة اترى من واظب على هذه
الكلمة طول عمره كيف يمنع من الجنة يطهر عن نجاسة الكفر والشرك وصلى الله على محمد واله وصحبه

الفصل الثالث في اسماء كلمة التوحيد الاسم الاول كلمة
التوحيد وذلك يدل على نفي الشرك على الاطلاق وفائدة قولنا على الاطلاق
انه تعالى لما قال والهكم اله واحد امكن ان يخطر ببال احد ان يقول هب ان الهنا
واحد فلعل اله غيرنا مغاير لالهنا فالله تعالى ازال هذا الوهم ببيان التوحيد
المطلق فقال لا اله الا هو وذلك لان قولنا لا رجل يقتضي نفي هذه الماهية
ومتى انتفت الماهية انتفى جميع افرادها اذ لو حصل فرد من افراد تلك الماهية
لحصلت تلك الماهية لان كل فرد من افراد الماهية مشتمل على تلك الماهية
واذا وجدت الماهية وذلك يناقض نفي الماهية فثبت ان قولنا لا رجل يفيد
النفي العام الشامل فاذا قيل بعد ذلك الا زيد افاد التوحيد التام الكامل
ثم اعلم ان لهذه الكلمة ثمرات احدها ان جوهر الانسان خلق في الاصل

مشرفا مكرما قال الله تعالى ولقد كرمنا بني ادم واذا كان الاصل فيه كونه
مكرما كان كونه مطهرا على وفق الاصل وكونه نجسا على خلاف الاصل
ثم انا راينا ان الانسان متى اشرك صار نجسا بدليل قوله تعالى انما المشركون
نجس فاذا كان الشرك يقتضي كونه نجسا مع ان ذلك على خلاف الاصل فكونه
موحدا بان يقتضي كونه طاهرا اولى لانه على وفق الاصل واذا ثبت ان الموحد كامل
في كونه طاهرا وجب ان يكون من خواص الله لقوله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات **الثاني** ان الشرك سبب لخراب العالم بدليل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا واذا كان الشرك سببا
لخراب العالم وجب ان يكون التوحيد سببا لعمارة العالم فاولى ان يكون سببا
لعمارة القلب الذي هو محل معرفة الوحدانية ولعمارة اللسان الذي هو محل ذكر
الوحدانية وذلك يناسب عفو الله تعالى عن اهل التوحيد **الاسم الثاني**
ان هذه الكلمة تسمى كلمة الاخلاص فكان معروف الكرخي رحمة الله عليه يقول يا نفس
اخلصي تتخلصي ثم التحقيق فيه ان كل شيء يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفي عن
شوبه سمي خالصا وسمي الفعل المصفى اخلاصا ولا شك ان كل من اتى بفعل اختياري
فلا بد له في ذلك الفعل من غرض فمهما كان الغرض في الفعل واحدا سمي ذلك الفعل اخلاصا — فمهما صح
فمن تصدق وغرضه محض الريا فهو مخلص ومن كان غرضه محض التقرب الى الله تعالى
فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى
عن جميع الشوائب كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصه العرف بالميل عن الحق اذا
عرفت هذا فنقول الباعث على الفعل اما ان يكون رحمانيا فقط وهو الاخلاص
او نفسانيا وهو الريا او مركبا منهما وهو على ثلاثة اقسام لان الطرفين اما ان يكونا
على السوية او يكون الرحماني اقوى او يكون النفساني اقوى **اما القسم الاول**
وهو ان يكون الباعث رحمانيا فقط فهذا لا يتصور الا من محب لله مستغرق الهم به
بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه مقر حتى لا يحب الاكل والشرب ايضا بل يكون رغبته

فمن كان رغبته في قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فلذلك لا يشتهي الطعام لا لطعام
بل لانه يقويه على عبادة الله تعالى فمثل هذا الشخص لو اكل او شرب او قضى حاجة
كان خالص العمل في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه فيقوى على
العبادة كان نومه ايضا عبادة **واما القسم الثاني** وهو ان
يكون الباعث نفسانيا محضا لا يتصور له غير حب النفس والدنيا مستغرق الهم بهما
بحيث لم يبق لحب الله في قلبه مقر وكما ان في القسم الاول لما غلب حب الله وحب
الاخرة على قلبه اكتسب حركاته الاعتيادية هذه الصفة كذلك من غلب حب النفس والدنيا
على قلبه اكتسب جميع حركاته وافعاله تلك الصفة فلا يسلم له شيء من عباداته فهذان
القسمان لا يخفى حكمهما في الثواب والعقاب **واما الاقسام الثلثة الباقية**
فنقول اما الذي يستوي الباعثان فيه فالاظهر انهما يتعارضان ويتساقطان
فيصير ذلك العمل لا له ولا عليه واما الذي يكون احد الطرفين فيه اغلب فيحبط منه
ما يساوي الطرف الاخر ويبقى الزيادة موجبة اثرها اللائق وذلك المراد بقوله
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وتمام التحقيق
فيه ان الاعمال لها تاثير في القلب فان خلا المؤثر عن المعارض خلا الاثر عن الضعف
وان كان المؤثر مقرونا بالمعارض فان تساويا تساقطا وان كان احدهما اغلب
فلا بد ان يحصل في الزيادة مقدار الناقص فيحصل التساوي بينهما ويحصل التساقط
ويبقى القدر الزائد خاليا عن المعارض فيؤثر لا محالة اثرا ما وكما لا يضيع مثقال
ذرة من الشراب والطعام والادوية عن اثر في الجسد كذلك لا يضيع مثقال ذرة
من الخير والشر عن اثر في التقريب من باب الله والتبعيد منه فاذا جاء بما يقربه شبرا
مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان لا عليه ولا له وان كان احد الفعلين مما
يقربه شبرين والفعل الثاني مما يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شيء واحتج
من زعم ان المشوب لا ثواب عليه بوجهين الحجة الاولى ما روي ان رجلا سال
النبي صلى الله عليه وسلم عمن يصطنع المعروف ثم يحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول

حتى نزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا الحجة الثانية ما روى ابو هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله لمن اشرك في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركت
نصيبي لشريكي والجواب عن الحجة الاولى انها محمولة على ما اذا اتى بالعمل لغرض الدنيا
فقط والجواب عن الثانية ان لفظ الشرك محمول على تساوي الداعيتين وقد بينا
ان عند التساوي يحبط كل واحد منهما بالاخر اذا عرفت هذه المقدمة فنقول كلمة
لا اله الا الله مسماة بكلمة الاخلاص وذلك لان الحاصل في هذه الكلمة عمل القلب
وهو كون الانسان عارفا بقلبه وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة التي حصلت بالقلب
يستحيل ان يؤتى بها لغرض اخر سوى طاعة الله وحبه وعبوديته فهذه المعرفة ان
طلبت طلبت لوجه الله تعالى لا لغرض اخر البتة بخلاف سائر الطاعات البدنية فانها
كما يؤتى بها لتعظيم الله فقد يؤتى بها لسائر الاغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء
فلهذا السبب سميت هذه الكلمة بكلمة الاخلاص الاسم الثالث فهذه الكلمة
الاحسان ويدل على صحة هذه التسمية القران والخبر والمعقول اما القران فايات
احدها قوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال المفسرون المراد من قوله هل جزاء
الاحسان اي هل جزاء الايمان والتحقيق فيه ان علمك عهد العبودية وعلمي كرم عهد
الربوبية كما قال تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وعهد عبوديتك ان يكون عبدا للـ
لا عبدا لغيره ثم كمال هذه الدرجة ان يعرف ان كل ما سوى الله فهو عبد الله كما قال تعالى
ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ومن اتى بالفعل على احسن الوجوه كان
محسنا فيه وقوله لا اله الا الله يدل على اعترافه بان كل ما سواه فهو عبده ومربوبه
فثبت ان قول لا اله الا الله احسان من العبد فقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان
اي هل جزاء من اتى بقول لا اله الا الله الا ان اجعله في حماية لا اله الا الله وثانيها
قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة والزيادة من قوله احسنوا الحسنى هو قول

انه لو

لا اله الا الله باتفاق الائمه وبدليل انه لو قال ذلك ثم مات ولم يتفرغ لعمل اخر
دخل الجنه وثالثها قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله واتفقوا على ان هذه
الايه نزلت في فضيلة الاذان وما ذلك الا لاشتمال الاذان على كلمة لا اله الا الله
وايضا فلانه تعالى قال في صفة الكافر ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فكما انه
لا اقبح من الكفر فكذلك لا احسن احسن من كلمة التوحيد ولهذا قال في اول سوره من كلمه
قد افلح المومنون وقال في اخر هذه السورة انه لا يفلح الكافرون ثم انه لما كان
قول الموحد حسنا كان مقيله ايضا حسنا كما قال تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا واحسن مقيلا ولما كان قول الكافر قبيحا مظلما كان مقيله ايضا مظلما
قال الله تعالى والذين كفروا اولياوهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ورابعها
قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ولا شك ان احسن الاقوال قول
لا اله الا الله وخامسها قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان قيل العدل الاعراض
عن كل ما سوى الله تعالى والاحسان الاقبال عليه سبحانه وسادسها قوله ان احسنتم
احسنتم لانفسكم ولا شك ان اول هذا الاحسان قول لا اله الا الله واما النقل فهو ما روى هو ع
ابو موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين احسنوا الحسنى اي الذين
قالوا لا اله الا الله الحسنى وهي الجنة والزيادة هي النظر الى وجهه الكريم واما المعقول
فهو ان الفعل كلما كان اشد حسنا كان فاعله اشد احسانا ولا شك ان احسن
الاذكار ذكر لا اله الا الله واحسن المعارف معرفة لا اله الا الله واذا كان كذلك كانت هذه
المعرفة وهذا الذكر احسانا الاسم الرابع دعوة الحق قال الله تعالى في سورة
الرعد له دعوة الحق قال ابن عباس هو قول لا اله الا الله واعلم ان قوله تعالى له دعوة الحق
يفيد الحصر معناه له هذه الدعوة لا لغيره كما ان قوله لكم دينكم ولي دين معناه لكم
دينكم لا لغيركم وتحقيق الكلام في اثبات هذا الحصر ان الحق نقيض الباطل فالحق هو
الموجود والباطل هو المعدوم فلما كان الحق سبحانه حقا في ذاته ولذاته وكان ممتنع
التغير في حقيقته كانت معرفته هي المعرفة الحقيقية وذكره هو ذكر الحق والدعوه

اليه هي الدعوة المحقة واما كل ما سواه فهو ممكن لذاته والممكن لذاته لا يكون حقا
لذاته فلا تكون معرفته واجبة التحقق ولا ذكره ولا الدعوة اليه واذا ثبت هذا
ظهر تحقق قوله تعالى له دعوة الحق واعلم ان دعوة الحق تارة تكون من الحق للحق
الى الحق وتارة تكون من الخلق للخلق الى الحق اما الاول فنقول اما ان دعوة الحق
تكون من الحق فلانه تعالى هو الذي دعا القلوب الى حضرته فلولا دعوته الى تلك
الحضرة وتوفيقه لها في ذلك الوصول والا فمتى اين يتمكن العقل البشري من الوصول الى
جلال حضرة الله تعالى وايضا فلان مبادي الحركات واوايل المحدثات تنتهي الى
قدرة الله تعالى وقضايه وقدره ولهذا المعنى قال تعالى لله الامر من قبل ومن بعد
واما انها الدعوة للحق فلقوله تعالى لمن الملك اليوم واما انها الى الحق فلقوله تعالى
وان الى ربك المنتهى واما ان دعوة الحق تارة تكون من الخلق فلقوله ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله وقوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الاسم الخامس
كلمة العدل قال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان قال عثمان بن مظعون الجمحي ما اسلمت
يوم اسلمت الا حياء من محمد عليه السلام وذلك انه كان كثيرا يعرض علي الاسلام
فاستحييت منه فاسلمت ولكن الاسلام ما كان مستقرا في قلبي ثم انه عليه السلام
دعاني يوما فجلست اليه فبينا هو يحدثني اذ رايت بصره شخص الى السما فنزل
جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يامرك بالعدل والاحسان فالعدل شهادة ان
لا اله الا الله والاحسان القيام بالعبودية قال عثمان فوقع الايمان في قلبي وقال
ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان الاخلاص فيه وقال اخرون
العدل مع الناس والاحسان مع نفسك بالطاعة كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وقال اخرون يامر بالعدل مع الاعضاء وبالاحسان مع القلب بان يرسخ
بعد التوحيد وشراب المحبة وقال اخرون العدل رؤية الافتقار الى الحق والاحسان
مشاهدة احسان الحق على كل الخلق واعلم ان السبب في تسمية هذه الكلمة بكلمة
العدل وجوه الاول ان العدل في كل شي تحصيل ما هو سبب الاعتدال وكمال حال ومن

المعلوم ان كمال حال القوى الحساسه في ادراك المحسوسات وكمال حال القوه الشهوانيه
في جلب الاشيا النافعه الجسمانيه وكمال حال القوه الغضبيه في دفع الاشيا المنافيه
الجسمانيه اما القوه العقليه فكمال حالها وغاية سعادتها ان تحلت فيها صوره
الوجود بتمامها ولا شك ان اشرف المعقولات واعلاها معرفة جلال الله تعالى وقدسه
وعظمته وعزته فكان غاية العدل والاعتدال للارواح البشريه والقوى العقليه
كونها مقبلة على هذه الحاله مستغرقه فيها فلهذا السبب سميت كلمة لا اله الا الله
بكلمة العدل والسبب الثاني ان هذه الكلمه انما سميت بكلمة العدل لان معرفة الله تعالى
متوسطه بين الافراط الذي هو التشبيه وبين التفريط الذي هو التعطيل فمن بالغ
في الاثبات وقع في التشبيه ومن بالغ في النفي وقع في التعطيل والحق هو طريق
الاعتدال بين هذين الطرفين المتباينين السبب الثالث ان من ترك النظر والاستدلال
في معرفة الله تعالى وعول على الطريقه التي الفها حسه وخياله وقع في الضلالات
واما من توغل في البحث واراد الوصول الى كنه العظمه وهو مد لاجلال تحير وتردد
بل عمي لان نور جلال الله عز وجل مما يعمي احداق العقول البشريه فصار هذان الطرفان
مذمومين والطريق المستقيم هو ان يخوض الانسان في البحث المعتدل وترك التعمق
والى هذا الكلام الاشاره بقوله عليه السلام تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق
وهذه هي الوجوه التي لاجلها سميت كلمة لا اله الا الله بكلمة العدل فان قيل كيف امره
بالعدل في حق التوحيد وقد قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم
فمن يعجز عن العدل في حق النسا كيف يقدر على العدل في معرفة الاحد الصمد والجواب
اظهر عجزك في الحقير واقدرك على الشريف لتعرف ان الكل منه الاسم السادس
الطيب من القول قال الله تعالى وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد واي
كلمة توجد اطهر واطيب من هذه الكلمه وقد قال تعالى انما المشركون نجس ثم ان
النجاسه الحاصله بسبب كفر سبعين سنة تزول بسبب ذكر هذه الكلمه مرة واحدة فتحقق
القول فان الطيب هو اللذيذ واللذه هو ادراك الملايم وقد بينا ان الملايم للقوى

الحساسه ادراك المحسوسات والملايم للقوه الشهوانيه جلب النافع الجسماني
والقوه الغضبيه دفع المنافي الجسماني واما الملايم للقوة العقليه فهو ادراك
جلال الله وقدسه وعزته واذا عرفت هذا فنقول ادراك القوه العاقله اقوى من
ادراك القوه الحساسه وسياتي شرح هذا فيما بعد ذلك ان شا الله واما مدركات
القوى الحساسه فهي الاعراض القايمة بالاجسام الكاينه الفاسده ومدرك القوة
العاقله هو ذات الله وجلاله وعظمته وظاهر انه كلما كان الادراك اقوى والمدرك
اشرف كانت اللذه الحاصله بسبب ذلك الادراك اشرف واعلى فعلى هذا نسبة اللذة
العقليه الى اللذه الحسيه في الشرف والقوة كنسبة الادراك العقلي الى الادراك الحسي
وكنسبة ذات الله تعالى وصفاته في الشرف والتعالي الى الاعراض القايمه وكما انه لا نهاية
للنسبة الحاصله بين هذين الادراكين وبين هذين المدركين فكذلك لا نهاية للنسبة
الحاصله بين اللذات العقليه الحاصله بسبب ادراك جلال الله وبين اللذات الحاصله
بسبب ادراك الطعوم والروايح وساير الحواس واذا عرفت هذا ظهر ان الطيب المطلق
هو معرفة لا اله الا الله وذكر لا اله الا الله والاستغراق في انوار جلال لا اله الا الله
فلهذا السبب قال تعالى وهدوا الى الطيب من القول والمراد منه لا اله الا الله والالف
واللام في لفظ الطيب للاستغراق كانه تعالى نبه على انه لا لذيذ ولا طيب الا هذا
وذلك هو الحق لانا بينا ان طيب المحسوسات بالنسبة الى طيب هذه الحاله عدم
محض ولذلك بين بحرف الاستغراق ان كل الطيب ليس الا ذاك الاسم السابع
الكلمة الطيبه قال تعالى ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما
واختلفوا انه تعالى لم سماها كلمة طيبة على وجوه الوجه الاول انها طيبة بمعنى
انها طاهرة عن التشبيه والتعطيل ولكنها طريقة متوسطة بينهما لكل واحد منهما كما
ان اللبن خارج من بين الفرث والدم وهو مبرا عنهما مصفى عن شوايب كل واحد منهما
الثاني انها طيبة بمعنى ان صاحبها يكون طيبا لانه في الدنيا طيب المسكن في
العقبى اما طيب الاسم فلقوله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات واراد به

المومنين والمومنات واما طيب المسكن فلقوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن
والثالث انها طيبة بمعنى مقبولة تقبلها الله تعالى وتصعد اليه كما قال تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب قال اهل الاشارة والسبب ان في هذه الكلمة تصعد
الى الله تعالى بذاتها لان هذه الكلمة طيبة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل
الا الطيب وتمام التحقيق فيه ان العقل والروح عاشقان على التجلي والمعرفة والمكاشفة
على ما سبق تقريره بالبرهان والمعرفة منجذبة الى المعروف فاذا تصاعد العرفان
الى المعروف والعارف ملازم العرفان انجذب العارف الى المعروف وصعد اليه
فذلك هو المراد من قوله اليه يصعد الكلم الطيب سوال قال المفسرون الشجرة
الطيبة هي النخلة فما السبب في تشبيه كلمة التوحيد بالنخلة الجواب من وجوه
الاول ان شجرة النخلة لا ينبت في جميع البلدان بل في البعض دون البعض وكذلك
كلمة التوحيد لا تجري على كل لسان ومعرفة التوحيد لا تحصل في كل قلب والثاني
ان النخلة اطول الاشجار وكذلك كلمة التوحيد اعلى الكلمات والثالث ان الشجرة
الطيبة ثابتة في الارض وفرعها في السما وكذلك اصل الكلمة الطيبة ثابت في القلب
وهو المعرفة وفرعها ثابت في السما اليه يصعد الكلم الطيب الرابع ان شجرة
النخلة تحمل كل سنة مرتين كذا الايمان يحمل في الدنيا من فتاب لاجل ايمانه
وهو اهلية الشهادة والولاية والامامة ومرة اخرى في الاخرة وهي الجنة الباقية
والنعم الدايمة الخامس ان النخلة وان حصل في وسط ثمرتها نواة لا خير فيها
ولا منفعة فان قيمة تلك الثمرة لا تنقص بسبب تلك النواة فكذلك كلمة التوحيد
وان كان يحصل معها شي من المعاصي الا ان قيمتها لا تنقص بسبب ذلك يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
السادس ان النخلة اسفلها الذي يقرب من الناس كله شوك والثمرة والمنفعة
لا تحصل الا في اعلاها فكذا الدين اوله التكاليف الشاقة التي هي كالشوك وفي
اعلاه الثمرة الحلوة اللذيذة وهي المعرفة والمحبة لا سيما الثامن الكلمة

يعني بواسطة المعرفة

كلمة

الثالث

الثالثة قال الله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي علة
هذه التسمية وجوه الاول ان المذكور والمعلوم ثابت واجب الثبوت لذاته
ممتنع العدم لذاته والقول والاعتقاد تبعان للمقول والمعتقد فلما كان
المقول والمعتقد واجب الثبوت لذاته كان القول والاعتقاد كذلك فلهذا
سماه الله تعالى بالقول الثابت والثاني ان هذا القول ثابت لا تؤثر فيه الاعمال
وذلك اشارة الى ان الايمان لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية الثالث
ان هذا القول الثابت لا يوثر الذنب فيه بل هو يوثر في ازالة الذنب لان الموحد
وان عظم ذنبه الا انه يرجى له المغفرة قال الله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا
وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا والكافر وان
عظم كفره فاذا رجع عن الكفر الى التوحيد هدم التوحيد كفره الرابع ان هذه
الكلمة ثابتة في الاخرة لا ترتفع عن العبد وذلك لان اهل الجنة مشتغلون في
الجنة بذكر التوحيد الا ترى ان الله اخبر عنهم انهم قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
الحمد لله الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي هدانا لهذا والخامس انها ثابتة
لان لها اصلا محكما وذلك لان اول من شهد هذه الشهادة هو الله بدليل قوله تعالى
شهد الله فشهادة جميع الشاهدين بتوحيد الله فرع لشهادة الله وشهادته هي
الاصل وكل شهادة اصلها شهادة الله فهي ثابتة في الدنيا والاخرة والسادس
ان الانسان بدون هذه الكلمة يعمل فيه الما والنار ومع هذه الكلمة لا يعمل فيه الما
والنار اما بيان ان الانسان بدون هذه الكلمة يعمل فيه الما والنار ان فرعون اغرق
في الما اولا ثم نقل من الما الى النار والدليل على ذلك قوله تعالى اغرقوا فادخلوا نارا
وعجل السامري احرق بالنار اولا ثم نقل من النار الى الما لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم
نسفا اما ابرهيم وموسى عليهما السلام كانا مع حقيقة هذه الكلمة فلم تعمل النار
في ابرهيم قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم ولم يعمل الما في موسى عليه السلام فاذا
خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين

القسم التاسع كلمة التقوى قال الله تعالى والزمهم كلمة التقوى وفي سبب هذه
التسمية وجوه الاول انه لما اتقى صاحب هذه الكلمة ان يصف ربه بما وصفه
به المشركون وصفت هذه الكلمة بانها كلمة التقوى وراس التقوى اتقاء الشرك
ثم في هذه الاية اشارة اما الاشارة فهي انه تعالى سمى نفسه اهل التقوى واهل وبشارة صح
المغفرة وسمى الموحدين اهل كلمة التقوى فقال والزمهم كلمة التقوى فكانه تعالى
يقول انا اهل ان اكون مذكورا بهذه الكلمة فما اعظم هذا الشرف واما
البشارة فهي انه تعالى قال والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها
فاثبت ان الموحدين احق بهذه الكلمة وهم اهل هذه الكلمة والله كريم
لا ينزع الحق عن مستحقه فهذا يدل على انه لا ينزع الايمان عن المؤمن.
الوجه الثاني في بيان انه لم سميت هذه الكلمة بكلمة التقوى هو ان هذه
الكلمة واقية لبدنك عن السيف ولمالك عن الاستغنام ولذمتك عن الجزية ولاولادك
عن السبي فان انضاف القلب الى اللسان صارت واقية لقلبك عن اللغو وان انضم
التوفيق اليه صارت واقية لجوارحك عن المعاصي ثم قال تعالى والزمهم كلمة التقوى
اي نحن الزمناهم هذه الكلمة التي هي المفتاح لباب الجنة فنحن اردناهم اولا ما ارادونا
فلنا المنة عليهم في فتح هذا الباب وتقريره بقوله تعالى يمنون عليك ان اسلموا
قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان القسم العاشر
الكلمة الباقية روي عن كثير من المفسرين انهم قالوا تفسير قوله تعالى وجعلها كلمة
باقية في عقبه انها قول لا اله الا الله ويدل عليه وجوه الاول ان مقدمة هذه الاية
هي قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه
سيهدين فكان معنى قوله انني براء نفي الالهية عن شيء التي كانوا يعبدونها
ثم قال الا الذي فطرني فكان فيه اثبات الالهية لله الذي فطره فاذا حصل هذان
المعنيان كان مجموعها هو قول لا اله الا الله ثم قال وجعلها كلمة باقية في عقبه
فثبت ان المراد من الكلمة الباقية هو قول لا اله الا الله والثاني انه تعالى قال في

اخر القصص ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه فبين
ان كل شيء هالك الا هو فانه واجب البقاء والدوام والسرمدية لذاته وقد عرفت
ان القول يتبع المقول والاعتقاد يتبع المعتقد وكان صدق لا اله الا الله
وحقيقة لا اله الا الله واجب الثبوت والبقاء والدوام وذلك هو المراد بكونها
كلمة باقية الثالث انا بينا ان التوحيد لا يزول بسبب المعصية البتة
والمعصية تزول بسبب التوحيد وايضا التوحيد يبقى مع اهل الجنة وساير
الطاعات لا يبقى روى جابر بن عبد الله عن النبي عليه السلام عن جبريل عليه السلام
قال يقول الله يوم القيامة مالي ارى فلان بن فلان في صفوف اهل النار فيقول
يا رب انا لم نجد له حسنة فيقول الله كفاك اني سمعته في الدنيا يقول يا حنان
يا منان فاذهب اليه فاساله فاتيته فيجده في زاوية من زوايا جهنم يقول يا حنان
يا منان فيساله جبريل عن هذه الكلمة فيقول وهل حنان ومنان غير الله
قال جبريل عليه السلام فاخذ بيده من صفوف اهل النار فادخله في صفوف
اهل الجنة القسم الحادي عشر كلمة الله تعالى العليا قال تعالى وكلمة الذين
كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا واعلم ان السبب في علو هذه الكلمة وجوه
الاول وهو ان القلب اذا تجلى فيه نور هذه الكلمة كان ذلك التجلي نور الربوبية
ونور الربوبية اذا تجلى في القلب استعقب حصول قوة الهية ربانية ولهذا السبب
كان العارفون المستغرقون في انوار جلال الله يستحقرون الاحوال الدنيوية
فيستحقرون عظماء الملوك ولا يبالون بالعليل ولا يفتقرون لشيء من طيبات الدنيا وزينتها
وكل ذلك يدل على استعلاء قوة هذه الكلمة على جميع الاشياء فان سلطان
كل شيء يضمحل في سلطان جلال هذه الكلمة انظر الى سحرة فرعون لما تجلى لهم نور
هذه الكلمة كيف لم يلتفتوا الى قطع الايدي والارجل وان محمدا صلى الله عليه وسلم
لما استغرق في هذا النور لم يلتفت الى الملكوت كما قال ما زاغ البصر وما طغى
روي ان ابرهيم الخواص كان في البادية فظهر عليه شيء من هذه الاحوال فاضطجع تجاهه

السباع فاحاطوا به وما كان يبالي بها فخاف صاحبه الذي كان معه وصعد
بعض تلك الاشجار وبقي هناك خايفا ثم في الليلة الثانية زال ذلك الوجل فوقعت
بعوضة على يده فتالم واظهر الجزع والانين فقال له صاحبه ما اظهرت الجزع في
البارحة من حضور السباع واظهرت الجزع في هذه الليلة من البعوضة فقال ابرهيم
كان في البارحة نزل في القلب سلطان فبقوة ذلك السلطان ما كنت ابالي بجميع
الملكوت واما الان فقد غاب ذلك السلطان فظهر العجز كما ترى والسبب
الثاني في كون هذه الكلمة عالية استعلاها في الدنيا على ساير الاديان
كما قال تعالى ليظهره على الدين كله والسبب الثالث في استعلايها كونها مستعلية
على جميع الذنوب فانها تزيل جميع الذنوب وشي من الذنوب لا تزيل نور هذه الكلمة
والله اعلم الاسم الثاني عشر المثل الاعلى قال قتادة في قوله تعالى
ولله المثل الاعلى قال معناه قول لا اله الا الله واعلم ان معنى المثل هاهنا الصفة
كذا قال اهل اللغة ونظيره قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفتها
والمراد من قوله تعالى وله المثل الاعلى عين المراد من قوله وكلمة الله هي العليا
الاسم الثالث عشر كلمة السوا قال تعالى قل تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم
قال ابو العالية الرياحي هي كلمة لا اله الا الله والدليل عليه انه تعالى قال بعده الا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا معنى لهذه
الايات الا ما هو المراد من قولنا لا اله الا الله فثبت ان المراد من كلمة السوا
هي كلمة لا اله الا الله ومما يقرر ذلك ان جميع العقول معترفة بصحة لا اله الا الله
وجميع الالسنة ناطقة بها وجميع الرقاب متضرعة متخضعة لها قال الله تعالى
ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وايضا يحتمل انها سميت
بكلمة السوا لانها تفيد الاستوا في الدين والعقل والروح وتوجب الاستقامة
وترك الاعوجاج في كل الامور والله اعلم الاسم الرابع عشر
انها كلمة النجاة والذي يدل عليه القران والحديث والعقول اما القران فمن وجوه

بلغ

الوجه الاول قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
فهذه الاية صريحة في ان النجاة لا تحصل بدون الايمان بلا اله الا الله وتحصل مع
الايمان بلا اله الا الله الثاني قوله تعالى ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة اي الى
قول لا اله الا الله واما الخبر فيدل عليه الاخبار التي ذكرناها في الفصل الثاني
ونزيد هاهنا اخبارا اخرى احدها ما روى جابر بن عبد الله قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الموجبتين فقال عليه السلام من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقي الله
يشرك به شيا دخل النار وثانيها عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقنوا امواتكم شهادة ان لا اله الا الله وثالثها راى عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلحة بن
عبد الله متقبلا مغموما بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما لك فقال طلحة
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ما منعني ان اساله الا القدرة عليه
حتى مات سمعته يقول اني لا اعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته الا اشرق
لها لونه ونفس الله بسببها كربته فقال عمر اني لا اعلم ما هي فقال وما هي
قال الكلمة التي امر بها عمه عند الموت وهي لا اله الا الله قال طلحة صدقت
هي والله هي ورابعها روى ابو امامة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر
ينادي في الناس من شهد ان لا اله الا الله دخل الجنة وخامسها قال معاذ بن جبل
حين حضرته الوفاة اكشفوا عني سجف القبة حتى احدثكم حديثا سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنعني ان احدثكموه الا ان تتكلوا وتتركوا
العمل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال لا اله الا الله مخلصا من
قلبه دخل الجنة ولم تمسه النار وسادسها عن عبد الله بن ابي قتادة عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله يجري بها لسانه واطمان بها قلبه حرمت عليه النار وسابعها
روى ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدردا ناد الناس من شهد
ان لا اله الا الله وجبت له الجنة قال ابو الدردا وان زنا وان سرق قال وان زنا وان

سرق حتى قالها ثلاث مرات وقال في الثالثة وان زنا وان سرق على رغم انف ابي الدرداء ثلاثاً ومنها ما روى معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل الجنة

الاسم الخامس عشر العهد

قال ابن عباس في قوله تعالى يومئذ لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً قال العهد هو قول لا اله الا الله واقول الذي يدل على صحة قول ابن عباس وجوه الوجه الاول ان قوله الا من اتخذ عند الرحمن عهداً انكرة في طرف الثبوت وذلك لا يفيد الا عهداً واحداً فهذه الاية تدل على ان ملك الشفاعة يحصل بسبب عهد واحد ثم اجمعنا على ان ما سوى الايمان فان الواحد منه بل مجموعه لا يفيد ملك الشفاعة البتة فوجب ان يكون ذلك العهد الواحد الذي يفيد ملك الشفاعة هو الايمان وقول لا اله الا الله والثاني ان جماعة من المفسرين قالوا تفسير قوله واوفوا بعهدي اوف بعهدكم انه هو عهد الايمان بدليل ان لفظ العهد مجمل فلما اعقبه بقوله وامنوا بما انزلت مصدقاً لما معكم علمنا ان المراد من ذلك العهد هو الايمان وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله الثالث ان اول ما وقع من العهود قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وذلك في الحقيقة قول لا اله الا الله فكان لفظ العهد محمولاً عليه الرابع انه تعالى قال ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الى قوله ومن اوفى بعهده من الله فكان العهد من جانبك عهد الاقرار بالعبودية ومن جانبه سبحانه عهد الكرم والربوبية فثبت بهذه الوجوه ان المراد من قوله الا من اتخذ عند الرحمن عهداً هو قول لا اله الا الله الخامس قوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده اي قلتم لا اله الا الله

الاسم السادس عشر كلمة الاستقامة

قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال ابن مسعود المراد من قوله ثم استقاموا هو قول لا اله الا الله وذلك لان قولهم ربنا الله اقرار بوجود الرب ثم ان من المقرين بذلك من اثبت لله نداً وشريكاً فالذين اتقوا الانداد

ولا اضداد هم الذين استقاموا على النهج القويم والصراط المستقيم واعلم ان القيمة في القامة بقدر الاستقامة في نفي الشركاء فمن الناس من اثبت الشريك ظاهراً وهو الشرك الظاهر فالاستقامة في الدين لا تحصل الا بنفي الشركاء كما قال تعالى فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون ومنهم من اقر بالوحدانية في الظاهر الا انه يقول قولاً يهدم ذلك التوحيد مثل ان يضيف السعادة والنحوسة الى الكواكب او يضيف الصحة والمرض الى الدواء والغذاء او يضيف الفعل الى العبد على سبيل الاستقلال وكل ذلك يبطل الاستقامة في معرفة الحق سبحانه وتعالى ومنهم من ترك كل ذلك ولكنه قد يطيع النفس والشهوة في بعض الاحوال واليه الاشارة بقوله تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وهذا النوع من الشرك هو المسمى بالشرك الخفي وهو المراد من قوله تعالى عن ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ربنا واجعلنا مسلمين لك وقول يوسف عليه السلام توفني مسلماً فان الانبياء عليهم السلام مبرؤون عن الشرك الجلي اما الحالة المسماة بالشرك الخفي وهو الالتفات الى غير الله تعالى فالبشر لا ينفك عنه في جميع الاوقات فلهذا السبب يتضرع الانبياء والرسل عليهم السلام الى الله تعالى في نفيه عنهم

الاسم السابع عشر مقاليد السموات والارض

قال تعالى له مقاليد السموات والارض قال ابن عباس هو قول لا اله الا الله واقول هذا هو الحق ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى بين انه لو كان في الوجود الهان لحصل الفساد في العالم ولاختلفت المصالح قال الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فثبت ان الشرك سبب لفساد العالم وان التوحيد سبب لانتظام العالم فثبت ان مقاليد السموات والارض هو قول لا اله الا الله الثاني انا بينا ان الشرك سبب لاختلاف العالم يدل عليه قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداً ان دعوا للرحمن ولداً واذا كان كذلك كان التوحيد سبباً لعمارة العالم الثالث ان ابواب السموات لا تفتح عند الدعاء الا بقول لا اله الا الله وابواب

الجنان لا تفتح الا بهذا القول وباب القلب لا ينفتح الا بهذه الكلمات وانواع
الوساوس لا تندفع الا بهذا القول فكانت هذه الكلمة اشرف مقاليد السموات والارض
واعز مفاتيح الارواح والنفوس والاجسام والعقول الاسم الثامن عشر
القول السديد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا
فقيل في تفسيره الفعيل قد يكون بمعنى الفاعل كالسميع بمعنى السامع وقد يكون
بمعنى المفعول كالقتيل بمعنى المقتول والجريح بمعنى المجروح فاذا حملته على
معنى الفاعل كان معناه انه يسد على صاحبه ابواب جهنم واذا حملته على معنى
المفعول كان معناه انه قد سد عن ان يضره شيء من الذنوب وايضا ان
ذا القرنين بنى السد دفعا لشر ياجوج وماجوج والله تعالى جعل الايمان سدا
لشر الشياطين من الجن والانس الاسم التاسع عشر البر قال الله تعالى
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله والاشارة
فيه الى ان من كان مشتغلا بجميع الجوانب والجهات لم يكن صاحب البر وانما صاحب
البر هو الذي يتوجه الى كعبة وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فقوله ليس
البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب اشارة الى الشركة والقول بالشركا وقوله
ولكن البر من امن بالله اشارة الى التوحيد فصار معناه هو المفهوم من قولنا لا اله
الا الله الاسم العشرون قال الله تعالى الا لله الدين الخالص الدين
واعلم ان الدين هو الانقياد والخضوع قال عليه السلام في دعوته يا من دانت له
الرقاب اي خضعت فقوله الا لله الدين الخالص اي له الخضوع والخشوع لا لغيره
وانما يكون كذلك اذا كان واحدا في الهيبة اذ لو وجد الهان لكان كما ان الخضوع
حاصل لاحدهما كان ايضا حاصلا للثاني فحينئذ لا يكون حصر ثبوت الخضوع لله
فقط فالحصر دل على انه لا اله سواه ولا معبود الا اياه الاسم الحادي
والعشرون الصراط المستقيم قال تعالى حكاية عن رسوله وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه وقال تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله

الذي له ما في السموات وما في الارض واعلم ان هذا الصراط المستقيم هو قول
لا اله الا الله وذلك باعتبار حدوث كل محدث وامكان كل ممكن يحوجه الى المؤثر
الذي يوجده وينقله من العدم الى الوجود فاذا كان المؤثر والموجد والملزم واحدا
فمتى نسبت حدوث المحدثات ووجود الممكنات الى قدرته كان ذلك صراطا مستقيما
وطريقا قويما ومتى نسبت حدوث محدث او وجود ممكن الى غير قدرته كان ذلك
طريقا معوجا وسبيلا منحرجا فثبت ان الصراط المستقيم لا يحصل الا باسناد كل
الحوادث والممكنات الى تخليق الله تعالى وتكوينه واسناد الكل اليه هو التوحيد
فثبت ان الصراط المستقيم هو قولنا لا اله الا الله الاسم الثاني والعشرون
كلمة الحق لقوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق
يعني قول لا اله الا الله الاسم الثالث والعشرون العروة الوثقى
قال الله تعالى ومن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى يعني
لا اله الا الله الاسم الرابع والعشرون كلمة الصدق قال الله تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به اي قول لا اله الا الله فهذه جملة الكلام في قولنا
لا اله الا الله اللهم بحق اسمائك الطاهرة المطهرة المقدسة احفظ علينا بفضلك
معرفة هذه الكلمة في قلوبنا وذكرها على السنتنا يا ارحم الراحمين واكرم الاكرمين

الفصل السابع في الاشياء التي شبه الله تعالى كلمة التوحيد بها

الاول انه تعالى شبه الايمان بالنار فقال مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا وقال اية اخرى ومما يوقدون عليه في النار وفيه اشارات
النكتة الاولى كما ان النار اذا عرضت عليها الذهب المغشوش احرقت كلما فيه
من الغش وبقي الذهب سليما عن الاحتراق فكذا يوم القيامة اذا عرض المذنب على
نار جهنم احرقت ذنوبه ومعاصيه وبقي ايمانه سليما عن الاحتراق الثاني ان
النار تحرق كل شيء فكذا الايمان اذا قوي نوره احرق ما سوى القلب عن القلب
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون الثالث انه تعالى شبه الايمان بشجرة فقال

سبحانه مثل نوره والسبب الثاني انه اضاف المعرفه الى نفسه وجوه لها ول انه تعالى
اضاف المعرفه الى نفسه قطعًا للاطماع عنها وذلك انها جوهرة نفيسة وقيمتها
رفيعه وصاحبها غافل والشيطان محتال مكار وجل مقصوده ان ياخذ المعرفه
من العارف ويحول بينها وبينه والحق سبحانه برحمته جعل المعرفه في حمايته حتى يقطع
طمع ابليس عنهم فقال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منها هنا لما اضاف الايمان
الى نفسه بقوله مثل نوره لاجرم كان طمع ابليس منقطعا عنه الثاني ان كل
ما للعبد فهو للحق لانه حصل بخلقه وايجاده فاذا بلغ العبد في درجات
المكاشفات الى ان شاهد هذه الحاله فقد كملت حالته وعظمت درجته فعند ذلك
قيل كل ما له فهو لنا وكل ما لنا فهو له فالمعرفه التي له فهي لنا فلا جرم اضافها الى
نفسه فقال مثل نوره الثالث ان تخصيص الشي باضافته الى الله تعالى سبب لتشريفه
كما في قوله تعالى طهر بيتي كما في قوله ناقة الله وانه لما قام عبد الله فكذى ها هنا
اضاف المعرفه الى نفسه تدل على انها اشرف الخلع والتشريفات ثم ها هنا سوالات
السوال الاول ما الحكمه في ان الله تعالى شبه نور المعرفه بنور السراج حيث قال
مثل نوره كمشكاة والجواب من وجوه الاول ان البيت اذا كان فيه سراج لم يتجاسر
اللص على دخوله مخافه ان يفتضح فكذلك القلب اذا كان فيه سراج المعرفه لم يتجاسر
الشيطان على دخوله مخافه ان يفتضح والثاني ان البيت اذا كان فيه سراج اهتدى
صاحبه الى طلب الامتعه فكذى القلب اذا كان فيه سراج المعرفه اهتدى صاحبه
الى الشروع في الطاعات الثالث اذا كان السراج في البيت انتفع بضيائه كل احد
من غير ان ينقص من استضاءة صاحبه بنوره شي وكذا كل قلب كان فيه سراج المعرفه
انتفع بنوره غير صاحبه من غير ان ينقص من نور صاحبه شي الرابع ان السراج اذا
كان في البيت وكان موضوعا في كوة مسدود ابزجاجة اضاء داخل البيت
وخارجه فكذلك سراج المعرفه في القلب يضي القلب وخارج القلب حتى يظهر نوره
على الاذنين والعينين واللسان فيظهر فنون الطاعات من هذه الاعضا واليه اشار

بقوله عليه السلام اجعل في قلبي نورًا وفي سمعي نورًا وفي بصري نورا وفي عظمي
نورًا وفي مخي نورًا الخامس ان البيت اذا كان فيه سراج كان صاحبه مستانسًا
مسرورًا فاذا انطفى السراج صار مستوحشا فكذى القول في القلب اذا كان
فيه سراج المعرفه كان صاحبه مستانسًا مسرورًا فان فارقه والعياذ بالله صار
مغمومًا قال الله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله
يجعل صدره ضيقًا حرجًا كانما يصعد في السما والسادس ان جرم السراج صغير
وضوه منتشر من كل جانب فكذلك ضو المعرفه ينتشر من القلب الى جميع الجوانب
كما قال الله تعالى ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله وخصوصا من جانب
العلو قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب السوال الثاني ما الفرق بين سراج الدنيا
التي هي الشمس وبين سراج المعرفه والجواب الفرق من وجوه الاول ان الشمس تحجبها
غمامة والمعرفه لا تحجبها سبع سموات والثاني ان الشمس تغيب بالليل والمعرفه لا تغيب
ليلا ولا نهارا بل في الليل اكمل قال الله تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطا واقوم قيلا
وقال عز وجل سبحان الذي اسرى بعبده ليلا وقال ليلة القدر خير من الف شهر الثالث
ان الشمس تفنى قال تعالى اذا الشمس كورت واما المعرفه لا تفنى قال تعالى كل شي هالك
الا وجهه اي الا ما حصل برضاه الرابع الشمس تنكسف والمعرفه لا تنكسف الخامس
الشمس تسود الوجه شيا والمعرفه تبيضها السادس الشمس تحرق والمعرفه تنجي من الحريق
السابع الشمس تارة تضر وتارة تنفع والمعرفه تنفع ولا تضر البته الثامن الشمس
منفعتها في الدنيا والمعرفه منفعتها في الدنيا وفي العقبى التاسع الشمس في السما
زينة لاهل الارض والمعرفه في الارض زينة لاهل السما العاشر الشمس في الفوق
وهي تضي ما تحت والمعرفه في قلب المومن وهو في التحت وتضي ما فوقه اليه يصعد
الكلم الطيب الحادي عشر الشمس تكشف وجود الخلق والمعرفه تكشف وجود الخالق
والدليل عليه قول امير المومنين علي كرم الله وجهه حين قيل له هل رايت ربك فقال لا اعبد ربا
لم اره والثاني عشر الشمس تقع على الولي والعدو والمعرفه ليست الا للولي

الثالث عشر ولاية الشمس في الدنيا دون الاخرة واما المعرفة فانها في الدنيا ذات بداية وفي الاخرة ذات ولاية وايضا فان الكوكب مصباح للخلق والمعرفة مفتاح الحق وايضا فان شعاع الكوكب ينزل الى اسفل وشعاع المعرفة يصعد الى العلو وايضا فان الكوكب يطلع من خزانة الفلك والمعرفة تطلع من خزانة الملك وايضا فان الكوكب علامة والمعرفة كرامة وايضا فان الكوكب موضع نظر المخلوقين والمعرفة موضع نظر رب العالمين قال عليه السلام ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم السوال الثالث ما الفرق بين السراج وبين المعرفة والجواب من وجوه الاول ان سراج الدنيا نوره مشوب بالظلمة وهي الدخان الذي يعلوه وسراج المعرفة نوره صافي لا ظلمة معه والثاني ان سراج الدنيا يحرق نفسه لينتفع به غيره وسراج المعرفة يحرق الذنب ويروح السر وينور الصدر والثالث ان سراج الدنيا يضمحل نوره في نور الشمس واما سراج المعرفة والتوحيد فانه يضمحل نور الشمس في نوره والرابع ان سراج الدنيا لا وفا له يحرق من اوقده ومن املاه بالفتيلة كما يحرق من لم يوقده ولم يملكه بشي وسراج المعرفة ذو وفا لا يحرق صاحبه البتة بل ينجيه من الخوف فشتان ما بين السراجين السوال الرابع ما الحكمة في تشبيه المعرفة بالمصباح والجواب من وجوه الاول ان المصباح يضره الرياح والمعرفة يضرها الوسواس والشبهات والثاني ان المصباح لا يبقى بغير الدهن والمعرفة لا تبقى بغير التوفيق والثالث لا بد للمصباح من حافظ يتعهده ولا بد لمصباح المعرفة من متعهد وهو فضل الله ورحمته السوال الخامس ما الحكمة في تشبيه القلب بالزجاجة فهلا شبهه بالذهب والفضة فانهما اعز من الزجاجة والجواب من وجوه الاول ان الذهب والفضة وان كانا نفيسين رفيعين الا انهما كثيفان فيوقعان الحجاب والزجاجة وان كانت قليلة القيمة الا انها لطيفة صافية لا يوقع الحجاب فانه يرى ظاهرها وباطنها والله تعالى ذكر هذا المثل لرفع الحجاب لا لوضعه الثاني انه ليس لانية الزجاجة خطر انما الخطر لما في الانية فكذا ليس لقلبك خطر انما الخطر للايمان والثالث اذا

انكسرت الزجاجة لم تصلح الا بادخال النار ولها ذابة فكذا القلب اذا فسد لا يصلح الا بادخال النار والاذابة وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا الرابع ان صاحب الذهب والفضة لا يخاف كسرها لعلمه ان قيمتها لا تبطل بسبب الانكسار واما صاحب الزجاجة فانه يكون على خطر ووجل لعلمه بانها اذا انكسرت بطلت قيمتها فكذلك المومن ينبغي ان يكون على حذر ووجل كصاحب الزجاجة ولا يكون على امن وسكون كصاحب الذهب والفضة والخامس شبهه بالزجاجة لان النور في الزجاجة احسن واتم ضيا منه في الذهب والفضة والزجاجة لقلة قيمتها واستعدادها للانكسار والبطلان صار النور فيها احسن وهو اشارة الى قوله انا عند المنكسرة قلوبهم من اجلي السوال السادس ما الحكمة في تشبيه تلك الزجاجة بالكوكب الدري والجواب ان الكوكب الدري فيه لاهل الارض هداية كما قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون ولاهل السما زينة قال تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب فكذا قلب المومن سبب لهداية صاحب القلب الى الخيرات وهو ايضا نزهة لاهل السما فانه روي ان معرفة العارف تضي لاهل السما كما يضي الكوكب الدري لاهل الارض والثاني ان الكوكب لا قدرة للشيطان عليه بل الكوكب يحرق الشيطان قال تعالى وجعلناها رجوما للشياطين فكذا هاهنا قلب المومن لا سبيل للشيطان عليه بل نور قلبه وايمانه يحرق الشيطان وكذلك قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال يوسوس في صدور الناس ولم يقل في قلوب الناس وقال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فذلك التذكر هو ظهور نور الايمان وقوله فاذا هم مبصرون اشارة الى احتراق وساوس الشيطان السوال السابع ما الحكمة في انه شبه القلب بالكوكب لا بالشمس ولا بالقمر والجواب من وجوه الاول ان الكوكب يستتر بالنهار ويظهر بالليل والعارف مستور بالنهار فاذا اظلم الليل ظهر بالخدمة والتضرع والثاني ان الكوكب زينة السما والقلب زينة العارف والثالث ان الكواكب مصابيح

السما ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح والقلب مصباح العارف قال تعالى مثل نوره
كمشكاة فيها مصباح   السوال الثامن هل في تشبيه الايمان بالسراج بشارة
لاهل الايمان والجواب نعم من خمسة اوجه الاول ان الشمس سراج استوقده الله
للبقا ثم لا يقدر احد على اطفايه والمعرفة سراج استوقده الله للبقا فكيف يقدر
ابليس على اطفايه الثاني استوقد الله سراج الشمس في السما فهي تزيل الظلمة عن
بيتك مع غاية البعد فاذا استوقد شمس المعرفة في قلبك الا يزيل ظلمة المعصية عنك
مع شدة القرب الثالث من استوقد سراجا فعليه ان يتعهده والله هو الموقد لسراج
المعرفة قال تعالى كتب في قلوبهم الايمان فلا جرم على رحمته امداده وتعهده
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الرابع اللص اذا راى السراج في البيت مستوقدا
لا يقصد ذلك البيت بالسرقة والله اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقدر لص
الشيطان من القرب منك الخامس المجوس اوقدوا نارا فلا يريدون اطفاها
فالملك القدوس اوقد نار المحبة والمعرفة فكيف يرضى باطفايها وابطالها
السادس من اراد ان يستوقد سراجا احتاج الى سبعة اشيا زند وحجر وحراق
وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالعبد اذا طلب سراج المعرفة فلا بد له من زناد
المجهد والذين جاهدوا فينا وحجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا واما الحراق فهو احراق
النفس ومنعها من شهواتها قال تعالى ونهى النفس عن الهوى والرابع كبريت الانابة
وانيبوا الى ربكم وثني مسرجة الصبر واصبروا ان الله مع الصابرين
والسادس فتيلة الشكر واشكروا نعمة الله عليكم والسابع دهن الرضا بقضا الله تعالى
قال الله واصبر لحكم ربك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرضا بالقضا باب الله الاعظم
فهذه السبعة تتعلق بك في حفظ عهد العبودية فاذا وفيت بعهد العبودية
فهو اولى ان يفي بعهد الربوبية كما قال تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم فيحفظ
هذه المعرفة في قلبك وهذا الذكر في لسانك ويجعلها نورا باقيا معك في القبر
وظلمات القيامة النوع الثالث من الامور التي شبه الله تعالى الايمان بها التراب

قال الله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ووجه المشابهة ان التراب ذو امانة
من اودع فيه شيا سلم اليه اضعافه قال الله تعالى في كل سنبلة ماية حبة فكذلك المومن
اذا عمل عملا سلم الله اضعافا من ذلك العمل اليه يوم القيامة قال الله تعالى انما
يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب الثاني من خاصية الارض انه يطرح عليها كل
قبيح ويخرج منها كل مليح فكذا ارض الايمان يطرح عليها قبايح الكفر والذنوب
ثم يخرج منها ثمرات المغفرة والرحمة والرضوان فاولئك يبدل الله سياتهم حسنات
وكان الله غفورا رحيما الثالث من خاصيتها انها كالام الحاضنة لك فهي لك كالمهد
قال الله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا وكالخزانة لك خلق لكم ما في الارض
جميعا وكالام المشفقة عليك منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى
فكذا الايمان منه يحصل جميع منافعك في الدنيا والعقبى وبه يندفع جميع المضار
عنك في الدنيا والعقبى   النوع الرابع من الاشيا التي شبه الله تعالى
الايمان والقرآن بها الما قال الله تعالى وانزل من السما ما فسالت اودية بقدرها
الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اي الايمان والكفر فالزبد الكفر والما هو
الايمان وفي تقرير وجه المشابهة وجوه الاولى ان الما يزيل النجاسة عن الثوب
وانزل من السما ما طهورا وثيابك فطهر فكذلك الايمان يزيل نجاسة الكفر والمعاصي
عن القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله الثاني ان الله تعالى
سمى الما المنزل من السما رحمة قال وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته وسمى
القران رحمة وسببا للرحمة فقال وهدى ورحمة للمومنين وجعل الايمان رحمة وسببا
للرحمة فقال كتب في قلوبهم الايمان وقال كتب ربكم على نفسه الرحمة فلا جرم شبه
الايمان والقران بالما لهذا السبب   الثالث انه تعالى سمى القران مباركا فقال
وهذا ذكر مبارك وقال في الما ونزلنا من السما ما مباركا فلا جرم شبه القران بالما
لكون كل واحد منهما مباركا   الرابع ان الما شفا للنفوس والقران شفا
للقلوب قال تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين فهو شفا لقلوبهم ورحمة

مطلب في بيان انه كما ان المطر ينزل من السما قطره قطره كذلك القران

لدنوبهم ولنحامس كما انه تعالى هو الذي يتولى انزال الما من السما ولا يقدر عليه احد سواه فكذلك هو الذي تولى انزال القران ولا يقدر عليه احد غيره السادس كما انه تعالى اذا انزل المطر من السما لم يقدر احد على دفعه وادخال الباطل عليه وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل من بين يديه السابع ان المطر لا يقدر مخلوق على احصا قطره فكذلك القران لا يحيط احد بكمال اسراره ولطايف حقايقه الثامن كما ان المطر ينزل من السما قطره ثم يسيل في بعض نهرا انهارا او بحرا فكذلك القران نزل من السما اية اية ونجما نجما ثم صار المجموع انهارا وبحارا وفي البحر ان القران بحر عميق لا يدرك قعره التاسع كما ان المطر لو نزل من السما دفعة واحده لقلع الاشجار وخرب الدنيا وكان الفساد فيه اكثر من الصلاح كذلك القران لو نزل جمله واحده لضلت فيه الفهام وتاهت فيه الوهام وقال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله العاشر كما ان الله يحيي الارض بعد موتها بالمطر فكذا احيا القلوب الميتة بالقران قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه الحادي عشر كما ان المطر واحد ثم انه يقع على الارض فيخرج منه الورد والريحان وعلى ارض اخرى فيخرج منه الشوك والسم فكذا القران يقع على قلب المطيع فيخرج منه ورد العبوديه وريحان الطاعه ويقع على قلب الكافر فيخرج منه سم الكفر وشوك المعصيه قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الثاني عشر ان في الما النازل من السما غنية عن جميع المياه فكذا في القران غنية عن جميع الكتب والعلوم والثالث عشر كما ان الما الكدر اذا انغمس فيه من لم يحسن السباحه هلك فيه فكذلك القران اذا تكلم فيه احد بغير العلم هلك قال عليه السلام من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار الرابع عشر كما ان الشرب فوق الكفايه يضر ولا ينفع فكذلك الكلام في القران فوق الفهم والفطنه يضر ولا ينفع قال عليه السلام امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم الخامس عشر اذا نزل المطر زال القحط وظهر النبات والغدا والفاكهه فكذلك كان قبل نزول

فكذلك القران لا يقدر احدا على دفعه صح

مطلب في بيان تشبيه الايمان بالحبل

القران ظهر قحط الدين فلما نزل القران زال القحط في الدين فظهر انواع الغذا والفاكهه للروح وهو بيان التوحيد والنبوه والشرايع السادس عشر كما ان الما يطفي النار فكذا القران والايمان يطفي عن المومن الذي هو حامل القران نار جهنم النوع الخامس من الاشيا التي شبه الايمان بها الحبل قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا وجه المشابهه من وجوه الاول ان من اراد ان يصعد من السفل الى العلو خاف من الانزلاق فاذا تمسك بالحبل امن من ذلك الخوف فالعبد يريد ان يصعد من سفل البشريه الى علو عالم الجلال والكبريا ويخاف من ان يزلق قدم عقله فاذا تمسك بالقران امن منه والثاني ان الاعمى اذا اراد الذهاب الى موضع فان كان بين مكانه وبين ذلك الموضع حبل مشدود تمسك بذلك الحبل وذهب فارغا من غير خوف فكذلك عقول البشريه كالعمي في سلوك سبيل التوحيد والمعرفه فاذا تمسكوا بالقران امنوا من الخوف والثالث ان من سقط في البير فطريق خلاصه ان يرسل اليه حبل حتى يتعلق به ويصعد وينجوا من الهلاك فالارواح البشريه وقعت في هاويه عالم الاجسام فالملك الرحيم ارسل اليهم حبل القران فمن تعلق به وصعد نجا ومن لم يتعلق به بقي في بير الظلمات وكان من الهالكين النوع السادس من الاشيا التي شبه الله تعالى الايمان به شجره الزيتون قال وشجره تخرج من طور سينا تنبت بالدهن وصبغ للاكلين وذكروا في وجه التشبيه وجوها الاول انه تعالى انما شبه الايمان بهذه الشجره لان هذه الشجره في اكثر الامور انما تنبت في الامكنه المطهره فكذلك المعرفه لا تستقر الا في القلوب المطهره الثاني ان شجره الزيتون يتولد من ثمرتها ذلك الدهن الذي في غايه الصفا وكذلك قلب المومن يتولد منه الايمان والمعرفه وهما اصفى الانوار واشرفها واعلم ان الله تعالى وعد المومنين بعشر كرامات احدها المغفره قال تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمعنى ان قبلوا الايمان وتركوا الكفر وثانيها الامن قال تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم

بظلم اولیک لهم الامن وهم مهتدون الثالث الهدایه قال الله تعالی ان الذین
امنوا وعملوا الصالحات یهدیهم ربهم والرابع الزیاده قال الله تعالی للذین
احسنوا الحسنی وزیاده الخامس الفلاح قال تعالی اولیک علی هدی
من ربهم واولیک هم المفلحون وقال قد افلح المومنون والسادس التثبیت
قال الله تعالی یثبت الله الذین امنوا بالقول الثابت فی الحیاة الدنیا والسابع
الشفاعه قال تعالی یومیذ لا تنفع الشفاعه الا من اتخذ عند الرحمن عهدا ا
اذن له الرحمن ورضی له قولا یعنی قول لا اله الا الله الثامن اصلاح الاعمال (وفي رواية اخرى الأمن)
قال الله تعالی یا ایها الذین امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سدیدا یصلح لکم اعمالکم
والتاسع البشاره قال الله تعالی وابشروا بالجنة التی کنتم توعدون والعاشر
سماع کلام الله تعالی ورویة الله قال سلام قولا من رب رحیم وجوه یومیذ
ناضره الی ربها ناظره اما الخاتمه فمن وجوه الاول قال بعضهم عجبا لمن عرفک
کیف یخلو قلبه من ذکرک وکیف یکون همه نفسه ووالله اکثرهم مناجاتک وکیف (من ح)
یفرح بغیر احسانک وکیف لم یطلب الغنی بالتعزز بک وکیف لم یطلب الکفایه
فی صدق التوکل علیک وکیف لا یعد البلا فی طاعتک اعظم انواع السعاده
وکیف لم یشغله معرفتک عن معرفه غیرک وکیف لم یهن علی قلبه مصایب الدنیا
وکیف لم یطلب راحته وروحه بتفویض اموره الیک وکیف یطلب لذه العیش
فی غیر وقت المعرفه وکیف یستلذ بما یشغل عنک وکیف یوثر شهوة الدنیا
مع سرعه فنایها علی محبتک وکیف یغفل عنک وهو یعلم انک لا تغفل عنه
الثانی قال بندار بن الحسن من اقبل علی الدنیا احرقته بنیرانها یعنی الحرص
فصار رمادا ومن اقبل علی الاخره احرقته بنیرانها یعنی نار الخوف فصار
سبیکه ذهب ینتفع به ومن اقبل علی الله احرقته نار التوحید والمحبه فصار
جوهره نفیسه لا قیمه له الثالث قیل لا یستکمل العبد حقیقه الایمان حتی
یکون خیره مامولا وشره مامونا وحتی یکون الضعة احب الیه من الرفعه والفقر

احب الیه من الغنا والذل فی الله احب الیه من العز فیما سواه ویستکثر القلیل
من عمل غیره ویستقل الکثیر من عمل نفسه ولا یری احدا الا ظن انه خیر منه
الرابع قال لقمن لابنه یا بنی ان للایمان سبع حقایق ولکل حقیقه منها حق
فالحقایق السبعه الیقین والمخافه والمعرفه والهدی والعمل والتفکر والورع
فحقیقه الیقین الصبر وحقیقه الخوف الطاعه وحقیقه المعرفه الایمان وحقیقه
الهدی البصیره وحقیقه العلم النیه وحقیقه التفکر الفطنه وحقیقه الورع
الفرار الخامس قیل ارکان الایمان اربعه توحید بلا حد وذکر بلا بث
وحال بلا نعت ووجد بلا وقت ومعنی قولنا حال بلا نعت ان یصیر
بحیث لا یصف حاله من الاحوال الرفیعه لانه ویکون حاصلا له لانه لو لم یکن
حاصلا له لکان غایبا وقیل ذکر الغایب غیبه السادس قال علی رضی الله عنه
اربعه خصال من کن فیه فهو مومن اذا قال صدق واذا وعد وفا واذا اتمن ادی
واذا عاهد لم یغدر السابع قال الجنید کالارض یطا علیها حمل کل شی
وکالقطر اذا سقط سقی کل شی والتحقیق فیه انه فی جمیع احواله ناظر الی الله
فهو لا ینظر مع من یعامل ولکنه ینظر لاجل من یعامل فلا جرم یستوی الکل عنده
الثامن قال یحیی معاذ الرازی ایمان یقی فلا تنسه باثامک واللیل
طویل فلا تقصره بمنامک والایام قصیره فلا تخلها من صیامک وقال ایضا
اذا لم یکن الایمان هادما للسیات کما ان الکفر هادم للحسنات فما فضل الایمان
التاسع قال سهل عبد الله المومن بین سته اعدا نفس منازعه ومنافق یبغضه
وشیطان یغویه ومومن یحسده وکافر یقاتله العاشر قال ابو بکر الوراق
للمومن اربع علامات کلامه ذکر وصمته فکر ونظره عبره وعمله طاعه
الحادی عشر قال ابو بکر الواسطی فی قول معاذ تعالوا نومن ساعه ای حتی
نخرج من الارادات والمنازعات لان کل اراده اراده الانسان علی خلاف
اراده الحق فهی منازعه مع الربوبیه الثانی عشر قال ابو یزید الهی انک

خلقت لتخلق بغير علمهم وقلدتهم امانة بغير ارادتهم فان لم تعنهم فمن يعنهم
الثالث عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن يكون نفسه منه في عناء والناس منه في راحة

الفصل الخامس

في شرح المباحث المتعلقة بلا اله الا الله وهي من وجوه البحث الاول زعم جماعة من النحويين ان هذا الكلام فيه حذف واضمار ثم ذكروا فيه وجهين احدهما التقدير لا اله لنا الا الله والثاني لا اله في الوجود الا الله واعلم ان هذا الكلام غير سديد اما الاول فلانه لو كان التقدير لا اله لنا الا الله لم يكن هذا الكلام مفيدا للتوحيد الحق اذ يحتمل ان يقال هب انه لا اله لنا فلم قلتم انه اذ م
لا اله لجميع المحدثات والممكنات الا الله فلهذا السبب انه تعالى لما قال والهكم اله واحد قال بعده لا اله الا هو الرحمن الرحيم قال والهكم اله واحد بقي لسائل ان يسال ويقول هب ان الهنا واحد فلم قلتم ان اله الكل واحد فلاجل ازالة هذا السوال قال بعده لا اله الا هو ولو كان المراد من قوله لا اله الا هو انه لا اله لنا الا هو كان هذا تكرارا محضا واما الثاني وهو قولهم التقدير لا اله في الوجود الا الله فنقول واي حامل يحملكم على التزام هذا الاضمار بل نقول حمل الكلام على ظاهره اولى من ذلك الاضمار الذي ذكرتم وذلك لانا لو التزمنا ذلك الاضمار كان معناه لا اله في الوجود الا هو وكان هذا نفيا لوجود الاله الثاني اما لو اجرينا الكلام على ظاهره كان هذا نفيا لماهية الاله الثاني ومعلوم ان نفي الماهية اقوى في اثبات التوحيد من نفي الوجود فثبت ان اجراء هذا الكلام على ظاهره اولى فان قيل نفي الماهية غير معقول فانك اذا قلت السواد ليس
بسواد كنت قد حكمت ان السواد انقلب الى نقيضه وصيرة الشيء نقيضه غير ورة ٣
معقول اما اذا قلت السواد غير موجود كان هذا كلاما معقولا ولهذا السبب اضمرنا فيه هذا الاضمار والجواب قولكم نفي الماهية غير معقول قلنا هذا باطل فانك اذا قلت السواد ليس بموجود فقد نفيت الوجود لكن

الوجود من حيث هو وجود ماهية فاذا نفيته فقد نفيت الماهية المسماة بالوجود واذا كان كذلك صار نفي الماهية امرا معقولا واذا عقل ذلك فلم لا يجوز اجراء هذه الكلمة على ظاهرها فان قلت ان السواد ليس بموجود فانك ما نفيت الماهية وما نفيت الوجود ايضا وانما نفيت موصوفية الماهية بالوجود فنقول موصوفية الماهية بالوجود هل هي امر مغاير للماهية وللوجود ام لا فان كانت مغايرة لهما كان لتلك المغايرة ماهية فكان قولنا السواد ليس بموجود نفيا لتلك الماهية المسماة بالموصوفية وحينئذ يعود الكلام المذكور واما ان قلنا ان موصوفية الماهية بالوجود ليست امرا مغايرا للماهية والوجود امتنع توجيه النفي اليها واذا كان كذلك بقي النفي متوجها اما الى الماهية واما الى الوجود وحينئذ يحصل غرضنا من ان الماهية يمكن نفيها واذا كان الامر كذلك صح ان قولنا لا اله الا الله حق وصدق من غير حاجة الى الاضمار والله اعلم البحث الثاني قال النحويون قولنا لا اله الا الله ارتفع هو لانه بدل من موضع لا مع الاسم وبيانه انك اذا قلت ما جاءني رجل الا زيد فقولك الا زيد مرفوع بالبدلية لان البدل هو الاعراض عن الاول والتعمد بالثاني فصار التقدير ما جاءني الا زيد وهذا معقول لانه يفيد نفي المجيء عن الكل الا عن زيد واما قوله جاءني القوم الا زيد فهاهنا البدلية غير ممكنة لانه يصير التقدير جاءني الا زيد وذلك يقتضي انه جاءه كل احد الا زيد وذلك محال فظهر الفرق البحث الثالث اتفق النحويون على ان محل الا في هذه الكلمة محل غير والتقدير لا اله غير الله وهو كقول الشاعر

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

المعنى كل اخ غير الفرقدين فانه يفارقه اخوه وقال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قالوا التقدير لو كان فيهما غير الله لفسدتا والذي يدل على صحة ما قلناه انا لو حملنا الا على الاستثناء لم يكن قولنا لا اله الا الله توحيدا محضا لانه يصير

تقدير الكلام لا اله يسمى غيرهم الله فيكون هذا نفيًا لآلهة يسمى غيرهم الله
ولا يكون نفيًا لآلهة يسمى غيرهم الله بل عندي يقول بدليل الخطاب يكون
اثباتًا لذلك وهو كفر فثبت انه لو كانت كلمة الا محمولة على الاستثناء لم يكن
قولنا لا اله الا الله توحيدًا محضًا ولما اجمعت العقلاء على انه يفيد التوحيد المحض
وجب حمل الا على معنى غير حتى يكون معنى الكلام لا اله غير الله

البحث الرابع قال جماعة من الاصوليين الاستثناء من النفي لا يكون اثباتًا
واحتجوا عليه بوجهين الاول ان الاستثناء ماخوذ من قولك ثنيت الشي عن جهته
اذا صرفته عنها فاذا قلت لا عالم فهاهنا امران احدهما الحكم بهذا العدم والثاني
نفس هذا العدم ثم اذا قلت عقيبه الا زيد فهذا الاستثناء يحتمل ان يكون عايدًا الى
حكمك بذلك العدم ويحتمل ان يكون عايدًا الى نفس ذلك العدم فان كان عايدًا الى الحكم
بالعدم لم يلزم تحقق الثبوت لانه بسبب الاستثناء يزول الحكم بالعدم فيبقى المستثنى
مسكوتًا عنه غير محكوم عليه لا بالنفي ولا بالاثبات وحينئذ لا يلزم الثبوت
اما ان كان الاستثناء في صرف العدم ومنعه فحينئذ يلزم تحقق الثبوت
لانه لما ارتفع العدم وجب حصول الوجود ضرورة انه لا واسطة بين النقيضين
اذا ثبت هذا فنقول عود الاستثناء الى الحكم بالعدم اولى من عوده الى نفس
العدم ويدل عليه وجوه الاول ان الالفاظ وضعت دالة على الاحكام الذهنية
لا على الموجودات الخارجية فانك اذا قلت العالم قديم فهذا لا يدل على كون العالم
قديمًا في نفسه ولا لكنا اذا قلنا العالم قديم العالم حادث لزم كون العالم
قديمًا وحادثًا معًا وذلك محال بل هذا الكلام يدل على حكمك بقدم العالم واذا
كانت الالفاظ وضعت دالة على الاحكام الذهنية لا على الموجودات الخارجية
كان صرف ذلك الاستثناء الى الحكم بالعدم اولى من صرفه الى ذلك العدم
والوجه الثاني ان عود الاستثناء الى الحكم بالعدم اولى من عوده الى نفس
ذلك العدم وذلك لان عدم الشي في نفسه ووجوده لا يقبل تصرف هذا القائل

بل القائل يتصرف في حكمه بذلك الوجود والعدم فاذا كان كذلك كان عود
الاستثناء الى الحكم اولى من عوده الى المحكوم به

البحث الثانية
في بيان ان الاستثناء من النفي ليس باثبات هو انه جا في الحديث والعرف صور
كثيرة في الاستثناء والنفي مع انه لا يقتضي الثبوت قال عليه السلام لا نكاح
الا بولي ولا صلاة الا بطهور ويقال في العرف لا عز الا بالمال ولا مال الا بالرجال
ومرادهم من الكل مجرد الاشتراط اقصى ما في الباب ان يقال وقد ورد هذا
اللفظ في صور اخرى وكان المراد ان يكون المستثنى من النفي اثباتًا الا انا نقول انه
لا بد وان يكون مجازًا في احد الصورتين الا انا نقول ان قلنا انه لا يقتضي ان يكون
الخارج من النفي اثباتًا فحيث افاد ذلك احتمل ان يكون تلك الزيادة مستفادة من
دليل اخر ولا يكون ذلك تركًا لما دل اللفظ عليه وان قلنا انه يقتضي ان يكون
الخارج من النفي اثباتًا فحيث لا يفيد ذلك لزمنا ترك العمل بما يكون اللفظ دليلًا
عليه ومعلوم ان القول الاول الا ان اثبات الامر الزايد بدليل زايد ليس فيه
مخالفة للدليل اما ترك ما دل الدليل عليه يكون مخالفة للدليل فثبت بما ذكرنا
ان الاستثناء من النفي لا يكون اثباتًا واذا ثبت هذا كان قولنا لا اله الا الله
تصريحًا بنفي ساير الالهية ولا يكون اعترافًا بوجود الله واذا كان كذلك لم يكن
مجرد هذا اللفظ كافيًا في صحة الايمان هاهنا اشكال اخر وهو انا قد دللنا
على ان كلمة الا بمعنى غير في هذا الموضع واذا كان كذلك كان قولنا لا اله الا الله
لا اله غير الله فيصير المعنى نفي اله يغاير الله ولا يلزم من نفي ما يغاير الشي اثبات
هذا الشي وحينئذ يعود الاشكال والجواب من وجهين الاول ان اثبات الاله سبحانه
كان متفقًا عليه بين كل العقلاء بدليل قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فكان ذلك مفروغًا عنه متفقًا عليه الا انهم كانوا يثبتون
الشركاء والانداد فكان المقصود من هذه الكلمة نفي الاضداد والانداد فاما
القول باثبات الاله العالم فذلك من لوازم العقول الثاني ان سلمنا ان هذه الكلمة

كما دلت على نفي سائر الالهة دلت على اثبات الهية الله تعالى لا انا نقول هذه
الدلالة تكون حاصلة بوضع الشرع لا بمفهوم اصل اللغة فهذا تمام القول
في هذا المقام والله اعلم **البحث الخامس** اعلم انه يجوز ان يقال
لا رجل في الدار وان يقال لا رجل في الدار اما على الوجه الاول فانه يوجب نفي
الريب بالكلية الدليل عليه ان قولنا لا رجل يقتضي نفي ماهية الرجل ونفي الماهية
يقتضي انتفا كل افراد الماهية لانه لو ثبت فرد من افراد الماهية لثبت الماهية
ضرورة انه متى ثبت فرد من افراد الماهية فقد ثبت الماهية لا محالة واما قولنا لا رجل
في الدار فهو نقيض لقولنا رجل في الدار يفيد ثبوت رجل واحد فقولنا لا رجل في
الدار يفيد عموم النفي حتى يحصل التناقض بين القولين فالحاصل ان قولنا لا رجل
اقوى في الدلالة على عموم النفي من قولنا لا رجل مع ان كل واحد منهما يفيد عموم
النفي ولاجل كون كل واحد منهما يفيد العموم قرئ قوله تعالى لا ريب فيه بالقراتين
وكذا في قوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ولاجل ان البنا على الفتح اقوى
من الدلالة على العموم اتفقوا عليه في قولنا لا اله الا الله **البحث الثاني**
من الناس من قال ان تصور الاثبات متقدم على تصور النفي بدليل ان الواحد
يمكنه ان يتصور الاثبات وان لم يخطر بباله معنى النفي والعدم ويمتنع عليه ان
يتصور العدم والنفي الا وقد تصور الاثبات اولا وذلك لان العدم المطلق
غير معقول بل العدم لا يعقل الا اذا اضيف الى امر معين فيقال عدم الدار
وعدم الغلام فثبت ان تصور الاثبات مقدم واصل وتصور النفي متاخر
وفرع واذا ثبت هذا فما السبب في ان جعل النفي الذي هو الفرع مقدما والاثبات
الذي هو الاصل موخرا والجواب ان في تقدم النفي على الاثبات ها هنا
اغراض الاول ان نفي الربوبية عن غيره ثم اثباتها له اكد في الاثبات من لو اثبتنا ها له
من غير ان ينفيها عن غيره كما ان قول القايل ليس في البلد عالم غير فلان اكد في
باب المدح من قولنا فلان عالم البلد والثاني ان لكل انسان قلبا واحدا

والقلب الواحد لا يمتنع له الاشتغال بشيين دفعة واحدة فبقدر ما يبقى مشغولا
باخذ الشيين يبقى محروما عن الشي الثاني فقوله لا اله الا الله اخراج لكل ما سوى الله
عن القلب حتى اذا صار القلب خاليا عن كل ما سوى الله ثم حضر فيه سلطان الا الله
اشرق نوره اشراقا تاما وكمل استيلاء عليه كمالا قويا الثاني ان
النفي الحاصل بلا يجري مجرى الطهاره والاثبات الحاصل بالا يجري مجرى الطهاره
والصلوه وكما ان الطهاره مقدمه على الصلوه فكذا وجب تقديم لا اله على قولنا
الا الله ويجري مجرى تقديم الاستعاذه على القراه فكما انا نقدم الاستعاذه
على القراه فكذا ها هنا وايضا من اراد ان يحضر الملك في بيت وجب عليه ان يقدم
تطهير البيت عن الاقذار وكذا ها هنا وعن هذا قال المحققون النصف الاول من
هذه الكلمه تنظيف للاسرار والنصف الثاني جلا للانوار عن حضره الملك الجبار
والنصف الاول فنا والثاني بقا والنصف الاول انفصال والثاني اتصال
والنصف الاول اشاره الى قوله ففروا الى الله والنصف الثاني اشاره الى قوله
قل الله ثم ذرهم **البحث السابع** لقائل ان يقول ان من عرف
ان للعالم صانعا عالما قادرا موصوفا بجميع الصفات المعتبره في الالهية
من الصفات السلبيه والثبوتيه فقد عرف الله معرفة تامة ثم ان علمه بعدم
الاله الثاني لا يزيد علما بحقيقة ذات الاله وصفاته لان عدم الاله الثاني
ليس عباره عن وجود الاله الاول ولا صفه من صفاته ثم اجمعنا على ان علمه
بذات الاله وصفاته لا يكفي في حصول النجاه بل ما لم يعلم عدم الاله الثاني
لا يحصل العلم المعتبر في النجاه فما السبب في ان كانت معرفة ذات الله
وصفاته غير كافيه في حصول النجاه بل كان العلم بعدم الثاني معتبرا في حصول
النجاه والجواب ان بتقدير ان يكون للعالم الهان فالعبد لا يعلم انه
عبد لهذا الاله او عبد لذلك الاله او عبد لهما فحينئذ لا يكون جازما بكونه
مشتغلا بشكر مولاه وخالقه بل يجوز ان يكون عبادته لغير خالقه ومتى كان

الله

السلبيه

لا امر كذلك لم يكن جازمًا في تلك العبودية بتلك الطاعة اما اذا عرف انه
لا اله للعالم الا الاله الواحد فحينئذ يكون جازمًا بكونه مشتغلًا بعبودية بمعرفته
مولاه وخالقه فلهذا السبب لم يحصل النجاة والفوز بالدرجات الا بمعرفة التوحيد

البحث الثامن في ان المكلف اذا تمم النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى
ثم كما تمم مات ولم يجد من الوقت ما امكنه ان يقول لا اله الا الله فههنا لا شك انه
يموت مومنا لانه ادى ما وجب عليه ولم يجد مهلة التلفظ بهذه الكلمة فاما اذا تمم
النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى ووجد من الوقت ما امكنه ان يقول فيه
لا اله الا الله ثم انه لم يقل ثم مات فهذا الشخص هل مات مومنا ام لا من الناس من
قال انه مات كافرا لان صحة الايمان متوقفة على التلفظ بهذه الكلمة عند القدرة
عليه ومن الناس من قال انه مومن لاجل انه حصل له العرفان التام وفاسق لاجل
ما كان ما مورا بذكر هذه الكلمة وما ذكرها والدليل على انه مومن قوله عليه السلام
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا الشخص قلبه مملو من
الايمان فكيف لا يخرج من النار

البحث التاسع من الناس من قال
بتطويل المد في كلمة لا من قولنا لا اله الا الله مندوب اليه مستحسن لان
المكلف في زمان التمديد يستحضر في ذهنه جميع الاضداد والانداد وينفيها ثم
بعد ذلك يعقب هذه الكلمة بقوله الا الله فيكون ذلك اقرب الى الاخلاص والكمال
ومنهم من قال بل ترك التمديد اولى لانه ربما مات في زمان التلفظ بلا قبل
الانتقال الى كلمة الا والذي عندي ان المتلفظ بهذه الكلمة ان كان يتلفظ بها يتلفظ بها
لينتقل بها من الكفر الى الايمان على اسرع الوجوه وان كان المتلفظ بها مومنا
وانما يذكرها كيف شا فالتمديد في هذه الكلمة اولى حتى يحصل في زمان التمديد
صور الانداد والاضداد على التفصيل في الخاطر وينفيها ثم يعقبها بقول الا الله
فيكون الاقرار بالالهية اصفى واكمل

البحث العاشر اعلم ان
آرا الناس في قول هذه الكلمة على مراتب وطبقات فادناها طبقة من قالها
لحقن دمه واحراز ماله على ما اقتضاه موجب قوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس
حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماهم واموالهم الا بحقه
وهذه درجة يشترك فيها المخلصون والمنافقون فكل من تعلق بهذه الكلمة
نال من بركتها واحرز حظا من فائدتها ان طلب بها الدنيا نال الامن فيها والسلامة
من آفاتها وان قصد بها الاخرة جمع بين الحظين واحرز بها السعادة في الدارين

والطبقة الثانية الذين ضموا الى القول باللسان الاعتقاد بالقلب على
سبيل التقليد واعلم ان الاعتقاد التقليدي لا يكون علمًا وذلك لان العقد
ضد الانحلال والانشراح والعلم عبارة عن انشراح الصدر قال الله تعالى
افمن شرح الله صدره للاسلام فثبت ان صاحب التقليد لا يكون عارفا ولا عالما
فهل يكون مسلمًا فيه خلاف مشهور بين الامة

الطبقة الثالثة
الذين ضموا الى ذلك الاعتقاد بالقلب معرفة الدلائل الاقناعية المقوية لذلك
الاعتقاد الا ان تلك الدلائل لا تكون برهانية يقينية بل اقناعية ظنية

الطبقة الرابعة الذين اكدوا تلك العقائد بالدلائل العقلية والبراهين
اليقينية الا انهم لا يكونون من ارباب المشاهدات والمكاشفات ولا من اصحاب
التجلي وارباب مطالعة الانوار الالهية ثم اعلم ان الاقرار باللسان له درجة واحدة
واما الاعتقاد بالقلب فله درجات مختلفة بحسب قوة الاعتقاد وضعفه
ودوامه وعدم دوامه وكثرة تلك الاعتقادات وقلتها فان المقلد ربما كان
مقلدًا في مجرد ان الله واحد وربما زاد عليه فكان مقلدًا في ذلك وفي ان الصانع
عالم وقادر واعلم ان كل ما كان وقوف الانسان على هذه المطالب اكثر كان
تشويش امر التقليد عليه اكثر وذلك لان القلب اذا حصل له شعور بهذه المطالب
وحصل له وقوف على هذه المباحث مال الى العلم وكره التقليد فيفسد عليه
التقليد واما المرتبة الثالثة هي تقوية الاعتقاد بالدلائل الاقناعية فمراتب تختلف
فيها متفاوتة وغير مضبوطة واما المرتبة الرابعة وهي الترقي من الدلائل الاقناعية

الى البراهين القطعيه فالاشخاص الذين يكونون واصلين الى هذه الدرجه يكونون في
غايه القله ونهايه الندره لان ذلك يتوقف على شرايط البراهين واستعمالها في
المطالب وذلك في غايه العزه واما المرتبه الخامسه وهم اصحاب
المشاهدات والمكاشفات فنسبتهم في القله الى اصحاب البراهين القطعيه
كنسبه اصحاب البراهين القطعيه الى عوام الخلق واعلم ان عالم المكاشفات
لا نهايه له لانه عباره عن سفر العقل في مقامات جلال الله ومدارج عظمته
ومنازل كبريايه وقدسه ولما كان لا نهايه لهذه المقامات فكذلك لا نهايه
للسفر في تلك المقامات واعلم ان الانسان اذا انكشف له اسرار لا اله الا الله
اقبل على الله واخلص في عبادته ولم يلتفت الى احد سواه فلا يرجو غيره ولا يخاف
غيره ولا يرى الضر والنفع الا منه فانقطع بالكليه عما دونه وتبرا من شرك
الباطن كما تبرا من شرك الظاهر وذلك كله موجب كلمه التوحيد ولهذا السبب
لما قال لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا الله قال بعده واستغفر لذنبك
والمعنى والله اعلم انه امر بالاستغفار في تقصير وقع في موجب كلمه
لا اله الا الله اما لغفله تحول دونه او لمعارض شغل وتعوق عنه وهو معنى
قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مره وقد روي
مايه مره وفي هذا الحديث وجوه الاول المراد ما يغشى قلبه من غفله
او يعرض من فتره بحكم الطبع البشري فكان عند ذلك يفزع الى الاستغفار
والثاني انه عليه السلام كان ابدا في الترقي فاذا انتقل الى درجه نظر الى
الدرجه المنتقل عنها فكان يستحقرها في العبوديه فيستغفر الله منها
والثالث انه ربما لاح له شي من تجلي عالم الغيب فيستعظم تلك الدرجه
ويبتهج بها ثم كان يصير استعظامه لتلك الدرجه وابتهاجه بها شاغلا له عن
الاستغراق في المبتهج به فكان يستغفر الله عن ذلك والرابع انه كلما
لاح له شي من عالم الغيب كان يعلم ان الذي لاح له انما لاح بقدر قوته وطاقته

فكان يعلم ان قدر عقله وطاقته بالنسبه الى جلال الله وعلو كبريايه كالعدم
فحينيذ يعلم ان الذي لاح له من كمال عالم الغيب بالنسبه الى ما لم يلح له كالعدم
بالنسبه الى الوجود فكان يستغفر الله من ان يصفه بما وصل اليه قلبه وفكره وذكره
وخاطره صلى الله على محمد واله اجمعين الفصل السادس
في فضل المومنين اعلم ان الله تعالى سمى المومنين بما سمى به نفسه في عشره اشيا في
المراقبه والولايه والموالاه والصلوه والعزه والطاعه والمشاقه والاذى
والنجا والشهاده المقام الاول في المراقبه فيستدل عليه قوله تعالى
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون فهدد المذنبين والجاحدين
برويه المومنين كما هددهم برويه نفسه وفيه لطايف لاولي روي ان
عمر رضي الله عنه خرج ليله فسمع امراه تقول لابنتها يا بنياه قومي وامزجي الما
باللبن قالت اوليس قد نهانا عن ذلك امير المومنين قالت ولا يرانا امير المومنين
قالت بلى ولكن يرانا رب العالمين فلما سمع عمر ذلك خطبها في الغد لابنه
وكان عمر بن عبد العزيز من حفدتها الثاني انه امراه شاطره كانت بمكه
فقالت لا ابرح حتى افتن طاووس اليماني وكان رجلا جميلا فعرضت نفسها
عليه مرارا حتى ظنت انها تعجبه فقال طاووس احضري الليله فجا بها الى المقام
فقال اضطجعي ها هنا فقالت سبحان الله الا ترى الناس فقال طاووس
اوليس قد يرانا الله في كل موضع فتابت الثالث قال ابو عبد الرحمن
العتبي خرجت ليله فاذا انا بجاريه مليحه فراودتها فقالت ويلك اما لك زاجر من عقلك لك ع
ان لم يكن ناهي من الدين فقلت انه لا يرانا الا الكواكب فقالت اين مكوكبها
الرابع قال حاتم الاصم راعي نفسك في ثلثه اوقات اذا عملت بالجوارح
فاذكر نظر الله اليك واذا قلت بلسانك فاذكر سمع الله اليك واذا كنت ساكتا
فاذكر علم الله فيك لانه تعالى قال انني معكما اسمع وارى الخامس
ثلثه نفر حضروا عند بعض الزهاد فقالوا اوصنا فقال الواحد الست تقول انه عالم

قال بلى قال اياك ان يعلم منك شيا تفتضح به غدا وقال للثاني اليس هو بصير
قال بلى قال اياك ان يراك على عمل تستحي منه يوم القيامه وقال للثالث اليس هو
سميع قال بلى قال احذر ان لا يسمع منك شيا يودي عن باب رحمته بسببه
السابعه قال يقيس من وجد من نفسه هذه الاشيا فليحكم عليها بالسعاده
الهيبه للعزيز الجبار والرحمه للنبي المختار والتحيات للابرار والاخيار

المقام الثاني الولايه وانه تعالى جعل المومنين بالكل بنفسه فيها فقال انما
وليكم الله ورسوله والذين امنوا قيل نزلت في عبد الله بن سلام حين شكى من عداوه
اليهود له لعنهم الله بعد اسلامه فنزلت وقال محمد بن اسحق نزلت في عباده بن
الصامت قال يا رسول الله تبرات من حلف اليهود وتوليت الله ورسوله والمسلمين عامة
وفيه نكتة لان يوسف عليه السلام قال انت وليي في الدنيا والاخره توفني مسلما
والحقني بالصالحين فوجد الملك والعز بسبب ذلك القول الذي هو قايله فهاهنا
قال الله للمومنين انما وليكم الله ورسوله فاولى ان يجد المومنون ملك الجنه والمغفره
الثانيه قوله انما وليكم الله يعني حافظكم وناصركم الله ورسوله والمومنون ثم
قال عليه السلام المرء مع من احب ثم ان كل مسلم يحب الله فوجب بحكم ذلك الخبر
ان يكون المسلم ابدا مع حفظ الله واذا كان حفظ الله لا يفارقني بسبب اني احب الله
فكيف يفارقني حفظ الله مع ان الله وليي وحافظي وناصري الثالثه هذه الايه
دلت على ان الصحابه رضي الله عنهم يحبوننا لانه تعالى جعل المومنين اوليا لنا
وهو قوله تعالى والمومنون الذين يقيمون الصلوه ثم اكد ذلك بقوله والمومنون
والمومنات بعضهم اوليا بعض ثم امرنا بان نحب الصحابه بدليل قوله والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الى قوله ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا فثبت
بمجموع هتين الايتين حصول المحبه بيننا وبين الصحابه والحبيب لا يرضى بعذاب الحبيب
فدل ذلك على ان جمهور الصحابه والتابعين وسلف المومنين كلهم يكونون شفعا دون المومنين

المقام الثالث الموالاه قوله تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين
فجعلكم بان مولى المومنين هو الله وجبريل وصالح المومنين ثم اسقط شركة
جبريل والمومنين فقال فاعلم ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير وقال في حق
الكافر النار ثم فلبيس المولى ولبيس العشير فمن كان الله مولاه فلا يذل ولا يخزى
ومن كان المومنون مواليه فلا يضيع ولا يشقى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يوم احد للكفار حيث قالوا لنا العزى ولا عزى لكم فقال عمر رضي الله عنه
لنا مولى ولا مولى لكم فنزل على وفق قوله ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان
الكافرين لا مولى لهم الثانيه ان الله تعالى سمى النار مولى الكفار فقال النار
مولاكم وانما سمى النار مولاهم لانها لا تتركهم فلما سمى نفسه مولى المومنين فرجوا ان
لا يتركهم اغاثتهم واغاثتهم الثالثه قال بعضهم من كان مودبه ربه لا يعاب
ومن كان ناصره ربه لا يغلب ومن كان هاديه ربه لا يضل ومن كان معينه ربه
لا يشقى ومن كان مولاه ربه لا يضيع ولا يحتاج الى احد

المقام الرابع الصلوه قال تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا
عليه وسلموا تسليما فجعل المومنين بالثلث نفسه في الصلاه على الرسول صلى الله عليه
وهاهنا نكته للاولى في الخبر انه لما نزلت هذه الايه قال عليه السلام هنيوني
هنيوني فقالوا هنيا لك يا رسول الله فما حظنا فنزل قوله هو الذي يصلي عليكم
وملايكته والاشاره انه صلى على الرسول في الدنيا وما ترك المذنبين حتى صلى
عليهم يوم القيامه كيف يترك المذنبين محرومين عن المغفره الثانيه الصلوه من الله
على ثلثه اوجه عام وخاص وخاص الخاص فالعام هو قوله هو الذي يصلي عليكم
والخاص قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه وخاص الخاص قوله ان الله
وملايكته يصلون على النبي الثالثه في الحديث ان لله ملايكه بايديهم قراطيس
من فضه واقلام من ذهب لا يكتبون شيا الا الصلاه علي وعلى اهل بيتي والسبب في
الامر بهذه الصلوات ان روح الانسان لضعفه لا تستعد لقبول الانوار
الالهيه فاذا استحكمت العلاقه بين روحه وروح الانبيا عليهم السلام فالانوار

الفايضه من عالم الغيب على ارواح الانبيا عليهم السلام تنعكس الى ارواح هاولاى المصلين بسبب الانعكاس ومثال الشمس والطست المملو من الما والسقف معلوم الرابعه جعل الله اهل بيته مساويا له في خمسه اشيا في المحبه قال تعالى فاتبعوني يحببكم الله وقال لاهل بيته قل لا اسلكم عليه اجرا الا الموده في القربى والثاني في تحريم الصدقه قال عليه السلام حرمت الصدقات علي وعلى اهل بيتي والثالث في الطهاره قال تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى وقال لاهل بيته ويطهركم تطهيرا والرابع في السلام قال السلام عليك ايها النبي ورحمه الله وبركاته وقال في اهل بيته سلام على آل يس والخامس في الصلوات على الرسول وعلى الال كما في اخر التشهد المقام الخامس العزه قال تعالى ولله العزه ولرسوله وللمومنين فعزه الله عزه الربوبيه وعزه الرسول عزه النبوه وعزه المومن عزه التلفظ بكلمه لا اله الا الله ثم ان كما عزه الله وعز رسوله لا تقبلان الذل فكذا عز المومن لا يقبل الذل بلغ

الثانية ع

لله عز لانشا والتكوين قال تعالى كن فيكون وعز الرسول الدعا حين اشار الى القمر فانشق ببركه دعايه وللمومن عزه الايمان والشهاده ثم ان الاشيا تكونت عند قوله كن فيكون والقمر انشق عند دعا الرسول فنرجوا ان تحصل الغفران والرحمه للمومنين عند كلمه الشهاده الثالثه عز المومنين في ان محل المعرفه وقلبه للجنه ومحل الرويه عزه في ان لم يرها كافيا وكا بالسا فيا ورسولا وافيا اسمه اسم الله لسانه شاهد الله ونفسه طالبه لمرضاة الله وقلبه محل نظر الله وسراجه معرفه الله وشهادته محبه الله وروحه نور الله وبصيرته مشتاقه الى رويه الله فحقيق به ان يكون عزه متصلا بعزه الله الرابعه لله العزه سوا وجد او عدم وللرسول العزه بالولايه سوا بلغ او سكت فكذلك المومن له العزه سوا اطاع او عصى الخامسه لله العزه بالولايه بقوله ان وليي الله الذي نزل الكتاب وللرسول العزه ايضا بالولايه لقوله النبي اولى بالمومنين من انفسهم وللمومنين ايضا العزه بالولايه لقوله تعالى والمومنون

والمومنات بعضهم اوليا بعض السادسه لله العزه بالعلو والعظمه لقوله وهو العلي العظيم وللرسول بالرفعه ورفعنا لك ذكرك وللمومنين بالقبول والرحمه ان الله يغفر الذنوب جميعا السابعه لله عز العبوديه لقوله اياي فاعبدون وللرسول عز المتبوعيه لقوله فاتبعوني لعلكم تهتدون وللمومن عز العبوديه لقوله يا عبادي الذين اسرفوا الثامنه لله عز الاستغنا والله الغني وانتم الفقرا وللرسول عز الاستغنا ووجدك عايلا فاغنى وللمومن عز الاستغنا وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته التاسعه قال علي رضي الله عنه من اراد عزا بغير عشيره وهيبه بغير سلطان وغنى بلا مال وحسبا بلا نسب فليخرج نفسه من ذل معصيه الله الى عز طاعته العاشره قال هرون الرشيد لمنصور بن عمار من اعقل الناس واجهلهم واغناهم واعزهم فقال اعقلهم محسن خايف واجهلهم مسي امن واغناهم القانع واعزهم الا تقيا المقام السادس الطاعه قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فيه نكت الاولى اني ملك لا ازول فاطعني حتى اجعلك ملكا لا تزول واني حي لا اموت فاطعني حتى اجعلك حيا لا تموت واني اذا اردت شيا اقول له كن فيكون فاطعني حتى انزلك دارا اذا قلت لشي كن فانه يكون الثانيه في الخبر ما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما راه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح وقال لا تجتمع امتي على الضلاله وقال عليكم بسنتي وسنه الخلفا الراشدين عضوا عليها بالنواجد وقال اقتدوا باللذين من بعدي ابو بكر وعمر وكل ذلك يدل على انه كما يجب طاعه الله وطاعه رسوله فكذلك تجب طاعه اولي الامر من المومنين الثالثه قيل بقا الدنيا بسيوف الامرا ولسان العلما فعليك بطاعتهما الا في معصيه الله المقام السابع المشاقه قال الله تعالى ومن يشاقق الرسول فان الله سريع العقاب وقال في المومن ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين فيه نكت النكته الاولى لله تعالى ثلثه نحو عظمه

في الخبر يقول الله تعالى يا عبدي فاطعني حتى اجعلك مثلي

يهلك العبيد فيها ان لم يكن لهم معتصم يتمسك به فجعل حسن التوحيد سببًا
للنجاة من الكفر قال تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وجعل
القران سببا للنجاة من البدعة لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا وجعل
الاجماع سببا للنجاة عن الفسق لقوله تعالى ويتبع غير سبيل المومنين ثم قال
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الاية قال عليه السلام سبع من الهدى وفيهن الجماعه
من خرج منهن فقد خرج من الجماعة لا تشهدوا على اهل قبلتكم بكفر ولا بشرك
واتركوا سرايرهم الى الله وصلوا على من مات من اهل القبلة وصلوا الصلوات الخمس
في الجماعة خلف كل بر وفاجر وجاهدوا مع كل خليفة ولا تخرجوا على ايمتكم بالسيف
وادعوا لهم بالصلاح ولا تدعوا عليهم وجانبوا الاهوا كلها فان اولها واخرها
باطل الثالثة سيل واحد عن القلب السليم فقال هو الذي دينه بلا شك ومذهبه
بلا هوا وعمله بلا ريا وبدنه بلا خصم المقام الثامن في الاذى يدل
عليه قوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله الى قوله والذين يوذون المومنين والمومنات
اعلم انه تعالى نهى عن ايذا المومنين كما نهى عن ايذا نفسه وايذا رسوله ثم اكد ذلك
بقوله وقولوا للناس حسنا وقال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال
عليه السلام المومنون قوم بررة وهم المتحابون المتباذلون والمنافقون قوم فجرة
المتقاطعون المتدابرون وقال عليه السلام لعايشة رضي الله عنها ان الله يبغض
الفاحش والمتفحش وفيه نكتة الاولى قال تعالى في الملايكة ويستغفرون للذين
امنوا ولم يقل يلعنونهم ويوذونهم الثانية قال عليه السلام ان الله رفيق
يحب الرفق الثالثة عاتب الله نوحا عليه السلام حين دعا على قومه بالهلاك
قال والمومنون والمومنات بعضهم اوليا بعض ولم يقل بعضهم اعدا بعض وقال
عليه السلام من اذى مومنا بغير حق فقد هدم مكة والبيت المعمور عشر مرات
وكانما قتل الف ملك من المقربين وقال ابن عمر اذا لعن العبد دابة تقول الدابة
لعن الله اعصانا لربه الرابعة قال تعالى لرسوله فبما رحمة من الله لنت لهم الى قوله

فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر وقال تعالى خذ العفو وامر بالعرف
ونهى عن الهمز واللمز فقال ويل لكل همزة لمزة وقال ولا تطع كل حلاف مهين هماز
مشاء بنميم وقال لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وقال تعالى فقل هل لك
الى ان تزكى المقام التاسع في الالتجا قال تعالى ولم يتخذوا من دون الله
ولا رسوله ولا المومنين وليجة مدح المومنين على الجهاد وعلى التولي في ذلك
بالمومنين لان المنافقين كانوا يتولون اليهود واتخذوهم وليجة وبطانة فعليك ان
تتولى الله والمومنين وليجة وبطانة النكتة الاولى انه تعالى مدح ابرهيم حيث تبرا
ابيه وشكا عن خاطب الى بلغه حيث كان الكفار وقال لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اوليا وقال تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون من
حاد الله ورسوله وقال ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون
فسمى من تولى الله ورسوله حزب الله ثم قال الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
النكتة الثانية قال الواسطي علامة الولي اربعة لا يشكو من المصايب ولا يتخذ
عمله ريا ويحتمل اذى خلقه ولا يكافيهم ويداري عباده على تفاوت اخلاقهم
وقال الشبلي رحمه الله عليه احوال الاوليا بالله ترك الاختيار وترك الشكوى
عند الاضطرار والافتقار الى الملك الجبار المقام العاشر في الشهادة
على التوحيد قال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم
وفي الاية سوالات السوال الاول هو ان الله تعالى شهد لنفسه في الشهادة
فان تلك الشهادة لا تقبل الجواب من وجوه الاول ان هنا في الظاهر شهادة
وفي المعنى اقرار واقرار المقر على نفسه مقبول وانما قلنا ان هذا اقرار وذلك انه
لما ادعى الوحدانية في الالهية فقد اقر بان الخلق كلهم عبيده ورزق العبيد على المولى
لازم فكانه تعالى اقر على نفسه للخلق كلهم بالرزق والتربية والحفظ والنصرة
الا ترى انه قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الثاني ان الشهادة
عبارة عن قول يدل على شي دلالة ظاهرة ثم ان ذلك القول لا يراد لكونه قولا

بل لكونه دالا على ذلك المطلوب فلا جرم كل فعل قام مقام القول في ذلك
التعريف كان شهادة ثم ان القول الذي لو كانت دلالته قطعية غير محتملة
كان اولى بان يكون شهادة واذا ثبت ذلك فجميع مخلوقات الله تعالى دالة على
وحدانيته والهيته دلالة يقينية قطعية فكان اولى بان يكون شهادة فاذن
شهادة الله على التوحيد يحتمل انه خلق الدلائل الدالة على الوحدانية قطعا
واما شهادة الملائكة واولوا العلم فمعناها شهادة الاقرار والاعتراف
فكانت شهادة الله على ذلك اقوى واتم الثالث ان كل مسئلة لا يتوقف العلم
بصدق الرسول على العلم بصحتها فانه يمكن اثباتها بالدلائل السمعية ومسئلة
الوحدانية كذلك فلا جرم ذكر العلما انه يمكن اثبات الاله واحد بالدلائل السمعية انّ ح
واذا كان الامر كذلك كان المقصود من هذه الشهادة ان يستدل بها على
وحدانية الله تعالى السوال الثاني نهى العباد ان يمدحوا انفسهم بقوله تعالى عن ح
ولا تزكوا انفسكم ثم انه مدح نفسه واثنى على نفسه فما السبب فيه الجواب
من وجوه اولها انه اذا حصل للواحد منا نوع فضيلة فذلك من فضل الله
وكرمه فالمستحق للثنا هو الله تعالى حيث اعطى تلك الفضيلة فلا جرم يقبح
من الواحد منا ان يثني على نفسه اما الحق سبحانه فانه قد حصلت له صفات
الكمال ونعوت الجلال على وجه يمتنع زواله وتغيره فظهر الفرق الوجه الثاني
في الفرق ان ما فينا من الخصال الممدوحة لا ينفك عن اضدادها فان علمنا
مشوب بالجهل وقدرتنا مشوبة بالضعف وملكنا بعرض الهلاك وبقانا
بعرض الفنا وحيوتنا بعرض الموت واما صفات الله تعالى فانها خالية عن
اضدادها فانه عالم بلا جهل قوي بلا عجز ملكه بلا زوال وبقاه بلا فنا
وحيوته بلا موت وعزه بلا ذل فظهر الفرق الوجه الثالث ان الله تعالى
انما نهى عبده عن تزكية نفسه لان العبد يقدم الدعوى على اظهار المعنى اما الحق
سبحانه فانه كان قد اظهر المعنى قبل الدعوى لانه خلقك واعطاك الحيوة والعقل

وانواع المنافع واظهار الدعوى بعد اقامة البرهان على المعنى يكون مستحسنا
بخلاف حال العبد فان اكثر احواله يكون اظهار الدعوى مقدما على اظهار
المعنى الرابع ان من اوله نطفة قذرة واخره جيفة مذرة وفيما بين ذلك حمال الوجه
عذرة لا يليق ان يمدح نفسه انما يحسن مدح النفس لمن هو الاول والاخر والظاهر
والباطن الوجه الخامس ان حب الانسان لنفسه غالب فاذا شرع في مدح
النفس استولى حب ذلك عليه ثم ان ذلك يعميه ويصمه عن التنبه لما فيه من المعايب
فيكون ذلك سببا لبقائه في ظلمات الحماقات والجهالات بخلاف الحق سبحانه
فانه منزه عن النقائص والافات فلا يصير مدحه لنفسه سببا لشي من المعايب
والنقصانات السوال الثالث لما شهد لنفسه بالوحدانية فاي حاجة
مع حصول شهادة الملائكة واولي العلم فما الحكمة في انه تعالى ذكر بعد شهادة
نفسه شهادة الملائكة والمومنين الجواب من وجوه الاول روي انه عليه السلام
كان يمشي خلف جنازة فقال واحد هذا الميت كان رجلا صالحا فقال عليه السلام
واحد وقال الثاني والثالث كذلك فقال اثنان ثلاثة فلما قال الرابع مثل ذلك
فقال عليه السلام وجبت فقيل له يا رسول الله وما الذي وجبت قال وجبت
مغفرته في كرم الله وذلك لان المومنين شهود الله على وحدانيته فلو لم تقبل شهادتهم
ها هنا لصارت شهادتهم في الوحدانية غير مقبولة وهو حكيم لا يفعل ذلك
اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى لما جعل المومنين شهود الوحدانية فلو اظهر
ذنبهم ومعصيتهم يوم القيامة لصارت شهادتهم مردودة وذلك لا يليق
بالحكمة فلما جعلهم في هذه الغاية شهودا على الوحدانية دل ذلك على انه تعالى
لا يظهر ذنبهم وقبيح فعلهم يوم القيامة اللهم حقق رجانا بكرمك وفضلك
الثاني انه ليس المقصود من ذكر شهادة الملائكة والمومنين توقف هذا المطلوب
على شهادتهم بل المقصود منه شهادة الله لهم بانهم يوافقون الله في كل ما وصل
اليهم من امره ونهيه وخبره فالمقصود اظهار شرفهم في كونهم موافقين لله

في هذه الشهادة لا توقف المطلوب على شهادتهم السؤال الرابع ما الحكمة
في تكرير كلمة لا اله الا الله في قوله شهد الله الجواب من وجوه احدها ان التكرار
ينبه على ان الانسان يجب ان يكون مواظبا على ذكر هذه الكلمة في اكثر
اوقات عمره وثانيها انه لما جعل هذه الكلمة اول هذه الاية واخرها صار
ذلك تنبيها على انه يجب على العاقل ان يجعل هذه الكلمة مذكورًا في اول عمره
وفي اخر عمره حتى يكون في الدنيا سعيدا وفي الاخرة حميدا الثالث ان
احدى الشهادتين كانت قبل خلق الخلائق والثانية بعد خلقهم والرابع انه
تعالى ذكر احد الشهادتين عن نفسه والاخرى عن خلقه وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه

الفصل السابع في اقامة الدليل على ان الله تعالى واحد لا شريك له

قد بينا ان هذا المطلوب يمكن اثباته بالدلائل العقلية وبالدلائل النقلية
فلنذكر الكل اما الدلائل العقلية فمن وجوه الحجة الاولى القول بوجود الالهين
يفضي الى المحال فيكون القول به محالا انما قلنا انه يفضي الى المحال لانا
لو فرضنا وجود الالهين فلا بد وان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات
ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه فاذا فرضنا
ان احدهما حاول تحريكه والاخر تسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال
لاستحالة الجمع بين الضدين او لا يقع واحد منهما وهو ايضا محال لان المانع من
وجود مراد كل واحد منهما حصول مراد الاخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند
وجود مراد ذاك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال اما ان يقع
مراد احدهما دون الثاني وهو ايضا محال لوجهين احدهما انه لما كان كل
واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما ~~انه لما ذكر~~ اقدر من
الاخر بل لا بد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة استحال ان يصير
مراد احدهما اولى بالوقوع والا لزم ترجيح احد المتساويين على الاخر من غير
مرجح وهو محال والثاني انه اذا وقع مراد احدهما دون الاخر فالذي

حصل مراده يكون الها قادرا والذي لا يقع مراده يكون عاجزا والعاجز
لا يكون الها للخلق فان قيل لا نسلم صحة اختلافهما في الارادة بل علمه وحكمهما
لانا نقول انه لا بد وان يكون كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات واذا كان
كذلك كان كل واحد منهما عالما بان اي الضدين يقع وايهما لا يقع وما علم الله
انه لا يقع كان ممتنع الوقوع وما كان ممتنع الوقوع كان العالم بامتناعه
لا يريده واذا كان كذلك كان كل واحد منهما لا يريد الا ايقاع شيء واحد والثاني
ان كل واحد منهما لا بد وان يكون حكيما فيكون كل واحد منهما عالما بان ايهما
اصلح وبهذا الطريق يمتنع وقوع المخالفة بينهما سلمنا انه يصح المخالفة
لكن المحال انما لزم من وقوع المخالفة لا من جواز المخالفة فلا جرم نقول المخالفة
لا تقع وان كان ممكنة الوقوع والجواب انه لو كان العلم بان ايهما
يقع وايهما لا يقع يوجب ارادة ما علم وقوعه ويمنع من ارادة ما علم
عدم وقوعه لزم ان يكون الله موجبا لا فعاله لا موجدا لها على سبيل
الاختيار والكلام في الوحدانية فرع على الكلام في اثبات القادر المختار
الحجة الثانية لو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات
وذلك يفضي الى وقوع مقدور واحد بين قادرين مستقلين وذلك محال فالقول
بوجود الالهين محال بيان الملازمة انه لو كان كل واحد منهما قادرا على جميع
المقدورات كان مقدور كل واحد منهما مقدور الاخر ثم اذا اتفقا على انه
لا بد من دخول احد تلك المقدورات في الوجود فحينئذ لا يكون وقوع ذلك المقدور
باحدهما اولى من وقوعه بالثاني لان كل واحد منهما مستقل بايجاده وكل
واحد منهما مريد وجوده ولا رجحان لاحدهما في ذلك على الاخر فلزم وقوع
المقدور الواحد بالقادرين مستقلين وانما قلنا ان ذلك محال لان ذلك الفعل
يستغني بكل واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما معا وذلك جمع
بين الضدين وهو محال الحجة الثالثة اذا قدرنا الهين فاما ان يصح

كانه ع

لعله مستغن عنهما

عليهما ان يختلفا او لا يصح فان صح الاختلاف افضى ذلك الى عجز احدهما
على ما بيناه في الحجة الاولى وان لم يصح عليهما الاختلاف كان كل واحد منهما
عاجزا عن اظهار مخالفة صاحبه فيعود الالزام الى كون كل واحد منهما عاجزا والعاجز
لا يكون الها واعلم انك متى وقفت على تقرير هذه الوجوه الثلاثة عرفت ان جميع
ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله
لانه لو اراد ان يكون احدهما صيفا والاخر ان يكون شتا وصحيحا ومريضا وسعيدا
ونحسا وحينئذ يعود التقسيم المذكور **الحجة الرابعة** لو فرضنا
موجودين واجبي الوجود لذاتيهما فلا بد ان يكون كل واحد منهما مشاركا للاخر
في الوجوب الذاتي ومباينا له في تعيينه وما به المشاركة غير ما به المباينة فكل
واحد منهما مركب من الوجوب الذي به يشارك الاخر ومن الشي الذي به يباين
الاخر وكل مركب محتاج الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فكل
مركب فهو محتاج الى غيره وكل ما كان محتاجا الى غيره فهو ممكن لذاته
فلو وجد شيان كل واحد منهما واجب الوجود لذاته وذلك محال فالقول
بان واجب الوجود اكثر من واحد محال **الحجة الخامسة** لو فرضنا
موجودين كل واحد منهما واجب الوجود لذاته فلا بد وان يتميز كل واحد منهما
عن الاخر بامر ما والا لم يحصل التعدد ثم نقول ما به الممايزة اما ان يكون
صفة كمال او لا يكون فان كان صفة كمال فالخالي عنها يكون خاليا عن
صفة الكمال والخالي عن صفة الكمال ناقص والناقص لا يكون الها وان لم تكن
صفة كمال فالموصوف به ناقص والناقص لا يكون الها **الحجة السادسة**
ان يقال ما به امتاز احدهما عن الاخر اما ان يكون معتبرا في تحقق الالهية
واما ان لا يكون معتبرا فان كان معتبرا فيه كان الخالي عنه لا يكون الها
وان لم يكن معتبرا في الالهية لم يكن الاتصاف به واجبا فيفتقر الى المخصص
فالموصوف به مفتقر ومحتاج فلا يكون الها **الحجة السابعة**

بلغ

للخامس ٤٠

لو فرضنا الهين لكان لا بد وان يكون كل واحد بحيث يمكن العلم بتميز بينهما
لكن الامتياز في عقولنا لا يحصل الا بالتباين في المكان او في الزمان او في
الوجوب والامكان وكل ذلك على الله تعالى محال فيمتنع حصول الامتياز
الحجة الثامنة احد الالهين اما ان يكون كافيا في تدبير العالم
وخلقه او لا يكون كافيا فان كان كافيا كان الثاني ضايعا غير محتاج اليه
وذلك نقص والناقص لا يكون الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص والناقص لا يكون الها (يكن صح)
الحجة التاسعة العقل يقتضي احتياج الفعل الى الفاعل والفاعل
الواحد كافي وما ورا الواحد فليس عدد اولى من عدد فيفضي ذلك الى وجود
اعداد لا نهاية لها وذلك محال فالقول بوجود الالهة محال **الحجة
العاشرة** احد الالهين اما ان يقدر على ان يخص نفسه بدليل يدل عليه
على التعيين او لا يقدر والاول محال لان دليل اثبات الصانع ليس الا حدوث
المحدثات وامكانها وليس في الحدوث والامكان ما يدل على تعيين احدهما
والثاني ايضا باطل لانه يفضي الى كون كل واحد منهما عاجزا عن تعريف نفسه
على التعيين والعاجز لا يكون الها **الحجة الحادية عشر** احد
الالهين اما ان يقدر على ان يستر شيئا من افعاله عن الاخر او لا يقدر فان قدر
لزم كون المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا
الحجة الثانية عشر لو قدرنا الهين لكان مجموع قدرتيهما اقوى من قدرة
كل واحد منهما والاول من العدم متناهي فقدرة كل واحد منهما متناهية فكل
واحد منهما عاجز **الحجة الثالثة عشر** العدد ناقص لاحتياجه
الى الواحد وايضا الواحد الذي يوجد من جنسه ونوعه غيره ناقص ايضا لان
مجموع العدد ازيد منه والناقص لا يكون الها **الحجة الرابعة عشر**
لو فرضنا معدوما ممكن الوجود ثم قدرنا الالهين فان لم يقدر واحد منهما
على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان قدر احدهما

دون الآخر فهذا الآخر لا يكون الهًا وان قدرا جميعًا فاما ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الآخر فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على ايجاده بالاستقلال فاذا اوجده احدهما فاما ان يبقى الثاني قادرا عليه وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول قد ازال قدرة الثاني وعجزه فيكون مقهورًا تحت تصرفه فلا يكون الهًا فان قيل فالواحد اذا اوجد مقدوره بنفسه فقد زالت قدرته فيلزمكم ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا الواحد اذا اوجد مقدوره بنفسه فقد نفذت قدرته الثابتة بسبب قدرة الاول فيكون ذلك عجزا

الحجة الخامسة عشر انا نعين جسمًا ونقول هل يقدر كل واحد منهما على خلق الحركة فيه بدلا من السكون وبالعكس او لا يقدر فان لم يقدر كان عاجزا وان قدر فلنسوق الدلالة المتقدمة الى ان نقول اذا خلق احدهما فيه حركة امتنع على الثاني خلق السكون فالاول ازال قدرة الثاني وجعله عاجزا فلا يكون الها

الحجة السادسة عشر انا لو قدرنا الهين لكان كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات فكان علم كل واحد منهما متعلقا بعين معلوم الآخر فوجب تماثل علميهما والذات القابلة لاحد المثلين قابلة للمثل الآخر فاختصاص هذه الذات بهذا العلم مع جواز اتصافها بذلك العلم الثاني بدلا عن هذا العلم يكون امرا جايزا فلا بد من مخصص يخصص كل واحد منهما بعلمه وقدرته فيكون كل واحد منهما عبدا ناقصًا مفتقرا الى الاله الآخر وانه محال

الحجة السابعة عشر ان الشركة في الملك عيب في الشاهد والفردانية والتوحد بالملك والاستقلال به صفة كمال وترى الملوك يكرهون الشركة في الملك الحقير المختصر اشد الكراهية وترى انه كلما كانت المملكة اعظم كانت النفرة عن الشركة اشد فما ظنك بملك الله وملكوته فاذا اراد احدهما استخلاص الملك لنفسه فان قدر عليه كان المغلوب فقيرا عاجزا فلا يكون الها وان لم يقدر عليه كان في اشد الغم

والحسرة فلا يكون الهًا

الحجة الثامنة عشر انا لو قدرنا الهين لكان اما ان يحتاج كل واحد منهما الى الآخر او يستغني كل واحد منهما عن الآخر او يحتاج احدهما الى الآخر ويستغني الآخر عن الاول فان كان الاول كان كل واحد منهما محتاجا وكل محتاج ناقص والناقص لا يكون الهًا وان كان الثاني كان كل واحد منهما مستغنى عنه والمستغنى عنه ناقص الا ترى ان البلد اذا كان لهم رييس والناس يصلحون مصالح البلد من غير رجوع منهم اليه ومن غير التفات منهم اليه عد ذلك الرييس في غاية الذلة والمهانة فالاله هو الذي يستغنى به ولا يستغنى عنه وان احتاج احدهما الى الآخر من غير عكس كان المحتاج ناقصا والغني هو الاله واعلم ان هذه الوجوه بعضها قطعية وبعضها اقناعية اما الدلايل السمعية

فالحجة الاولى قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو وقال تعالى قل هو الله احد وقال ولا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد

الحجة الثانية قوله تعالى هو الاول والآخر فالاول هو الفرد السابق ولذلك لو قال اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى اولا عبدين لم يحنث لان الاول يجب ان يكون فردا وهذا ليس بفرد ثم لو اشترى بعد ذلك واحدا لم يحنث ايضا لان الاول يجب ان يكون سابقا وهذا ليس بسابق فثبت ان الاول هو الفرد السابق فلما وصف الله نفسه بكونه اولا لزم ان يكون فردا سابقا وذلك يقتضي ان لا يكون له شريك

الحجة الثالثة قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فالنص يقتضي ان لا يعلم احد سواه ذلك ولو كان له شريك لكان عالما بالغيب وهو على خلاف هذا النص

الحجة الرابعة ان الله تعالى صرح بكلمة لا اله الا الله في سبعة وثلثين موضعا من كتابه وكل ذلك يدل على المقصود

الحجة الخامسة قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه حكم بان كل ما سواه فهو هالك وكل ما جاز عليه العدم بعد وجوده لا يكون قديما لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه

وما لا يكون قديما لا يكون الها **البحث السادس** قوله تعالى وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فلو كان له شريك قادر على النفع والضر
وذلك خلاف قوله تعالى فلا كاشف له الا هو **البحث السابع**
انه تعالى استدل في كتابه على صحة التوحيد في ثلاثة مواضع احدها قوله تعالى
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والثاني قوله تعالى ولعلا بعضهم على بعض
والثالث قوله اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا واعلم انه تعالى لما ذكر قوله
لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قال بعده فسبحان الله رب العرش عما يصفون
وفيه لطايف اولها انه تعالى لما اقام الدلالة القاطعة على صحة التوحيد قال
بعده فسبحان الله رب العرش عما يصفون وذلك ينبه على ان الاشتغال بالتسبيح
انما ينفع بعد اقامة الدلالة على كونه تعالى منزها وثانيها انه تعالى قادر على
النفع والضر قال فسبحان الله رب العرش عما يصفون ولم يقل فسبحان الله عما يصفون
والسبب فيه ان هذه المناظرة انما وقعت مع عبادة الاصنام لان الدليل
الذي ذكره الله تعالى هو قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا يفيد الرد على
كل من اثبت لله شريكا ثم انه تعالى بعد ذكر هذا الدليل العام نبه على نكتة خاصة
لعبدة الاصنام وهو انه كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجماد الذي لا يحس
ولا يعقل شريكا في الالهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين
اما قوله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فاعلم ان تعلق هذه الاية عما قبلها
ان عمدة من اثبت لله شريكا ليس الا طلب اللمية في افعال الله تعالى وذلك لان
الثنوية والمجوس وهم الذين اثبتوا لله شريكا عولوا في تقرير مذهبهم على نكتة
واحدة وهي انا نرى في العالم خيرا وشرا ولذة والما وصحة وسقما وحياة وموتا
وغنى وفقرا وقد ثبت في العقول ان فاعل الخير خير وفاعل الشر شرير ويستحيل
ان يكون الفاعل الواحد خيرا وشريرا معا فلا بد من فاعلين ليكون احدهما فاعلا
للخير والاخر للشر ويرجع حاصل هذه الشبهة الى ان الفاعل الحكيم لا يجوز ان يخص الهة

بعض عبيده بالفقر ولاالم فرجع حاصل الكلام الى طلب اللمية في افعال الله تعالى
والجواب الاصل لهذه الشبهة ان افعال الله تعالى لا تعلل وله ان يفعل كما يشا
فلما كان مدار المتمسكين لشريك الله على طلب اللمية في افعال الله لا جرم انه سبحانه
بعد ذكر الدليل الدال على التوحيد ذكر ما هو النكتة الاصلية في الجواب عن شبهة
القايلين بالشريك لان الترتيب الحسن في المناظرة ان يقع الابتدا بذكر الدليل المثبت
للمطلوب ثم يذكر بعده ما هو الجواب المعتمد عن شبهة الخصم فان قال قايل
فما الدلالة العقلية على انه تعالى لا يسأل عما يفعل وانه لا يجوز تعليل افعاله
واحكامه برعاية المصالح قلنا اما اصحابنا اهل السنة فانهم قد استدلوا عليه من
وجوه **البحث الاولى** انه لو كان كل شي معللا بعلة لكانت علية تلك العلة
معللة بعلة اخرى ولزم اما الدور واما التسلسل وهما محالان فلا بد في قطع
السلسلة من انتهائها الى ما يكون غنيا عن العلة واولى الاشيا بذلك ذات الله تعالى
وصفاته فكما ان ذاته منزهة عن الافتقار الى المؤثر والعلة وصفاته مبراة
عن الافتقار الى المبدع والمخصص فكذلك فاعليته وجب ان يكون مقدسة
عن الافتقار الى الموجب والمؤثر **البحث الثانية** فاعليته لو كانت معللة كانت صح
بعلة لكانت تلك العلة اما ان يكون واجبة او ممكنة فان واجبة لزم من وجوبها
وجوب كونه تعالى فاعلا وحينئذ يكون موجبا بالذات لا فاعلا بالاختيار
وان كانت ممكنة كانت تلك العلة ايضا فعلا لله تعالى فيفتقر كونه تعالى فاعلا
لها الى علة اخرى ولزم التسلسل **البحث الثالثة** علة تلك الفاعلية
لو كانت قديمة لزم كون الفاعلية قديمة فلزم كون المفعول قديما هذا خلف
وان كانت محدثة افتقرت الى علة اخرى ولزم التسلسل **البحث الرابعة**
ان من فعل فعلا لغرض فاما ان يكون قادرا على تحصيل ذلك الغرض بدون تلك
الواسطة او لا يكون فان كان الاول كان توسيط تلك الواسطة عبثا وان لم يكن
قادرا عليه كان عاجزا وذلك على الله تعالى محال بخلاف الواحد منا فان العجز علينا جايز

فلا جرم كانت افعالنا معللة بالاعراض الحجة الخامسة لو كان
فعله تعالى معللا بغرض لكان ذلك الغرض اما ان يكون عايدا الى الله تعالى او الى
العباد والاول محال لانه منزه عن النفع والضر واذا بطل هذا تعين ان الغرض
لا بد ان يكون عايدا الى العباد ولا غرض للعباد الا حصول اللذات وعدم حصول
الالام والله تعالى قادر على تحصيلها ابتدا من غير شي من الوسايط واذا كان
كذلك استحال ان يفعل شيا لاجل شي الحجة السادسة لو فعل
فعله لغرض كان وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة اليه اما ان يكون على
السويه او لا يكون فان كان على السويه استحال ان يكون غرضا وان لم يكن على
السويه لزم كونه سبحانه ناقصا لذاته مستكملا بغيره وهو محال وان قلنا
وجود ذلك الغرض وعدمه وان كان بالنسبة اليه على السويه اما بالنسبه
الى العبد فالوجود اولى من العدم فنقول تحصيل تلك الاولويه للعبد وعدم
تحصيلها له اما ان يكون بالنسبة الى الله على السويه او لا يكون على السويه وحينئذ
يعود التقسيم الاول الحجة السابعة ان الموجود اما هو سبحانه
او مملوكه ومن تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت الحجة الثامنة
ان من قال لغيره لم فعلت ذلك فهذا السوال انما يحتمل حيث يقدر السايل
على منع المسوول عنه عن فعله وذلك من العبد في حق الله تعالى محال فانه لو فعل
اي فعل شا فالعبد كيف يمنعه عن ذلك ايمنعه بان يهدده بالعقاب والايلام
وذلك محال على الله تعالى او بان يهدده باستحقاق الذم والخروج عن
الحكمة والاتصاف بالسفه على ما يقول المعتزلة وذلك ايضا محال لان استحقاقه
للمدح واتصافه بصفات الحكمة والجلال امور ذاتيه له وما بالذات لشي لذاته
يستحيل ان يتبدل لاجل تبدل الصفات العرضيه فثبت بهذه الوجوه انه لا يجوز
ان يقال لله في افعاله لم فعلت وظهر صدق قول مشايخنا رحمهم الله ان كل شي
صنعه ولا علة لصنعه واما المعتزلة فانهم سلموا ان يجوز ان يقال لله تعالى

لعله سقط
لا

لم فعلت لكنهم سووا الجواب عن شبهة الثنوية على اصل اخر وهو تعالى عالم بقبح
القبايح وعالم بكونه غنيا عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل القبيح واذا
عرفنا ذلك عرفنا اجمالا ان كل ما يفعله الله تعالى فهو حكمة وصواب
واذا كان كذلك لم يجز للعبد ان يقول لم فعلت فظهر بما ذكرنا على اختلاف
المذهبين صحة قوله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون واذا ظهر ذلك
سقطت شبهة الثنوية في اثبات الشريك وبالله التوفيق

الفصل الثامن في الاحكام الفقهية المتفرعة على قولنا
لا اله الا الله اعلم ان الايمان لا بد له من امرين احدهما وهو الاصل حصول
المعرفة في القلب واليه الاشارة بقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله والثاني الاقرار
بالتوحيد واليه الاشارة قل هو الله احد وذلك لان قوله تعالى قل امر
للمكلف بان يقول بلسانه ما يدل على التوحيد ثم تاكدت هذه الدلالة بالسنة الغرا
وهي قوله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله والسبب في
انه لا بد من هذا القول هو ان للايمان احكاما بعضها يتعلق بالباطن وبعضها
يتعلق بالظاهر فما يتعلق بالباطن فهو احكام الاخرة وذلك متفرع على العلم
الذي هو باطن عن الخلق وما يتعلق بالظاهر فهو احكام الدنيا ولا يمكن اقامتها
الا بعد معرفتنا انه مسلم ولا معرفة الا بالقول باللسان فصارت المعرفة ركنا
اصليا في حق الله تعالى والقول ركنا شرعيا في حق الخلق واليه الاشارة بقوله تعالى
ولا تنكحوا المشركات حتى يومن قال عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة
وقال الشيخ على الاتفاق من قالها مخلصا دخل الجنة في حالته قال الله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان جنة في الوقت وهي جنة المعرفة وجنة غدا وهي جنة الاخرة
اختلف المحققون فقال الاكثرون الاولى ان يكون الذكر في الابتدا قول لا اله الا الله
وفي الانتها الاقتصار على ذكر كلمة الله ومنهم من واظب في الابتدا والانتها على ذكر
لا اله الا الله وحجته هو ان عالم القلب مشحون بغير الله فلا بد من كلمة النفي لنفي الاغيار

فاذا صار خاليا عنه يوضع سرير التوحيد ويجلس عليه سلطان المعرفة واما
الذين اكتفوا في النهايات بكلمة الله فلهم فيه وجوه الوجه الاولى ان نفي العيب
عمن يستحيل عليه العيب عبث الوجه الثانية من قال لا اله الا الله فلعله حين ذكر
كلمة النفي لم يجد من المهلة ما يصل فيه الى الاثبات فحينئذ بقي في النفي غير مشتغل
الى الاثبات وفي الجحود غير منتقل الى الاقرار الوجه الثالثة ان المواظبة على هذه
الكلمة مشعرة بتعظيم الحق بنفي الاغيار لان نفي الاغيار من باب الاشتغال
بالاغيار ولا اشتغال بنفي الاغيار يرجع في التحقيق الى شغل القلب بالاغيار
وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد فمن قال لا اله الا الله فهو مشتغل بغير
الحق ومن قال الله فهو مشتغل بالحق فاين احد المقامين من الاخر الوجه الرابعة
ان نفي الشي انما يحتاج اليه عند حضور ذلك الشي بالبال وحضور شريك الله بالبال
لا يكون الا عند نقصان الحالة فاما الكاملون الذين لا يخطر ببالهم وجود الشريك
امتنع ان يكلفوا بنفي الشريك بل هو لا يخطر ببالهم ولا يحضر في خيالهم
الا ذكر الله فلا جرم يكفيهم ان يقولوا الله الوجه الخامسة قال الله تعالى
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فامر بذكر الله ومنعه عن الخوض معهم في
اباطيلهم ولعبهم والقول بالشرك من الاباطيل فيغنيه خوض في ذلك الكلام فكان
الاولى ان يقتصر على قولنا الله فهذا ما في هذا المقام وهاهنا انواع من
التفريعات احدها ان يقول الهنا ان موسى سال الحل الاشيا فقال ادني انظر اليك
وسال الاقل الاشيا فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير ونحن ايضا نسالك اجل
الاشيا وهو خيرات الاخرة واقلها وهو خيرات الدنيا فنقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة
وفي الاخرة حسنة الهنا نحكي ان رجلا باع جارية ثم ندم واستحى ان يظهر هذه
الحالة للمشتري ولساير الناس فكتب في كفه حاجته ورفع كفه الى السما ولم يقل
بلسانه شيا فراى المشتري في المنام ان فلانا من اولياي وقلبه مشتغل بهذه
الجارية فردها عليه واجرك علي فلما اصبح الرجل حمل الجارية اليه وردها عليه

فاراد البائع ان يرد الذهب فقال المشتري ان لك الثمن ضامنا هو خير منك الهنا
ان كان ذلك البائع ندم على بيع تلك الجارية فنحن ندمنا على ان بعنا الاخرة بالدنيا
وان كان ذلك البائع قد استحيا العود فنحن من كثرة ذنوبنا نستحي منك
وان كان ذلك البائع قد كتب في كفه شيا ورفعها الى السما فجميع اعضاينا
مكتوب عليه احتياجنا الى رحمتك وذلنا بين يديك الهنا لما ضمنت دين الغرما
فاقبل ديننا واسقط علينا تبعات اعمالنا وافعل بنا ما انت اهله ولا تشغله
شان عن شان الهنا روي ان علي ابن ابي طالب كان له موذن وكانت له جارية فقالت
الجارية لمولاي ان هذا الموذن يقول اني احبك فقال علي رضي الله عنه فقولي له
ايضا وانا احبك فماذا تريد فلما قالت الجارية ذلك فقال الموذن فصبر
الى ان يحكم الله بيننا فحكت ذلك لعلي ابن ابي طالب فقال لها سكت ولم ير نفسه
اهلا للطلب فنحن نسلمها اليه فدعاه وزوجها منه الهنا الموذن لما استحقر
نفسه ولم ير نفسه اهلا للطلب اكرمه علي رضي الله عنه بها فانت العلي الاعلى
وانت اكرم الاكرمين وارحم الراحمين ونحن لا نرى انفسنا اهلا لطلب رحمتك واثار
جودك فلا تحرمنا من الحاح الملحين وصلى الله على سيدنا محمد واله اجمعين
الهنا روي ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يخافت في صلوته بالليل ولا يرفع
صوته بالقراءة وكان عمر يجهر بها فسال الرسول صلى الله عليه وسلم ابا بكر عن فعله
فقال من اناجيه يسمع كلامي وسال عمر فقال اوقظ النايم الوسنان واطرد
الشيطان وارضي الرحمن فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر حتى يرفع صوته قليلا
وامر عمر حتى يخفضه قليلا الهنا الانسان فينا كالرسول والقلب كابي بكر
واللسان يظهر الذكر مثل عمر والايمان يامر القلب بالزيادة في الذكر ويامر اللسان
باخفا الذكر فوفقنا لما تحب وترضى بفضلك يا اكرم الاكرمين

فصل ومن العارفين من اختار السكوت عن الكل في النهاية قال
عليه السلام من عرف الله كل لسانه وروي ان الجنيد كان في الكلام فرغ الشبلي

فقال الجنيد الغيبة حرام ومعناه انك ان كنت غايبا فذكر الغايب غيبة وان كنت
حاضرا فذكر الاسم في الحضرة سوء ادب وتمام التحقيق في هذا المقام سياتي

فصل روى الامام محمد علي الحكيم الترمذي رحمه الله عن معاذ بن
جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس تموت تشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله رجع ذلك الى قلب موقن الا غفر الله له قال الشيخ جملة شهادة شهد بها
عند الموت وقد ماتت منه الشهوات وكانت نفسه المتمردة من هول الموت
وذهب حرصه والقى نفسه بين يدي قدرة رب العالمين فاستوى منه الظاهر
والباطن والقى الله مخلصا تلك الشهادة فغفر الله له بتلك الشهادة الصادقة التي
وافق ظاهرها باطنها واما الذي يقولها ايام الصحة فقوله مع التخليط لانه
يشهد بهذه الشهادة وقلبه مشحون بالشهوات ونفسه اشره بطره فلا يستوجب
بذلك القول المغفرة فهذا هو التفاوت بين ذكر الشهادة حال الصحة وذكرها
في اخر زمان الحياة وتمام القول فيه ان الانسان الذي يكون قلبه مفتونا
بالدنيا ماسورا في الشهوات سكران عن الاخرة حيران عن الله لم يحصل فيه
اليقين البتة لان قلبه مملو بالميل الى غير الله ولا يحصل فيه الميل الى الله اما
اذا حصل في القلب اليقين بالله كان الامر بخلاف ذلك وذلك لان اليقين
سمي يقينا لاستقراره في القلب وهو النور يقال يقن الما في الحفرة اذا استقر
فاذا استقر النور دام واذا دام صارت النفس ذات بصيرة فاطمان القلب
بجلال الله ثم انقطع عن غير الله فوقف هناك عاجزا فاستغاث بالله صارخا
مضطرا فاجابه الحق فانه يجيب دعوة المضطرين فقذف ذلك النور المتلالي
في القلب فقلع به ظلمات الاشتغال بغير الله فيصير امير الملكوت مشاهدا له
وهو قول حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال كاني انظر الى عرش ربي
بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد نور الله الايمان في قلبه وقد جا
في الاخبار ان ادريس عليه السلام وموسى عليه السلام ومحمدا صلوات الله عليه كل واحد

منهم في زمانه كان مواظبا على هذا الدعا وهو يا نور كل شي وهداه انت
الذي فلق الظلمات نوره ومما يحقق ما قلناه قوله عليه السلام من قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شي قدير
مخلصا بها روحه مصدقا بها قلبه ولسانه فتقت له السموات فتقا حتى
ينظر الرب الى قايلها من اهل الدنيا وعن زيد بن ارقم قال عليه السلام من قال
لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن
المحارم وقال عليه السلام اخلص يكفك القليل وعن زيد بن ارقم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عهد الي ان لا ياتيني احد من امتي بلا اله الا الله
لا يخلط بها شيا الا وجبت له الجنة قالوا يا رسول الله وما الذي يخلط بها قال
حرصا على الدنيا وجمعا لها ومنعا لها يقول قول الانبيا ويعمل عمل الجبابرة
فالحاصل انه لا بد من اليقين عند التكلم بهذه الكلمة حتى يكون نافعا ولا يحصل
اليقين بها ان لم يمت الشهوات ولا يحصل موت الشهوات الا باحد الطريقين
احدهما ان يروض نفسه حتى يموت شهواته حال حياته والثاني انسان ماتت
شهواته عند وفاته وعظم رجاه وخوفه عن ربه وانقطع نظره عن غير الله بالكلية
اضطرارا فاذا نطق بهذه الكلمة في تلك الحالة استوجب المغفرة فلهذا
السبب استحب السلف ان يلقنوا المحتضر هذه الكلمة وقال عليه السلام لقنوها
موتاكم فان الانسان عند القرب من الموت فنيت شهواته فحصل له نور اليقين
فصارت هذه الكلمة مقبولة منه واما الاول وهو الذي يروض نفسه فقد
فتح له ابواب في الغيب فركبته اهوال سلطان الجلال فنطق بها عن القلب الصافي
فهو بالمغفرة اولى واقمن وعن عبد الله بن جعفر عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لقنوها موتاكم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب
العرش العظيم الحمد لله رب العالمين قالوا يا رسول الله كيف هي للحي قال هي اجود
واجود وكان اهل السنة يسمون هذه الكلمات كلمات الفرج ويتكلمون بها في

النوايب والشدايد فتحيهم الفرج وفيه زياده كلمة لا اله الا الله العلي العظيم
لا اله الا الله العلي العليم العظيم وعن مكحول ان كلمات الفرج لا اله الا الله العلي
العظيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم المتبع صح
الحمد لله رب العالمين وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اعلمك كلمات اذا قلتها غفر لك ذنوبك وان كانت مثل عدد الذر لحططتها
لا اله الا الله العلي العظيم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم
الحمد لله رب العالمين

فصل يروى انه كان صفان متقابلان من
المسلمين والكفار كانوا من النصارى فقال الكافر لمن تعامل فقال المسلم على الواحد
وقال النصارى انا نتعامل على ثالث ثلثه فلما تقاتلا صرع المسلم الكافر وجلس
على صدره وقال نصرني الواحد وضيعك الثلثه قال جعفر محمد الصادق وعجبت
لمن منى باربع كيف يغفل عن اربع عجبت لمن اعجب بامر كيف لا يقول ما شا الله
لا قوة الا بالله والله تعالى يقول ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شا الله
لا قوة الا بالله وعجبت لمن خاف قوما كيف لا يقول حسبي الله ونعم الوكيل
والله تعالى يقول الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
لم يمسسهم سوء وعجبت لمن مكر به كيف لا يقول وافوض امري الى الله ان الله
بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقاه الله سيات ما مكروا وعجبت لمن
اصابه غم او كرب كيف لا يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين الى قوله
فنجيناه من الغم قال سفيان عيينه انه تعالى لما قال وكذلك ننجي المومنين
فقد وعد كل مومن يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ان ينجيه من
كل غم ومن المعلوم بالضروره ان الله لا يخلف الميعاد بلغ المقابله

فصل
اعلم انه تعالى ذكر كلمة لا اله الا الله في القران العظيم في سبعه وثلثين موضعا
اثنان في البقره والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ب الله لا اله الا هو

الحي القيوم واربعه في ال عمران ج الم الله لا اله الا هو الحي القيوم د هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشا لا اله الا هو العزيز الحكيم شهد الله انه لا اله الا هو
والملايكه واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم وواحد في
النسا د الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامه لا ريب فيه ومن اصدق من الله
حديثا واثنان في الانعام ح ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شي فاعبدوه
وهو على كل شي وكيل ط اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن
المشركين وواحد في الاعراف ى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون واثنان في التوبه
يا اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا
ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون سـ فان تولوا فقل حسبي الله
لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وواحد في يونس لح وجاوزنا
ببني اسرايل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال
امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرايل وانا من المسلمين وواحد في هود يد
فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون
وواحد في الرعد يه قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وواحد في
النحل يو ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون وثلثه في طه ى الله لا اله الا هو
له الاسما الحسنى يح انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاه لذكري نط
انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل شي علما واثنان في الانبيا ك
وما ارسلنا من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كا وذا النون اذ
ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت
من الظالمين وواحد في المومنين كٯ فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش
الكريم وواحد في النمل لح الله لا اله الا هو رب العرش العظيم واثنان في القصص

له وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون
له ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون
وواحد في فاطر لو يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله
يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون وواحد في الصافات لن
انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وواحد في الزمر لح يخلقكم
في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو
فانى تصرفون وثلثة في المؤمن لـ ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير لا
ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فانى تؤفكون لـ هو الحي لا اله الا هو
فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين وواحد في الدخان لح لا اله الا هو
يحيي ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين لك في سورة محمد صلى الله عليه وسلم واحد
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وفي الحشر اثنان
له هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لو
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر سبحان الله عما يشركون وفي المزمل واحد لن رب المشرق والمغرب
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا فهذا المجموع سبعة وثلثون من كلمات
لا اله الا الله وردت في القران العظيم ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من
امرنا رشدا

فصل في ان عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى

اتفق مشايخ الطريقة على هذا فقال الاستاذ ابو القاسم
القشيري في كتاب الرسالة في باب التوحيد عن يوسف بن الحسين قال سمعت
ذا النون المصري وقد سئل عن التوحيد فقال ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء
بلا مزاج وصنعه للاشيا بلا علاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه
ومهما تصور في نفسك شيء فالله بخلافه واقول لما كان كل ما تصوره النفس
فالله بخلافه لم يمكن العقل والنفس من الاشارة الى حقيقة معلومة بان

في الاشارة

٤٧

حقيقة الاله هي هذه الكلمة وقال اعرف الناس بالله اشدهم تحيرا فيه
وروي عن سهل بن عبد الله انه سئل عن ذات الله تعالى فقال ذات الله موصوفة
بالعلم غير مدركة بالاحاطة وقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه
باياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ينظر اليه المؤمن بالابصار من غير
احاطة ولا ادراك نهاية وروي عنه ايضا انه قال غاية المعرفة الدهشة والحيرة
وقال يوسف بن الحسين من وقع في بحار التوحيد لا يزداد على مر الايام الا عطشا
ووقف رجل على الحسين بن منصور فقال من الحق الذي تشيرون فقال معل
الانام ولا يعتل وقيل للشبلي اخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد
فقال من اشار اليه فهو ثنوي ومن كيفه فهو وثني ومن نطق فيه فهو غافل
ومن سكت عنه فهو جاهل ومن توهم انه واصل فليس له حاصل ومن ظن انه قريب
فهو بعيد ومن توهم انه واجد فهو فاقد وكل ما ميزتموه باوهامكم
وادركتموه بعقولكم في اتم معانيكم فهو مصروف مردود اليكم محدث
مصنوع مثلكم وقال الشبلي ايضا ما شم روائح التوحيد من تصور عنده
التوحيد قال ابن عطا العقل خلق الة للعبودية لا للاشراف على الربوبية
وقال غيره العقل يحوم حول الكون فاذا نظر الى المكون ذاب واعلم ان من
الناس من احتج في هذه المسئلة بايات منها قوله تعالى ما قدروا الله حق قدره
وقال اهل التفسير اي ما عرفوه حق معرفته من قدر الشيء اذا حزره واراد معرفة
مقداره واعلم ان هذا الاستدلال ضعيف لان هذه الاية وردت في كتاب الله
في ثلثة مواضع اولها في سورة الانعام قال الله تعالى ما قدروا الله حق قدره اذ
قالوا ما انزل الله على بشر من شيء فهؤلاء الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شيء
كانوا منكرين لكل النبوات ومن كان كذلك كان كافرا فقوله وما قدروا الله
حق قدره عايد الى هؤلاء وثانيها قال في سورة الحج يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له الى قوله وما قدروا الله حق قدره ولما كان الكلام لا ول مع عبده

لما وثان كان هذا الكلام عايداً اليهم وثالثها قوله تعالى في سورة الزمر
قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك
لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين
ثم قال بعد هذا وما قدروا الله حق قدره فيكون هذا الكلام عايداً الى الذين اشاروا
اليهم قبل هذه الكلمة بقوله افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون واذا ثبت
هذا فقوله ما قدروا الله حق قدره عايد في الاية الاولى الى من انكر نبوة كل الانبيا
وفي الاية الثانية والثالثة الى عبدة الاوثان فهذه الاية في المواضع الثلثة عايدة الى
الكفار ولا يلزم من وصف الكفار بهذا الوصف كون المومنين موصوفين بهذا
الوصف وهذا سوال حسن بل لمن يدعي كمال المعرفة ان يتمسك بهذه الاية لانه
تعالى جعل قوله وما قدروا الله حق قدره عيباً على الكفار وطعناً فيهم وجب ان
يكون حال المومن بخلاف ذلك ومما اشتهر التمسك به في هذه المسالة قوله تعالى في سورة
طه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما واحتج عنه بان قيل لم لا يجوز
ان يكون المراد من الاية انه تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما
ما بين ايديهم وما خلفهم لان الضمير الى اقرب المذكورين هو لنا ولي واعلم ان العمدة
في المسلة ان الله سبحانه غير متناهي في الذات والصفات والعقل متناهي في
الذات وفي الصفات والمتناهي لا سبيل له في ادراك غير المتناهي فهذا هو النكتة
ونحن نشرحها ليظهر قوتها فنقول العقل عاجز عن معرفة كونه تعالى قديماً ازليا
وذلك لان كل ما يستحضره العقل استحضاراً على سبيل التفصيل من مقادير
الازمنة فذاك متناهي مثلا نفرض قبل هذا الوقت الف الف سنة ونفرض بحسب
كل لحظة من هذه المدة الف الف سنة وهكذا وهكذا الى اقصى ما يقدر الوهم
والخيال على استحضاره ثم اذا تامل العقل عرف ان كل ذلك متناهي له اول
وهو تعالى انما كان قديماً ازليا لانه كان موجوداً قبل هذه المدة التي احاط
العقل والخيال فثبت ان كل مقدار يصل العقل والخيال اليه فالحق سبحانه ليس بها صح

قديماً باعتبار انه كان موجوداً في ذلك الوقت بل باعتبار انه كان موجوداً فيما
وراء ذلك الوقت فاذاً لا سبيل للعقل البتة الى معرفة القدم والازلية واذا عرفت
هذا في كونه تعالى قديماً ازليا فاعرف مثله في كونه دايماً ابدياً فاذن العقل لا سبيل
له البتة الى معرفة كونه قديماً ازلياً ولا الى معرفة كونه دايماً ابدياً على سبيل التفصيل
- فان كل ما يشير العقل اليه فازليته وابديته خارجتان عن ذلك المتصور وايضا
اذا قلنا انه موجود ليس بجوهر ولا عرض ولا حال ولا محل فهذا ليس يقتضي
معرفة ذات الحق لانا اردنا بقولنا موجود ما يناقض العدم وهو المفهوم
المناقض للعدم امر يصدق على جميع الموجودات وحقيقة الحق لا توجد في شي
سواه فالعالم بكونه موجوداً ليس عالماً بحقيقته المخصوصة واما العلم بانه ليس
بجوهر ولا عرض فهذا علم بعدم هذه الاشيا وحقيقته حقيقة ثابتة متحققة
والسلب لا يكون نفس الثبوت فيمتنع ان يكون حقيقته هي نفس انها ليست
بجوهر ولا بعرض فثبت بمجموع ما ذكرنا انه لا سبيل للعقول الى معرفة حقيقته
ومما يحقق ما ذكرناه ان العقلا اتفقوا على ان كل صفة شاهدها الحس
وادركها العقل في المكونات فلو وصف الحق بها صار جاهلا فاذاً الطريق
له الى معرفة الحق الا بنفي الكل ما عرفه ولهذا اتفقوا على ان احسن كلمة قيل
في التوحيد ما قاله علي بن ابي طالب وهو ان المعرفة ان تعرف ان كل ما تصور في وهمك
فالله بخلافه ثم قال المحققون لما كان كل ما تصور في وهمك فالله بخلافه فلو
تصور في وهمك من ذلك الخلاف شي فالله تعالى ايضاً بخلافه ثم لو تصور في هذه
المرتبة الثانية امر اخر لزمه نفيه فلم يبق للعقل في طريق معرفة الحق الا ان ينفي كل
ما وقع في خاطره ثم اذا وقع من هذا النفي شي في ذهنه اشتغل بنفيه ايضاً وهكذا
في النفي الثالث والنفي الرابع الى غير النهاية فلو بقي العبد ابد الاباد ودهر الداهرين لكان
مشغولاً بنفي شغل القلب عن هذه الواردات وازالة هذه التصورات واذا كان
الامر كذلك بقي الحق سبحانه منزهاً عن لواحق فكره واشارات عقله وعلايق ضميره

وفكره وذكره الحجة الثانية وهي ان الانسان عاجز عن معرفة نفسه فانه ان قيل
ان نفسه هو هذا الهيكل المشاهد فهو باطل لوجهين الاول ان الانسان قد
يعرف ذاته حال ما يكون غافلا عن جميع اعضائه الظاهرة والباطنة والمعلوم
مغاير لما ليس بمعلوم الثاني ان ذاته من اول عمره الى اخر عمره شيء واحد واجزاء بدنه
غير باقية والباقي مغاير لغير الباقي فثبت انه ليس عبارة عن هذا الهيكل المحسوس
ثم بعد هذا يحتمل ان يقال انه جسم في داخل هذا الهيكل اما في القلب فقط
واما في الدماغ فقط او ان يكون ساريا في كل البدن ثم ذلك الجسم اهو من
جنس الاجسام التي تولد البدن عنها او هو جسم مخالف لهذه الاجسام في الماهية
والحقيقة ويحتمل ايضا ان يقال انه ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز بل هو مدبر
لهذا البدن على ما يقوله الفلاسفة واعلم ان هذه الاحتمالات بقيت من
الزمان الاقدم الى الان ومع ما زالت الشكوك والشبهات ولا شك ان اعرف
المعارف هو الشيء المشار اليه بقولي انا فاذا كان حالي في معرفة اظهر الاشياء
كذلك فكيف يكون حالي في معرفة ابعد الاشياء مناسبة عن علائق العقول
وروابط الخيالات وتحقيق الكلام فيه ان العقل كالشمع ولا شك ان كل ما كان
اقرب الى الشمع كان ضوءه اكثر مما بعد عنه واقرب الاشياء الى الشيء نفسه
فاذا كان نور العقل في الضعف الى حيث لم يصر به ذاته مضيئا فحضرة الجلال
مع ان بعده عنه بغير نهاية كيف يصير مضيئا به ولهذا قال السنائي الشاعر بالفارسية

اى شده در شناس خود عاجز　　كى شناسى خدا را هرگز

چون تو در علم خود زبون باشى　　عارف كردگار چون باشى

واعلم انه كما وقعت الشبهات المذكورة في معرفة النفس فقد وقعت ايضا في
معرفة حقيقة الزمان وحقيقة المكان ونحن لا نعلم ان القوة الباصرة كيف
تبصر الخروج الشعاع او لحصول الشبح في العين او بحالة مغايرة لخروج
الشعاع وحصول الشبح وكذا القول في البحث عن القوة السامعة والذائقة

ونحو وايضا في البحث عن كيفية التخيلات فان هذه الصور المتخيلة ان لم يكن لها
وجود اصلا فكيف حصل فيها التمييز والتعيين وان كان لها وجود فهي قائمة
بانفسها او محلها شيء مجرد او محلها جسم والكل محال ممتنع ولما كان
معرفة الخلق بهذه الامور الظاهرة الجلية بلغت في الصعوبة الى هذا الحد
فما ظنك بمعرفتهم لمن تقدس عن مناسبات العقول والافكار وتنزه عن
مشابهات الخيالات والابصار الحجة الثالثة قد ثبت في العلوم الحقيقية
انه سبحانه هو النور المطلق وهو نور الانوار وكما ان من وضع السراج في مقابلة
قرص الشمس انطفى ولم يظهر البتة اثره فكذا اذا وقع ضوء العقل في مقابلة انوار
جلال الله فني واضمحل وتلاشى ولذلك قالوا ان العقل يدور على المكونات
فاذا وصل الى حضرة مكون الاكوان ذاب واعلم ان القطرة اذا وقعت في البحر
اضمحلت والشعلة اذا وقعت في مقابلة قرص الشمس فنيت وبطلت ونسبة
القطرة الى البحر والشعلة الى الشمس اعظم من نسبة نور العقل الى نور جلال الله تعالى
بل لا نسبة لاحد البابين الى الاخر لان القطرة متناهية والبحر متناهي
وللمتناهي الى المتناهي نسبة وكذلك الشعلة والشمس اما نور العقل فهو في غاية
القلة والقصور ونور جلال الله في غاية العظمة وعدم التناهي فلما اضمحلت
القطرة في البحر والشعلة في الشمس فكيف يعقل بقاء ضوء العقل في حضور نور
جلال الله وشروق اعلام كبريائه الحجة الرابعة ان نسبة نور العقل الى منبع
الانوار الروحانية كنسبة نور البصر الى منبع الانوار الجسمانية وكما ان
الشمس اظهر الاشياء من وجه واخفاها من وجه اخر فكذلك منبع الانوار الروحانية
بالنسبة الى عين البصيرة يكون اظهر الاشياء من وجه واخفاها من وجه اخر
الحجة الخامسة العقل اضعف من العاقل لان العقل صفة والعاقل
موصوف والصفة اضعف من الموصوف فاذا عجز العاقل عن المعرفة فلان يعجز
العقل مع غاية ضعفه كان اولى الحجة السادسة من امكنه ادراك

شي بتمامه وكماله فلم قلنا بوجه ما عليه وقدرة المحدث ممزوجة بالعجز
ومتناهيه والحق سبحانه واجب الوجود وغالب لا يغلب وقاهر لا يقهر
فالمحدث الموصوف بالقصور والتناهي كيف يمكنه معرفة القديم الذي لا نهاية له
للحجة السابعة العقل لا يتصرف الا في ما يكون في مكان او زمان لان كل
ما ادركه فانه يدركه اما في الماضي او في المستقبل او في الحال كل ذلك تحت الزمان
وكل ما يتصوره فانه انما يتصوره اما هاهنا او هناك وكل ذلك تحت المكان
واذا علمت ان الحق بخلاف هذه الاشيا جميعا وكل في هذه المعرفة ليس الا نفي ما عرفته
وتصورته فالحاصل فيه نفي غير الحق ونفي غير الحق لا يكون هو عين وجدان الحق
للحجة الثامنة اشهر في اقوال الخلق قولهم انما يعرف ذا الفضل من الناس
ذووه فما لم يكن الانسان اعلم من غيره لا يمكنه ان يعرف مقداره الا ترى ان
الناس يقولون لا نقدر على التميز بين فلان وفلان الا من كان اعلم منهما لانه
لا بد ان يعرف مقدار معلومات هذا ومعلومات ذاك ومقدار ما به
ازداد احدهما على الآخر او نقص منه وهذا لا يتيسر الا لمن كان اعلم من
كل واحد منهما فاذا كان لا يتيسر للناقص ان يحيط بمن هو اكمل منه في
العرف وفي الشاهد فكيف يتيسر للعقول الناقصة الاحاطة بجلال من
جلاله غير متناهي للحجة التاسعة العقل كالانثى والفكر كالذكر
فاذا حصل الازدواج بينهما تولدت المعرفة ولا شك ان الولد يكون على قدر
قوة الابوين والعاقل ناقص وكيف وهو عاجز عن معرفة نفسه والفكر
ناقص وكيف لا يمكنه ان يصون نفسه عن الغلط واذا كان الابوان في غاية
النقصان كيف يعقل ان يكون الولد في غاية الكمال فامتنع تولد مثل هذه
المعرفة على غاية شرفها من هذين الابوين للحجة العاشرة
اذا ادرك العقل وقف عند مدركه وانتهى اليه وكل مدرك هذا شانه فهو متناهي
والحق لا نهاية له وهذا يوجب ان ذلك المدرك ليس هو الحق بل كان غير

بلغ المقابلة

للحق للحجة الحادية عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وهذا عبارة عن كونه محدودا مقهورا مغلوبا
متناهيا وما كان كذلك امتنع ان يكون له احاطة بما لا نهاية له وفي
النكت في هذا الباب وجوه احدها اخبر عن ضعف البشر فقال تعالى وان
يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب فمن بلغ
عجزه الى حيث لا يقوى على مقاومة الذباب كيف يمكنه الوصول الى كنه
الصمدية رب الارباب الثانية قالوا الرجل اذا كان في مفازة عظيمة واشتد
الحر ولم يكن هناك ما اصلا والتهب واشتد عطشه وغلبه خوف الفقدان
فالى اي جهة نظر ظنه ما ورآه سرابا فاذا وصل اليه لم يجد عنده شيئا
كما قال تعالى حتى اذا جاه لم يجده شيا فكذا العقول البشرية والارواح
الانسانية وقعت في بيدا كبريا الله وعظمة الانوار وتعاكست الاشعة
وغلب حرارات الاشتياق الى الوصول الى حضرة الله تعالى فكل من نظر الى
جانب ظنه ما وسار الى مطلبه فالمعطلة نظروا الى جانب التنزيه فظنوا
ان الماء هناك والمشبهة نظروا الى جانب الاثبات فظنوا ان ماء العرفان
هناك وكذلك الجبرية والقدرية والرفض والخروج ثم ان كل واحد توجه
الى مقصده وسار الى مطلبه فوصلوا الى مطالبهم يوم القيامة فلم يجدوا
هناك من هذا الحديث شيا قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا
منثورا ثم الذين قوما لما عرفوا عظمة المفازة وعجز البشرية وحيرة العقل
فرفعوا انفسهم واستعانوا بارشاده وهدايته فقال الخليل عليه السلام
رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وقال يوسف عليه السلام توفني مسلما
والحقني بالصالحين وقال الكليم عليه السلام رب اشرح لي صدري ويسر لي امري
وقال سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال عيسى عليه السلام
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك وقال

للحبيب صلى الله عليه وسلم ارني الاشيا كما هي قالوا الصبي ينظر في المراه فيرى
فيها صورته فيشتاق الى ان يقرب من تلك الصوره فيقرب من الصوره فيرى ايضا
تلك الصوره تقرب منه فاذا راى قرب الصوره منه حال قربه منها اشتد طمعه
في اخذها فيمد يده اليها لياخذها فاذا مد يده راى حجابا من حديد وراى الصوره
مختفيه بحجب فهكذى القوة العقليه تنظر في مراه من عرف نفسه فيلوح له
تجلي انوار عرف ربه فكلما كان نظر العين الى هذه المراه اشد كان ذلك التجلي
اعظم فيشتاق العقل الى الوصل الى كنه الصمديه فيمد يد الطلب فيرى بينه وبين
المطلوب سرادقات الازليه والقدم ولا يستغنا فيبقى وراء هذا السد عاجزا مسكينا
وتسبب مد يد التصرف بزوال ذلك التجلي محتجبا بسرادقات الكبريا والعظمه والجبروت
الرابعه كان سوداوي يحمل حملا من القوارير وكان يذهب به لاجل
التجاره الى بلد فلما وصل الى باب البلد وضع ذلك الحمل ثم قال اني اذا دخلت
هذه البلد ابيع هذه القوارير واشتري باثمانها الغنم ثم يحصل من نتاجها
واولادها مالا عظيما اشتري به النخل والبغال ثم يحصل من نتاجها مالا
عظيما اشتري به الات المملكه فاذا حصل الملك اتزوج بابنة الملك الفلاني
ويحصل لي منها اولادا ثم احضر العلما والادبا لتعليمهم واود بهم ايضا وفي
اثناء ذلك ضرب يده على الحمل فسقط الحمل وانكسر الكل وهذا مثال لاكثر
توهمات الخلق فان كل احد يظن انما معه من العلوم والاعمال يكون وسيلة له
الى وجدان ملك الجنه والوصول الى عتبة حضرة الله تعالى فاذا جاء وقت الموت
بطلت تلك الاوهام وزالت تلك الافكار وبقي المسكين على تراب الحرمان موضع
الذله والعجز الخامسه من اسمايه سبحانه الجبار وهو ماخوذ من قولهم
نخله جباره اذا لم تصل اليها الايدي فكذلك ههنا الاوهام لا تصل
الى صمديته فالعهد لا اليوم عرفان وجوده وغدا طلب جوده وحقيقه
الصمديه منزه عن الاحاطه والادراك السادسه للسيارين الى الله

ثلث مقامات الحكمه والحق والامر ثم كل ما دخل في الوجود ان عرضته على نفاد
الحكمه كان الكل حسنا لان الكل بتقديره وحكمه حصل وان عرضته على
نفاد الحق كان الكل قبيحا لان المعارف بالنسبه الى حضرة جلاله
جهل والعبادات بالنسبه الى عزته تقصير اما ان عرضته على نفاد الامر
كان البعض حسن والبعض قبيح فالحكمه فضل محض والحق عدل محض
والامر تاره مع الفضل وتاره مع العدل فان عرضت على الحكمه اعمال
كل الخلق لم يكن شي منها مردودا وان عرضت على الحق اعمال الانبيا والملائكه
لم يصر شي منها مقبولا واما الامر فعلى ما عرفت بالفارسيه هر بار كه
در اسرار بلوى سوداى در سرت بلا بد ابدكى مرتبى ام لكن هم
نوعى از با سا حود كر بكر با حود را از عدم تم سى امر ورا سا
سوف ورساله مى بكريد ملائكه مطاعه وعظمه مى بكريد موحدان با ايمان
واخلاص مى بلريد ورداحون سرادقات جلال بار كشد وسراپرده
عزه برسد واعلام جلال حقيقه ظاهر شد همه فرياد بحو فرا ايش از
قد يكى كويد ما عبدناك حق عبادتك ديكر كويد ما عرفناك حق معرفتك
السابعه در راه الهيت او خود خواست تى بيش رود فرو ماند
نور عقل خواست كى بيرامن جلال او كردد هبا منثور كشت سر جان خواست
كى قدر كمال او بداند حيره كشت معرفه خواست تى بحضره قدس او محيط
شود عاجز شد اكر هزار هزار دلائل وحدانيت برخوانى نخ بعقل الهيه
اكمست بعل بى وه دريكاد معقول ومنقول عوض كنى ودر وعرر وجواهر
وزواهر در سلك تحصيل كشى حون بيك بصر بى خود را دربله دربيش ولا
يحيطون بشي من علمه بنى ودون العمر استار وفي الاستار اسرار محجوبه
عن الاغيار سبحانه من عزيز ضلت العقول في بحار عظمته وحارت الالباب
دون ادراك عزته وكلت الالسن عن وصف جلاله ومدح جماله وكل من عرف

في بعد اصبح منسوبا الى الغي دیله عقول دراد راك جلال اوحيره احلاق
عقول مقابله نور شروق عزه او سره افكار ارباب حكمت در تيار بحار
عظمت اوعرق كسته نباح وسباح اصحاب فطنه در انوار جلال او محترق
كسته ربانها اهل فصاحت از شرح مدح جمال اووصف جلال او كليل
ودر هر كوسه هزار طرح وددیج وشهید وقتیل المناجاه اى انكه
ترى حسن مجال وار بو عباده كوردر وبال جور نامي بر احكونه جو م
حوز بهيج حر نهاى ار بو حكونه عباره كسه نه ى بو امار نه نانو نوان
لا منك فرار ولا معك قرار المستعاذ منك اليك اى عز بو همه عز ها
رابعه دل برتسله اى جلال تو همه جلالها راداع اختلال بر نهاده
اى كمال تو همه عالم ما طوار عبوديه لازم كرداسله اى ذات تو بى الت
واى صفات تو بى كيف اى بطش تو بى جارحه اى بصير سوى حدقه واى
صفات تو عقول را متحير كرده اى صمديه تو جانها را سراسيمه كرداسله
اى اراده ومشيه واحكام الهيه تو ازلى السن وهم حلو باك اى غمت غمت
واز ازل تو ارها هواجس خواطر وضمائرات وكل منزه اى همه جانها تو من
بربلد عشقا تو نهاده وحرحسره سودا كرده اى همه عشاق
قصد رواق اشراق تو كرده وحز تو مبندى بدست نا اورده اى بهمه
احباب بادي كاف قدم دراه تو نهاده ومالي وعالي وجاه ومهري
وسروري برباد داده وحرباد بدست انساى يا الله ارحم يا ارحم الراحمين
نقل [بر] اخرى في انه لا سبيل الى معرفه للحجه تعالى لا شك ان كل
من كان انقطاع نظره عما سوى الحق اكمل وكان استغراقه في معرفه الله
اتم كان معرفته اكمل ولا شك ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بلغ الغايه
القصوى في هذا الباب فكانت معرفته اكمل المعارف ثم انه مع ذلك اعترف
بعدم المعرفه لانه قال لا احصي ثناء عليك فاذا كان مع كمال القرب لم يعرف

ممن كان في غاية البعد كيف يمكنه المعرفه بالله الرحمن الرحيم
النوع الثاني من علوم هذا الكتاب في تقرير الدلايل
الداله على اثبات العلم بالصانع سبحانه وتعالى وهذا النوع يشتمل على
معدمه وابواب اما المقدمه فاعلم انه سبحانه رتب دلايل اثبات الصانع
في القران العظيم على وجهين الوجه الاول انه تعالى ابتدا من الاعرف فالاعرف
نازلا الى الاخفى فالاخفى في الدلايل وهذا هو الترتيب الذي اختاره في
سوره البقره وذلك لانه ابتدا بالاستدلال كل احد على وجود الصانع بنفسه
وذاته فقال اعبدوا ربكم الذي خلقكم ثم ذكر عقبها استدلالهم باحوال
اباهم واجدادهم ثم ذكر عقبه استدلالهم باحوال الارض فقال الذي
جعل لكم الارض فراشا ثم ذكر عقبه الاستدلال باحوال السما فقال والسما بنا
ثم ذكر عقبه الاستدلال باحوال المتولده فيما بين السما والارض والسبب في
هذا الترتيب ان اظهر الاشيا لكل احد نفسه ثم اباه واجداده ثم الارض
التي هي مسكنه ثم السما التي هي في غاية البعد عنه ثم الاحوال التي لا تتولد
الا بمجموع الارض والسما وهو المراد بقوله تعالى وانزل من السما ما فاخرج
به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا الوجه الثاني في ترتيب
الدلايل ما ذكره تعالى في اول سورة النحل فانه تعالى ابتدا من الاشرف فالاشرف
نازلا الى الادون فالادون وذلك لانه تعالى ذكر المطلوب اولا فقال ينزل
الملائكه بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
ثم انه تعالى ابتدا في ذكر دلايل الصانع بالسموات فقال خلق السموات والارض
بالحق تعالى عما يشركون ثم ذكر عقبه الاستدلال بالانسان فقال خلق الانسان
من نطفه فاذا هو خصيم مبين ثم ذكر بعده احوال الحيوانات فقال
والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ثم ذكر بعده احوال النبات فقال هو
الذي انزل من السما ما لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ثم ذكر احوال العناصر

فذكر الماء فقال وهو الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا ثم ذكر الارض فقال
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ثم لما تمم ذكر هذه الدلايل عاد الى المطلوب
الذي ذكره اولا فقال افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون والمطلوب
منه اثبات التوحيد ونفي الشركا والانداد ثم قال بعده وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها يعني ان هذه الاشيا التي ذكرناها للاستدلال بها على اثبات
الصانع وعلى وحدانيته فهي ايضا نعم جليلة ومنافع عظيمة في حقكم والانسان
لو استقصى في تعديد نعم الله عليه فانه يعجز بالاخرة واكثر دلايل القران
هكذى فانها تكون دلايل من وجه ونعما من وجه اخر ومثل هذه الدلايل
تكون انجع في القلب واكثر تاثيرا في الروح لانها من حيث انها دلايل تفيد
المعرفة ومن حيث انها نعم تفيد الانقياد للمنعم والاشتغال بشكره والخضوع
لعز جلاله فاذا تعاون هذان الوجهان كمل حصول المقصود من الاعتراف
بالخالق المنعم والانقياد لعز وجهه وكمال صمديته واذا عرفت هذا النوع من
الترتيب في هذه الدلايل فنحن في هذا الباب نرتب الدلايل على هذا الوجه
الثاني فنبدا بشرح دلايل السموات ثم نذكر دلايل الشمس والقمر ثم نذكر دلايل
النجوم ثم نذكر دلايل الانسان ثم نذكر دلايل الحيوان ثم نذكر دلايل النبات
ثم نذكر دلايل الاثار العلوية من الرعد والبرق والصاعقة والسحاب
ثم نذكر دلايل احوال البحار ثم نذكر دلايل احوال الجبال وذلك هو تمام
المقصود من هذا النوع والله الموفق للخيرات

الباب الاول

في تقرير كيفية دلالة السموات على اثبات الصانع سبحانه وتعالى اعلم انه تعالى ذكر
في الكتاب الكريم مبدا تكون السموات واحوال وسطها واحوال معادها وفيه فصول

الفصل الاول في شرح مبدا تكون السموات اعلم انه سبحانه ذكر في
هذا المعنى ايتين الاولى في سورة الانبيا اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض
كانتا رتقا ففتقناهما وفي الاية سوالات احدها ان المراد من قوله تعالى اولم ير

اما الروية واما العلم لا يجوز ان يكون المراد هو الروية لان القوم ما راوا كيفية
خلق السموات لانه تعالى قال ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم ولا يجوز ان يكون المراد هو العلم لان الرتق والفتق عبارتان عن
الاجتماع والافتراق ولا شك ان الاجسام قابلة لكل واحد منهما بدلا عن الاخر
واذا كان كذلك فلا سبيل الى العلم بتقدم الرتق على الفتق الا بقول الرسول
صلى الله عليه وسلم وهذه المناظرة كانت مع الكفار المنكرين للرسالة فكيف
يجوز مثل هذا الاستدلال فهو احد السوالين في الاية والسوال الثاني انه
ما يعني بالرتق والفتق وفي اثنا الكلام تظهر الجواب عن السوال الاول فنقول لفظ
الرتق والفتق يحتمل وجوها الوجه الاول ان الرتق اشارة الى العدم والفتق
اشارة الى الوجود وتقريره بحسب اللفظ ان الاجسام اذا كانت مرتتقة
لا يكون لبعضها تميز عن البعض واذا كانت منفتقة كان لبعضها تميز عن البعض
اذا عرفت هذا فنقول ان العدم نفي محض فليس فيه ذوات متميزة واعيان متباينة
فصح تسمية العدم بالرتق من حيث انه ليس فيه امتياز وتباين بوجه ما فاذا
وجدت فقد تميز كل واحد من الجواهر عن غيره وكل واحد من الصفات عن
غيرها فصح تسمية الوجود بالفتق من هذا الوجه وبهذا التاويل سمى تعالى خلق
النور في وسط الظلمة بالفلق فالق الاصباح بل سمى نفس الايجاد والتكوين
بالفلق فقال قل اعوذ برب الفلق وكذا لا يبعد ان يريد بالفتق بعد الرتق الوجود
بعد العدم واذا عرفت هذا فيكون المراد من هذه الاية هو المراد من قوله
الحمد لله خالق السموات والارض ومن قوله الحمد لله فاطر السموات والارض ومن قوله
في اول سورة النحل خلق السموات والارض وتمام وجه الاستدلال ان كل
واحد من السموات والارضين مختص بحيز معين وبصفة معينة وخاصية
معينة ومقدار معين مع انه لا يمتنع في العقل وقوعه على خلاف ذلك
الخاصية والصفة والحيز واذا كان كذلك كان اختصاص كل واحد منهما

بصفته وحيزه وشكله لا بد وان يكون لتخصيص مخصص وتدبير مدبر
وتقدير مقدر فدل وجود السموات من هذه الجهة ومن وجودها بعد ان لم تكن
على افتقارها الى القادر المختار واذا حملنا الرتق والفتق على هذا الوجه
كان المراد من قوله اولم ير الذين كفروا اولم يعلم وذلك لان دلائل الحدوث في
ذوات السموات وفي صفاتها جلية قوية ظاهرة والعلم اذا قوي وبعد عن مواقع
الشكوك والشبهات جاز ان يسمى بالرؤية لقوته وجلائه وكثرة شواهده
ودليله الوجه الثاني في تفسير الرتق والفتق ان الظلمة سابقة على النور
ويدل عليه النقل والعقل اما النقل فوجوه الاول قوله تعالى وجعل الظلمات
والنور فقدم الظلمات في الذكر على النور والثاني قوله تعالى هو الذي جعل
الشمس ضياء والقمر نورا وظاهر اللفظ يدل على انه جعله ضياء بعد ان لم يكن كذلك
والثالث قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والرابع قوله تعالى
الله نور السموات والارض اي منور السموات والارض وهذا مشعر بان النور متاخر
عن الظلمة فان قيل فهذا اشكل بقوله تعالى ولا الليل سابق النهار وهذا يدل على
ان السابق هو النهار قلنا لا بد من التوفيق بين هذه الاية وبين الايات التي قدمناها
فكان المعنى ولا الليل المتاخر يسبق النهار المتقدم واما المعقول فهو ان الليل
ظلمة والظلمة عدم والنور وجود وعدم المحدثات متقدم على وجودها فدل
ذلك على ان ظلمة العدم كانت سابقة على نور وجود هذه المحدثات اذا عرفت
هذه القاعدة فنقول كانت السموات والارض مظلمة اولا ثم اظهر الله الانوار فيها
فعبر عن الظلمة السابقة بالرتق وعن الانوار اللاحقة بالفتق فلهذا قال كانتا
رتقا ففتقناهما ويؤكد هذا القول بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال حاكيا
عن رب العزة جل جلاله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وعلى هذا
التفسير يكون الرؤية المذكورة في الاية بمعنى العلم الوجه الثالث في تفسير
الرتق والفتق ان السموات والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقا بعضها بالبعض

ثم فصل الله منهما واقر الارض حيث هي ورفع السما الى العلو وهذا القول يدل
عليه وجوه الاول قوله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها فوصف
السموات بانها مرفوعة وذلك يطابق ما قلنا ان السموات والارض كان
بعضها ملتصقا ببعض ثم انه سبحانه اقر الارض في مكانها واصعد اجزا
السموات ورفعها الى الجو العالي والثاني قوله تعالى ثم استوى الى السما وهي
دخان يروى انه تعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت الجوهرة
ثم سلط عليها الحرارة فارتفع على وجه الما زبد وعلاه دخان فخلق الارض
من الزبد وخلق السموات من ذلك الدخان وهذا يدل على ان اجزا الارض والسموات
كان بعضها مختلطا بالبعض وملتصقا به ثم انه سبحانه ميز البعض عن البعض
فصير البعض زبدا واسكنه حيث هو واصعد الباقي الى الجو العالي وخلق منه
السموات والثالث قوله تعالى في صفة السموات رفع سمكها فسواها وذلك يدل
على انه تعالى صعد الاجزا التي منها خلق السموات من السفل الى العلو وذلك
هو المراد من الرتق والفتق واعلم ان وجه الاستدلال بالرتق والفتق على وجود
الصانع بنا على هذا القول ان يقول لا شك ان كرة الارض محفوفة بالما والما
بالهوا والهوا بالنار والنار بالافلاك كل فلك بفلك اخر الى اخر الافلاك فنقول
هذه العناصر والافلاك متساوية في الجسمية لا معنى للجسم الا الطويل العريض
العميق والكل مشاركة في هذا المعنى ثم ان كل واحد من هذه الاجسام يخالف
الاخر في الصفات والاعراض من كون بعضها عالية وبعضها سافلة والبعض
لطيفا والبعض كثيفا والبعض حارا والبعض باردا فنقول اختصاص كل
واحد من هذه الاجرام الفلكية والعنصرية بصفته المعينة وحيزه المعين
اما ان يكون لذاته او لشي من لوازم ذاته او لامر غير لازم لذاته والاول والثاني
يوجبان استوا الاجسام في كل الصفات وهو محال والثالث يقتضي ان يكون
اتصاف كل واحد من هذه الاجسام بما اتصف به امرا جائزا واذا كان الامر

لا لكل استحال اختصاصه بتلك الصفة الا لمرجح ومخصص ثم ذلك المخصص
اما ان يكون جسما او لا فان كان جسما كان ذلك الجسم متميزا عن ساير الاجسام
بتلك المؤثرية فيفتقر ذلك الاختصاص الى مخصص ومرجح اخر ويلزم
التسلسل وهو محال وان لم يكن جسما فاما ان يكون موجبا واما ان يكون
مختارا لا جايز ان يكون موجبا لان نسبة الموجب الى الكل على السوية
فوجب ان يكون موجبا واما ان يكون مختارا لا جايز ان يكون موجبا لان
نسبة الموجب الى الكل على السوية فوجب ان يكون المؤثر قادرا مختارا
فثبت افتقار جميع الاجسام من العرش الى ما تحت الثرى الى مؤثر فاعل بالاختيار
قادر على جميع الممكنات ليس بجسم ولا جسماني وذلك هو الله سبحانه وتعالى
اذا عرفت هذا فنقول المراد من الرتق كون تلك الذوات متشابهة في الماهية
والحقيقة والمراد من الفتق اختصاص كل واحد منهما بطبع معين وشكل معين
ووصف معين وحيز معين وعلى هذا التقدير يكون الرؤية بمعنى العلم
الوجه الرابع في تفسير الرتق والفتق ان السموات كلها كانت سما واحدة
ثم انه تعالى جعلها سبع سموات والذي يدل عليه قوله تعالى في اول سورة البقرة
ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات فهذه الاية دالة على ما قلناه من وجهين
احدهما انه قال ثم استوى الى السما ولفظ السما دالة على الواحدة والثاني
انه قال فسواهن والفا يدل على التعقيب فهذا يدل على ان السما كانت واحدة
ثم انه تعالى جعلها سبعة بعد ان كانت واحدة فان قيل فعلى هذا القول ما
معنى قوله الارضين بعد رتقها قلنا انه تعالى قال في سورة الطلاق الله الذي
خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن فلهذا السبب اختلفوا في تفسير الارضين
السبعة فقال بعضهم طباقا سبعة بعضها اسفل من بعض كالسموات وقال
اخرون هذه الارضون اشارة الى الاقاليم السبعة فانه تعالى جعل لكل واحد
من هذه الاقاليم السبعة خاصية ومنفعة القول الثاني من تفسير الرتق والفتق

قال الغزالي رحمه الله في كتابه المسمى بالمضنون به على غير اهله الرتق عبارة
عن انطباق دايرة البروج على دايرة معدل النهار وفي ذلك الوقت ما كانت الارض
معمورة على ما عرف تحقيق ذلك في علم الهيئة والفتق عبارة عن انفراج
احدى هاتين الدايرتين عن الاخرى وحدوث ميل فلك البروج عن معدل
النهار ولما حدث هذا الانفراج حدثت الفصول الاربعة في الارض وحصل بسبب
ذلك اختلاف الاهوية والبلدان والمساكن وهذا هو المراد من حدوث الفتق
في الارض واعلم ان وجه الاستدلال على اثبات الصانع الحكيم سبحانه بنا على
هذين القولين ظاهر ايضا وذلك لان على القول الاول انه سبحانه فصل بعض
هذه الافلاك عن بعض وخص كل واحد منهما بقدر معين وسير معين
وجهة معينة لحكمة ظاهرة في علم الغيب مستورة عن عقول الخلق ولا بد وان يكون
ذلك لقدرة غالبة ومشية نافذة على ما حققنا القول فيه واما على القول
الذي ذكره الغزالي فاعلم ان منافع الرتق والفتق بهذا المعنى كثيرة ونحن نذكر
منها شيئا فنقول لو لم يكن للكواكب حركة في هذا الميل لكان التاثير مخصوصا
ببقعة واحدة فكان ساير الجوانب خلوا عن المنافع الحاصلة منه وكان الذي
يقرب منه متشابه الاحوال وكانت القوة هناك لكيفية واحدة فان كانت حارة
افنت الرطوبات فاحالتها كلها الى النارية ولم يتكون المولدات فيكون الموضع
المحاذي لممر الكواكب على كيفية وخط ما لا يحاذيه على كيفية اخرى وخط
المتوسط بينهما على كيفية متوسطة فيكون في موضع شتا دايم يكون فيه النهوة
والفجاجة وفي موضع اخر صيف دايم يوجب الاحتراق وفي موضع اخر ربيع
او خريف لا يتم فيه النضج ولو لم يكن عودات متتالية وكانت الكواكب تتحرك
بطيئا لكان الميل قليل المنفعة وكان التاثير شديد الافراط وكان يعرض
قريبا مما لو لم يكن ميل ولو كانت الكواكب اسرع حركة من هذه لما كملت المنافع
وما تمت فاما اذا كان هناك ميل يحفظ الحركة في جهة ثم ينتقل الى جهة اخرى بمقدار

الحاجة وبقي في تلك جملة برهة من الدهر ثم بدلك باثره وكثرة منفعته فسبحان
الخالق المدبر بالحكمة البالغة والقدرة الغير المتناهية القول السادس ان
السموات والارض كانتا رتقا بالاستواء والصلابة ففتق الله السما
بالمطر والارض للنبات والشجر ونظيره قوله تعالى والسما ذات الرجع والارض
ذات الصدع واكثر المفسرين اختاروا هذا القول واحتجوا على ترجيحه على ساير
الاقوال بقوله تعالى عقيبه وجعلنا من الما كل شي حي وهذا الكلام لا يليق
ذكره بهذا الموضع الا والمراد ما ذكرناه فان قيل هذا الوجه ضعيف
لوجهين احدهما ان المطر لا ينزل من السما بل من السحاب والثاني ان بتقدير
ان يكون المطر نازلا من السما لكنه نزل من السما الدنيا لا من كل السموات
والجواب عن الاول ان السما مشتق من السمو فكل ما سماك فهو سما وعن الثاني
انما اطلق عليه لفظ الجمع لان لكل قطعة منها سما كما يقال ثوب اخلاق
وبرمة اعشار واعلم ان على هذا التاويل يجوز حمل قوله اولم ير الذين كفروا
ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما على الابصار فان الناس
يشاهدون انفتاق السحاب بالمطر والارض بالشجر ثم وجه الاستدلال على وجود
الصانع بناء على هذا التفسير انك ترى الهوا في غاية الصحو ثم انه ينعقد الغيم
دفعة وينزل من المطر ما تمتلي منه الاودية العظيمة وتقلع الجبال العظيمة
من شدة سيلانها ثم ان نزول ذلك المطر يصير سببا لخروج الانواع المختلفة من
النبات من الارض وكل ذلك يدل على تقدير الصانع المختار الحكيم جل جلاله فهذه
الاقوال الستة المذكورة وان كنا قد بالغنا في تقريرها فهاهنا وجوه اخرى
يمكن حمل الاية عليها فالاول ان السموات كانتا رتقا فما كان احدا ينزل
من السما الى الارض وما كان احدا يصعد من الارض الى السما ثم انه تعالى
فتقهما فصارت الملائكة ينزلون من السموات الى الارض وصارت البشر يصعدون
من الارض الى السما اما نزول الملائكة فقال تعالى وما نتنزل الا بامر ربك

وقال تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم وقال نزل به الروح الامين
على قلبك واما صعود البشر الى السموات فقوله في ادريس ورفعناه مكانا
عليا وقال في عيسى عليه السلام اني متوفيك ورافعك الي وقال في
محمد صلوات الله عليه فكان قاب قوسين او ادنى الثاني كانتا رتقا ففتقناهما
بانزال انوار الكواكب من السموات العالية الى الارضين المستفلة كما قال والنجم
الثاقب قيل انه هو زحل لانه يثقب بنوره سمك سبع سموات وتارة بصعود
الدعوات والطاعات من الارض الى اعلا السموات كما قال اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه والثالث ان نحمل هذا الفتق على نزول القضا
والقدر من معاقد عزه على اركان عرشه ومن اركان عرشه الى عالم السموات
ثم الى بقاع الارضين ثم قال تعالى تنزل الملائكة والروح في يوم كان مقداره
خمسين الف سنة ثم تعرج اليه وتمام الكلام في تحقيق نزول القضا وعروجه
سياتي ان شا الله في تحقيق القضا والقدر الفصل الثاني في تفسير بلغ مقابلة
اية اخرى دالة على مبدا حدوث السموات قال تعالى ثم استوى الى السما وهي
دخان فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين فقضاهن سبع
سموات في يومين واوحى في كل سما امرها ونظير هذه الاية قوله تعالى
في اول سورة البقرة هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السما
فسواهن سبع سموات وهو بكل شي عليم وفي هذه الاية ابحاث البحث الاول
في قوله تعالى ثم استوى الى السما وهي دخان واعلم ان قوله ثم استوى الى السما
وهي دخان يدل على امرين الاول انه يدل على انه حين استوى الحق سبحانه اليها
كانت سما واحدة ثم قوله فقضاهن سبع سموات يدل على انها انما صارت
سموات سبعا بعد ذلك لان الفا للتعقيب فصار قوله ثم استوى الى السما وهي
دخان نظير قوله في سورة البقرة ثم استوى الى السما وصار الفا في قوله
فقضاهن سبع سموات في دلالته على ان هذا العدد انما حصل بعد ان كانت

السموات واحده نظير الفائي قوله في سوره البقره فقضاهن سبع سموات
في دلالته على ان هذا العدد انما حصل بعد ان كان الكل واحدا وهو الرتق
والفتق الذي شرحناه في الفصل الاول الوجه الثاني ان هذه الايه
داله على ان السموات مخلوقه من الدخان واعلم ان خلق السماء من الدخان داله
على كمال القدره ونهايه الحكمه وذلك من وجوه الاول ان الدخان في غايه
الكدوره والظلمه والسموات في غايه الصفا والشفافيه والنقا فاظهار
اعظم الاشيا صفا ولطافه من اشد الاشيا كدوره وظلمه من ادل الدلايل
على كمال القدره ونهايه الحكمه ثم الذي يزيد هذا الكلام تقريرا وايضاحا
ما روي في الخبر انه تعالى خلق جوهره ثم نظر اليها بعين الهيبه فصارت ما ثم
سلط الحراره على ذلك الما فارتفع منه زبد وعلاه دخان فخلق الارض من
الزبد والسموات من الدخان ثم ان الزبد يكون في غايه البياض والصفا
والدخان يكون في غايه الظلمه والكدوره فخلق من الكدره الظلمه ابتدا الارض ٤
من الزبد الابيض الشفاف وخلق السموات الشفافه الصافيه من الدخان الكدر
المظلم ليستدل باخراج الضد من الضد على كمال القدره ونهايه الحكمه ونظيره
قوله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون
والنظر الثاني بهذا المعنى ان النار نورانيه صافيه والتراب ظلماني
كدر ثم خلق ابليس من النار واغواه في ظلمات الكفر والضلال وخلق ادم من
التراب ورباه بانوار الهدايه والارشاد حتى يعرف الانسان ان الكل
من الله وبتقدير الله الوجه الثالث ان الدخان مما يعمي العين ويبطل البصر
ثم انه تعالى زين السما الدنيا بزينه الكواكب وجعلها بحيث ان النظر الى السما
والى الكواكب يزيد في البصر قوه وكمالا وجعل لون السما وهو الزرقه انفع
الالوان للعين ليعلم الانسان انه هو الذي يقلب الشي من صفه الى ضدها
فيعرف به كمال قدرته وحكمته الوجه الثالث ان الدخان يكون سريع

التفرق والتلاشي ثم انه تعالى وصف السموات باضداد هذه الصفات
فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال
اولم ينظروا الى السما فوقهم كيف بنيناها الوجه الرابع ان الدخان اذا
توسط بين الناظر والمنظور اليه صار حجابا بينهما ثم انه تعالى خلق الكواكب
النيره في اجرام الافلاك وعمق ثخنها مع انه لم يصر شي من اجرام الافلاك حجابا
بين تلك الانوار وبيننا وكل هذه الاحوال تدل على انه سبحانه هو القادر
الذي يقلب الشي من الضد الى الضد فلما قدر على ان يخلق من الدخان الكثيف
هذه الاجرام النورانيه الربانيه الباقيه المحفوظه فاي عجب لو اعاد الحياه
الى اجزا البدن بعد صيرورتها ترابا رميما والى هذا الاشاره بقوله تعالى اوليس
الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم
فالخلاق اشاره الى كمال القدره وهي القدره النافذه في جميع اجزا الممكنات
والمبدعات المستوليه على كل احوال المحدثات والكائنات وقوله العليم اشاره
الى كمال علمه المتعلق بجميع الجزييات والكليات والظاهرات والغايبات والذوات
والصفات والموجودات والمعدومات ولا شك ان مدبر العالم متى كان موصوفا
بهاتين الصفتين كان كل عسير بالنسبه الى كمال قدرته يسيرا وكل صعب بالنسبه الى
عظمه قهاريته وجلالته هينا فتبارك الله رب العالمين وخالق الانوار جميعها
والموضع الثاني من المواضع التي اشتملت هذه الايه عليها في بيان ابتدا تخليق
العالم قوله تعالى فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وللناس
في هذه الايه قولان الاول ان هذا الامر والاجابه محمولان على لسان الحال
لا على ظاهر المقال ويدل على ذلك وجوه الاول ان السموات والارض جمادات
والامر للجماد لا يليق بالحكمه والثاني انها لو قدر ان تكون احيا عاقله فافهم
ولكنها لا تقدر على التصرف في انفسها وفي ذواتها لان المتصرف في الشي
متقدم بذاته وبصفاته على ذلك التصرف وتقدم الشي على نفسه محال فثبت

انه يمتنع كونها قادرة على التصرف في انفسها الثالث انه تعالى نص في محكم التنزيل
انه هو الخالق لذات السموات فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض ثم بين في
اية اخرى انه تعالى خلقها من العدم المحض والنفي الصرف فقال الحمد لله فاطر السموات
والارض ثم بين سبحانه وتعالى انه جعلها سبعا شدادا فقال وبنينا فوقكم سبعا
شدادا وبين انه جعلها سقفا محفوظا فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا ثم انه
تعالى بين انه هو الذي رفعها بغير علاقة ولا دعامة فقال الله الذي رفع السموات
بغير عمد ترونها ثم ذكر الله سبحانه انه هو الذي وصف اجرام السموات بجميع
صفاتها واحوالها فقال رفع سمكها فسواها واغطش ليلها واخرج ضحاها
واذا ثبت بهذه الايات المتاكدة بالبراهين العقلية ان المدبر والمقدر والمتصرف
والخالق والموجد لذوات هذه السموات ولصفاتها هو الله سبحانه لم يكن في
امرها فايدة ثم قال والامر والاجابة هاهنا عبارة عن سرعة نفوذ
قدرته ومشيته بلا مانع ولا معارض ولا منازع نظيره قول العرب قال
الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني فان الذي ورائي ما خلاني ورائي وقال مطلب ذكر قول العرب في قول الجدار للوتد
سبحانه انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فالمراد من هذا الامر هو
سرعة التكوين وذلك لانه ان امره وهو معدوم فذاك محال وان امره بعد
الوجود فلا يمكن ان يقال للموجود كن موجدا وايضا قال تعالى وان من شي الا يسبح
بحمده والمراد منه التسبيح بلسان الحال لا التسبيح بلسان المقال فان الجمادات
لا قدرة لها على النطق وايضا قال تعالى ولله يسجد من في السموات من الشمس والدواب
وقال والنجم والشجر يسجدان ومعلوم ان سجود الشجر لا يكون الا بلسان الحال فكذا
هاهنا فهذا تمام الكلام في تقرير هذا القول والوجه الثاني انه لا يبعد في قدرة الله تعالى
ان يخلق فيها الفهم والعقل ثم امرها وخاطبها فقال للسموات والارض ايتيا طوعا
او كرها والذي يدل عليه وجوه الاول الايات التي نذكرها من القران والمعقول
على ان الحيوانات عارفة بربها واذا لم يبعد خلق العقل ومعرفة الله تعالى في

الحيوانات فاي بعد في خلق الحيوة والفهم في اجرام الافلاك والثاني قوله تعالى
فلما تجلى ربه للجبل والتجلي لا يمكن الا بعد خلق الفهم والادراك والثالث قال تعالى
يا جبال اوبي معه والطير والرابع قوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم
والخامس قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال وبالجملة فهذا
الاستبعاد زايل عند الاعتراف بكونه سبحانه قادرا على كل الممكنات عالما بكل
المعلومات ومما يدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى قالتا اتينا طايعين ولو كانت
السموات جمادات لكان حق اللغة ان يقال اتينا طايعات فدل قوله اتينا طايعين
على انه تعالى خلق فيها الفهم والعقل في ذلك الوقت واعلم انا سوا حملنا هذا الامر
والاجابة على لسان الحال او على لسان المقال فذلك يدل على كمال عظمته ونهاية
كبريايه وتقدسه وعزته وذلك لان كل ما كان غايبا عن الحس والخيال والعقل فانه
لا سبيل الى معرفة جلالته وعظمته الا بمعرفة عظمة اثار مخلوقاته ولا شك ان
السموات والارض اجسام في غاية العظم والشدة والاتساع ثم انها مع ذلك منقادة
لامر الله تعالى وتسخيره وقهره وقدرته وتكوينه وتخليقه وذلك على قدرة لا نهاية يدل صح
لكمالها وحكمة لا غاية لجلالتها ونظيره الا اجابة السموات والارض على كمال
عظمة الله قوله تعالى في قصة نوح وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي فان هذا
التذليل على كون السموات والارض مسخرة في قبضة قدرته وتصريف حكمته الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين الموضع الثالث في هذه الاية قوله تعالى
فقضاهن سبع سموات في يومين وفيه سوالات الاول القضا هو الالزام وذلك
مشعر بسبق منازعة وقد دلت الاية على انه ما كان فيها منازعة ومدافعة
حيث قال مخبرا عنها قالتا اتينا طايعين والجواب لا نزاع ان القضا عبارة عن
الالزام لكن يجب ان يعلم ان ما سوى الله ممكن الوجود لذاته والممكن هو الذي
يكون نسبة الوجود والعدم اليه على السوية واذا استوى الطرفان لم يكن في ذاته
اقتضا ولا استلزام لا للوجود ولا للعدم ثم ان الممكن لذاته ما لم يجب وجوده

فقضاهن

لا لاجل مرجح موثر لم يوجد فقوله سبحانه فقضاهن اشاره الى ذلك المرجح والتاثير
الحاصل بسبب خلقه وتكوينه وذلك المرجح هو الالزام لاحد الطرفين من محالة
وعند اهل التحقيق نظهر ان كل ما سوى الله فهو من حيث هو هو غير موجود بل وجوده
من ايجاد الحق وبقاوه من ابقا الحق وعدمه من اعدام الحق فاذا تاملت علمت انه
لا موجود بالحقيقه الا الحق كما قال تعالى ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شي
هالك الا وجهه السوال الثاني قال تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين فاليوم عباره
عن مده حركه الشمس بحسب الطلوع والغروب وقبل خلق الفلك يمتنع حصول اليوم
والكواكب الا اذا امور ادوار الفلك وذلك لان الحق سبحانه قديم والعالم حادث
فتقدم البارى على العالم ليس بسبب دور الفلك وحركه الشمس والقمر وايضا فالزمان
اما ان يكون قديما او حادثا فان كان قديما كان مستمرا من الازل الى الابد فلا كان الاستمرار
لا يكون لاجل الزمان والا لزم افتقار كل زمان الى زمان اخر لا الى نهايه وذلك محال
فثبت ان تعقل الاستمرار والدوام لا يتوقف على وجود الزمان وان كان
الزمان محدثا كان عدمه مستمرا من الازل الى الابد فلا يكون ذلك الاستمرار موقوفا
على وجود الفلك وحركه الشمس والقمر اذا ثبت هذا فنقول هذا الاستمرار هو الذي
تسميه المتكلمون بالزمان المقدر والمده المفروضه المقدره وهي المشار اليه بقوله سبحانه
فقضاهن سبع سموات في يومين وهذا الكلام لا يتم المقصود منه الا بالكشف عن
حقيقه الدهر والزمان وذلك من محارات العقل السوال الثالث قال تعالى انما امرنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فيمتنع خلقه وتكوينه لا يحصل الا على هذا الوجه
وهذا ناقض قوله تعالى في هذه الايه فقضاهن سبع سموات في يومين والجواب انه تعالى
قادر على الايجاد دفعه واحده وهو المراد بقوله كن فيكون وقادر ايضا على الايجاد
جزا فجزا على سبيل التدريج وانه سبحانه فاعل مختار وفي كل واحد من الوجهين حكم
واسرار اما الحكمه في الايجاد على سبيل التدريج هو انه لو حصلت مخلوقاته كلها
دفعه واحده بحيث لا يتخلف شي اصلا اشبه ذلك تاثير ما يكون بالطبع وبالعليه

لا بالقدره والاختيار فان الشمس اذا طلعت حصلت الاضاءه دفعه والسراج اذا احضر
حصلت الاضاءه دفعه والنار اذا احضرت حصلت التسخين دفعه والاحتراق دفعه
فلو حصلت افعاله سبحانه وتعالى دفعه واحده لما تميزت فاعليته في عقولنا
وافكارنا عن ماثورات العلل والموجبات والطبايع واما الحكمه في الايجاد دفعه
واحده هو ان افعاله سبحانه لو حصلت ابدا على التدريج ولم يحصل شي منها دفعه
لكان ذلك يوهم العجز والاحتياج في تحقيقه الى مده واله ولما كان الامر كذلك
فلا جرم تاره يفعل ويخلق دفعه لكيلا يبقى شبهه العجز والحاجه وتاره على
سبيل التدريج لكيلا يبقى شبهه انه موجب بالذات ومؤثر بالطبع فهذا ما وصل
اليه هذا العقل المختصر وله سبحانه تحت كل فعل حكم واسرار لا يعلمها الا هو
السوال الرابع ان العالم الاكبر هو هذا العالم لما فيه من السموات والارض والعالم
الاصغر هو الانسان ولا شك ان العالم الاكبر اعلى واعظم من العالم الاصغر فان
العقل يدل عليه وكذا القران قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
ثم انه تعالى خلق العالم الاكبر في سته ايام وخلق العالم الاصغر في سته اشهر فان اقل
مده الحمل سته اشهر بدليل انه قال تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا ثم قال والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا اسقطنا مده الرضاع وهي اربعه وعشرون شهرا
عن ثلثين شهرا بقي الباقي لمده الحمل سته اشهر فما الحكمه في جعل مده تخليق العالم الاكبر
سته ايام وتخليق العالم الاصغر سته اشهر والجواب من وجوه الاول
انا بينا ان الحكمه في تخليق بعض وتخليق بعض الاشيا على سبيل التدريج الا انا بينا ان
التخليق على سبيل التدريج يوهم العجز والحاجه الى الماده والمده فالحق سبحانه وتعالى
ازال هذا الاشكال بان خلق العالم الاكبر في سته ايام وخلق العالم الاصغر في مده سته
اشهر ليعلم الخلق ان التخليق على سبيل التدريج ليس لاجل الحاجه والعجز اذ لو كان
الامر كذلك لكان تخليق العالم الاكبر في مده اكبر في مده اطول اولى فسبحان من له
تحت كل شي حكمه ودقيقه الهيه الثاني قال بعضهم انه تعالى لما اراد تخليق السما والارض

كان جبريل وميكائيل وساير اكابر الملائكة عقلاء مكلفين فخلق الله العالم على مهل حتى
يمكنهم الوقوف على دقائق الحكمة في ذلك التخليق الثالث لا يبعد ان يقال انه تعالى
خلق العالم على التدريج واخره عن ذلك حتى يصير ذلك شبهة في تخيل العجز والحاجة
في قدرة الله تعالى وهذا النوع ابتلاء وامتحان كما قال تعالى ليبلوكم ايكم احسن
عملا حتى ان الموفق يعلم ان ذلك التدريج ليس للعجز والحاجة بل للعبرة والحكمة
وكان هذا الابتلاء سببا لمزيد الثواب في حق الموفقين ويظهر بسبب هذا المعنى
ان هذه الدار دار الابتلاء والامتحان الرابع انه سبحانه بين في هذه الاية ان خلق
الارض في يومين وخلق كل ما في الارض من الجبال والبحار والمعادن والنبات
والحيوانات في يومين اخرين ثم خلق السموات السبع بما فيها من الشمس والقمر والنجوم
والجنة والاملاك في يومين اخرين والحكمة فيه انه لا نسبة للارض وما فيها الى
السموات وما فيها فان الارض في جنب السموات كالقطرة في جنب البحر فلما خلق
الارض على صغرها في يومين وخلق السموات على كبرها وغاية عظمها في يومين
عرف ان ذلك التدريج ما كان لاجل الحاجة والعجز بل لحكمة بالغة واسرار خفية
يعجز عقول الخلق عن الوقوف عليها السوال الخامس ان قوله سبحانه ثم استوى
الى السما يدل على ان خلق السموات متاخر عن خلق الارض وقوله في سورة
النازعات والارض بعد ذلك دحاها يقتضي ان خلق الارض وقع بعد خلق السما
وحينئذ يحصل التناقض بين الايتين والجواب فيه قولان احدهما انه تعالى
خلق الارض اولا ثم خلق السما ثانيا ثم دحى الارض بعد خلق السما لان التدحية
عبارة عن البسط وحينئذ يزول التناقض بين الايتين واعلم ان على هذا القول
اشكالات لان الارض يمتنع انفكاك خلقها عن التدحية فاذا
كانت التدحية من لوازم خلق ذات الارض ثم ثبت بالنص ان التدحية متاخرة
عن خلق السما لزم ان يكون خلق الارض متاخرا عن خلق السما وحينئذ يعود
الاشكال الثاني ان الدلايل الاعتبارية دلت على ان الارض كرة وايضا انه

بلغ مقابلة

السابع

تعالى قال في سورة البقرة هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى
السما وهذا يدل على ان خلق الارض وخلق كل ما فيها مقدم على خلق السما
لكن من المعلوم ان خلق الاشيا في الارض لا يمكن الا اذا كانت مدحوة
على خلق السما وحينئذ يعود السوال ومما يوكد قوله تعالى قل اينكم
لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة
ايام سوا للسايلين ثم استوى الى السما وهي دخان فهذه الاية تقتضي
ان الله تعالى جعل في الارض رواسي وبارك فيها بخلق الاشجار والثمار
وقدر فيها اقواتها بخلق الزروع فيها وكل ذلك حصل قبل خلق السموات
ومعلوم ان خلق الرواسي والاشجار والزرع لا يمكن الا بعد تدحية
الارض فصارت هذه الاية مع الاية المذكورة في سورة البقرة يدلان على ان
تدحية الارض حصلت قبل خلق السما وحينئذ يعود الاشكال وايضا
قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماها ومرعاها والجبال
ارساها يدل على ان اخراج الما وارسا الجبال وخلق المرعى كل ذلك
وقع متاخرا عن خلق السما والاية الواردة في السجدة صريحة في ان كل
ذلك حصل قبل خلق السما وحينئذ يعود الاشكال القول الثاني في هذه
المسئلة قول من قال ان السما مخلوقة قبل الارض واحتجوا عليه بالعقل
والنقل اما النقل فالحجة الاولى قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وقد
بينا في السوال ان كون الارض مدحوة من لوازم وجود الارض لانها جسم
عظيم والجسم العظيم وان كان كرة الا ان كل قرص منها يكون في المنظر على
شكل المستقيم فيكون مدحوة لا محالة الحجة الثانية قوله تعالى ثم استوى
الى السما وهي دخان بما حال الاستوا اليها ثم انه تعالى جعلها بعد ذلك
سبعا وهي المراد من قوله فقضاهن سبع سموات وهذا صريح في انها كانت

سماها

سما قبل ذلك ثم صيرها الله تعالى سبعا بعد ذلك الحجة الثالثة قوله تعالى
الحمد لله الذي خلق السموات والارض فقدم السما في الذكر على الارض واما
المعقول فمن وجوه الحجة الاولى ان السما كالزوج والارض كالزوجة
والسما كالغني والارض كالفقير فكان خلق السما قبل خلق الارض اليق
الحجة الثانية ان السما مسكن الملايكة والارض مسكن البشر والملايكة قبل
البشر فكان خلق مسكنهم قبل خلق مسكن البشر اولى بقي ان يقال
فما معنى قوله ثم استوى الى السما في سورة البقرة وفي سورة السجدة فنقول
فيه وجهان الاول ان لا يكون المراد من كلمة ثم الترتيب في الوجود بل
المراد الترتيب في الذكر كقول الرجل انت كذا وكذا ثم انت بعدها كذا وكذا ويكون
المراد الترتيب في الذكر قال الله تعالى فك رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
الى قوله ثم كان من الذين امنوا والمراد منه الترتيب في الذكر والثاني لعل السبب
في تقديم ذكر الارض على السما هو ان الارض اقرب الينا من السما او لاجل ان
السما اعظم من الارض وآياتها اعظم من آيات الارض والانتقال من الحجة الى
الحجة انما يحسن من الادنى الى الاعلى كما انتقل ابرهيم عليه السلام من قوله يحيي
ويميت الى قوله فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب السوال
السادس انه تعالى قال قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ثم
قال وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام فيكون المجموع ستة ثم قال
فقضاهن سبع سموات في يومين فيكون المجموع ثمانية وظاهر هذه الاية
يقتضي انه تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام والجواب ان خلق الارض
حصل في يومين وخلق الجبال وغيرها حصل في يومين اخرين فكان المجموع
اربعة وهو المراد بقوله في اربعة ايام سوا للسايلين ثم حصل خلق السموات
في يومين اخرين فكان مجموع الايام ستة فعند زال السوال والاشكال
الموضع الرابع في هذه الاية قوله سبحانه واوحى في كل سما امرها وسنذكر

فثبت بما ذكرنا ان هذا ... لقوله تعالى خلق السموات والارض

ذلك في باب الملايكة ان شا الله تعالى الفصل الثالث
في الاستدلال بصفات السموات واحوالها الموجودة في هذا الوقت على ان لها
صانعا ومدبرا سبحانه وتعالى قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار الى قوله لايات لقوم يعقلون وقال في سورة ال عمران ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وقال في اول الانعام
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وقال في هذه السورة حكاية عن الخليل عليه السلام
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وقال في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق
السموات والارض وقال في اول النحل خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
وقال في اول النسا الحمد لله الذي له ما في السموات والارض وقال في سورة الملايكة
الحمد لله فاطر السموات والارض وفي القران من هذا الجنس ايات كثيرة واقول هذا
البحث لا يتخلص الا بذكر مسايل المسالة الاولى في تفسير لفظ الخلق بحسب
اللغة فنقول المشهور في اللغة ان الخلق عبارة عن التقدير واحتجوا عليه بالقران
والشعر والاستعمال اما القران فايات احدها قوله تعالى احسن الخالقين اي
المقدرين الثانية قوله تعالى لعيسى عليه السلام واذ تخلق من الطين اي تقدر الثالثة
انه سمي الكذب خلقا واختلاقا قال هذا حديث مخلوق ومختلق اي كذب لا اصل
له قال تعالى وتخلقون افكا اي تقدرون كذبا وقال حكاية عن الكفار ان هذا الا
خلق الاولين وان هذا الا اختلاق يريدون الكذب والسبب في تسمية الكذب
بالخلق لان الكاذب يقدر ذلك الكذب في ذهنه ويقدره في خاطره الرابع قوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فقدم الخلق على
التكوين فدل على ان الخلق ليس عبارة عن التكوين لان الشي لا يتقدم على نفسه
بل الخلق عبارة عن التقدير وهو متقدم على التكوين واما الشعر فقول زهير
ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري وقال
ولا يئط بايدي الخالقين ولا ايدي الخوالق الا جيد الادم واما الاستشهاد

ويقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقايس وفيه قول العرب للمقدار المعز
من يخلق الخلاق ويقولون هو خليق بكذا اي جدير به اي هذا الشي على قدر
استحقاقه والصخرة الخلقا الملسا لان الملاسة عبارة عن صيرورة جميع
اجزا الشي بقدر واحد ومنه اخلق الثوب اذا ابلي وصار املس وسوى جميع اجزايه
فثبت بهذه الوجوه ان الخلق عبارة عن التقدير وهذا الذي قلناه هو قول جمهور
المعتزلة ثم القايلون بهذا القول اختلفوا فقال ابو عبد الله البصري منهم اطلاق اسم
الخالق على الله تعالى محال في الحقيقة لان التقدير عبارة عن الفكر والظن والحسبان
وذلك في الله تعالى محال وقال تلميذه القاضي عبد الجبار احمد التقدير عبارة عن العلم
بعواقب الشي وهذا المعنى حاصل في حق العبد وفي حق الله اما في حق العبد فانه
قد يحصل له هذا العلم بنا على الامارات اللايحة الواضحة بسبب الفكر والروية
واما في حق الله تعالى فلا شك في حصوله واذا كان الامر كذلك كان اطلاق لفظ
الخالق على الله وعلى العبد على سبيل الحقيقة واما اصحابنا من اهل السنة والجماعة
فقد قالوا الخلق حقيقة في الايجاد والابداع والاختراع والذي يدل على ذلك
وجوه الحجة الاولى قوله تعالى في اول سورة الفرقان وخلق كل شي فقدره تقديرا
ولو كان الخلق عبارة عن التقدير لصار تقدير الاية وقدر كل شي فقدره تقديرا
ومعلوم انه تكرير من غير فايدة اما اذا حملنا الخلق على الايجاد لم يحصل التكرار
وانتظم الكلام الحجة الثانية قوله تعالى انا خلقنا كل شي بقدر ولو كان الخلق هو
التقدير لكان قوله خلقناه بقدر تكريرا من غير فايدة الحجة الثالثة اجماع سلف
الامة على انه لا خالق الا الله وايضا قوله تعالى هو الله الخالق البارى يقتضي ان لا يحصل
هذه الصفات الا لله سبحانه كما اذا قلت زيد هو العالم فانه يقتضي حصر
هذا الوصف فيه فثبت انه لا خالق الا الله وثبت ان غير الله مصور ومقدر علمنا
ان اصل الخلق ليس عبارة عن التقدير فاما الجواب عن الوجوه التي تمسكوا بها فنقول
الوجوه التي ذكر تم تدل على استعمال لفظ الخلق بمعنى التقدير والوجوه التي

ذكرناها تدل على استعمال الخلق في غير معنى التقدير بل في معنى الايجاد
والابداع فنقول لا بد من جعله حقيقة في احدهما مجازا في الاخر فنقول من فرض
شيا وقدره مع ان ذلك الشي معدوم فكانه يريد ان يجريه مجرى الموجود
فكان هذا شبيها بالايجاد والابداع فلاجل هذه المشابهة اطلق لفظ الخلق
على التقدير والله اعلم المسلة الثانية اختلفوا في ان الخلق نفس المخلوق او غيره قال
جمع من المتكلمين الخلق غير المخلوق ويدل عليه وجوه الحجة الاولى اجمعت الامة على انه
سبحانه خالق للخلق وكان موصوفا بالخلق والله سبحانه موصوف بالخلق
وغير موصوف بالمخلوق باتفاق العقلا فعلمنا ان الخلق غير المخلوق
الحجة الثانية اذا خطر ببال العقل ان هذا الشي يمكن ان يوجد ويمكن ان يبقى على
العدم فقضى العقل بانه لا يمكن دخوله في الوجود الا بايجاد موجود وبتخليق
خالق قادر وقد علمنا وجود المخلوق بالتخليق وحصول المكون بالتكوين والايجاد
فلو كان الخلق والايجاد والتكوين عبارة عن وجود المخلوق لكان قولنا المخلوق
انما وجد لان الخالق خلقه عايدا الى ان المخلوق انما وجد وحدث لذاته لا لانه مخلوق
وذلك يوجب استغناه عن الخلق ووقوعه بذاته وكل ذلك محال الحجة الثالثة
انا قد نعقل وجود هذا المخلوق وذاته ونعقل وجود ذلك الخالق وذاته مع
الشك في كون ذلك الشي خالقا لهذا الشي وكون هذا الشي مخلوقا لذاك الشي
والمشكوك فيه مغاير فكون هذا الشي خالقا لذاك الشي لا بد وان يكون
امرا زايدا على ذات الخالق وذات المخلوق وهذا يفيد القطع بان الخلق غير
المخلوق وقال جمهور المتكلمين الخلق يمتنع ان يكون مغايرا للمخلوق ويدل
عليه وجوه الحجة الاولى ان الخلق ان كان قديما لزم من قدمه قدم المخلوق
وان كان حادثا افتقر الى خلق اخر ولزم التسلسل الحجة الثانية ان الخلق ان
كان محدثا افتقر الى خلق اخر وان كان قديما كان من لوازم ذات البارى تعالى
فلا يكون ثبوته واقعا بقدرة البارى واختياره ثم ان الخلق مستلزم لوجود

المخلوق لانه لا يتصور في العقل حصول الخلق مع انه لا يترتب عليه وجود
المخلوق اصلا اذا ثبت هذا فنقول ذاته تعالى مستلزمه للخلق والخلق
مستلزم للمخلوق ومستلزم المستلزم مستلزم فذات الله تعالى مستلزمه
لوجود المخلوق ولا يكون وقوع المخلوق باختيار الله ومشيته بل يكون ذاته
سبحانه موجبه لوقوع المخلوقات وحينئذ يكون ذاته موجبه بالذات
لا فاعله بالاختيار وهو باطل الحجة الثالثه ان المراد من القدره الصفه
الموثره والمراد من الاراده الصفه المرجحه فاذا حصل مجموع القدره والاراده
فقد حصل تمام الموثر واما وقوع المخلوق فهو الاثر ويمتنع ان يحصل بين
الموثر التام المستقل وبين الاثر واسطه فها هنا مجموع الاراده والقدره
وها هنا الاثر الحاصل منهما واذا كان الامر كذلك بطل القول بان الخلق
صفه زايده على القدره والاراده وهو المطلوب الحجة الرابعه ان قوله تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب
والتي يمكن جعلها ايات ودلايل على الله سبحانه هو هذه المخلوقات لا الصفه
القايمه بذات الله تعالى فعلمنا ان المراد من قوله ان في خلق السموات والارض
هو هذه المخلوقات وكيفيه تقديرها بالصفات المخصوصه والاحوال المخصوصه
والله اعلم المسئله الثالثه اعلم ان الاستدلال بالسموات على وجود الصانع
سبحانه يقع على وجوه الاول الاستدلال بمقادير هذه الافلاك فانها مع
اشتراكها في الطبيعه الفلكيه اختص كل واحد منها بثخن معين وضخامه معينه
مع انه لا يمتنع في العقل وقوعه على ازيد من ذلك او انقص منه بذره فلما
اختص كل واحد منهما بمقداره الخاص مع ان المقادير باسرها على السويه
قضى العقل بافتقار هذا المقدار المعين الى مخصص ومرجح وذلك هو الله
سبحانه واعلم ان اقوى الوجوه في قوله ان في خلق السموات والارض هذا الوجه
لانا ذكرنا ان اطلاق لفظ الخلق على المقدار اطلاق مشهور متعارف واعلم

انا لو ساعدنا على ان لفظ الخلق في اللغه عباره عن التقدير لكنا نقول انما
صار لفظ المخلوق مخصوصا بفعل الله تعالى لان افعاله واقعه على وفق
علمه ومشيته من غير زياده ولا نقصان فلما كان هذا المعنى لا يحصل في فعل
غير الله لا جرم لا يصح استعمال لفظ الخلق الا في فعل الله تعالى
النوع الثاني من الاستدلال كون بعض الافلاك اعلى وبعضها
اسفل وهذا في الجمله معلوم لان علماء اهل الهيئه قالوا اقرب الكواكب
الينا القمر ثم عطارد ثم الزهره ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل
ثم الكواكب الثابته وذكروا في معنى هذا الترتيب ثلثه اوجه الاول
الستره وذلك لان الكوكب الاسفل اذا مر بين ابصارنا وبين الكوكب الاعلى فانهما
يصيران مثل كوكب واحد في الرويه ويتميز الساتر عن المستور بكونه الغالب عليه
كصفره عطارد وبياض الزهره وحمره المريخ ودريه المشتري وكموده
زحل ثم ان القدما وجدوا القمر يكسف الكواكب الثابته وكثيرا من الثوابت التي
في طريقته في ممر البروج وكوكب عطارد يكسف الزهره والزهره يكسف
المريخ والمريخ يكسف المشتري والمشتري يكسف زحل وزحل يكسف الكواكب
الثابته التي تكون في ممره فعرفوا هذا الترتيب بهذا الطريق الا انه بقي الاشكال
من وجوه الاول ان الشمس تحجب في نورها ما هو اعلى منها وما هو اسفل منها
وحينئذ لا يمكن ان يعلم بهذا الطريق موضع الشمس والثاني هب ان هذه
السيارات يكسف الثوابت التي تكون في جانبي القطبين فلم لا يجوز وجود كره
اخرى تحت كره القمر يكون هذه الثوابت مركوزه فيها ويكون حركه هذه الكره
مشابهه لحركه كره الثوابت وعلى هذا التقدير لا تختلف اوضاع الثوابت البته
فبهذه الاعتراضات ظهر ضعف عقولهم في معرفه هذا الترتيب الا ان نوجه
الاستدلال بها على الصانع المختار لا يختلف على جميع الاحتمالات وذلك
لان كل فلك فانه يماس بمحدبه فلكا اخر فوقه وبمقعره فلكا اخر تحته وذلك الفلك

متشابه الاجزا متشابه الجوانب فكل ما يصح على احد جانبيه وجب ان يصح
على الجانب الاخر منه فالفلك الفوقاني الذي لقيه بمحدبه صح ان يلقاه بمقعره
والفلك التحتاني الذي لقيه بمقعره صح ان يلقاه بمحدبه ومتى كان
الامر كذلك ثبت انه يصح ان يحصل الفلك الاعلى في الاسفل والفلك الاسفل
في الاعلى ومتى كان هذه الاحتمالات جائزة امتنع اختصاص كل واحد
من الافلاك بحيزه الذي هو فيه وموضعه الذي هو فيه الا بتخصيص مخصص
وتقدير مقدر وتكوين قادر عالم حكيم مختار وهو الله سبحانه وتعالى
النوع الثالث من الاستدلال باحوال الافلاك ان كل كوكب حصل في فلك
فانه حصل في نقرة معينة حصلت في جانب معين من ذلك الفلك ثم ان القوم
اتفقوا على ان الفلك بسيط غير مركب والجسم البسيط هو الذي يكون له طبيعة
واحدة متشابهة فلما امكن حصول تلك النقرة في ذلك الجانب من الفلك امكن
حصولها في ساير جوانب ذلك الفلك كما امكن حصول الاتصال في ساير
جوانب الفلك امكن حصوله في ذلك الموضع الذي حصلت النقرة فيه واذا ثبت
ذلك ظهر ان الاجتماع والافتراق والاتصال والانفصال جائز على جميع اجزا
الفلك كل واحد منهما بدلا عن الاخر واذا كان الامر كذلك كان حصول النقرة في
احد جوانب الفلك وحصول الاتصال في ساير جوانب ذلك الفلك امرا جائزا
فلا يمكن حصوله الا لمرجح ومخصص ومدبر قادر مختار وذلك هو المطلوب
النوع الرابع من الاستدلال باحوال الافلاك هو ان كل كرة من كرات الافلاك
فانها تدور على قطبين معينين واذا كان الفلك متشابه الاجزا كان النقط
المفروضة عليها متساوية وجميع الدواير المفترضة عليها ايضا متساوية
فاختصاص نقطتين معينتين بالقطبية دون ساير النقط مع استوائها في
الماهية والحقيقة يكون امرا جائزا فيقضي العقل بافتقاره الى المرجح
المدبر العالم المختار النوع الخامس من الاستدلال اجرام الفلكية

مع تشابهها في الجسمية وقبول الاعراض اختص كل واحد منها بنوع معين
من الحركة في البطوء والسرعة فانظر الى الفلك الاعظم مع نهاية اتساعه وعظمته
يدور في كل يوم وليلة دورة تامة والفلك الثامن الذي هو اصغر منه لا يدور
دورة تامة الا في ستة وثلثين الف سنة على قول القدما وفي اربعة وعشرين الف سنة
على قول المتاخرين ثم ان الفلك السابع الذي تحته يدور في ثلثين سنة دورة تامة
فاختصاص الفلك الاعظم بتلك السرعة الشديدة والفلك الثامن بذلك البطوء
العظيم امر على العقل فانه كان ينبغي ان يكون الاوسع ابطا حركة والاصغر اسرع خلاف
حركة فوقوعه على هذا الوجه يدل على انه بسبب تقدير العزيز العليم القادر الحكيم
النوع السادس من الاستدلال ان الفلك الذي يسمونه بالممثل اذا انفصل
عنه ذلك الخارج المركز بقي على ما يليهم منه متممان احدهما الخارج والاخر
الداخل وانه جرم متشابه الطبع ثم اختص احد جوانب هذا الجسم بغاية
الثخن والاخرى بغاية الرقة واذا كان كذلك وجب ان يكون ذلك الثخن والرقة
بالنسبة الى طبيعة ذلك الجسم على السوية فاختصاص احد الجانبين بالرقة والاخر
بالثخن يدل على القادر المختار النوع السابع من الاستدلال انها مختلفة
في جهات الحركات فبعضها من المشرق وبعضها من المغرب وبعضها شمالية
وبعضها جنوبية مع ان جميع الجهات بالنسبة اليها على السوية فاختصاص كل
واحد منها بالجهة المعينة لا بد وان يكون بتخصيص القادر المختار واليه الاشارة
بقوله سبحانه وتعالى وكل في فلك يسبحون النوع الثامن من الاستدلال
انا نشاهد هذه الافلاك الان متحركة فاما ان يقال انها كانت متحركة
في الازل او ما كانت متحركة في الازل اما انها ما كانت موجودة في الازل
او انها وان كانت موجودة في الازل الا انها ما كانت متحركة في الازل
والقسم الاول محال لان ماهية الحركة عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة اخرى
فهذا الانتقال لا محالة يكون مسبوقا بالمنتقل عنه فحقيقة الحركة تقتضي ماهيتها

ان يكون مسبوقه بالغير وحقيقة الازل ينافي المسبوقية بالغير فالجمع بين
الحركة والازل محال ولما بطل هذا القسم ثبت انه لا حركة في الازل سوا قلنا ذوات
الافلاك كانت موجوده في الازل ساكنة او قلنا بانها كانت معدومة في الازل
وعلى القولين لا بد من الاعتراف بالقادر المختار الحكيم لانها ان قلنا انها كانت
موجوده وكانت ساكنة ثم تحركت فيما لا يزال فلا بد من قادر مختار حكيم حركها
بعد ان كان ساكنا وان قلنا انه كان معدوما في الازل فلا بد ايضا من قادر حكيم
مختار اوجدها في لا يزال بعد ان كان معدوما في الازل فثبت ان على كلا
القسمين لا بد من الاعتراف بان للعالم الها قادرا مختارا وهذا الماخذ احسن
الماخذ واقواها واجلاها النوع التاسع ان حركات هذه الافلاك
اما ان يكون من لوازم جسميتها او لا يكون كذلك والاول باطل لان كل ما كان
من لوازم الشي امتنع زواله مع بقاء ذلك الشي لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم
لكنا نرى ان جسمية كل واحد من الافلاك قد ينفك عن كل واحد واحد من الاجزا
المعترضة في الحركات فان كل واحد من اجزا تلك الحركة ليس من لوازم جسميته
وليس ايضا من لوازم صورته المعينة وطبيعته المعينة لانعاد المحال
المذكور لان تلك الطبيعة والصورة باقية وكل واحد من اجزا تلك الحركة غير باقي فاذن
لكل واحد من تلك الاجزا المعترضة في تلك الحركات مدبر ومقدر فمحرك
الافلاك والثوابت والسيارات هو الله سبحانه النوع العاشر ان هذا
الترتيب العجيب في تركيب هذه الافلاك وائتلاف حركاتها واتساق حركاتها
الى نظم موافق لمصلحة هذا العالم لا يناسب العبث والاتفاق ولا يناسب من الطبيعة
التي هي بل صرايح الاذهان وبداية الافكار ناطقة بان ذلك لا يناسب الا من
القادر الحكيم اما انه لا يعقل استنادها الى العبث والاتفاق فلان من جوز في بنا رفيع
وقصر مشيد ان التراب والما انضم احدهما بالاخر ثم تولد منهما اللبنات
ثم تركبت تلك اللبنات وتولد من تركيبها قصر مشيد وبنا عالي وكل ذلك حصل من

غير تدبير مدبر وتقدير مقدر فانه يقضي على مجوز هذا بالجنون ونحن نعلم ان
تركيب هذه الافلاك وما فيها من الكواكب النيرة والحركات المختلفة وما يحصل
لها من البقا والنما والصفا ليس اقل من ذلك البنا فثبت ان القول بوقوع هذه
السموات والكواكب على وجه العبث والاتفاق محال ثم عند هذا لا يخلوا اما ان
الافلاك تحركها بعينها على سبيل الطبع او على سبيل الاختيار او لاجل ان محركا
حركها والاول باطل لان كل جسم يتحرك بالطبع عن شي فانه لا يتحرك بتلك الطبيعة
الى عين ذلك الشي لان المهروب بالطبع لا يكون مطلوبا بالطبع والحركة المستديرة
لكل حركة وقعت هربا عن نقطة فانه عين ذلك الهرب يكون عين طلب تلك النقطة
فعلمنا ان حركات الافلاك ليست طبيعية وهي ايضا ليست ارادية وذلك لان حركتها
اما ان يكون لغرض ممكن الحصول او ليس كذلك فان كان الاول لزم وقوف هذه
الحركات وانتهاؤها الى السكون لان كل حركة كانت لطلب مقصود فعند حصول
ذلك المقصود وجب انقطاع تلك الحركة وان كانت تلك الحركة لاجل غرض غير ممكن
الحصول كانت تلك الحركة عبثا والعبث لا يكون دايما ولا اكثريا ولما بطل
القسمان علمنا ان حركاتها ليست الا لاجل ان المدبر المقدر القاهر القادر
العالم بالاسرار والخفيات المطلع على الكليات والجزئيات حركها على وفق
مشيته ومقتضى حكمته وليس عند بابه الا الايمان بها على سبيل الاجمال على ما قال
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار
والنوع الحادي عشر الاستدلال باحوال السموات انا نراها مختلفة في الالوان
مثل محو القمر وصفرة عطارد وبياض الزهرة وضوء الشمس وحمرة المريخ ودرية
المشتري وكمودة زحل ولمعان الثوابت وايضا فكل واحد من الكواكب الثابتة
مختص بطبع خاص وضوء خاص وجانب من الفلك خاص وايضا هي عند المنجمين
مختلفة بالسعادة والنحوسة والذكورة والانوثة والنهارية والليلية فزحل
والذي هو ارفع السيارات نحسا والمشتري هو الذي دونه سعدا والشمس

وهي سلطان الكواكب سعد في بعض الاتصالات نحس في بعضها ونراها
مختلفة في الثبوت والحلول والوجوه والمثلثات والرجوع والاستقامة
والسعود والهبوط مع كونها باسرها مشتركة في كونها اجساما فلكية
شفافة نورانية مصونة عن الكون والفساد والتغير والاختلال فيقضي
صريح العقل بافتقارها الى مدبر يدبرها وقادر يخصص كل واحد منها بصفته
المعينة وخاصيته المعينة النوع الثاني عشر ان هذه الكواكب لو كان لها
تاثير في هذا العالم فهي اما ان يكون متدافعة او متفاوتة او لا متدافعة
ولا متفاوتة فان كانت متدافعة فاما ان يكون بعضها اقوى من بعض
او متساوية في القوة فان كان بعضها اقوى من بعض كان القوي غالبا ابدا
والضعيف يكون مغلوبا ابدا فوجب ان يستمر احوال هذا العالم على طبيعة
ذلك الكوكب ومعلوم انه ليس الامر كذلك فان قيل لم لا يجوز ان يختلف اثار الكواكب
بسبب اختلاف طبايع البروج قلنا لو كانت طبايع البروج مختلفة لكان الفلك
جسما مركبا لا بسيطا وقد ثبت عندهم فساد ذلك واما ان كانت متساوية
في القوة مع انها متدافعة فحينئذ لا يحصل الفعل عن شي منها اصلا فيكون
الافعال الظاهرة في هذا العالم مستندة الى شي غيرها فيكون مدبر هذا
العالم ذلك الغير لا هذه الكواكب واما ان قيل هذه الكواكب متفاوتة لزم ايضا
بقاء احوال هذا العالم على نسق واحد غير متغير اصلا واما ان قيل انها تارة
متعاونة وتارة متدافعة كان انتقالها من الحب الى البغض ومن الممانعة
الى المعاونة تغيرا يحصل لها في صفاتها ولا بد لذلك التغير من مغير ومدبر
فيكون الكواكب باسرها مفتقرة في حصول صفاتها وحدوث احوالها
الى مدبر قادر قاهر وذلك هو الله سبحانه وتعالى النوع الثالث عشر
ان هذه السموات والكواكب اجسام وكل جسم مركب من الاجزاء لان كل جسم فهو
قابل للقسمة الوهمية وكل ما قبل القسمة الوهمية كانت ذاته مركبة من تلك الاجزا

التي كل واحد منها متميز عن الاخر في الاشارة الحسية وكل ما كان مركبا فانه مفتقر
في تحققه الى تحقق كل واحد من مفرداته وكل واحد من اجزا الشي غيره فكل مركب فهو مفتقر
الى غيره وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محتاج الى المؤثر
وكل ما احتاج في وجوده الى المؤثر فاحتياجه اليه اما ان يكون حال بقايه او حال
حدوثه او حال عدمه ويمتنع ان يحتاج الى الموجد حال بقايه لان ذلك يقتضي
ايجاد الموجود وتحصيل الحاصل وهو محال فلم يبق الا ان يكون الحاجة اما زمان
الحدوث او زمان العدم وعلى كلا التقديرين كان كل محتاج الى المؤثر محدثا
فثبت ان هذه الكواكب والسموات باسرها ممكنة الوجود لذواتها محتاجة في وجودها
الى المؤثر وكانت محدثة مسبوقة بالعدم النوع الرابع عشر الاستدلال
بسرعة حركة هذه الكواكب مع غاية عظمها وذلك لان اصغر كوكب يرى هو
مثل الارض مايتي مرة واكبرها ينتهي الى قريب من ماية وعشرين مرة مثل الارض
فاما الشمس مثل الارض ماية واربعا وستين مرة ثم انك ترى الكوكب في لحظة
يسيرة وذلك لان الزمان من طلوع اول جزء من الكوكب الى تمامه يسير وذلك
مثل الارض وذلك ماية وعشرين مرة فقد دار الفلك في تلك اللحظة اللطيفة مثل
الارض ماية وعشرين مرة وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته
اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
كيف تقول لا نعم فقال جبريل عليه السلام من حيث قلت لا الى حيث قلت نعم
سارت الشمس مسيرة خمسماية عام فانظر الى عظم جسمها ثم الى خفة حركاتها ثم انتقل
منها الى قدرة فاطرها وباريها كيف خلقها على عظم جرمها ثم حركها الحركة الخفيفة
السريعة ثم امسكها في الهواء بغير عمد ترونها النوع الخامس عشر
في الاستدلال بهذه الاجسام ان الاجسام متساوية في الجسمية بدليل انه يصح
تقسيم الجسم الى الفلكي والى العنصري والى الكثيف والى اللطيف والى الحار والى البارد
والى الرطب والى اليابس ومورد التقسيم مشترك بين كل الاقسام فالجسمية قدر

مشترك بين هذه الاقسام ولان الامور المتماثلة في تمام الماهية يكون متساوية
في قبول الصفات والاعراض فاذن ثبت ان كل ما صح على جسم فهو صحيح على سائر
الاجسام فاذن اختصاص كل جسم بما هو مختص به من المقدار والوضع والشكل
والطبع لا بد وان يكون من الجائزات وذلك يقضي عليها بالافتقار الى الصانع
القديم الحكيم المختار جل جلاله وتقدست اسماؤه ولا اله غيره فهذه هي الوجوه
التي وصلت عقولنا الضعيفة اليها وهي باسرها داخلة تحت قوله سبحانه ان
في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب

الفصل الرابع في تعديد صفات السموات والارض والاستدلال
بكل واحد من تلك الصفات على وجود الاله القادر الحكيم الصفة الاولى
بقاؤها في جو الهوا معلقة قال سبحانه وتعالى ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا اخبر الله تعالى
في هذه الاية انه سبحانه هو الذي يمسك السموات والارض عن الزوال والانتقال
فنحتاج اولا الى بيان ان السموات والارض غير زائلة عن مواضعها ومقارها
ثم الى بيان ان ذلك الممسك هو الله سبحانه فلنبين ذلك في الارض ثم في السما
اما الارض فمن الناس من قال انها هاوية بطبعها ابدا في الخلا الذي لا نهاية
له من جهة السفل ومنهم من قال الفلك واقف والارض هي التي تتحرك كل يوم وليلة
دورة تامة وسبب طلوع الشمس والقمر والكواكب هو استدارة الارض
والذي يدل على انها غير هابطة انها لو كانت كذلك لكان من طفر من موضع
عال الى الارض وجب ان لا يصل اليها لان كل شيئين نزلا من الاعلى الى
الاسفل واحدهما اخف من الاخر فان الاخف لا يدرك الاثقل وانما قلنا
انها غير مستديرة انها لو كانت كذلك لكانت حركتها في غاية السرعة فكانت
تموج الهوا المحيط بها تموجا شديدا فكان يجب ان يكون تموج ذلك الهوا
مانعا للانسان عن ان يتحرك الى خلاف تلك الجهة ومعلوم ان ذلك باطل ولما

بطل هذان القسمان ثبت ان الارض واقفة واما السموات فهي ايضا مستقرة
في احيازها وغير خارجة منها والدليل عليها انها لو خرجت عن موضعها فاما ان تنزل
او تصعد فان نزلت مع ان الارض واقفة صار السما كل يوم اقرب الينا فكان
يجب ان نرى كل يوم تلك الكواكب اعظم وان نرى من السما اقل مما رايناه بالامس
وان قلنا ان السما تصعد لزم ضد ما ذكرناه ولما كان كل ذلك باطلا علمنا ان
السموات والارضين مستقرة في مواضعها مستمرة في احيازها واذا ثبت هذا فنقول
ممسكها هو الله سبحانه وتعالى اما الارض فنقول للناس في سبب سكونها
اقوال الاول ان الارض لا نهاية لها في جانب السفل واذا كان كذلك لم يكن
لها مهبط فلا جرم لم تنزل وهذا فاسد من وجهين الاول ثبت بالدلائل ان الاجسام
متناهية الثاني ان الارض طبيعتها واحدة فاختصاص احد وجهيها بالتناهي
والوجه الاخر بعدم التناهي لا بد وان يكون بتخصيص مخصص وتقدير
قادر القول الثاني قول من سلم ان الارض متناهية في جميع الجوانب والقائلون
بهذا ذكروا في سبب سكون الارض وجوها الاول قالوا الارض كنصف كرة
وحدبتها الاعلى يلينا واما سطحها الاسفل فهو سطح مستقيم موضوع على الما
والهوا ومن شان الثقل المنبسط ان لا يغوص في الما بل يبقى واقفا عليه وهذا
باطل من وجهين الاول ان البحث يعود في علة وقوف الما والهوا تحت الارض
الثاني لما صار احد وجهي الارض محدبا والثاني مستقيما مع تساوي الماهية
فلا يعقل هذا الا بسبب الفاعل المختار القول الثالث الذين قالوا سبب
وقوف الارض جذب الفلك لها من كل الجوانب فبقيت في الوسط وهو ايضا باطل
من وجهين الاول ان المدرة التي على وجه الارض اقرب الى هذا الجانب من الفلك فوجب
ان تنجذب الى هذا الجانب من الفلك والثاني ان المدرة المقذوفة الى فوق وجب ان تنجذب
الى الفلك وان لا تعود القول الرابع سبب وقوف الارض دفع الفلك لها من
كل الجوانب كما اذا جعل كف من التراب في قنينة ثم اديرت القنينة على قطبها

ادارة سريعة وقف التراب في وسط القبة لتساوي الدفع من كل الجوانب وهذا
باطل من وجوه خمسة الاول لو بلغ قوة الدفع الى هذا الحد فلم لا نحس بها
الواحد منا الثاني ما بال هذا الدفع لم يجعل حركة السحاب والرياح الى
جهة بعينها الثالث ما بال هذا الدفع لم يجعل انتقالنا الى الجهة الموافقة
لحركة الفلك اسهل وضد تلك الحركة اصعب الرابع يجب ان يكون الثقل كلما كان
اعظم ان يكون حركته ابطأ لان اندفاع المدفوع الاعظم عن الدافع القاسر
ابطأ الخامس يجب ان يكون حركة الثقل النازل من الابتداء اسرع منها عند الانتهاء
لانها عند الابتداء ابعد من الفلك وابعد من تأثيره القول الخامس الارض
تطلب الوسط من الفلك بالطبع وهو قول ارسطاطاليس وهو ضعيف لان
الاجسام متساوية فاختصاص بعضها بالصفة التي لاجلها تطلب وسط العالم
يكون امرا جائزا فيحتاج الى مخصص الفاعل المختار القول السادس الفلك كرة
فاذا استدار على ما في حشوه عرض لما هو في غاية القرب من الفلك ان يسخن
فيصير نارا ولما هو في غاية البعد من الفلك ان يبقى على البرد والكثافة والثقل
فيكون ارضا ثم الذي يقرب النار يكون لا محالة الطف مما يقرب من الارض فصار
الملاصق للنار هواء والملاصق للارض ماء فلهذا السبب حصلت العناصر على
هذا الترتيب وهو ايضا ضعيف لان الكلام يعود في انه لم جعل بعض الاجسام
ملاصقا للفلك وبعضها في غاية البعد عن الفلك حتى صار القريب نارا والبعيد
ارضا القول السابع قال بعض المعتزلة النصف الاعلى من الارض فيه
اعتمادات صاعدة والنصف الاسفل فيه اعتمادات هابطة فحصل التدافع بين
الاعتمادين المتضادين فيلزم الوقوف وهذا ايضا باطل لانا نقول فلم اختص
ذلك الوجه بالاعتماد الصاعد وهذا الوجه بالاعتماد النازل ولا يمكن
ان يذكر فيه سبب الا الفاعل المختار ولما بطلت هذه الاقاويل ثبت ان يقال
بقاء الارض والسموات في مواضعها ومقارها واحيازها ليس الا الله فثبت

ان ممسك السموات والارض هو الله سبحانه ونقرر الكلام على الوجه البرهاني
نعود الى ما تقدم من ان الاجسام متساوية في الجسمية واختصاص كل واحد
منها بحيز مخصوص لا يمكن ان يكون لذواتها ولا لشيء من لوازم ذاتها والا لزم
التشابه بل لا بد وان يكون امرا جائزا فيكون بتخصيص المخصص الذي هو
القادر المختار فصار قوله سبحانه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
مؤكدا بهذه البراهين العقلية القطعية اذا عرفت هذا البرهان فلنرجع الى
البيان الاقناعي الذي يصل اليه كل فهم فنقول لا شك ان السماء فوق الهواء وهو
محسوس ولا شك ان الارض فوق الماء بدليل انك لا تحفر موضعا الا يخرج عنه
الماء والطف الاجسام المشاهدة هو الهواء وبعده الماء ثم ان الارض مع ما فيها من
الاجسام الثقيلة كالبحار والجبال موضوعة على الماء وايضا لا شك ان كل واحد
من النجوم اعظم من الارض بدرجات واقل منها مكبر فاذا شاهدنا ان اصغر جزء من
الارض لا يستقر على وجه الماء ثم علمنا ان كل الارض مستقر على وجه الماء علمنا
ان ذلك لا يكون الا بامساك الله سبحانه ثم ان الهواء الطف من الماء ولا يستقر فيه
اصغر الاجزاء الثقيلة ثم ان السموات والكواكب مع ما فيها من الثقل العظيم
والعظمة العظيمة استقرت في الهواء علمنا ان ذلك لا يكون الا بامساك الله سبحانه
فعلمنا انه ليس استقرار الارض في حيزها ولا استقرار السموات في مواضعها
الا بقدرة قادر وعلم عالم وحكمة حكيم هو اقدر القادرين واحكم الحاكمين
تنزهت عظمته عن علائق العقول البشرية وتقدست جلالته وكبرياؤه عن حوادث
الافكار الانسانية بقي هاهنا سؤالات السؤال الاول ما معنى قوله تعالى
ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده فالجواب قال الفراء المعنى لو زالتا ما
امسكهما من احد من بعد الله وهو كقوله ان انت الا نذير اي ما انت الا نذير
السؤال الثاني ما الفائدة في قوله ان تزولا وهما لا يزولان الى يوم القيامة والجواب
من وجوه الاول ان علم الوقوع لا ينافي صدق قولنا لو وقع كيف يكون كقوله

لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا الثاني المعنى لئن زالتا حين حكمت بالزوال يوم القيامة
فمن الذي يمسكها عن ذلك الزوال الثالث لئن زالتا بسبب كفركم وقولكم
اتخذ الرحمن ولدا على ما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر
الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا السؤال الثالث ما الحكمة في ختم هذه الآية بقوله تعالى
إنه كان حليما غفورا الصفة الثالثة للسموات الرفعة قال تعالى الذي رفع
السموات بغير عمد ترونها وتقرير هذا المعنى أن جميع العالمين عاجزون عن
رفع شيء ثقيل في الهواء إلا بأحد الطريقين إما أن يكون تحته شيء يستقر عليه
أو بأن يكون فوقه شيء معلق عليه ولا شك أن العالم متناهي من فوقه ومن تحته
فليس لجميع الأجسام جسم حتى يستقر هو عليه فإذا عجز كل الخلائق عن
رفع شيء ثقيل إلا بأحد هذين الطريقين وثبت أن كل العالم بما فيه من العرش والكرسي
والسموات والكواكب والبحار والجبال معلقة من غير علاقة فوقها ولا قرار تحتها
لم يكن بد من الإقرار بقادر ممسك أقوى من جميع هذه الأجسام وأقدر منها حتى
يمسكها بقدرته ويحفظها بإلهيته ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين
وفي الآية سؤالات السؤال الأول أنه تعالى قال بغير عمد ترونها وهذا يوهم
أن هناك عمدا لا تراها والجواب من وجوه الأول لو قال بغير عمد لكان
خطأ بل ذاك عمد وهو إمساك الله سبحانه وتعالى كما قال إن الله يمسك السموات
والأرض أن تزولا لأن إمساك الله تعالى وحفظه عماد لا يرى فلهذا السبب
قال بغير عمد ترونها الثاني قال الحسن وقتادة معنى الآية الله الذي رفع
السموات بغير عمد وأنتم ترون أنه رفعها بغير عمد الثالث قال في صفة
العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فههنا يحتمل أن يكون للسموات
ملائكة يحملونها فإذا كان محتملا لا جرم ما نفى العمد مطلقا بل نفى عمدا
تشاهد وترى لأنا نسبنا حمل العرش والسموات إلى الملائكة فمن الذي يحمل
الملائكة مع هذا الحمل العظيم إلا قدرة الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له

كفوا أحد السؤال الثاني الرفع مشعر بأنها كانت موضوعة في السفل فنقلها الله
من السفل إلى العلو فهل الأمر كذلك والجواب في لفظ الرفع في هذه الآية
قولان أحدهما أنه عبارة عن الإنشاء على صفة الارتفاع لا أنها كانت
موضوعة فرفعها نظيره قوله تعالى والأرض وضعها للأنام أي خلقها موضوعة
لا أنها كانت مرفوعة فوضعها والقول الثاني أن السموات والأرض كانتا شيئا
واحدا رتقا ففتق الله بينهما ورفع السموات على ما ذكرناه وشرحناه الصفة
الثالثة للسموات قوله تعالى والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه سبحانه وتعالى ولما آل الأمر إلى آدم عليه السلام قال لإبليس ما منعك أن تسجد
لما خلقت بيدي والسموات في آخر الأمر تكون في يمين الله وآدم في أول الأمر كان مخلوقا
بيده وهذا يشير إلى أن ما هو نهاية أحوال السموات فهو بداية حال البشر
الصفة الرابعة كون هذه السموات مخلوقة بالحق لا بالباطل قال سبحانه
ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال أيضا وما خلقنا
السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا وقال في حق البشر أفحسبتم
أنما خلقناكم عبثا ثم بين أن الحكمة في خلق السماء والأرض أكثر وأعظم من الحكمة
في خلق الناس فقال لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون
واعلم أنه ليس المراد من هذا الكبر الكبر في الجثة لأن ذلك معلوم لكل أحد بالحس
والضرورة بل المراد من ذلك الكبر في الأسرار الإلهية والحكم الربانية التي لا يعرفها
أحد إلا هو ولا يطلع عليها أحد سواه. الصفة الخامسة قوله تعالى
أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها
واعلم أنه سبحانه وصف السماء في هذه الآية بصفات كثيرة أحدها شدة الخلق
ونظيره قوله تعالى في سورة عم وبنينا فوقكم سبعا شدادا والشداد جمع شديدة
يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان ولا يحصل فيها فطور ولا فروج
فإن قيل فالملائكة كيف ينزلون عن السموات مع شدة خلقها وكيف يعرج فيها

قلنا كما ان الانوار فيهما مع شدتها بل نزول الملائكة اولى لان ذوات الملائكة
بالنسبة الى هذه الانوار المحسوسة تجري مجرى هذه الانوار المحسوسة بالنسبة
الى هذه الاجرام وفي لفظ الاية اشكال قال الكسائي والفرا والزجاج
الكلام تم عند قوله انتم اشد خلقا ام السما ثم قوله بناها ابتدا كلام
اخر وعند غيرهم الوقوف على قوله بناها لانه من صلة السما والتقدير التي بناها
فحذف التي ومثل هذا الحذف جايز تقول الرجل جاك عاقل اي الرجل الذي جاك
عاقل واذا ثبت ان هذا جايز في اللغة فنقول الدليل على قوله بناها صلة لما قبله
لانه لو لم يكن صلة لكان صفة ثم قوله رفع سمكها صفة ايضا فقد توالت
صفتان لا تعلق لاحديهما بالاخرى فكان يجب ادخال العاطف فيما بينهما كما
في قوله تعالى واغطش ليلها فلما لم يكن كذلك علمنا ان قوله بناها صلة للسما
ثم قوله رفع سمكها ابتدا بذكر الصفة واعلم ان قوله في السما انه بناها نظير
قوله تعالى اولم يروا الى السما فوقهم كيف بنيناها وقوله في اول البقرة الذي جعل
لكم الارض فراشا فان قيل انما يسمى الشي بنا اذا كان مستقرا على الارض والسما
قد امسكها الله معلقة في الجو فكيف سماها بنا قلنا هذا مذكور على سبيل التشبيه
وذلك لان اعظم الاجسام احكاما في البنية والتركيب هو الذي يكون موضوعا
على الارض فكانه قيل هذا الذي امسكته في الهوا اكثر احكاما ومثله مما ثبتة على
الارض والمستقر فلشدة احكامه سمي بنا واعلم ان الله سبحانه لما بين في السما انه
بناها بين بعد ذلك انه تعالى جعل السما علة للمكان وعلة للزمان اما ان السما
سبب للمكان فهو قوله تعالى رفع سمكها فسواها واعلم ان امتداد الشي اذا
اخذ من اعلاه الى اسفله سمي عمقا واذا اخذ من اسفل الشي الى اعلاه سمي
سمكا فالمراد برفع سمكها شدة علوها حتى ذكروا ان ما بين السما والارض
خمسمائة عام واما قوله فسواها فقيل المراد به تسويته بالبيضا وقيل
المراد نفي الشقوق عنها كقوله ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان كل

هذه الوجوه تدل على كمال العلم والقدرة لمدبرها وخالقها لان وقوع
التفاوت تارة يكون لجهل المدبر وتارة يكون لعجزه فمن كان عالما بالكل
قادرا على الكل امتنع وقوع التفاوت في مخلوقاته وبهذا الطريق عرفنا
انه صادق في وعده حكيم لا يفعل السفه في فعله لان صدور السفه
والكذب اما للعجز او للجهل او البخل والكل محال عليه فامتنع الكذب في وعده
والسفه في فعله واما ان خلق السموات سبب لحدوث الزمان فهو المراد
من قوله واغطش ليلها واخرج ضحاها واعلم ان اغطش قد يجي لازما يقال
اغطش الليل اذا صار مظلما ويجي ايضا متعديا يقال اغطشه الله اذا جعله
مظلما والغطش الظلمة والاغطش شبه الاعمش وها هنا سوال وهو ان
الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله اغطش ليلها
يرجع معناه الى انه تعالى جعل المظلم مظلما وهو الكلام بعيد والجواب
معناه ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان بتقدير الله وتدبيره واما قوله
واخرج ضحاها فالمراد هو النهار لانه تعالى عبر عن النهار باسم الضحى لان الضحى
اضوا اوقات النهار ونظيره قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى وذلك لان اضوا
اوقات النهار هو الضحى وذلك الضو التام بعد الظلمة التامة وذلك مما لا يقدر
عليه احد الا الله واعلم ان في الاية فوايد احدها انه تعالى قدم ذكر الظلمة على
ذكر النور وهذا دال على تقدم الظلمة على النور وهو نظير قوله وجعل الظلمات
والنور والثانية انه اضاف الليل والنهار الى السما لانهما انما يحدثان بسبب
غروب الشمس وطلوعها والطلوع والغروب لا يحصلان الا بسبب حركة الفلك
فلهذا السبب اضاف الليل والنهار الى السما والفايدة الثالثة ان المقصود
من هذه الايات الاستدلال على وجود الخالق سبحانه والتقدير ان السما اشد خلقا
من الادمي وقد اقررتم ان خالق السما هو الله فكيف انكرتم ان مدبركم وخالقكم هو الله
الفايدة الرابعة ان اثبات المعاد ايضا مقصود من هذه الاية وسياق الاية

يدل عليه قال الله تعالى فيما قبل هذه الآية يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة
الى قوله أأنتم أشد خلقا أم السماء والمعنى أنتم أنكرتم البعث واستبعدتم
اعادة خلقكم بعد موتكم والاعادة أيسر من الابتداء وابتداء خلقكم أيسير
من ابتداء خلق السماء فلما أقررتم بانه تعالى هو الذي خلق السماء فبان تعترفوا بكونه
قادرا على الاعادة والبعث أولى الفائدة الخامسة كانه قيل مع مثل خلقها
وعظمها وكذلك الارض بجبالها وبحارها مطيعة لحكمي وأمري فكيف
عصيتم حكمي وأمري مع انكم في غاية الضعف بل نقول انتم والسماء مشتركون في
كون كل واحد منكم حاصلا بايجادي وابداعي وانتم اما فارقتم السماء
والارض بالمعرفة والتمييز والاقرار بحصول الثواب والعقاب فانتم بسبب هذه
المعرفة اولى بالانقياد لطاعتي الفائدة السادسة اني لما رفعت السماء من
الارض خلقت المكان لان المكان هو الفرجة الحاصلة بين السماء والارض واليه الاشارة
بقوله رفع سمكها فسواها ولما حركت جرم السموات اظهرت الزمان واليه الاشارة
بقوله واغطش ليلها واخرج ضحاها فالمكان والمكانيات ملكي والزمان
والزمانيات ملكي ونظيره قوله سبحانه في سورة الانعام قل لمن ما في السموات والارض
قل لله وهو اشارة الى ان المكان والمكانيات ملكه وملكه ثم قال وله
ما سكن في الليل والنهار وهو اشارة الى ان الزمان والزمانيات ملكه
وملكه فهو سبحانه وتعالى خالق المكان والمكانيات والزمان والزمانيات
وذلك يدل على كونه منزها عن المكان والزمان وعلائق الحدوث والامكان
الصفة السابعة للسموات قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وهم عن آياتها غافلون وايضا سماها الله تعالى بالسقف المرفوع واعلم
ان من تامل في هذا العالم وجده كالبيت الذي اعد فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء
مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة
كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه وضروب النبات مهيأة

للمنافع وضروب الحيوانات مصروفة في مصالحه وهذه احوال واضحة ودلائل
باهرة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة
غير متناهية ومما يشبه هذا الوصف انه تعالى سماها سبعا طباقا وسبعا
شدادا الصفة السابعة للسموات انه تعالى جعلها قبلة الدعاء قال الله تعالى
قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فقوله قد نرى تقلب وجهك
في السماء اشارة الى مجرد حال اشتغاله بالدعاء والمجسمة تمسكوا بذلك
على انه سبحانه في جهة فوق وهذا باطل على ما سيجيء برهانه ان شاء الله تعالى
بل السبب لذلك وجوه الاول انه تعالى جعل احوال الافلاك اسبابا لمصالح
احوال هذا العالم قال تعالى حكاية عن فرعون لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات
وقال ايضا فليمدد بسبب الى السماء ومن الدعوات المشهورة قولهم يا مسبب
الاسباب ومما يؤكد ذلك قوله تعالى في صفة الملائكة والمدبرات امرا
وفي آية اخرى والمقسمات امرا ولا شك ان مسكن الملائكة هو السموات
فلهذه الوجوه صارت احوال السموات اسبابا لمصالح هذا العالم والثاني
ان الارزاق انما تنزل من السماء قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون
والثالث ان الملائكة الذين ينزلون بالسلام والرحمة من الله انما ينزلون من السموات
قال الله تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم والرابع ان الانوار
انما تنزل من السموات قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فلما
كان كل مصالح العالم لا يتم الا من السموات لا جرم كانت الاعين ممتدة اليه
والايدي مرفوعة اليه والقلوب متعلقة به الفصل الخامس
في تفسير كونه تعالى فاطر السموات والارض حكى سبحانه عن ابراهيم عليه السلام
قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وحكى عن يوسف الصديق عليه السلام
انه قال فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة وقال تعالى في اول
سورة الملائكة الحمد لله فاطر السموات والارض وقال في حق البشر فطرة الله

التي فطر الناس عليها واعلم ان الفاطر هو الذي يحدث الشي ابتدا وتحقيقه
ان الفطور هو الشق فمن احدث الشي ابتدا فهو الذي شق ظلمة العدم واعلم
ان الفاطر الله سبحانه وتعالى وتكوينه يغاير فعل غيره من وجوه الاول ان
الانسان لا يمكنه ان يفعل الا في محل مخصوص ومادة معينة فالحداد
لا بد له من حديد والصائغ لا بد له من ذهب والحايك لا بد له من غزل والحق
سبحانه غني في فعله عن المادة وذلك لان تلك المادة لما كانت قابلة للاحوال
المتغيرة والحوادث المتعاقبة كانت محدثة فلا بد لها من محدث فلو افتقر احداث الله
واتحاده الى سبق مادة لزم افتقار المادة الى مادة اخرى لا الى نهاية
وهو محال فلما كان سبحانه هو الفاعل للمواد والموجد لها دل ذلك على ان
فاعليته غنية عن سبق المواد الثاني ان العباد اذا تصرفوا في مادة فهم لا يتصرفون
في ذات تلك المادة فالنجار يتصرف في الخشب ولكن الخشب باقي في حال ذلك
التصرف والصائغ يتصرف في الذهب ولكن الذهب باقي في تلك الحالة والحق سبحانه
يتصرف في المواد ويغيرها في انفسها الا ترى ان الله سبحانه يقلب الطين غذا
ثم يقلب الغذا نطفة ويقلب النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة عظاما
وايضا يخلق البشر من التراب كما قال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب
فركب من التراب لحما ودما وصورة التراب غير باقية في شي منها ويخلق الحيوان
من الما كما قال والله خلق كل دابة من ما ثم ان صورة المائية غير باقية وخلق
عيسى عليه السلام من نفخ جبريل عليه السلام وكذلك كان عيسى عليه السلام يصور
الحيوانات وينفخ فيها فتصير حية وصورة الهوائية ما كانت باقية فيها
وخلق الجن من النار وصورة النارية غير باقية فيها وخلق ناقة صالح من الحجارة
وصورة الحجرية غير باقية وخلق الثعبان من عصا موسى عليه السلام وصورة
الخشبية غير باقية وخلق حوا من ضلع ادم عليه السلام وما كانت صورة
العظمية باقية فثبت انه تعالى يقلب المواد في ذواتها من حال الى حالة وساير

الفاعلين ليسوا كذلك فظهر الفرق والفرق الثالث ان كل الفاعلين يفتقرون في
فاعليتهم الى توسط الالات فالنجار لا بد له من منشار وقدوم والخياط لا بد
له من ابرة ومقراض والحق سبحانه غني في فعله عن الالات والادوات لانه
فاعل الالات والادوات فلو افتقرت فاعليته الى الالة لزم التسلسل
الفرق الرابع ان ساير الفاعلين لا يمكنهم ان يفعلوا افعالا الا بمماسة
وملاقاة بين الفاعل وبين محل الفعل فان لم تحصل المماسة اصلا عجز عن
الفعل فيه والحق سبحانه هو المتصرف من العرش الى ما تحت الثرى من غير
مماسة ولا مجاورة ولا مقاربة والفرق الخامس ان كل من فعل فعلا
فانه لا يفعله الا بمهلة وتدريج وزمان بعد زمان والحق سبحانه غني عن المهلة
والزمان كما قال انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وقال ايضا
وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب والمعنى اني اميتهم عند النفخة الاولى
في اقل من لمح البصر واحييهم عند النفخة الثانية في اقل من لمح البصر وارد في هذه
اللحظة اللطيفة جميع الارواح الى اشباحها الاصلية من غير غلط ولا خلل
وانما امكن ذلك لانه قادر على جميع المقدورات عالم بجميع المعلومات
والفرق السادس ان كل من فعل فعلا تعب بسبب ذلك ويشق عليه ذلك والحق
سبحانه يدبر من العرش الى ما تحت الثرى في خلق ذواتها وايجاد صفاتها
من غير تعب ولا نصب قال تعالى ولقد خلقنا السموات والارض في ستة ايام وما مسنا
من لغوب وقال افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد فان قيل
اليس انه تعالى قال في الاعادة وهو اهون عليه فهذا يقتضي حصول نوع من
التعب في الخلق الاول قلنا انما ذكره على حسب المعتاد فان في العادة
الابتدا اصعب من الاعادة فلما سلموا انه لا تعب في الابتدا فبان لا يمتنع
الاعادة كان اولى الفرق السابع ان كل فاعل يفعل فعلا فانه يتغير اولا
في نفسه ثم بسبب التغير يحصل الفعل خارج ذاته كالكاتب فانه ما لم يحرك اصابعه

لا يمكن ان يكتب والحق سبحانه منزه عن ذلك لانه لو توقفت فاعليته على حدوث
تغير في ذاته لكان المحدث لتلك الحالة المتغيرة هو الله سبحانه فكان يفتقر احداث
تلك الحالة الى حدوث حالة اخرى ولزم التسلسل فهو سبحانه يفقر ويغني ويمرض
ويبرئ ويميت ويحيي ويطعم ويسقي ويدبر السموات والارضين والبحار والجبال
والذوات والصفات مع انه منزه في ذاته وصفاته عن انواع التغير والزوال
والتحول والانتقال بل ومن عجائب هذا الموضع ان كل من سواه من العالمين
فانه يتغير علمه بتغير المعلومات ويتكثر علمه بتكثر المعلومات وهو
سبحانه يعلم واحدا ما لا نهاية له من المعلومات ويعلم باقي دوام جميع المتغيرات بلغ صح
والفرق الثامن ان كل من سواه من الفاعلين فانه لا يمكنه ان يجمع بين
الافعال الكثيرة فالكاتب لا يمكنه ان يكتب الكلمات الكثيرة على الجمع بل على
التعاقب وبالجملة فما لم يفرغ عن احد الفعلين لا يمكنه الاشتغال بالفعل
الاخر اما الحق سبحانه فهو القادر الذي لا يشغله شان عن شان فهو يدبر
العرش والكرسي واللوح والقلم والانوار والظلم والسموات والارضين
والبحار والجبال والحيوان والنبات دفعة واحدة يخلق ذواتها ويدبر
صفاتها ويرى حاجاتها ويسمع نداءها ويجيب دعاءها فسبحان من لا يشغله
شان عن شان والفرق التاسع ان كل من فعل فعلا فانما يفعله
لجلب نفع او دفع ضرر والحق سبحانه منزه عن جلب المنافع ودفع المضار وكل شي
صنعه ولا علة لصنعه وقد بينا دلايل هذا الفصل في باب دلايل التوحيد
في تفسير قوله تعالى لا يسئل عما يفعل والفرق العاشر ان كل من فعل
فعلا فانه بعضه على وفق مراده وبعضه لا على وفق مراده فكان الكافر
يجتهد ليجد الحجة والمعرفة فلا يحصل له مراده بل يقع في الشبه والضلالة
وكل احد يتحرك ويسعى لطلب الخيرات ثم قد يحصل وقد لا يحصل وقيل كل
احد يخرج بكرة يومه من داره قادرا ويعود اليها بالمساء جبرا يقول بالبكرة

كذا صح

افعل كذا لتحصل كذا وبالمساء يقول اجتهد فما كان التقدير مطابقا للتدبير
والحق تعالى لا يقع فعله الا على وفق مراده ومشيئته فان الممكنات
في قبضة قدرته وربقة ارادته وقدرته لا دافع لما قضى ولا مانع عما ابدع
وابدا قال سبحانه ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شي قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله   الفرق الحادي عشر
كل من سواه من الفاعلين قد يبقى المفعول بعد فناء الفاعل وموته والحق سبحانه وتعالى
هو الباقي بعد فناء مخلوقاته كما قال سبحانه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
الفرق الثاني عشر ان كل من سواه من الفاعلين فانه لا ينفك فعله عن الخلل
والنقصان والحق سبحانه ففعله غني عن الخلل والنقصان قال تعالى ما ترى في
خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب
اليك البصر خاسئا وهو حسير   ولو انه جعلت جميع عقول العقلاء عقلا واحدا
ثم ذلك العقل يتفكر في جناح بعوضة حتى يجدوا تركيبا احسن منه
واكمل فنيت تلك العقول وانقطعت تلك الافكار ولا يصير ذرة من ذرات
حكمة الله في خلقه تلك البعوضة معلومة على سبيل التمام والكمال فهذا المجموع
الفرق بين فاعلية العبد وبين فاعلية الحق ولما كانت فاعليته غنية عن المادة
والمدة والالة والعلة والزمان والمكان وجلب الاعراض وتغير الاحوال
والاعراض كان الحق سبحانه هو الفاطر للاشيا فلهذا قال الحمد لله فاطر السموات
والارض والله اعلم بحقايق الاشيا   الفصل السادس في شرح
كون السموات خالية عن العيب والنقصان والتفاوت قال الله تعالى في سورة الملك
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت   واعلم ان المقصود من هذه الاية لا يظهر
الا بعد تفسير هذه السورة من اولها قال تعالى تبارك الذي بيده الملك   واعلم انه
تعالى جعل لفظ تبارك مطلقا لسورتين احديهما سورة الفرقان وهي قوله تعالى
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده   والثاني في هذه السورة فنقول اما لفظ تبارك

فقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة والبركة كثرة الخير وزيادته وفيه معنيان
احدهما تزايد خيره وتكاثره وهو المراد من قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
والثاني معناه تزايد عن كل موجود وتعالى عنه في ذاته وفي صفاته وفي
افعاله وهو المراد من قوله ليس كمثله شي اما تعاليه عن كل شي في ذاته فيحتمل ان
يكون المعنى جل بتوحد وجوده ودوام قيامه عن جواز التغير والفنا ويحتمل
ان يكون المعنى جل بفردانيته ووحدانيته عن مشابهة الاضداد ومشاكلة
الانداد ومنازعة الاكفا واما تعاليه عن كل شي في صفاته فيحتمل ان يكون
المعنى جل في قدرته وفي علمه عن ان يخرج عنهما شي من المعلومات والمقدورات
ويحتمل ان يكون المعنى جل علمه ان يكون ضروريا او استدلاليا وتصوريا
او تصديقيا وجلت قدرته عن ان يحتاج في تحصيل مقدوراته الى آلة ومادة ومثال
والرجوع نفع ودفع ضرر واما تعاليه في افعاله فهو الملك الحق مطلقا اي هو
الغني عن كل ما سواه في ذاته في صفاته وفي احواله فكل ما سواه فهو محتاج
في ذواتها وفي صفاتها وفي احوالها حالتي حدوثها وبقايها وتجددها
واستمرارها لا سيما على الحاجات المدلا بزوال التغيرات فكل موجود
فبايجاده موجود وكل باقي فبابقايه باقي شهدت الحاجات في غيره على
تقدسه عن الحاجات ودلت التغيرات في غيره على كونه منزها عن التغيرات
وقال اخرون اصل الكلمة تدل على البقا وهو ماخوذ من بروك البعير ومن
بروك الطاير على الما وسميت البركة بركة لثبوت الما فيها والمعنى انه تعالى
باقي في ذاته ازلا وابدا ممتنع التغير باقي في صفات جماله ونعوت جلاله
ممتنع التبدل ولما كان الحق سبحانه هو المعطي لجميع جهات المنافع والمصالح
والميسر لكل المطالب والمناجح لا جرم وجب وصفه بانه تبارك اذا عرفت هذا
فنقول انه تعالى ذكر في سورة الفرقان تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا وقال في سورة الملك تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير

ونحن نفسر كل واحد منهما بقدر عقولنا القاصرة وافهامنا الناقصة
ونكل اسرارها الى علمه الكامل وحكمته المحيطة فنقول في قوله تبارك الذي نزل
الفرقان فوايد الفايدة الاولى ان الفرقان هو القران وصف بذلك حيث
انه تعالى فرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة في دلايل التوحيد والعدل
والنبوة والمعاد او لانه فرق في النزول كما قال وقرانا فرقناه لتقراه على الناس
على مكث وهذا التاويل اقرب لانه نزل القران ولفظة نزل تدل على التفريق
او لانه فرق بين الشرايع والاحكام والحلال والحرام وخص بعضها بالايجاب
وبعضها بالاستحباب وبعضها بالتنزيه وبعضها بالتحريم وبعضها بالاباحة
والاحلال فقال ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهذه وجوه
ثلثة في بيان القران لم سماه الله بالفرقان الفايدة الثانية انه تعالى لما قال
في اول سورة تبارك ومعناه كثرة الخير والبركة ثم ذكر عقيبه امر القران دل ذلك
على ان القران منشا اعظم الخيرات واكمل البركات لكن المستفاد من القران
هو العلم والمعرفة والحكمة فدل هذا على ان العلم اشرف المخلوقات وانفع
المحدثات واكثرها خيرا وبركة الفايدة الثالثة لا نزاع بالاجماع ان المراد من
العبد هاهنا محمد صلى الله عليه وسلم وسمعت بعض المشايخ قال لما اسري
بالنبي صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين اوحى الله اليه وقال بم تريد ان اشرفك
فقال الهي اريد ان تشرفني تذكرني بكوني عبدا لك فاوحى الله سبحان الذي اسرى
بعبده فانظر الى هذه الدقيقة وصف نفسه في هذه السورة بالتسبيح والتقديس
والتنزيه حين سماه عبدا وفي سورة الفرقان وصف نفسه بكونه متباركا متعاليا
حين سماه عبدا وهذا يدلك على ان كل من كان اشد عرفانا بعبوديته
وذله وخضوعه واضطراره كان تجلي انوار جلال جلاله في عقله اتم واظهر
نور كبريايه في روحه اجل واعلى الفايدة الرابعة اختلفوا في المراد
بقوله ليكون للعالمين نذيرا منهم من قال المعنى ليكون هذا العبد للعالمين نذيرا

ومنهم من قال المعنى ليكون هذا القرآن نذيرا واضاف الانذار اليه كما اضاف الهداية اليه في قوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم الا ان هذا وان كان محتملا لكن جعل النذير صفة لمحمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا والثاني ان جعل النذير صفة لمحمد صلى الله عليه حقيقة وجعله صفة للقرآن مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى من حمله المجاز الفائدة الخامسة قوله ليكون للعالمين نذيرا يدل على ان محمدا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل العالمين وذلك لان لفظ العالم عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع المكلفين من الجن والانس والملائكة لكنا اجمعنا على انه عليه السلام ما كان رسولا الى الملائكة فوجب كونه رسولا الى الجن والانس جميعا ويتأكد هذه الآية بآيات اخر احدها قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس وثانيها قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله وهذا يدل على كونه مبعوثا الى كل الجن والانس وثالثها سورة الجن وهي قوله سبحانه قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا الفائدة السادسة ان لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فهذه الآية تدل على انه صلى الله عليه وسلم رسول الى الخلق الى يوم القيامة وهذه الآية متأكدة بقوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين واعلم انه تعالى وصف ذاته بعد هذه الآية باربعة انواع من صفات الكبرياء والجلال والقدس والعظمة اولها قوله الذي له ملك السموات والارض واعلم ان تعلق هذه الآية بما قبلها من وجهين الاول ان لله على العباد نوعان من الملك احدهما ملك التكليف وذلك لانه تعالى ملك مطاع في المخلوقات لانه مالكهم وخالقهم ومدبرهم والمتصرف فيهم والمستولي عليهم فكان ملكا مطاعا والملك المطاع له الامر والنهي والثاني ملك الخلق فقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا اشارة الى تقدير ملك التكليف ثم قال بعده الذي له ملك السموات والارض

وهو اشارة الى ملك الخلق واضاف ان ملك التكليف معلل بملك الخلق فلما كان انزال الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا واثبت بهذه الآية ملك التكليف لنفسه كانه قيل ولم يحسن منه التكليف والامر والنهي مع انك منزه عن النفع والضر والمكلف لا ينتفع بهذا التكليف به فاجاب الحق سبحانه وقال انما حسن مني ملك التكليف لانه حصل لي ملك الخلق فالكل عبيدي وللمالك ان يتصرف في ملكه كيف شاء واراد ولا اعتراض للعبد على مالكه البتة فلهذا قال بعد تلك الآية الذي له ملك السموات والارض الوجه الثاني في بيان النظم انه تعالى لما وصف نفسه بكونه مرسلا للرسل وذلك يتوقف على ثبوت ذاته وثبوت صفاته لا جرم اردفه بما يدل على كل ذلك فقال الذي له ملك السموات والارض فاستدل على وجوده وعلى كمال قدرته وكبريائه والهيته بملك السموات والارض ووجوه الاستدلال بملك السموات والارض على وجود الصانع وصفات جلاله قد شرحناه فيما قبل ثم في هذه الآية فائدتان الاولى ان الملك اشارة الى القدرة والمتكلمون بينوا ان اول العلم بالله هو العلم بكونه قادرا فلهذا السبب قدم ذكر هذه الصفة الفائدة الثانية ان قوله له ملك السموات والارض اشارة الى احتياج جميع مخلوقات الله اليه حالتي حدوثها وبقائها وذلك لان علة الحاجة هي الامكان من لوازم هذه الماهيات فهي ممكنة حالتي حدوثها وبقائها اي محتاجة الى المؤثر المدبر حالتي حدوثها وبقائها في ماهياتها وفي وجوداتها وفي صفاتها فلا جرم كان سبحانه مالك الملك لجميع الممكنات على الاطلاق ازلا وابدا وهو المتصرف فيها كيف شاء واراد لا رادّ لما حكم ولا ناقض لما ابرم الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين الصفة الثانية قوله تعالى ولم يكن له ولد واعلم ان صفات الله على قسمين صفات الجلال وصفات الاكرام اما صفات الجلال فهي عبارة عن تنزيه الله عما لا يليق به في ذاته وصفاته وافعاله واما صفات الاكرام فهي عبارة عن وصف الله بالصفات

التي معها يمكن كونه خالقا للعالم على نعت الاحكام والاتقان فقوله له ملك
السموات والارض من قسم صفات الاكرام وقوله ولم يكن له ولد من قسم صفات
الجلال واعلم انه تعالى لما وصف نفسه بملك السموات والارض قال بعده
ولم يكن له ولد وهو اشارة الى انه هو المدبر للعالم والمعبود للخلق ابدا ولا يصح
ان يصير غيره وارثا للملك فيكون نفي الولد كالمؤكد لقوله تبارك ولقوله الذي
له ملك السموات والارض كانه قيل المفتقر الى الولد هو الذي ينقضي ويموت حتى
يقوم ولده مقامه فاما من كان متباركا دائم الوجود ممتنع التغير فكيف
يليق به الولد الصفة الثالثة قوله ولم يكن له شريك في الملك والمراد انه سبحانه
هو المنفرد بهذه الصفات فانه هو الواجب لذاته وما سواه ممكن لذاته
وهو الموجد للممكنات وما سواه من صفة الموجدية والخالقية معزول
واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاؤه وخوفه عن الخلق ولا يبقى مشغول القلب
ملتفت الخاطر الا به وبفضله ورحمته واحسانه وهذه الاية رد على الثنوية
والقائلين بالهيئة والنجوم وعبدة الاوثان الصفة الرابعة قوله تعالى
وخلق كل شيء فقدره تقديرا وفي هذه الاية فوائد الفائدة الاولى ان قوله تعالى
له ملك السموات والارض اشارة الى صفة من صفات الاكرام ثم قوله الذي لم
يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك اشارة الى ذكر صفتين من صفات الجلال
ثم قوله وخلق كل شيء اشارة الى ما تركب من صفات الاكرام وصفات الجلال
لانه اشارة الى انه هو الخالق وان غيره ليس بخالق فان قيل صفات الجلال
اولى بالتقديم من صفات الاكرام ويدل عليه القران والبرهان اما القران فهو انه
تعالى ذكر الجلال والاكرام في ايتين فقال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام
وقال تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وفي كل واحد من هاتين الايتين قدم
الجلال على الاكرام واما البرهان فلان صفات الجلال عبارة عن السلوب
ويكفي في تحقق هذه السلوب الذات المخصوصة من حيث هي هي واما

صفات الاكرام فانها لا تظهر الا عند وجود الممكنات وما يكفي فيه ذاته
من حيث انه هو هو مقدم في الرتبة على ما لا بد معه من غيره والجواب هاهنا
مرتبتان احدهما ان يتوسل بمعرفة غير الله الى معرفة الله وهذا هو مقام عروج
السائرين الى الله والمسافرين الى حضرة جلال الله والثانية ان يتوسل
بمعرفة ذات الله الى معرفة غير الله وهذا مقام نزول خواص حضرة الله عن ملك
الحضرة المقدسة الى الالتفات الى غيرها فان اعتبرنا المرتبة الاولى كانت معرفة
صفات الاكرام مقدمة على معرفة صفات الجلال لانها في هذه المرتبة
يستدل بالمخلوقات على الخالق الى الخالق عن كونه منزها عن مشابهة
المخلوقات فيكون معرفة كونه خالقا مقدما على كونه منزها عن مشابهة
المخلوقات واما ان اعتبرنا المرتبة الثانية وهي مرتبة النزول كان تحقق
صفات الجلال متقدما بالرتبة على تحقق صفات الاكرام فان تلك السلوب
يكفي في تحققها الذات اما الصفات فلا يكفي فيه الذات الواحدة بل لا بد في
تحققها من حصول المضاف اذا عرفت هذا فنقول انه تعالى لما قال تبارك الذي
نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فكانه قيل كونه مرسلا للرسل
انما يثبت كونه موجودا فما الدليل على وجوده وقدرته فقال الدليل عليه ملك
السموات والارض وهذا هو مرتبة العروج من الخلق الى الخالق فلا جرم قدم
هاهنا صفات الاكرام على صفات الجلال واما قوله ويبقى وجه ربك ذو
الجلال والاكرام وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام فليس المقصود
هاهنا ذكر الاستدلال بل المقصود منه الاخبار عن نعوت قدسه
وعظمته وكبريائه فكانت صفات الجلال مقدمة في هذا المقام على صفات
الاكرام فسبحان من اودع هذا الكتاب اسرارا تعجز العقول عن ادراكها فقد
ظهر بما ذكرنا ان الترتيب الصحيح في هذا المقام هو انه تعالى قدم صفات
الاثبات فقال الذي له ملك السموات والارض ثم ذكر بعد ذلك صفتين من صفات الجلال

اولها نفي الولد والثاني نفي الشريك ثم ذكر بعدهما ما تركب عن صفة الاكرام
وصفة الجلال فقال وخلق كل شي وذلك لان قوله وخلق كل شي يدل على كونه
خالقا للاشيا وهو صفة الاكرام وعلى ان غيره لا يشاركه في هذه الصفة وهو
صفة الجلال ومعلوم ان تقديم المفرد على المركب واجب فهذا هو الاشاره
الى ترتيب الصفات المذكوره في هذه الايه الفايده الثانيه من اسرار هذه الايه
انها داله على انه تعالى خالق اعمال العباد وذلك لان قوله وخلق كل شي وقد دللنا
على ان الخلق عباره عن الايجاد وهاهنا لطيفه تؤكد هذا المقصود وهي انه تعالى
نفى الشريك بقوله ولم يكن له شريك في الملك فكان قايلا قال هاهنا اقوام يعترفون
بنفي الشركا والانداد ومع ذلك يقولون انهم يخلقون افعالهم فذكر الله هذه الايه
ايضا صريحة في الرد عليهم فان قيل هذه الايه لا تدل على هذا المطلوب ويدل عليه
وجوه الاول انه تعالى صرح بكون العبد خالقا فقال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
وقال تخلقون افكا وقال فتبارك الله احسن الخالقين والثاني انه تعالى ذكر ذلك في
معرض التمدح بكونه فاعلا لافعال العباد مع ما فيها من القبايح الا ترى انه
تعالى نزه نفسه عن فعل القبايح في ساير الايات فقال وما خلقنا السموات والارض
وما بينهما باطلا وقال افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقال وما الله يريد ظلما للعباد
والثالث انه تعالى قال فقدره تقديرا ولا يجوز ان يريد به الا الحكمه والصواب
الا ترى انه تعالى نفى التفاوت عن افعال نفسه فقال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
فالواقعة بهذه الوجوه انه لابد من التاويل لو دلت الايه بظاهرها على قولكم
فكيف ولا دلاله فيها على قولكم لان الخلق عباره عن التقدير وتخصيص ذلك بما يقبل
التقدير وهو الجسم الذي يكون له حجم وامتداد والجواب اما الايات الداله
على كون العبد خالقا فنقول هاهنا ايات دلت على انه خالق ولابد من التوفيق
بينهما فنحمل الايات الداله على نفي الخالقيه على نفي كون العبد موجدا والايات
الداله على كونه خالقا على كونه متصورا مفكرا مقدرا في ذهنه امورا قوله

لا يمكن التمدح بخلق الغير قلنا لا يمكن التمدح بخلقها من حيث انها اخراج الشي
من العدم الى الوجود وقوله لفظ الخلق لا يتناول الا الاجسام قلنا لو كان كذلك لكان
قوله وخلق كل شي خطا لانه ليس كل شي جسما الفايده الثالثه من اسرار
هذه الايه ان كثيرا من الناس زعموا ان الخلق هو التقدير فقط واصحابنا زعموا
انه حقيقة في الايجاد والابداع وهذه الايه داله على قولنا اذ لو كان الخلق
عباره عن التقدير لكان قوله وخلق كل شي فقدره تقديرا مكررا في غير فايده
ونظير هذه الايه في الدلاله على هذه المسله قوله سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق
فسوى والذي قدر فهدى ولو كان الخلق عباره عن التقدير لكان قوله خلق
وقدر مكررا الفايده الرابعه انه تعالى قال فقدره تقديرا والتقدير في حق الواحد
منا يرجع الى الظن والحسبان اما في حقه تعالى فلا معنى له الا العلم والاخبار عنه
وذلك متفق عليه بيننا وبين المعتزله اذا عرفت هذا فنقول مذهبنا ان الامر
والاراده لا يتلازمان وذلك لانه سبحانه لما علم في الشي الفلاني انه لا يقع فلو وقع
ذلك الشي لزم انقلاب علمه جهلا وانقلاب خبره الصدق كذبا وذلك محال
والمفضي الى المحال محال فاذن وقوع ذلك الشي محال والمحال غير مراد ثم انه
مامور به فثبت ان الامر والاراده لا يتلازمان فظهر ان السعيد من سعد في
بطن امه والشقي من شقي في بطن امه واعلم ان عندنا الاراده والامر لا يتلازمان
وعند المعتزله الاراده والامر يتلازمان والاراده والعلم لا يتلازمان
وتحقيقه ما ذكرناه فهذا ما يتعلق بهذه الايه اما قوله تبارك الذي بيده الملك
فاعلم ان الفرق بين هذه الايه وبين الايه المتقدمه من وجوه الاول ان في سوره
الفرقان اثبت اولا لنفسه ملك التكليف والحكم والامر والنهي ثم اردفه بان
اثبت لنفسه اولا الملك على الاطلاق فقال والذي بيده الملك وهذا يتناول جميع
اقسام الملك من ملك التكليف وملك التخليق وملك الابقا وملك الافنا كما قال
قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشا وتنزع الملك ممن تشا والفرق الثاني بين الايتين

انه تعالى قال في ملك لا نهايه الذي له ملك السموات والارض وقال في سوره
الملك الذي بيده الملك فذكر لفظ اليد ها هنا والفايده في ذكر هذه اللفظه
انه تعالى لما اثبت لنفسه جميع انواع الملك حتى دخل فيه ملك الاجسام
من فوق العرش الى ما تحت الثرى وملك الارواح المشار اليه بقوله وما يعلم
جنود ربك الا هو فكان سايلا قال الملك الواحد كيف يمكنه الوفا بتدبير
كل هذه الممالك التي لا نهايه لاحوالها ولا غايه لكميتها وكيفيتها فاجاب
بان كل هذه الممالك في يده وفي قبضته كما قال في ايه اخرى والارض جميعا
قبضته يوم القيامه والسموات مطويات بيمينه وذلك ان كمال القدره على
الشي ان يكون ذلك الشي في يده فجعل كونه في يده مجازا عن كمال القدره ولهذا
المعنى قال تبارك الذي بيده الملك ثم قال بعده وهو على كل شي قدير والمعنى
ان بيده ملك كل الموجودات وهو قادر على خلق المعدومات التي يكون من
الممكنات وقوله بيده الملك اشاره الى ملك الموجودات بالافنا والاعدام
وقوله وهو على كل شي قدير اشاره الى ملك المعدومات بالايجاد
والابداع فان قيل القدير مبالغه في القادر فلو قال وهو على كل شي قادر
افاد ذلك كونه تعالى قادرا على كل واحد من المقدورات التي لا نهايه لها
فاذا كان القدير للمبالغه وجب ان يفيد هذا زياده على كونه تعالى
قادرا على كل واحد من تلك المقدورات لكن الشي الواحد لا يقبل التفاوت
ولا يتطرق اليه الزياده والنقصان فما معنى هذه المبالغه قلنا لو انه تعالى
قال وهو على كل شي قادر افاد ذلك انه تعالى قادر على المقدورات فلما
قال وهو على كل شي قدير افاد ذلك زياده قدرته في كل واحد من المقدورات
وتلك الزياده والمبالغه راجعه الى ما بيناه فيما تقدم من ان جميع القادرين
يفتقرون في الفعل والتكوين الى تقدم ماده ومده وزمان ومكان وآله
ورويه ثم قد يمتنع عليهم تكوين مقدورهم لاجل انهم يمنعهم عنه مانع ومعارض

وكل ذلك على الله محال فلا جرم صدق قولنا انه قادر على كل شي وصدق
ايضا اثبات المبالغه وهو انه قدير على كل شي ثم قال الذي خلق الموت والحياه
واعلم انه تعالى لما ذكر اولا ان بيده ملك الموجودات والمعدومات
وزمام التصرف في كل الكاينات والممكنات خصص بعده بالذكر ملك
الاحيا والاماته فقال الذي خلق الموت والحياه ونظيره قوله كيف تكفرون
بالله وكنتم امواتا فاحياكم وانما قدم الموت على الحياه لوجوه الاول
قال مقاتل يعني بالموت نطفه وعلقه ومضغه وبالحيوه نفخ الروح والثاني
انه لما ذكر عقيب هذه الايه انه تعالى ابتلى الخلايق بالتكاليف فقال ليبلوكم
ايكم احسن عملا والناس انما يقدمون على محاسن الاعمال الخوف مما بعد
الموت فكان الموت اقوى تاثيرا في هذا المقصود فلا جرم قدم ذكر الموت
على الحيوه الثالث المراد بهذا الموت المذكور في هذه الايه الموت بعد هذه
الحيوه والمراد بالحياه الحيوة الابديه في القيامه ولم يذكر الحيوة العاجله
البته وذلك لان هذه الحيوه حياه بعد موتين احد الموتين من الازل الى الان
والموت الثاني من الان الى الابد فلا جرم ترك الله تعالى ذكر هذه الحيوه لخستها
وقلتها واما الحيوه في الدار الاخره فهي الحيوه الاصليه لانها حيوه ابديه
ولهذا قال الله تعالى وان الدار الاخره لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ثم قال
تعالى بعد ذكر الموت والحياه ليبلوكم ايكم احسن عملا والابتلا هو
التجربه والامتحان حتى يعلم انه هل يطاع او يعصى وذلك في حق الله محال
وسيجي تمام هذه المسله في باب التكليف ان شا الله والحاصل هو ان
الابتلا من الله تعالى هو ان يعامل عبده بمعامله تشبه عمل المختبر واعلم
انا ان فسرنا الموت والحيوه بالموت حال كونه نطفه وعلقه ومضغه
وبالحيوه حيوة الدنيا فوجه الاستدلال على ان يعلم العبد انه تعالى هو الذي
نقله من الموت الى الحياه وكما فعل ذلك فلا بد وان يكون قادرا على ان ينقله من الحيوه

الى الموت فيحذر من الموت الذي به ينقطع ليستدرك ما فات واما ان فسرنا
الموت والحيوة بالموت في الدنيا والحيوة في القيامة فلا تبلا فيهما لان
الخوف من الموت في الدنيا حاصل واشد منه الخوف من الحيوة في القيامة واعلم
ان اول هذه السورة مع سورة الفرقان متشابهات في المقصود وذلك لانه
تارة يذكر الحكم ثم يذكر عقيبه سببه وعلته واخرى بالعكس من ذلك وهو ان يذكر
السبب والعلة اولا ثم يذكر الحكم عقيبه اذا عرفت هذا فنقول في سورة الفرقان
ذكر الله التكليف اولا بقوله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا
ثم ذكر العلة والسبب بعده فقال الذي له ملك السموات والارض واما في سورة
الملك فانه ذكر السبب والعلة اولا وهو انه مالك الملك على الاطلاق ومالك الملك
في الاحيا والاماتة ثم انه ذكر الحكم بعده وهو حسن التكليف فقال ليبلوكم
ايكم احسن عملا فانظر الى هذه المناسبات العجيبة والاشارات اللطيفة ثم ان
المفسرين ذكروا وجوها الاول المعنى ايكم ياتي بالاعمال على وجه الاخلاص والصواب
لان العمل اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وايضا واذا كان صوابا غير خالص
لم يقبل ايضا بل المقبول هو ان يكون صوابا خالصا لوجه الله فالصواب هو
ان يكون على وفق امر الله والخالص هو ان يوتى به لوجه الله تعالى والثاني قال ابو
قتادة سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال يقول ايكم احسن عقلا
ثم قال عليه السلام اتمكم عقلا اشدكم خوفا واحسنكم فيما امر الله ونهى عنه
نظرا وانما فسر العمل بتمام العقل لان حسن العمل من نتائج كمال العقل
فمن كان اتم عقلا كان اتم عملا الثالث قال الحسن احسن عملا اي ازهد في
الدنيا واشد تركا واعلم انه تعالى لما ذكر حديث الابتلا قال بعده وهو
العزيز الغفور اي وهو الغالب الذي لا يعجزه من اساء في الاعمال الغفور لمن
تاب واناب وانما قدم ذكر العزيز على الغفور ليظهر به كمال الرحمة لان
الانسان قد يغفر ذنب عبده اما لانه لا يقدر على الانتقام في الحال او لانه

وان قدر عليه في الحال لكنه تركه لانه يخاف توابع ذلك الانتقام وعواقبه
فهاهنا ذكر تعالى انه عزيز قاهر قادر غالب لا يمتنع عليه فعل شي من الافعال
ولا يخاف عاقبة شي من الاشيا ثم انه مع ذلك غفور يتجاوز عن سيات عباده
ليظهر بذلك كمال كرمه ورحمته ثم فيه دقيقة اخرى وهي ان العبد له من الظلم
ثلثة اسما وللرب من المغفرة ثلثة اسما احد اسما العبد الظالم كما قال تعالى
فمنهم ظالم لنفسه وفي مقابلته للرب تعالى من المغفرة اسم الغافر قال تعالى
غافر الذنب والاسم الثاني للعبد اسم الظلوم قال تعالى انه كان ظلوما جهولا
وفي مقابلته للرب من المغفرة اسم الغفور كما في هذه الاية وكما في قوله وربك
الغفور ذو الرحمة والاسم الثالث للعبد الظلام وفي مقابلته للرب من المغفرة
الغفار فقال واني لغفار لمن تاب وقال في سورة نوح واستغفروا ربكم انه
كان غفارا فكانه قال ايها المذنب لا تياس فان كنت ظالما فانا غافر وان كنت ظلوما
فانا الغفور وان كنت ظلاما فانا الغفار ثم اعلم انه تعالى لما ذكر كونه
عزيزا غفورا وكونه عزيزا غفورا لا يتم الا اذا كان قادرا على كل الممكنات
عالما بكل المعلومات وذلك لانه لو لم يكن قادرا على كل الممكنات فلعله
لا يتمكن من ايصال الجزا كل احد اليه على سبيل الكمال والتمام سوا كان عقابا
او ثوابا واما انه لا بد من العلم بكل المعلومات فلاجل ان يعلم ان المطيع
من هو والعاصي من هو حتى لا يقع الخطا في ايصال الحق الى مستحقه فثبت
ان كونه عزيزا غفورا لا يمكن الاقرار بهما الا بعد الاقرار بكونه تعالى عالما بكل
المعلومات قادرا على كل الممكنات فلهذا السبب ذكر الله تعالى عقيب هذه
الاية ما يدل على كمال القدرة وعلى كمال العلم ولما ثبت في علم الاصول
ان اول العلم بالله هو العلم بكونه قادرا لا جرم قدم دلايل القدرة على دلايل
العلم اما دليل اثبات القدرة فهو قوله الذي خلق سبع سموات طباقا قال صاحب
الكشاف في قوله طباقا ثلثة اوجه احدها طباقا اي مطابقة بعضها فوق بعض

من طابق الفعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر والثاني
ان يكون التقدير ذات طباق والثالث ان يكون التقدير طوبقت طباقا واعلم
ان دلالة السموات بطبقاتها على وجود الصانع المختار الحكيم قد تقدمت
شرح اقسامها في هذا الكتاب فلا نعيدها واما دليل العلم فهو قوله ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان حقيقة التفاوت عدم التناسب كان بعض
الشي يفوت بعضا ولا يلايمه يقال هذا خلق متفاوت ونقيضه متناسب
وللمفسرين فيه وجوه ثلثة قال السدي ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اي من
اختلاف وعيب يقول الناظر لو كان كذا لكان احسن وقال اخرون التفاوت
الفطور بدليل قوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور ونظيره قوله تعالى وما لها
من فروج وقال القفال يحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت
في الدلالة على حكمة صانعها وعلمه وقدرته واعلم ان وجوه الاستدلال
بهذا المعنى على كمال علم الله ان يقول الحس دل على ان هذه السموات وقع تركيبها
على وجه عجيب بديع موافق للمصلحة وللحسن وكل فاعل كان فعله كذلك فهو
لا بد وان يكون غاية في غاية العلم والحكمة فقوله ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة والاحكام والاتقان عند المتكلمين
يدل على علم الفاعل دلالة ضرورية ثم قال تعالى بعده فارجع البصر هل ترى من فطور
كانه تعالى قال بعده ولعلك لا تحكم بمقتضى النظر الواحد ولا تصل عليه بسبب
انه قد يقع الغلط في النظر الواحد ولكن ارجع البصر واردد النظر مرة بعد
اخرى حتى يتيقن انه ليس في خلق الرحمن من تفاوت ولا عيب ولا فطور والعجب
انه تعالى قال الحمد لله فاطر السموات والارض ثم بين في هذه الاية انه ليس فيها فطور
كانه قال انا الفاطر للسموات من غير فطور ولانا المزين لها من غير عيب ولا قصور
ونظير هذه الاية قوله تعالى وما لها من فروج فليس فيها فطور وليس فيها فروج
فليس فيها تفاوت بل هي سبع شداد وسبع طباق وبنا مرفوع وسمك مصنوع

وفيها ايات قاهرة وبراهين باهرة على وحدة صانعها وقدس مدبرها
ومقدرها ثم قال تعالى ثم ارجع البصر كرتين يعني اعد امره سكر البصر في خلق
الرحمن على سبيل التصفح والتتبع هل تجد فيه عيبا وخللا يعني انك وان كررت
هذا النظر مرارا واطوارا لم يرجع اليك بصرك بما تطلبه من وجدان الخلل
والعيب فانك لا تجده بل يرجع اليك خاسيا اي مبعدا وهو ماخوذ من قولك
خسات الكلب اذا ابعدته قال المبرد الخاسي المبعد المصغر وقال ابن عباس الخاسي
الذي لا يرى ما يهوى والحسير الكليل والمعنى انه وان كرر النظر واعاده فانه لا يجد
عيبا ولا فطورا ثم قال تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وسنذكر ان شا الله تعالى
تحقيق هذه الاية واسرارها في باب الاستدلال باحوال الكواكب على وجود الصانع
فهذا جملة الكلام في هذه الاية واعلم انه نوع من الصفات المذكورة في القران للسموات
صفاتها عند قيام القيمة كقوله اذا السما انشقت اذا السما انفطرت اذا السما
فرجت واذا السما كشطت ويوم تشقق السما بالغمام يوم نطوي السما كطي
السجل للكتب وتكون السما كالمهل يوم تمور السما مورا فكانت وردة كالدهان
والكلام في شرح هذه الاحوال سيجي ان شا الله في باب كيفية قيام القيامة

الفصل السابع في الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع

اعلم انه تعالى نبه على الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع وقدرته وعلمه
وحكمته وجلالته في ايات منها قوله تعالى في اول سورة البقرة الذي جعل لكم الارض
فراشا واعلم انه تعالى ذكر انواع منافعها على الشرح والتفصيل في كتابه الكريم
النوع الاول من منافع الارض انه تعالى خلق كل ما في الارض لنا في سورة البقرة
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال في سورة الحج الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
واعلم ان الكلام في الاية المذكورة في سورة البقرة لا يتم الا بتفسير ما قبلها
واعلم ان الله تعالى ذكر في اول هذه السورة خمس ايات في تعظيم المومنين وهي الى
قوله واوليك هم المفلحون ثم ذكر بعد ذلك ايتين في ذم الكفار وهما قوله

ان الذين كفروا الى قوله ولهم عذاب عظيم ثم ذكر بلثة عشر ايه في ذم المنافقين وهي من
قوله ومن الناس من يقول امنا بالله الى قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم فان قيل كفر
الكافر المتظاهر بكفره اغلظ من كفر المنافق فلم ذم الكافر في ايتين وذم المنافق
في هذه الايات الكثيره قلنا لان الكافر وان كان كافرا الا ان طبعه طبع الرجال
فيما يضمره ويظهره اما المنافق فطبعه طبع المخنث يضمر شيا ويظهر شيا اخر فلهذا
اورد ذمه كثيرا ولهذا قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ثم انه تعالى لما
شرح احوال هذه الفرق الثلثه شرع بعد ذلك في تقرير الدلايل فبدا بذكر
دلايل الصانع وذكر الانفس دليلين ومن الافاق دليلين اما من الانفس فقوله
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم واما من الافاق فقوله الذي جعل لكم
الارض فراشا والسما بنا وانزل من السما ما ثم ذكر بعده دليل نبوه محمد صلى الله عليه
وهو قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسوره من مثله وادعوا
شركاكم ثم ذكر بعده مساله الحشر والنشر والقيام فقال وبشر الذين امنوا
وعملوا الصالحات ثم اورد سوالا على الدليل الذي ذكره على نبوه محمد صلى الله عليه وسلم
وذلك لانه استدل على نبوته بعظم حال القران وكمال درجته فطعن الكفار فيه
وقالوا كيف يكون عظيم الدرجه وهو مشتمل على شرح حال الحيوانات الخسيسه
كالبعوض والذباب والنمل والعنكبوت فاجاب الله عز وجل عن هذا السوال بقوله
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضه فما فوقها ثم ساق اخر هذا الجواب
الى مسله القضا والقدر وهو قوله تعالى يضل به كثيرا الى قوله اولئك هم الخاسرون
وعند هذا تمت الادله على تقرير هذه الاصول الاربعه وهي التوحيد والنبوه
والمعاد والقدر ثم بعد تقرير هذه الاصول بالدلايل القاهره والبراهين
الباهره شرع تعداد النعم ومعلوم ان النعم منها عامه ومنها خاصه فقدم في صح
ذكر النعم العامه ومعلوم ان اصل جميع النعم هو الحيوه فانه لولا الحيوه
لما كان الانتفاع بشي من النعم ممكنا فلا جرم اول النعم التي ذكرها الله تعالى

هي الحيوه فقال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه
ترجعون وفي هذه الايه فوايد الاول ان قوله كيف تكفرون بالله وان كان في
صوره الاستخبار الا ان المراد منه التبكيت والتعنيف لان عظم النعمه يقتضي
عظم معصيه المنعم بيان ذلك ان الوالد لما عظمت نعمته على الولد بان رباه
وعلمه وخرجه واعطاه الاموال وعرضه للامور النافعه لا جرم كانت
معصيته لابيه اقبح المعاصي فقابل نعم الله بنعم ابيك عليك حتى تعرف عظم
معصيته ونهايه قبحها ثم ان اعظم المعاصي هو الكفر والشرك فلما كانت
هذه المعصيه متناهيه الى الغايه القصوى في القبح لا جرم ذكرهم سبحانه
نعمه العظيمه عليهم ليصير ذلك منبها لهم على عظم جرمهم وغايه قبح طريقتهم
ويصير ذلك زاجرا لهم عنه وذكر اولا امر الحيوه التي هي اصل جميع النعم
وذكر ذلك بصيغه كيف على سبيل التعجب تنبيها على غايه درجه هذه
النعمه وغايه قبح تلك المعصيه والفايده الثانيه قالت المعتزله
هذه الايه تدل على ان الكفر من العبد لا من الله تعالى وبيانه من وجوه الاول
انه تعالى لو كان هو الخالق للكفر فيهم لما جاز ان يقول كيف تكفرون بالله
على سبيل التوبيخ كما لا يجوز ان يقول لهم كيف تسودون وتبيضون
وتصحون وتسقمون لما كان كل ذلك انما يحصل لان الله يخلقه فيهم
والثاني انه تعالى لما خلقهم للشقا والنار وما خلقهم الا للكفر والضلال
والبقا في النار فكيف يصح ان يقول موبخا لهم كيف تكفرون والثالث انه كيف
يليق بالحكيم ان يقول لهم كيف تكفرون حال ما يخلق الكفر فيهم ويقول وما
منع الناس ان يومنوا حال ما منعهم عنه بل يقول فما لهم لا يومنون
فما لهم عن التذكره معرضين وهو يخلق فيهم الاعراض ويقول اني توفكون
كيف تصرفون ويخلق الافك والصرف فيهم ومثل هذا الكلام بان يعد من
السخريه اولى من ان يذكر لاجل الزام الحجه على عباده والرابع انه تعالى لما قال

للعبيد كيف يكفرون فهل ذكر هذا الكلام توجيها للحجة او ليس كذلك فان لم يكن
لطلب توجيه الحجة كان عبثا ولا يكون في انزال القران فايده اصلا وان كان ذلك هذا صح
لالزام الحجة فللعبد ان يقول بنا على مذهب الجبر حصل في حقي امور كثيره
موجبة للكفر مانعة عن الايمان فالاول انك علمت مني الكفر وانا لا اقدر على
ان اقلب علمك جهلا والثاني انك اردت مني الكفر وهذه الاراده موجبة والثالث
انك خلقت الكفر وانا لا اقدر على ازالة فعلك والرابع انك خلقت قدره لا تصلح
الا للكفر والخامس انك اخبرت عن وجود هذا الكفر وانا لا اقدر على جعل
خبرك الصدق كذبا والسادس انك خلقت اراده جازمة للكفر والسابع
انك زينت الكفر والثامن انك سلطت على القلب الرين والطبع والوقر والغشاوه
والختم وكل ذلك اسباب موجبة للكفر ثم لما خلقت هذه الاسباب الثمانية
الموجبة للكفر سلبت مجموع الاسباب الثمانية المعتبره في حصول الايمان
فقد حصل لعدم الايمان ستة عشر سببا كل واحد منها مستقل بالمنع عن
الايمان ومع قيام هذه الاسباب الكثيره كيف يحسن التوبيخ على الكفر
والترغيب في الايمان والخامس انه تعالى قال لهولاى الكفار كيف يكفرون بالله لرسوله قال صح
الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمه اعني نعم الحيوه وعلى قول اهل الجبر
لا نعمة له تعالى على الكافر وذلك لان عندهم كل ما فعله الله تعالى بالكافر انما
فعله ليستدرجه الى الكفر ويحرقه بالنار وعلى هذا التقدير فاي نعمة
تكون لله على العبد وهل يكون ذلك الا بمنزلة من قدم الى غيره طبق فالوذج
مسموم فان ظاهره وان كان لذيذا ويعد نعمة لكن لما كان باطنه مهلكا
فان احدا لا يعده نعمة ومعلوم ان العذاب الدايم اشد ضررا من ذلك السم
وعلى هذا التقدير كيف يعقل ان يكون لله نعمة على الكافر واذا لم يكن له عليه
نعمة فكيف يليق به ان يامر رسوله بان يقول لهم كيف يكفرون بمن انعم عليكم
بهذه النعم العظيمه والجواب عن هذه الوجوه عند البحث يرجع حاصلها الى

التمسك بطريقة المدح والذم والثواب والعقاب وهذه الطريقة معارضة
بوجهين الاول انه تعالى لما كان عالما من ابي جهل بانه لا يومن والعلم بعدم الايمان
مع وجود الايمان ضدان متنافيان لذاتيهما مع قيام احد الضدين يكون
التكليف بالضد الثاني تكليف ما لا يطاق وحينئذ يلزمكم كلما اوردتموه علينا
والثاني ان قدره العبد لما كانت صالحة للايمان والكفر فترجيح احد الطرفين
على الاخر ان لم يتوقف على مرجح لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وهو محال
وان افتقر الى مرجح فحدوث ذلك المرجح ان لم يكن لمحدث فقد استغنى مقتفرا
الحدوث عن المحدث وهو نفي الصانع وان افتقر الى محدث فذلك المحدث ان كان
هو العبد لزم التسلسل وان كان هو الله تعالى فقد لزم الجبر وحينئذ يلزمكم
كما الزمتموه علينا واعلم ان المعتزلي اذا طول واعترض وابرق وارعد
بامثال الكلمات التي حكيناها عنهم فعليك ان تعارضها بهذين الوجهين
فانه لا يمكنه ان يتكلم ان كان ذكيا فاهما الفايده الثالثة في هذه الايه
اتفقوا على ان قوله وكنتم امواتا المراد وكنتم ترابا ونطفا لان ابتدا
خلق ادم من التراب وخلق ساير المكلفين من اولاده الا عيسى عليه السلام من
النطف لكنهم اختلفوا في ان اطلاق اسم الميت على الجماد حقيقة او مجاز
والاكثرون على انه مجاز لانه شبه الموات بالميت والاقلون قالوا هو حقيقة
فيه وهو مروي عن قتاده قال كانوا امواتا في اصلاب ابايهم فاحياهم الله
ثم اخرجهم الى الدنيا اما يتهم الموتة الاولى التي لا منها ثم احياهم بعد الموت
فهما حياتان وموتتان واحتجوا بقوله خلق الموت والحيوه والموت المقدم
على الحيوه هو كونه موتا والاقرب هو الاول لانه يقال في الجماد انه
انه موات ولا يقال انه ميت فيشبه ان يكون استعمال احدهما في الاخر على
سبيل التشبيه قال القفال وهو كقوله هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيا مذكورا فبين سبحانه ان الانسان كان لا شي يذكر ثم جعله الله

حيا وسميعا وبصيرا ومجازه من قولهم فلان ميت الذكر وهذا امر ميت وسلعة
ميتة اذا لم يكن لها طالب ولا راغب فكذى معنى الاية وكنتم امواتا اي
خاملين لا ذكر لكم لانكم لم تكونوا شيئا ثم احياكم وجعلكم سميعا بصيرا
الفايدة الرابعة احتج قوم بهذه الاية على بطلان القول بعذاب القبر
قالوا لانه تعالى بين انه يحييهم مرة في الدنيا واخرى في الاخرة ولم يذكر فيه حياة
القبر والجواب ان الله ذكر حيوة القبر في هذه الاية لان قوله ثم يحييكم
ليس المراد منه حياة القيامة والا لكان هذا هو عين قوله ثم اليه ترجعون
اشارة الى حيوة القيامة وقال الحسن البصري رحمه الله عليه قوله كيف تكفرون
بالله يعني به العامة فاما بعض الناس فقد اماتهم الله ثلاث مرات نحو ما حكى
في قوله او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها الى قوله فاماته الله
مائة عام ثم بعثه وكقوله الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر
الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم وكقوله فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون
ثم بعثناكم من بعد موتكم وكقوله فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى
وكقوله وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها
وكقوله في قصة ايوب عليه السلام واتيناه اهله ومثلهم معهم فانه جاء في بعض
الروايات انه تعالى رد عليه اهله بعد ان اماتهم واقول ايضا ان ثبت انه
تعالى احيا الذر في صلب ادم عليه السلام وخاطبهم بقوله الست بربكم قالوا بلى
لزم ان يقال انه هاهنا لاقوام الذين ذكرناهم قد اماتهم الله اربع مرات
الفايدة الخامسة تمسكت المجسمة بهذه الاية وهو قوله ثم اليه ترجعون
على انه تعالى في مكان وجهة وهذا ضعيف والمراد الى حكمه ترجعون لانه تعالى
يبعثهم من القبور ويجمعهم في المحشر فذلك هو الرجوع وانما وصف
هذا بانه رجوع الى الله لانه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم فيه غير الله كقولهم رجع
حكمه الى الامير الى حيث لا يحكم غيره الفايدة السادسة تمسك اهل

التناسخ على قدم الارواح بهذه الاية وذلك لان الرجوع الى الله لا يصح الا بعد
ان يقال هذه الارواح كانت قبل تعلقها بالابدان في حضرة الله تعالى واكدوا
هذه الاية بقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية والجواب ان الارواح
لما كانت من عالم الاخرة لا جرم سميت مفارقتها بالرجوع الى الله تعالى
الفايدة السابعة هذه الاية دالة على وجود الصانع سبحانه فان الحيوة
والموت ليستا من افعال البشر فلا بد من مدبر وتمام تقريره ما ذكره في
باب الاستدلال على وجود الصانع بتكوين بدن الانسان الفايدة الثامنة
تدل هذه الاية على انه لا قدرة على الاحيا والاماتة الا الله سبحانه فبطل به
قول اهل الطبايع ان المؤثر في الحيوة والموت هو الطبايع والكواكب
والاركان والمزاجات وفي ابطال قول من حكى الله عنه انهم قالوا ان هي الا حياتنا عنه صح
الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر الفايدة التاسعة الاية دالة
على صحة الحشر ومنبهة على الدليل العقلي الدال على امكان الحشر والنشر لانه تعالى
بين ان هذه الاشيا ميتة فاحياها فاذا جاز الاحيا بعد الموت في المرة
الاولى فلان يجوز الاحيا بعد الموت في المرة الثانية كان ذلك اولى
الفايدة العاشرة الاية دالة على التكليف والامر والنهي والترغيب والترهيب
والثواب والعقاب الفايدة الحادية عشر الاية دالة على مسلة الجبر والقدر
وتمام الكلام فيه قد تقدم الفايدة الثانية عشر الاية دالة على وجوب
الزهد في الدنيا لانه تعالى قال فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فبين انه لا بد من الموت
ثم ذكر انه لا بد بعد هذا الموت من سوال القبر ثم ذكر انه لا بد بعد ذلك من
الرجوع الى الله تعالى ولنشير الى بيان هذه المراتب اما انه كان ميتا حين
كان نطفة وعلقة ومضغة فامر لا شك فيه واما انه تعالى احياه بعد ذلك
فهو ايضا حق فانه احياه وصوره واحسن صورته وجعله بشرا سويا
واكمل عقله وصيره بصيرا بانواع المنافع والمضار وملكه الاموال والاولاد

والدور والقصور واما انه تعالى يميته فاه من ظاهر واذا اماته فقد زال
عنه كل تلك النعم وصيره بحيث لا يملك شيا ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا خبر
ويبقى مع ملايكه في اللحد وقال تعالى ومن ورائهم برزخ ينادي فلا يجيب
ويستنطق ولا يتكلم ثم يصير بحيث لا يزوره الاقربون وينساه الاهل والبنون
قال يحيى بن معاذ الرازي يمر اقاربي بجذا قبري كان اقاربي لم يعرفوني
وقال ايضا الهي كاني بنفسي وقد اضجعت في حفرتها وانصرف المشيعون من
تشيعها وبكى الغريب عليها لغربتها وناداها من شفير القبر ذو مودتها
ورحمها المعادي عند صرعتها ولم يخف على الناظرين عجز حيلتها فما رجاي
الا ان تقول الملايكة انظروا الى فريد وابى عنه الاقربون ووحيد قد جفاه
المحبون اصبح مني قريبا وفي اللحد غريبا وكان لي في الدنيا محبا وداعيا وللاحساني
اليه عند وصوله الى هذا البيت واحيا فاحسن الي هناك يا قديم الاحسان وحقق
رجاي فيك يا واسع الغفران واما انه لا بد من الرجوع الى الله فلانه تعالى يامر
بان ينفخ في الصور قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض ثم نفخ
فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى
نصب يوفضون يوم يعرض على الله كما قال وعرضوا على ربك صفا فيقومون
خاشعين كما قال وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا قال
بعضهم الهنا اذا قمنا من ثرى الاجداث مغبرة رووسنا ومن شدة الخوف شاحبة
وجوهنا ومن هول القيامة مطرقة رووسنا ومن طول المكث في القيامة جايعة
بطوننا وبادية لاهل الموقف سواتنا ومن ثقل الاوزار موقرة ظهورنا وبقينا
متحيرين في امورنا نادمين على ذنوبنا فلا تعظم المصايب باعراضك عنا
ولا تمنع غفرانك ورحمتك عنا يا عظيم الرحمة يا واسع المغفرة قوله تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا اعلم انه تعالى لما ذكر الحيوة التي هي اصل
جميع النعم اتبع بذكر المنتفع به وهو المنافع المخلوقة في الارض وما احسن

هذا الترتيب فان الانتفاع بالارض والسما لا يكون الا بعد حصول الحيوه
اما لفظ الخلق فقد مر تفسيره واما قوله لكم فهو يدل على ان كل ما خلقه في
الارض انما خلقه لمنفعة المكلفين على الطاعات واما في الدين فبان يستدل
المكلف بهذه الاشيا ويعتبر بها في اثبات الصانع ومعرفة قدرته وعلمه
وحكمته وجمع بقوله ما في الارض جميعا كل ما في الارض ففيها ما يتصل بالحيوان
والنبات والمعادن والجبال وفيها ما يتصل بضروب الحرف والصناعات
والامور التي استنبطها العقلا وبين تعالى انما خلقها حتى ينتفع بها المكلف
بها كما قال سبحانه وسخر لكم ما في السموات وما في الارض فكانه تعالى قال
كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض
جميعا او يقال كيف تكفرون بقدرة الله على الاعاده وقد احياكم بعد موتكم
او يقال كيف تكفرون بقدرة الله على اعادتكم وقد خلق لكم ما في الارض فكيف يعجز
عن اعادتكم ثم انه سبحانه ذكر تفاصيل هذه المنافع في سور مختلفة كما قال تعالى
انا صببنا الما صبا ثم شققنا الارض شقا وسنستقصي الكلام في شرح
هذه التفاصيل في باب الاستدلال على وجود الصانع سبحانه باحوال الحيوانات
والنبات ثم ها هنا فوايد الفايدة الاولى الكلام في قوله تعالى خلق لكم
الحكمة والغرض واعلم انه تعالى ذكر هذا الكلام في مواضع احدها في قوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والثاني ان اشرف العبادات بعد
الايمان الصلاه فذكر هذا الكلام فيها فقال اقم الصلاه لذكري وذكر ايضا
في الصوم قال عليه السلام حاكيا عن الله تعالى الصوم لي ثم ان الامة اجتمعت
على انه يجب على المصلي ان يقول بقلبه اصلي لله ولو قال اصلي لاجل الجنة وللهرب
من النار لم تصح صلاته ثم كانه تعالى قال عبدي ايكان وجدت بموجب هذه
الايات ملكت الدنيا والاخرة بلام التمليك اما الدنيا فهو قوله خلق لكم ما في الارض
جميعا واما الاخرة فقوله وجنة عرضها كعرض السما والارض اعدت للمتقين

والحاصل انه سبحانه خلقك لخدمته وخلق كل ما سواك لاجلك فان انت صرفت
نفسك الى خدمته فهو سبحانه يصرف الدنيا والاخرة الى جهة غرضك كما قال وامر
اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى
النوع الثاني من الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع المختار كون
الارض مقرا للحيوانات ومسكنا لها والله سبحانه ذكر هذا المعنى في ايات في اول
سورة البقرة الذي جعل لكم الارض فراشا وقال في سورة طه حكاية عن موسى عليه السلام
حين استدل بها على وجود الصانع الذي جعل لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها
سبلا وقال في سورة عم الم نجعل الارض مهادا وقال في سورة النمل امن
جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل فيها رواسي وجعل بين البحرين
حاجزا االه مع الله بل اكثرهم لا يعلمون وقال في سورة الملك هو الذي جعل
لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور وقال في سورة
نوح والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقال في سورة
المرسلات الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي شامخات
واسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين واعلم انه يجب علينا ان نبحث عن هذه
الصفات التي ذكرها الله سبحانه للارض الصفة الاولى كون الارض فراشا
واعلم انه يعتبر في كون الارض فراشا للحيوانات شرائط الاول كونها ساكنة
وذلك لانها لو كانت متحركة الى التسفل والهبوط كان من رفع رجله عن الارض
فاراد بعد ذلك ان يضعها على الارض لم يقدر على ذلك البتة لانا بينا انه اذا
تحرك شيان الى السفل واحدهما اخف من الاخر لم يصل الاخف الى الاثقل فعلى هذا
التقدير كان يصير المشي متعذرا للحيوانات على الارض ولو قدرنا كون الارض متحركة
بالاستدارة كان الهواء المحيط بها شديد التموج بسبب حركتها فعند ذلك يصير
الانسان وغيره من الاجسام الصغيرة متحركة نحو جهة حركة الارض بالاضطرار ويمتنع
عليها الحركة الى خلاف تلك الجهة وعلى هذا التقدير يصير المشي متعذرا ونقل الاقمشة بلغ

من موضع الى موضع متعذرا اما لما كانت الارض واقفة ساكنة لا جرم كان المشي
ممكنا ونقل الاقمشة من مكان الى مكان على حسب المراد والمصلحة ممكنا فحينئذ يصلح
كون الارض مسكنا للحيوانات ثم قد عرفت انها ساكنة لا بسبب علاقة فوقها ولا دعامة
تحتها والا لعاد الكلام في تلك العلاقة وتلك الدعامة ولزم التسلسل وهو محال
واذا ثبت انها ساكنة بلا دعامة ولا علاقة ثبت ان ممسكها هو الله سبحانه بقدرته
واختياره وهو المراد من قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولا تعدم
الاستقصاء في ذلك الشرط الثاني في كون الارض فراشا للحيوانات ان لا تكون
في غاية الصلابة ولا في غاية الرخاوة اما انه يجب ان لا تكون في غاية الصلابة فلانها
لو كانت في غاية الصلابة كالحجر لكان النوم عليه والمشي عليها مما يولم البدن
وايضا لم ينبت انواع النبات والاشجار والثمار وايضا كان يسخن شديدا في
الصيف وتبرد شديدا في الشتاء فما كان تصلح لسكنى الحيوانات وايضا كان
يتعذر اتخاذ الابنية والمساكن منه وكان يتعذر حفرها وتركيبها كما يراد وكما
يوافق المصلحة فثبت ان الارض لو كانت صلبة حجرية لما كان يصلح لان يكون فراشا
للانسان من هذه الوجوه ثم تامل ان اعز الاشياء عند الانسان الذهب والفضة
والياقوت والزمرد ولو انا قدرنا ان الارض كانت مخلوقة من هذه الاشياء
لفاتت هذه المصالح باسرها وبطلت المنافع وبهذا ظهر انه لا نسبة للتراب في
كثرة المنافع والمصالح الى هذه الاشياء التي يظن الانسان كونها في غاية الشرف
والنفاسة وايضا من شرط كون الارض فراشا لنا ان لا تكون في الرخاوة كالماء
وسائر الاشياء التي يغوص الانسان فيها فثبت ان الشرط في كونها فراشا للانسان
وغيره كونها بهذه الصفة التي خلقها الله عليها الشرط الثالث في كونها فراشا
لنا ان لا تكون في غاية الشفافة واللطافة فان الشفاف لا يستقر عليه النور
وما كان كذلك فانه لا يقبل السخونة من الشمس والكواكب في غاية البرد ولا يصلح
لان يكون حيزا للحيوانات وايضا ما جعلها في غاية الصقالة والبراقة والا لكان

يحترق من كان يقرب منها بسبب انعكاس اشعة الشمس عنها كما يحترق القطنة
التي تقرب من البلورة المخروطة اما لما جعل الارض كثيفة غبراء استقر النور على
وجهها فتحصل نوع من السخونة فيها ولما كانت كثيفة لم تنعكس الاشعة منها
فلا جرم صارت متوسطة في الحر والبرد فصلحت ان تكون فراشا للحيوانات الشرط الرابع
ان تكون خارجة عن الماء وذلك لان الانسان وغيره من الحيوانات البرية لا يمكنها ان
تعيش في الماء فالارض لا يمكن ان تكون مسكنا للانسان وساير الحيوانات الا
اذا كانت بارزة من الماء ثم ان طبع الارض يقتضي ان تكون غايصة في الماء فكان يجب
في كل الارض ان تكون البحار محيطة بها ثم انه سبحانه بكمال قدرته ونهاية حكمته
وغاية رحمته بالعباد قلب طبع الارض واخرج بعض جوانبها من الماء كالجزيرة
البارزة حتى صلحت لان تكون فراشا لنا فهذا جملة الشرايط المعتبرة في كون الارض
فراشا لنا الصفة الثانية من الصفات التي ذكرها الله تعالى للارض كونها مهدا
كما قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام جعل لكم الارض مهدا والمراد منه انه تعالى
جعلها بحيث يسهل على العباد ان يتصرفوا فيها بالقعود والقيام والزراعة
وساير جهات المنفعة فهو قريب من الصفة الاولى لان المقصود من تسميتها بالمهد
ان الارض للخلق كالمهد للصبي وهو الذي يمهد له فينوم عليه الصفة الثالثة
قوله تعالى في سورة عم الم نجعل الارض مهادا واعلم ان المهاد مصدر ثم فيه وجوه
الاول ان يكون المراد من هذه الاية الممهود والمعنى الم نجعل الارض ممهودا وهذا
من باب تسمية المفعول بالمصدر كقولهم هذا ضرب الامير الثاني ان تكون الارض
وصفت بهذا المصدر كما تقول زيد جود وكرم كانه لكماله في تلك الصفة صار
عين تلك الصفة والثالث ان تكون بمعنى ذات مهاد الصفة الرابعة
قوله تعالى في سورة النمل امن جعل الارض قرارا واعلم انه تعالى ذكر من منافع الارض
في هذه الاية امورا اربعة المنفعة الاولى كونها قرارا وهذا ايضا قريب من كونها
فراشا والشرايط الاربعة المذكورة هناك معتبرة ايضا ها هنا ونزيدها هنا

شرايط اخرى فالشرط الاول انه تعالى دحاها وسواها للاستقرار قال تعالى
والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها ومرعاها والجبال ارساها متاعا لكم
ولانعامكم وقال في حم السجدة قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء للسايلين الشرط الثاني انه تعالى جعل الشمس
بسبب ميل مدارها عن مدار منطقة الفلك الاعظم بحيث تبعد تارة من سمت الراس
وتقرب اخرى وبسبب هذا القرب والبعد تختلف الفصول الاربعة وبسبب
اختلاف هذه الفصول الاربعة صلحت البقاع لان تكون مسكنا للحيوانات على ما بينا
شرح هذا المعنى في ذكر منافع الميل في تفسير قوله اولم ير الذين كفروا ان
السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما الشرط الثالث انه سبحانه جعل الارض
كفاتا للاحياء والاموات على ما سنذكر في تفسير الكفات ان شاء الله تعالى ولو لم تكن
الارض كذلك لما صلحت لان تكون قرارا للحيوانات المنفعة الثانية من منافع الارض
التي ذكرها الله في هذه الاية قوله وجعل خلالها انهارا واعلم ان اقسام المياه
المنبعثة عن الارض اربعة الاول مياه العيون السيالة وهي تنبعث من ابخرة كثيرة
المادة قوية الاندفاع تفجر الارض بقوتها ثم لا تزال تستتبع جزءا جزءا والثاني
ماء العيون الراكدة وهي تحدث من ابخرة كثيرة بلغت قوتها اذا اندفعت الى وجه
الارض ولم تبلغ من قوتها وكثرة مادتها ان يطرد تاليها سابقها والثالث
مياه القني والانهار وهي ايضا متولدة عن ابخرة ناقصة القوة عن ان تشق الارض
فاذا ازيل عن وجهها ثقل التراب صادفت حينئذ تلك الابخرة منفذا تندفع اليه
بادنى حركة والرابع مياه الابار وهي بعينها كمياه الانهار الا انه لم يجعل
لها ميل الى موضع تسيل اليه ونسبة القني الى الابار نسبة العيون السيالة الى
العيون الراكدة وقد ظهر بمجموع ما شرحنا انه لولا صلابة الارض لما اجتمعت تلك
الابخرة في باطنها ولولا اجتماعها في باطنها لما حدثت هذه العيون في ظاهرها

المنفعة الثالثة للارض قوله تعالى وجعل لها رواسي والمراد منها الجبال ويقول
اكثر العيون والسحب والمعدنيات انما يكون في الجبال او فيما يقرب منها اما العيون
فلان الارض اذا كانت رخوة نفشت الابخرة عنها فلا يجتمع منها قدر يعتد به
فاذن هذه الابخرة لا تجتمع الا في الارض الصلبة والجبال اصلب الاراضي فلا جرم كانت
اقواها على حبس هذا البخار حتى يجتمع ما يصلح ان يكون مادة للعيون ويشبه
ان يكون مستقر الجبل مملوا ماء ويكون الجبل في حقنه للابخرة مثل الانبيق الصلب
المعد للتقطير لا يدع شيا من البخار يتحلل ونفس الارض التي تحته كالقرع والعيون
كالاذناب والبحار كالقوابل ولذلك فان اكثر العيون انما ينفجر من الجبال واقلها
من البراري وذلك لانه قل ما يكون الا اذا كانت الارض صلبة واما السحب انما يكون
في اكثر الامر في الجبال فلاسباب ثلثة احدها ان في باطن الجبال من الندا واو
ما لا يكون في بواطن الارض الرخوة والثاني ان الجبال بسبب ارتفاعها يكون ابرد
فلا جرم يبقى على ظهورها من الانداء والثلوج ما لا يبقى على ساير الارض والثالث
ان الابخرة المتصاعدة من الجبال يكون محبوسة بالجبال فلا يتفرق ولا يتحلل واذا ثبت
ذلك ظهر ان اسباب كثرة السحب في الجبال اكثر لان المادة فيها ظاهرا وباطنا اكثر
والاحتقان اشد والسبب المحلل وهو الحر اقل فلذلك كانت السحب في الجبال اكثر
واما المعدنيات المحتاجة الى ابخرة يكون اختلاطها بالارضية اكثر ويبقى في ذلك
الاختلاط مدة طويلة يتم النضج فيها فلا شي لها في هذا المقصود كالجبال
المنفعة الرابعة قوله تعالى وجعل بين البحرين حاجزا فاعلم ان المقصود من ذلك
الحاجز احد امور ثلثة ان لا يفسد العذب بسبب اختلاطه بالمالح والثاني ان
ينتفع بذلك الحاجز والثالث المومن في قلبه بحران بحر الحكمة والايمان وبحر الشهوة
والطغيان وهو بحكمه سبحانه بتوفيقه جعل بينهما حاجزا لكي لا يفسد احدهما بالاخر
وقال بعض الحكما في قوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال عند عدم
البغي بين البحرين يخرج اللولو والمرجان فكذلك عند عدم البغي في القلب يخرج الدين

والايمان واعلم ان وجه الاستدلال بهذه الاحوال على اثبات الصانع الحكيم ظاهر
وذلك لانه تعالى دبر اجزاء الارض على هذه الاحوال للحكمة المتقنة الموافقة لمصالح
العباد وذلك لا يمكن الا بمشية نافذة وقدرة كاملة وحكمة بالغة الصفة
الخامسة للارض في قوله في سورة الملك هو الذي جعل لكم الارض ذلولا واعلم ان
الذلول من كل شي المنقاد لك الذي يذل لك ومصدره الذل وهو الانقياد واللين
ومنه يقال دابة ذلول وفي وصف الارض بالذلول وجوه الاول انه تعالى لم يجعلها
صخرة خشنة يمنع المشي عليها كما يمنع المشي على وجه الصخور الخشنة
منها صح والثاني انه تعالى جعلها لينة بحيث يمكن حفرها وبناء الابنية منها كما يراد ولو كانت
حجرية صلبة لتعذر ذلك البناء والثالث انك ترمي عليها كل قبيح وهي تخرج لك طعاما
تم لذيذا مليحا والرابع انها كفات الاحيا والاموات وهذه الوجوه قد شرحناها ثم
قال تعالى فامشوا في مناكبها والمفسرون ذكروا في مناكب الارض وجوها الاول
قال صاحب الكشاف المشي في مناكبها مثل لفرط التذليل لان المنكبين وملتقاهما من
الغارب ارق شي من البعير وابعده من امكان المشي عليه فاذا صار البعير بحيث يمكن
المشي على منكبيه فقد صار نهاية في الانقياد والطاعة فظهر ان قوله تعالى فامشوا
في مناكبها كناية عن كونها نهاية في الذلولية والثاني وهو قول قتادة والضحاك
وابن عباس ان مناكب الارض جبالها واكامها وسميت الجبال مناكب لان مناكب
الانسان شاخصة والجبال ايضا شاخصة والمعنى اني سهلت عليكم المشي في
مناكب الارض وهي ابعد اجزائها عن التذليل فكيف الجبال في ساير اجزائها
والثالث ان مناكبها هي الطرق والفجاج والاطراف والجوانب وهو قول الحسن
ومجاهد واما قوله تعالى وكلوا من رزقه اي مما خلق الله رزقا لكم في الارض
واليه النشور يعني ان يكون مسلكم في الارض واكلكم من رزق الله مكث من يعلم
ان مرجعه الى الله وان كل من يتيقن ان مصيره الى الله والمراد التحذير من الكفر والمعاصي
وطول الامل الصفة السادسة للارض قوله تعالى في سورة نوح والله جعل

بلغ

لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا اي طرقا واسعة واحدها فج
وهو قريب مما تقدم الصفة السابعة للارض قوله تعالى في سورة المرسلات
الم نجعل الارض كفاتا ومعنى الكفت في اللغة الضم والجمع يقال كفت الشي
اذا ضممته ويقال جراب كفيت اذا كان لا يضيع شيا مما يجعل فيه والكفات اسم
ما يكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب
وبه انتصب احيا وامواتا كانه قيل كافة احيا وامواتا ويفعل مضمر يدل عليه
وهو يكفت هذا هو اللغة ثم في المعنى وجوه الاول انها تكفت الاحيا على ظهرها
والاموات في بطنها والمعنى ان الاحيا يسكنون في بيوتهم والاموات
يدفنون في قبورهم ولهذا المعنى كانوا يسمون الارض اما لانها في ضمها
للناس كالام التي تضم ولدها وتكفله ولما كانوا يضمون اليها جعلت كانها
تضمهم والثاني انها كفات الاحيا بمعنى انها تكفت ما ينفصل من الاحيا من الامور
المستقذرة الثالث انها كفات الاحيا بمعنى انها جامعة لما يحتاج الانسان اليه
في حاجته من ماكل ومشرب لان كل ذلك يخرج من الارض وايضا المساكن الجامعة للمصالح
الدافعة للمضار مبنية منها الرابع ان قوله احيا وامواتا راجع الى الارض
فالحي ما ينبت والميت ما لم ينبت بقي في الاية سوالان السوال الاول لم قال احيا
وامواتا على التنكير وهي كفات الاحيا والاموات جميعا والجواب هو من باب
التنكير للتفخيم كانه قيل تكفت احيا لا يعدون وامواتا لا يحصرون السوال الثاني
فهل يدل الاية على وجوب قطع النباش الجواب نقل القفال ان ربيعة قال
دلت الاية على ان الارض كفات الميت فيكون حرزا له والسارق من الحرز يجب عليه
القطع الصفة الثامنة للارض قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى فهي لنا كالام الحاضنة التي تربينا حال الحيوة
والموت النوع الثالث في الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع
الحكيم سبحانه اعلم ان هذه الاحوال من وجوه كثيرة الاول ان الاشيا المتولدة فيها من

المعادن والنبات والحيوان والاثار العلوية والسفلية كثيرة لا يعلم تفاصيلها
الا الله سبحانه والثاني من منافع الارض ان الماء لرقته ورطوبته لا يحفظ الشكل
والتصوير فاذا اختلط بين الماء والتراب حصل في الماء نوع قوام واستمساك
وحصل في التراب قبول الاشكال فيصير الطين قابلا للتشكيل والتخطيط
كما قال تعالى اني خالق بشرا من طين وقال في حق عيسى عليه السلام واذ تخلق من
الطين كهيئة الطير باذني والثالث اختلاف بقاع الارض فمنها ارض رخوة وصلبة
ورملية وسبخة وحرة هي المشار اليه بقوله وفي الارض قطع متجاورات وقال
والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والرابع
اختلاف الوانها فاحمر وابيض واسود ورمادي اللون واسمر واغبر كما قال تعالى
ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود والخامس انصداعها
بالنبات كما قال تعالى والارض ذات الصدع والسادس كونها خازنة للماء
المنزل من السما واليه الاشارة بقوله وانزلنا من السما ماء بقدر فاسكناه في الارض
وانا على ذهاب به لقادرون وقال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن
ياتيكم بماء معين والسابع العيون والانهار العظام والصغار التي في
الارض واليه الاشارة بقوله تعالى وجعل فيها رواسي وانهارا والثامن
ما فيها من المعادن والفلزات واليه الاشارة بقوله تعالى والارض مددناها والقينا
فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شي موزون ثم بين ذلك تمام البيان فقال وان من
شي الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم والتاسع الزروع والاشجار
التي تنبت من الارض من الحب والنوى قال تعالى ان الله فالق الحب والنوى وقال تعالى
يخرج الخبء في السموات والارض ثم ان الارض لها طبع الكرم لانك تدفع
اليها حبة واحدة وهي تردها عليك سبعماية قال تعالى كمثل حبة انبتت سبع
سنابل في كل سنبلة ماية حبة والعاشر حياتها بعد موتها قال تعالى
اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا وقال تعالى واية لهم الارض

الميتة احسنها والحادي عشر ما عليها من الدواب المختلفة الالوان والصور
والخلق واليه الاشارة خلق السموات بغير عمد ترونها والقى في الارض رواسي
ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة والثاني عشر من النبات المختلفة الوانه وطبايعه
وانواعه ومنافعه واليه الاشارة بقوله وانبتنا فيها من كل زوج فاختلاف
الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف روايحها دلالة واختلاف
منافعها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهايم كما قال تعالى كلوا وارعوا
انعامكم ان في ذلك لايات لاولي النهى ثم ان مطعوم البشر منقسم الى اقسام
منها الطعام ومنها الادام ومنها الفاكهة ومنها الانواع المختلفة قال تعالى
وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام وايضا فيها كسوة البشر لان الكسوة
اما نباتية وهي القطن والكتان واما حيوانية وهي الشعر والصوف والابريسم
والجلود وهي من الحيوانات والتي بثها الله من الارض من المطعوم من الارض
والملبوس من الارض والغذاء من الارض والدواء من الارض ثم قال ويخلق
ما لا تعلمون وفيه اشارة الى منافع كثيرة لا نعلمها نحن والحق تعالى عالم بها
ثم انه تعالى جعل الارض ساترة لعيوبكم بعد موتكم فقال الم نجعل الارض
كفاتا احيا وامواتا ثم انه تعالى جمع هذه المنافع العظيمة للسما والارض
فقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض الثالث عشر ما فيها من الاحجار
المختلفة ففي صغارها ما يصلح للزينة فيجعل فصوص الخواتم وفي كبارها
ما يتخذ للابنية وانظر الى الحجر الذي تستخرج النار منه مع كثرته وانظر الى الياقوت
الاحمر مع عزته ثم انظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الشريف
الرابع عشر ما اودع الله فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة والملح
والنفط ثم تامل فان البشر استخرجوا الحرف الدقيقة والصنايع الجليلة
واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من ارج الهوا ثم عجزوا عن
اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه انه لا فايدة في وجودهما الا الثمنية

وهذه الفايدة لا تحصل الا عند العزة والقدرة على اتخاذها تبطل هذه
الحكمة فلذلك ضرب الله دونهما بابا مسدودا اظهارا لهذه الحكمة وابقا لهذه
النعمة واما الذي لا مضرة على الخلق في اتخاذه فقد اقدرهم عليه
مثل اتخاذ الشبه من النحاس واتخاذ الزجاج من الرمل واذا تامل العاقل في هذه
اللطايف والعجايب اضطر الى افتقار هذه التدابير الى صانع حكيم مقدر عليم
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا الخامس عشر كثرة ما يوجد على
الارض والجبال من الاشجار التي تصلح للبنا والسقف ثم الحطب وما اشد
الحاجة اليه في الخبز والطبخ وقد نبه الله تعالى على دلايل الارض ومنافعها
بالفاظ لا يبلغها البلغا ولا يقدر عليها الفصحا فقال تعالى وهو الذي مد الارض
وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين النوع
الرابع من مباحث الارض اختلفوا في ان السما افضل ام الارض قال بعضهم
السما افضل لوجوه الاول ان السما متعبد الملايكة وما فيها بقعة عصي الله فيها
حتى ان ابليس لما اظهر الكفر اخرج من السما وقيل له اخرج منها فانك رجيم وادم عليه السلام
لما اتى ما زله قال له الله تعالى اهبطوا منها وقال لا تسكن في جواري من عصاني
الحجة الثانية انه تعالى وصف السما بصفات دالة على العظمة ولم يذكر مثلها في
الارض فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا وبنينا فوقكم سبعا شدادا
وسبعا طباقا وسقفا محفوظا هل ترى من فطور وما لها من فروج
وقوله تبارك وتعالى الذي جعل في السما بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا
ثم ذكر عاقبة امرها فقال واذا السما فرجت واذا السما كشطت
يوم نطوي السما يوم تكون السما كالمهل واما الموضع الذي ذكر فيه
حال الارض فقد ذكر السما بما يدل على عظم السما فقال والارض جميعا
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ومعلوم ان اليمين اشرف
الحجة الثالثة انه تعالى جعل الارض موضع السجود والسموات قبلة الدعا

فالايدي ترفع اليها والوجوه تتوجه نحوها والقلوب متعلقة بها
الحجة الرابعة انها منزل الانوار ومصونة عن الخلل والفساد ومحل الطهارة
والعصمة والارض ليست كذلك الحجة الخامسة السموات موثرة غير
متاثرة والموثر اشرف من القابل ومما يدل على ان السموات موثرة قوله تعالى
فليمدد بسبب الى السما وقوله تعالى حكاية عن فرعون لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات الحجة السادسة ان السموات مزينة بثمانية اشيا ثلثة منها
محسوسة وهي الشمس والقمر والنجوم وخمسة منها غير محسوسة وهي العرش
والكرسي واللوح والقلم والجنة وامثال هذه الاشيا غير موجودة في الارض
وما يناسبها ويشاكلها الحجة السابعة انه تعالى ذكر السموات والارض
في كتابه العزيز في كل موضع وقدم ذكر السموات على الارض وذلك يدل على
المقصود وقال بعضهم بل الارض افضل واحتجوا عليه بوجوه الحجة الاولى
انه تعالى وصف بقاعا من الارض بالبركة قوله تعالى ان اول بيت وضع للناس الذي
ببكة مباركا وثانيها قوله تعالى في البقعة المباركة من الشجرة وثالثها قوله تعالى احدها صح
المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ورابعها وصف ارض الشام بالبركة فقال
مشارق الارض ومغاربها التي باركنا فيها وخامسها وصف جملة الارض
بالبركة فقال قل انكم لتكفرون الى قوله وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك
فيها فان قيل واي بركة في الفلوات الخالية والمفاوز المهلكة قلنا انها مساكن
الوحوش ومرعاها ولولاها لاختلطت السباع بالناس في مساكنهم ثم انها
مساكن الناس اذا احتاجوا اليها وهذه الحجة ضعيفة لان الله تعالى اثبت وصف
البركة في السموات وهو قوله تعالى بركات من السما الحجة الثانية انه تعالى خلق
الانبيا والمكرمين من الارض على ما قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى ولم يخلق من السموات شيئا لانه تعالى قال وجعلنا السما سقفا
محفوظا الحجة الثالثة انه تعالى اكرم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بان جعل الارض

بلغ

له كلها مسجدا وجعل ترابها طهورا النوع الخامس من المباحث ما يدل
على حال تعظيم السما والارض اعلم انه تعالى بين صفات جلاله ونعوت
كبريائه بالاضافة الى السموات والارض وهي ايات كثيرة في القران
اما القسم الاول فالايات الدالة على الخلق قوله تعالى الحمد لله الذي خلق
السموات والارض ثم بين ان هذا الخلق اعظم من خلق الناس فقال لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال في النازعات اانتم اشد خلقا
ام السما بناها وقال في يس اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم ثم بين انه خلقها بالحق فقال
في النحل خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم بين في ص
انه ما خلقها بالباطل فقال وما خلقنا السما والارض وما بينهما باطلا ذلك
ظن الذين كفروا ثم بين ان الكل تحت تدبيره فقال الله الذي يخرج الخبا في
السموات والارض ثم بين ان في خلق السموات والارض اسرارا عجيبة فقال في
سورة البقرة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لقوم
يعقلون وقال في ال عمران ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولي الالباب ثم بين تعالى انه ما اطلع احدا على اسرار هذا
الخلق فقال ما اشهدتهم خلق السموات والارض فهذا ما يتعلق بصفة الخلق
القسم الثاني ما يتعلق بصفة الربوبية فقال موسى عليه السلام في سورة
الشعرا استدلالا على فرعون رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
وقال ايضا الله نور السموات والارض قال بعضهم الله مربي اهل السموات والارض
كما يقال فلان نور هذا البلد اذا كان سببا لنظم مصالح البلد وقال بعضهم
الله هادي اهل السموات والارض وقال بعضهم الله منور السموات والارض
واحتج على هذه القراءة بقوله مثل نوره ثم بين انه تعالى غير عاجز عن هذا التدبير
فقال وما كان الله ليعجزه من شي في السموات ولا في الارض القسم الثالث

ما يتعلق بالملك فقال ولله ما في السموات وما في الارض ثم ذكر التفصيل
فبين انه مالك الجنود فقال ولله جنود السموات والارض وانه مالك الخزاين
فقال ولله خزاين السموات والارض وانه المالك للاشيا بعد فنا الخلق فقال
ولله ميراث السموات والارض وانه المالك لفتح المغاليق فقال وله مقاليد
السموات والارض ثم ذكر انه المالك لكل العقلا فقال ولله من في السموات ومن في
الارض ثم اكد كيفية هذه العبودية بقوله ولله يسجد من في السموات ومن في الارض
وقال ايضا يسئله من في السموات ومن في الارض ثم بين انه تعالى جعل البعض
مسخرا للبعض بل جعل القوي مسخرا للضعيف وقال وما خلقنا السما والارض
وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين
ثم بين فقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض ثم بين انه لا يعجزه احد فقال
وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما وقال فان استطعت ان تبتغي نفقا في
الارض او سلما في السما القسم الرابع ما يتعلق بالملك وهو قوله ولله
ملك السموات والارض واعلم ان الفرق بين الملك وبين الملك موجود على ما هو
معلوم في تفسير قوله تعالى مالك يوم الدين ثم بين انه كما انه هو الملك فهو
ايضا مالك الملك فقال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشا وتنزع الملك ممن تشا
وتعز من تشا وتذل من تشا بيدك الخير ثم بين بقا الملك وكثرة بركاته فقال وتبارك
الذي له ملك السموات والارض القسم الخامس ما يتعلق بالعلم وهو قوله تعالى
ولله غيب السموات والارض ثم بين انه تعالى يعلم الغيب والشهادة يعلم ما في
السموات وما في الارض ثم بين احاطة علمه فقال لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض ثم بين جلاله في هذا العلم فقال قل ربي يعلم
القول في السما والارض ثم بين انه لا يخفى عليه شي البته فقال لا يخفى على الله من
شي في الارض ولا في السما القسم السادس ما يتعلق بكيفية التدبير
قال يدبر الامر من السما الى الارض القسم السابع ما يتعلق بالتسبيح

والتحميد قال تعالى يسبح لله ما في السموات والارض وقال يسبح لله ما في
السموات وما في الارض وله الحمد في السموات والارض القسم الثامن
ما يتعلق بالكبريا قال تعالى وله الكبريا في السموات والارض
وقال وسع كرسيه السموات والارض وقال وله المثل الاعلى في السموات
والارض وقال وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها ونظيره قوله تعالى
ثم قال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وقال ففزع من
في السموات ومن في الارض وقال فصعق من في السموات ومن في الارض وقال
يسئله من في السموات والارض وقال انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وكل ذلك يدل على نهاية الجلال والعظمة
والهيبة وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيا ونظيره من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه وقوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقال وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع
الا همسا وقيل يا ارض ابلعي ماك ويا سما اقلعي القسم التاسع
ما يتعلق بالالهية وهو قوله تعالى وهو الله في السموات وفي الارض يعلم
سركم وجهركم وقال وهو الذي في السما اله وفي الارض اله القسم العاشر
ما يتعلق بالنظر والاستدلال قال وكاين من اية في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون وقال قل انظروا في ملكوت السموات والارض
وقال في التسبيه على العبرة فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا منظرين
واعلم ان كتاب الله تعالى من ذكر السموات والارض في القران يدل على عظم شانهما
وعلى ان له سبحانه فيهما اسرارا عجيبة وحكما بالغة لم تصل اليها افهام الخلق
ولا عقولهم فان قيل فما الحكمة في انه تعالى عرف صفات جلاله وقدسه
وعظمته بذكر هذه المخلوقات ابدا ابلا يسهل الى معرفتها الا بالادلة والبراهين
قلنا كلما كانت الاثار اجل واعظم كان ذلك ادل على عظمة الموثر فلما كان اعظم

تكلم السموات والارض [illegible] الحكمة فيه ان ذلك الله [illegible] وصفاته وعزه وعظمته

الموجودات المحسوسه هي السموات والارض لاجرم عرف الله سبحانه كمال قدرته
ونهايه علمه وحكمته بذكر السموات والارض فهذا دليل القول في هذا الموضع
النوع السادس شرح المنافع الحاصله من مجموع السما والارض مع غايه
بعد كل واحد منهما عن الاخر متعاونان على تحصيل مناظم العالم ومصالحه
وبيانه من وجوه الاول ان الفوق هو الذي يلي جهه السما والتحت هو الذي
يلي جهه الارض فالسما والارض متعاونان على تحصيل وجود الجهات واذا كان
حصول الجهات من توابع حصول السما والارض كان خالق السما والارض منزها
عن الجهات والاحياز الثاني ان السما والارض متعاونان على تحصيل النبات
فالسما كالاب فينزل من صلبه القطر ويقع في قعر الارض فاذا وقعت الحبه
في ذلك الطين اثرت نداوات الطين في تلك الحبه وكذلك السخونه المحتقنه
في بطن الارض فوصلت النداوه الى باطن الحبه وبسبب تلك السخونه انتفخت الحبه
وربت وعظمت فانشقت فلقه من فوقها وفلقه من تحتها فالانشقاق الفوقاني
يخرج منه ساق الشجره والانشقاق التحتاني يخرج منه عروق الشجره اذا عرفت
هذا فنقول لو وقعت الحبه في الارض يابسه لم يحصل المقصود اصلا ولو
وقعت في الطين ولكن بحيث لا يصل اليها تاثير الهوا وشعاعات الكواكب
لا يحصل المقصود اصلا الا ترى ان الاشجار التي تكون في اصل مانع من
شروق نور الشمس والقمر عليها فانها تكون فاسده ناقصه والشجره الصغيره
الواقعه في ظل شجره كبيره تكون ايضا فاسده فاذا تاملت علمت ان هذا
المقصود لا يحصل الا اذا وجدت كره الارض ووجدت كره السما وكانا
متعاونين بحيث يمتزجان ثم لا بد من وصول الهوا اليه الا ان الهوا جرم
حفيف صاعد بالطبع فلا يغوص بالطبع في عمق الطين فدبر الحكيم الرحيم
لهذا تدبيرا وهو ان حرك الهوا حتى صار ريحا ثم ان الريح تموج بقيه الهوا
فاذا تموجت عرض لبعضها في اثنا ذلك التموج ان يغوص في عمق الارض واليه

الاشاره بقوله وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج
بين الارض والما والهوا ثم كان ذلك لا يفيد المقصود الا مع حراره لطيفه
سماويه فعند ذلك لا بد من حراره الربيع في الاسقاء ومن حراره الصيف
في الانضاج فقد عرفت ان المقصود لا يحصل الا عند اجتماع تاثيرات
العناصر الاربعه وتاثيرات شعاعات الفلكيه ثم عند اجتماع هذه الاسباب
العلويه والسفليه لا يحصل المقصود الا بتقديره والا يكون المطلوب
الا بنفاذ مشيته وذلك لان من الارض الواحده والما الواحد والهوا الواحد
وما تيراث الشمس والقمر في الكل على السويه يخرج انواع النبات مختلفه في الطبع
والطعم واللون والرائحه فدل ذلك على ان العناصر والافلاك اسباب
ظاهره والموثر في الحقيقه هو القدره الازليه والمشيه السرمديه الوجه
الثالث ان النهار عباره عن مده ظهور نور الشمس والليل عباره عن مده اختفا نور
الشمس بسبب ظل الارض ومنافع الليل والنهار كثيره على ما سنذكرها ان شا الله
واذا كان الامر كذلك كان السبب القريب لحدوث الليل والنهار هو وجود
السما والارض ولهذا السبب فلانه تعالى اينما ذكر احوال الليل والنهار في
الاكثر يكون ذلك مسبوقا بذكر السما والارض تنبيها على ان سبب الليل والنهار
هو الارض والسما ثم العجب ان السما والارض كالمتقابلين المتضادين ثم انهما
صارا متعاونين على تحصيل اسباب مصالح هذا العالم والمتضادان يوجبان
الفساد فلما صار هذان الضدان موجبين لحصول اسباب الصلاح علم ان
ذلك بتقدير مقدر وتدبير مدبر حكيم عليم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
وهذا هو اخر الكلام في الدلايل الماخوذه من السما والارض

الباب الثاني في وجوه الدلايل الماخوذه من الشمس والقمر والنجوم وفيه فصول

الفصل الاول في تقرير دلايل الخليل صلى الله عليه وسلم
في قوله لا احب الافلين قال الله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما

اللهم انى اراك وقومك في ضلال مبين اعلم ان قبل الخوض في التفسير لا بد من
مقدمات المقدمة الاولى انه سبحانه وتعالى كثيرا ما يحتج على مشركي العرب
باحوال ابرهيم عليه السلام وذلك لانه رجل يعترف بفضله جميع الطوائف
والملل والمشركون كانوا مقرين بفضله متشرفين بانهم من اولاده واليهود والنصارى
والمسلمون كلهم معظمون له معترفون بجلال قدره فلا جرم ذكر الله حكايه
حاله في معرض الاحتجاج على المشركين واعلم ان هذا المنصب العظيم هو
اعتراف اكثر الخلق بفضله وعلو مرتبته لم يتفق لاحد كما اتفق للخليل عليه السلام
والسبب فيه ان بين العبد وبين الرب معاهدة كما قال تعالى اوفوا بعهدي اوف
بعهدكم فابرهيم صلوات الله عليه وفى بعهد العبودية والله تعالى شهد بذلك
على سبيل الاجمال تارة وعلى سبيل التفصيل اخرى اما الاجمال ففي اثنين احدهما
قوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن وهذا شهادة من الله تعالى بانه اتم عهد
العبودية والثانيه قوله تعالى اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين
واما التفصيل فهو انه ناظر في اثبات التوحيد وابطال الشركا والانداد مع الله
وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا وناظر ايضا
في هذه المسله مع قومه وهو قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا الى اخر الايه
وناظر مع ملك زمانه في هذه المساله ايضا فقال ربي الذي يحيي ويميت ثم ناظر
ايضا مع قومه بالفعل وهو قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم ثم ان
القوم قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين فروي انه لما وضع في
المنجنيق ضجت السما والارض وكل المخلوقات الا الثقلين قالوا يا ربنا ليس
في الارض احد يعبدك ويوحدك غير ابرهيم ثم انه يحرق بالنار لاجلك ايذن لنا
في نصرته فاوحى الله تعالى الى السما والارض والجبال والبحار ان استغاث بكم
فاغيثوه وان استنصركم فانصروه وان دعاني فاني وليه وناصره وكفى به
وليا فلما ارادوا القاه في النار قال يا احد يا صمد بك استعين وعليك اتوكل

حسبي الله لا اله الا هو ونعم الوكيل فجاه ملك المطر وعرض نفسه عليه فلم يلتفت
اليه وجاه خازن الريح وقال ان شئت اذنت للرياح تفرق النار في شرقها وغربها
فلم يلتفت فرمي في المنجنيق فقبل ان يصل الى النار قال جبريل عليه السلام
فعرض نفسه عليه وقال هل من حاجة فقال اما اليك فلا قال جبريل افلا
ترفع حاجتك الى الله قال ابرهيم عليه السلام حسبي الله من سوالي علمه بحالي
فان قيل الستم رويتم انهم لما ارادوا القاه في النار دعا الله واستعاذ به
ثم ذكرتم ان في هذه الحاله لم يذكر شيا فما الفرق بين الحالين قلنا لان الانسان
قبل الوقوع في البلا لا يكون طمعه منقطعا عن النفس فلا يشتد عليه البلا فعند
ذلك قد يشتغل بالدعا اما عند الوقوع في البلا فينقطع طمعه عن النفس ولا يحجب
عن الرب لاجل اشتغاله بالنفس فاذا زال الحجاب يتجلى في قلبه نور جلال الله
فحينئذ يستنكف ان يرجع الى الله في خلاص النفس وفي بعض الروايات انه لما قال
له جبريل عليه السلام لم لا تستعين بالرب قال على ماذا قال على النفس قال الخليل
معيوبة لا خطر لها ولا اسال من علام الغيوب نجاة للجسم المعيوب فقال
جبريل عليه السلام استعن على القلب قال الخليل القلب للرب فليعمل الرب ما شا
بالقلب فقال جبريل استعن على الروح قال الخليل الروح عاريه والعاريه مردود
قال جبريل استعن على النار قال الخليل من اوقد النار قال العدو وقال من قضى به
قال الحسيب قال الخليل فالحسب راضي بحكم الحسيب فلما انقطع نظر الخليل عن
الوسايط والاسباب وللحق ايضا رفع الوسايط والاسباب فقال يا نار كوني
بردا وسلاما على ابرهيم ثم انه عليه السلام بعد هذه الواقعه بذل الولد فقال
اني ارى في المنام اني اذبحك فعند هذا كان ابرهيم عليه السلام من الفتيان سلم
نفسه للعرفان ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان
فكمل عهد عبوديته ثم انه سال بعد ذلك ربه فقال واجعل لي لسان صدق في
الاخرين فوجب في كرم الحق تعالى ان يحقق مطلوبه في هذا السوال فلا جرم

اجاب دعاه وقبل نداه وجعله مقبول جميع الفرق والطوائف الى اخر القيامه
ولما كان العرب معترفين بفضله لا جرم جعل الله مناظرته مع قومه حجة على
مشركي العرب المقدمة الثالثة اعلم ان ليس في العالم احد يثبت لله شريكا
يساويه في الوجوب والقدرة والعلم والحكمة لكن الثنوية يثبتون الهين
احدهما حكيم هو يفعل الخير والثاني سفيه يفعل الشر اما الاشتغال
بعبادة غير الله ففي الذاهبين اليه كثرة فمنهم عبدة الكواكب وهم فريقان منهم من يقول
انه تعالى خلق هذه الكواكب وفوض تدبير هذا العالم السفلي اليها فهذه الكواكب
هي المدبرات لهذا العالم قالوا فيجب علينا ان نعبد هذه الكواكب ثم ان هذه
الكواكب تشتغل بعبودية الله وطاعته ومنهم قوم ينكرون الصانع سبحانه
ويقولون هذه الكواكب والافلاك اجسام واجبة الوجود لذواتها ويمتنع
عليها العدم والفنا وهي المدبرات لهذا العالم وهؤلاء هم الدهرية الخالصة
وممن يعبد غير الله النصارى الذين يعبدون المسيح ومنهم ايضا عبدة الاوثان
والاصنام ولتعلم ان ههنا بحثا مهما لا منه وهو انه لا دين اقدم من دين
عبدة الاوثان والاصنام وذلك لان اقدم الانبيا الذين وصل الينا تاريخهم
هو نوح عليه السلام وهو انما جا بالرد على عبدة الاوثان والاصنام على ما اخبره الله
تعالى عنه في قوله وقالوا لا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا
فعلمنا ان دين عبدة الاصنام والاوثان كان موجودا قبل نوح وهو باق الى
الان بل اكثر سكان اطراف العالم مستمرون عليه والمذهب الذي هذا شانه يمتنع
ان يكون معلوم البطلان بضرورة العقل لكن العلم بان هذا الحجر المنحوت في هذه
الساعة ليس هو الذي خلقني وخلق السموات والارض علم ضروري فيستحيل
اتفاق الكثيرين من العقلا عليه فظهر انه ليس دين عبدة الاوثان كون الصنم خالقا
للسما والارض علم ضروري والعلما ذكروا فيه وجوها الاول ان الناس
راوا تغيرات احوال هذا العالم مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فان بحسب قرب

الشمس وبعدها عن سمت الراس تحدث الفصول الاربعة وبسبب حدوث
الفصول الاربعة حدثت الاحوال المختلفة في هذا العالم ثم ان الناس رصدوا
احوال ساير الكواكب فاعتقدوا ارتباط السعادات والنحوسات بكيفية
وقوعها في طوالع الناس فلما اعتقدوا ذلك غلبت على ظنون اكثر الخلق كون المدبر
لاحوال هذا العالم والحوادث اتصالات هذه الكواكب وتاثيراتها ولما اعتقدوا
ذلك بالغوا في تعظيمها ثم ان منهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها ومنهم
من اعتقد حدوثها وكونها مخلوقة لله الاكبر وخالقه الاحوال هذا العالم
وهؤلاء هم الذين اعتقدوا انها وسايط بين الاله الاكبر وبين اصحاب هذا العالم
وعلى كلا التقديرين فالقوم اشتغلوا بعبادتها وتعظيمها والخضوع لها
ثم انهم لما راوا ان الكواكب قد تستتر عن الابصار في اكثر الاوقات اتخذوا لكل
كوكب صنما من الجوهر المنسوب اليه فاتخذوا صنم الشمس من الذهب وزينوه
بالاحجار المنسوبة الى الشمس وهو الياقوت والالماس واتخذوا صنم القمر من
الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على عبادة هذه الاصنام وغرضهم من
هذه العبادة عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها فهذه الاصنام عندهم
كالقبلة والمعبود عندهم في الحقيقة هو تلك الكواكب وعند هذا البحث
يرجع حاصل دين عبدة الاصنام الى عبادة الكواكب واما الانبيا صلوات الله عليهم
فلهم ههنا مقامان احدهما اقامة الادلة على ان هذه الكواكب لا تفعل شيا
والثاني ان بتقدير انها تفعل شيا لكن دلايل الحدوث حاصلة فيها فلا بد
فيها من ان تكون مخلوقة لاله ازلي قديم والاشتغال بعبادة الاصل اولى من
الاشتغال بعبادة الفرع والعبد ومما يدل على صحة ما رويناه عن عبدة الاوثان
انه تعالى لما حكى عن الخليل عليه السلام انه قال لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة اني اراك
وقومك في ضلال مبين فافتى بهذا الكلام ان عبادة الاصنام جهل وضلال
ثم لما اشتغل بذكر الدلايل اقام الدلايل على ان الكواكب والشمس والقمر لا يصلح شي

منها الالهية وهذا يدل على ان دين عبدة الاصنام يرجع حاصله الى القول
بالهية الكواكب والشمس والقمر والا لم يكن بين قوله اتتخذ اصناما الهة اني اراك
وقومك في ضلال مبين وبين قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا تعلقا ولا مناسبة
واذا عرفت هذا ظهر انه لا طريق الى ابطال القول بعبادة الاوثان الا بابطال
كون الشمس والقمر والكواكب الها وهو الذي حكى الله عن ابرهيم عليه السلام في هذه الاية
الوجه الثاني في شرح حقيقة مذهب من يعبد الاوثان ما ذكره ابو معشر
جعفر بن محمد المنجم البلخي قال في بعض تصانيفه ان كثيرا من اهل الصين والهند كانوا
يقولون بالله وملائكته الا انهم كانوا يعتقدون انه تعالى جسم وذو صورة كاحسن
ما يكون من الصور وهكذا الملائكة ايضا ذو صور حسنة الا انهم كلهم قد احتجبوا
عنا بالسما فلا جرم اتخذوا صورا وتماثيل انيقة المنظر حسنة الرواء على الصورة
التي كانوا يعتقدونها من صور الاله والملائكة ثم يعكفون على عبادتها قاصدين
به طلب الزلفى الى الله سبحانه والى ملائكته فان صح ما ذكره ابو معشر فالسبب في عبادة
الاوثان اعتقاد التجسيم في الله سبحانه وتعالى الوجه الثالث ان اصحاب
الاحكام من المنجمين كانوا يعينون اوقاتا في السنين المتطاولة نحو الالوف والالف
ويزعمون ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال
مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الافات وكانوا اذا اتخذوا ذلك
الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك التعظيم صار
ذلك كالعبادة ولما طالت الازمنة فالجهال نسوا مبدا الامر واشتغلوا بعبادتها
ومما يدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى في اخر هذه الاية حكاية عن ابرهيم عليه السلام
وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون وذلك لانه عليه السلام لما طعن في الهية تلك
الاصنام وحسن عبادتها خوفوه بوصول بلا اليه من تلك الاصنام وقال تعالى
ايضا حكاية عن قومه في سورة هود انهم قالوا انه اعتراك بعض الهتنا بسو
الوجه الرابع انه كلما مات منهم رجل كبير في اعتقادهم بحيث يعتقدون
فيه انه مجاب الدعوة مقبول الشفاعة عند الله اتخذوا اصناما على صورته
ويعبدونه على اعتقاد ان ذلك الانسان يصير شفيعا لهم يوم القيامة على
ما حكى الله تعالى عنهم هذه المقالة في قوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقولهم
ايضا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والوجه الخامس لعل القوم اتخذوا
هذه الاصنام محاريب لصلواتهم وطاعاتهم يسجدون اليها لا لها كما انا نسجد
الى القبلة لا للقبلة ولما دامت هذه الحالة ظن الجهال من القوم انها هي المعبود
والوجه السادس لعل القوم كانوا من المجسمة او من الحلولية فاعتقدوا جواز
حلول الله في بعض هذه الاجسام على هذا التاويل فهذه هي الوجوه التي يمكن
حمل عبدة الاوثان عليها واذا عرفت هذا الكلام فلنرجع الى تفسير الاية
اما قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه ازر ففيها مسائل المسالة الاولى في ازر
قولان الاول انه والد ابرهيم عليه السلام وليس في ذلك دليل الحجة الاولى ظاهر
لفظ القران في هذه الاية يدل على ذلك ثم ان ظاهر هذه الاية متاكد بايات اخرى
منها قوله تعالى في سورة مريم اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئا وقال ايضا وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه وكل هذه الايات تدل على ان اباه ابرهيم عليه السلام
كان كافرا عابدا للوثن الحجة الثانية ان العرب سمعوا هذه الاية وكانوا احرص
الناس على تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم واعظم الناس رغبة في تبراة شجرة النسب عن
كل عيب فلو كان ازر لم يكن والد ابرهيم عليه السلام لتسارعوا الى تكذيبه
ولاتخذوا ذلك غنيمة عظيمة في الطعن فيه الحجة الثالثة انه تعالى ذكر قصة ابرهيم
عليه السلام مع ابيه في ايات كثيرة ولم يذكر اسم العم في القران فيبعد حمل لفظ
الاب في هذه الاية على العم والقول الثاني ان ازر لم يكن والد ابرهيم عليه السلام
واحتجوا على وجوه الاول ان الانبيا عليهم السلام ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه
منها قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل معناه انه كان

ينتقل روحه من ساجد الى ساجد وهذا التقدير فالايه داله على ان جميع ابا
محمد عليه السلام كانوا مسلمين وحينيذ يجب القطع بان والد ابرهيم عليه السلام
ما كان من الكافرين اقصى ما في الباب ان يحمل قوله وتقلبك في الساجدين على وجوه
اخرى منها انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف الرسول تلك الليله على بيوت اصحابه
لينظر ماذا يصنعون لشده حرصه على ما يظهر منهم من الطاعات فوجدها كبيوت
الزنابير لكثره ما يسمع من دندنتهم بذكر الله فالمراد من قوله وتقلبك في الساجدين
طوفه صلوات الله عليه على الساجدين في ذكر الله ومنها المراد وتراك حين تقوم
الصلوه بالناس جماعه وتقلبه في الساجدين كونه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده
لانه كان اماما لهم ومنها انه لا يخفى على الله حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين
في الاشتغال بامور الدين ومنها المراد تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله اتموا الركوع
والسجود فاني اراكم من وراء ظهري فهذه الوجوه الاربعه وان كانت الايه محتمله
لها الا ان الوجه الذي ذكرناه فالايه ايضا محتمله والروايات وردت بالكل
ولا منافاه بين هذه الوجوه فوجب حمل الايه على الكل ومتى
صح ذلك ثبت ان والد ابرهيم ما كان من عبده الاوثان ومما يدل على
ان اباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا من المشركين قوله عليه السلام لم ازل انقل
من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس
فوجب ان لا يكون احد من اجداده صلوات الله عليه مشركا الحجه الثانيه
على ان ازر لم يكن والد ابرهيم ان هذه الايه داله على ان ابرهيم عليه السلام شافه
ازر بالغلظه ومشافهه الاب بالغلظه لا يجوز وذلك يدل على ان ازر
ما كان والد ابرهيم انما قلنا ان ابرهيم شافه ازر في هذه الايه بالغلظه
لوجهين الاول انه قرى اذ قال ابرهيم لابيه ازر بضم ازر وهذا يكون محمولا
على النداء ومخاطبه الاب وندائه بالاسم من اعظم انواع الجفا والثاني انه قال
لازر اني اراك وقومك في ضلال مبين وهذا من اعظم الايذا فثبت انه عليه السلام

شافه ازر بالغلظ وانما قلنا ان مشافهه الاب بالغلظ لا يجوز لوجوه
الاول قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وهذا عام
في حق الكافر والمسلم وقال تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وهذا ايضا عام
والثاني انه تعالى لما بعث موسى عليه السلام الى فرعون امره بالرفق معه فقال
فقولا له قولا لينا والسبب فيه لكان لا يصير هذا رعايه لحق تربيه فرعون
وهاهنا الوالد اولى بالرفق الثالث ان الدعوه مع الرفق اكثر
تاثيرا في القلب اما التغليظ فانه ينفر المستمع عن القبول ولهذا قال تعالى لمحمد عليه السلام
وجادلهم بالتي هي احسن فكيف يليق بابرهيم هذه الخشونه مع ابيه في وقت الدعوه
والرابع انه تعالى حكى عن ابرهيم الرفق الشديد مع هذا المسمى بالاب وهو
قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا ثم ان ذلك
الانسان غلظ معه في القول وهو قوله لين لم تنته لارجمنك ثم ان ابرهيم عليه السلام
ما ترك الرفق معه بل قال سلام عليك سا ستغفر لك ربي واذا كانت
عاده ابرهيم في الرفق بالقول الحسن هذا فكيف يليق ان يظهر الخشونه والغلظ
مع ابيه فثبت بهذه الحجه ان ازر ما كان والد ابرهيم الحجه الثالثه
على ان ازر ما كان والد ابرهيم انه جا في كتب التواريخ ان اسم والد ابرهيم كان
تارخ واما ازر فهو كان عم ابرهيم ثم ان القايلين بهذا القول اجابوا عن
دلايل اصحاب القول الاول فقالوا القران وان دل على تسميه ازر بالاب
الا ان هذا لا يدل على القطع بكونه والدا له وذلك لان لفظ الاب قد
يطلق على العم قال تعالى حكايه عن اولاد يعقوب عليه السلام نعبد الهك واله
ابايك ابرهيم واسمعيل واسحق فسموا اسمعيل ابا ليعقوب مع ان اسمعيل
كان عما ليعقوب وقال رسولنا صلى الله عليه وسلم ردوا علي ابي يعني العباس
وايضا يحتمل ان ازر كان اب ام ابرهيم وهذا قد يقال له الاب قال تعالى
ومن ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذريه ابرهيم مع ان ابرهيم

كان جده من قبل الام وبهذا ظهر الجواب عن الحجة الثانية وذلك لان تسمية
العم بالاب مشهور في اللغة العربية فلهذا السبب ما كذبوه في هذه الاية هذا
تمام الكلام في نصرة هذا القول واعلم ان القول الاول اولى وذلك لان ظاهر لفظ
الاب يدل على الوالد اما التمسك بقوله تعالى وتقلبك في الساجدين فهو محمول
على ساير الوجوه ولا نحمله على ان روحه كانت تنتقل من ساجد الى ساجد محافظةً على
ظاهر الاية التي تمسكنا بها وهو قوله لابيه ازر واما الحجة الثانية فجوابها
انكم تمسكتم بعمومات دالة على انه لا يجوز اظهار الخشونة مع الاب فنقول
ان قلنا بما ذكرتم سلمت تلك العمومات عن هذا التخصيص الا انه وجب حمل لفظ
الاب على المجاز الاول لانا وان اجرينا لفظ الاب على الحقيقة لزمنا القول
بادخال التخصيص في تلك العمومات لكنا بينا في اصول الفقه انه مهما وقع
التعارض بين المجاز والتخصيص كان التزام التخصيص اولى فكان الترجيح
لجانبنا اذا عرفت هذه المسلة فنقول الذين قالوا ان ازر ما كان والد ابرهيم لهم
قولان منهم من قال انه كان عم ابرهيم عليه السلام وقال سعيد بن المسيب ومجاهد
ازر اسم الصنم وعلى هذا الوجه ففي الاية اقوال الاول ان ذلك الرجل انما سمي بهذا
الاسم لانه جعل نفسه مختصًا بعبادته ومن بالغ في محبة احد فانه يجعل اسم
المحبوب اسمًا للمحب قال الله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم والثاني ان
يكون المراد عابد ازر فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه
المسلة الثالثة قرئ ازر بالنصب وهو عطف بيان لابرهيم وبالضم على
النداء وسالني بعضهم فقال قرئ ازر بهاتين القراتين واما قوله واذ قال موسى
لاخيه هرون فقد قرئ بالنصب وما قرئ بالضم ما الفرق فقلت القراه بالضم محمولة
على النداء والنداء بالاسم استخفاف بالمنادى لا يليق في قصة ابرهيم عليه السلام لانه
ازر كان كافرًا مصرًا كفره فحسن ان يخاطب بالغلظة زجرًا له عن ذلك القبيح صح
واما قصة موسى عليه السلام فقد كان موسى عليه السلام يستخلف هرون على قومه

فما كان الاستخفاف لايقًا بهذا الموضع فلا جرم ما كانت القراه بالضم جايزه
اما قوله تعالى اتتخذ اصنامًا الهة فالمعنى ظاهر وفيه مسايل المسلة الاولى
الناس اختلفوا في تفسير لفظ الاله والاصح انه هو المعبود وهذه الاية
تدل على هذا القول لانهم ما اثبتوا للاصنام الا وصف المعبودية وبهذا السبب
قال ابرهيم اتتخذ اصنامًا الهة فدل هذا على ان تفسير لفظ الاله هو المعبود
المسلة الثانية هذه الاية تدل على ان وجوب معرفة الله تعالى والاشتغال بشكره
معلوم بالعقل وذلك لان ابرهيم عليه السلام حكم عليهم بالضلال ولولا الوجوب
العقلي والا لما صح ذلك وهذا الاستدلال ضعيف المسلة الثالثة اشتمل
كلام ابرهيم عليه السلام في هذه الاية على الحجة العقلية على فساد مذهبهم من وجهين
الاول قوله تعالى اتتخذ اصنامًا الهة يدل على انهم كانوا يقولون بكثرة الالهة
باطل على ما دل عليه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والثاني انه لو كان
لها قدرة للخير والشر لكان الصنم الواحد كافيًا فلما لم يكن الواحد كافيًا دل على
انها وان كثرت فلا منفعة فيها البتة اما قوله تعالى اني اراك وقومك في ضلال مبين
فالمعنى ظاهر واما قوله تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون
من الموقنين ففيه مسايل المسلة الاولى الكاف في كذلك للتشبيه وذا للاشارة
الى غايب جرى ذكره والذي جرى ها هنا ذكره فيما قبل هو انه عليه السلام استقبح
عبادة الاصنام بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين فالمعنى مثل ما اريناه
من قبح عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض وها هنا دقيقة عقلية
وهي ان نور جلال الله ظاهر لايخفى غير منقطع ولا زايل البتة والارواح البشرية
لا تصير محرومة عن تلك الانوار الا لاجل حجاب وذلك الحجاب ليس الا الاشتغال
بغير الله فاذا كان الامر كذلك فبقدر ما يزول هذا الحجاب يحصل ذلك التجلي
فقول ابرهيم عليه السلام اتتخذ اصنامًا الهة اشارة الى الاشتغال بغير الله
فان كل ما سوى الله فهو صنم ثم انه عليه السلام استقبح ذلك بقوله اني اراك وقومك

في ضلال مبين فلما زال ذلك الحجاب بالكلية لا جرم تجلى له ملكوت الله تعالى
بالتمام فقوله وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض معناه وبتقدير
زوال تلك الظلمات حصلت له هذه الانوار فظهر ان قوله وكذلك منشا
لهذه الفايدة الشريفة الروحانية فان قيل فهذه الاراءة قد حصلت فيما تقدم
من الزمان فكان الاولى ان يقال وكذلك ارينا ابرهيم ملكوت السموات والارض
فلم عدل عن هذه اللفظة الى قوله وكذلك نري قلنا الجواب عنه من وجوه الاول
ان يكون تقدير الاية وكذلك كنا نري ابرهيم ملكوت السموات والارض فيكون
هذا على سبيل الحكاية عن الماضي والمعنى انه تعالى لما حكى عنه انه شافه اباه
بالكلام الخشن تعصبا للدين الحق فكانه قيل وكيف بلغ ابرهيم هذا المبلغ العظيم
في قوة الدين فاجيب بانا كنا نريه ملكوت السموات والارض من وقت طفوليته
لاجل ان يصير من الموقنين زمان بلوغه والوجه الثاني من الجواب وهو اعلى
واشرف مما تقدم وهو ان نقول انه ليس المقصود من اراءة الله تعالى ابرهيم
ملكوت السموات والارض هو مجرد ان يرى ابرهيم هذا الملكوت بل المقصود
ان يريها فيتوسل برويتها الى معرفة جلال الله وتقدسه وعلوه وعظمته
ومعلوم ان مخلوقات الله تعالى وان كانت متناهية في الذوات وفي
الصفات الا انها في دلالتها على الذوات والصفات غير متناهية
فان اهل الاصول قالوا الجوهر الفرد يدل على قدرة الله تعالى وحكمته من جهات
غير متناهية وذلك لان ذلك الجوهر الفرد يمكن وقوعه في كل واحد من
الاحيان التي لا نهاية لها بدلا عن الاخر ويمكن اتصافه بكل واحد من الصفات
التي لا نهاية لها بدلا عن الاخرى ثم كل واحد من هذه الاحوال التقديرية
دال على كمال قدرة الله وحكمته لان كلها احوال جائزة والجائز محتاج
الى المرجح واذا كان الجوهر الفرد والجزء الذي لا يتجزى كذلك فكيف القول
في كل ملكوت الله فثبت ان دلالة ملكوت الله على نعوت جلاله وسمات عظمته

وعزته غير متناهية وحصول العلوم التي لا نهاية لها دفعة واحدة على
التفصيل في العقل البشري محال فاذا لا طريق الى تحصيل تلك المعارف الا بان
يحصل بعضها عقيب البعض لا الى نهاية ولا الى اخر وهذا يتعلق بالمستقبل
لا بالماضي فلهذا السبب والله اعلم لم يقل وكذلك اريناه ابرهيم ملكوت السموات
والارض بل قال وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض هو المراد من قول
المحققين السفر الى الله له نهاية اما السفر في الله فانه لا نهاية له المسئلة الثانية
الملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة واعلم
ان في هذه الاراءة قولين الاول ان الله تعالى اراه الملكوت بالعين قالوا انه تعالى
شق له السموات حتى راى العرش والكرسي وحيث ينتهي اليه فوقية العالم المخلوق
وشق له الارض الى حيث ينتهي تحتية العالم فراى في السموات من العجائب والبدايع
وراى ما في باطن الارض من العجائب والقول الثاني ان هذه الاراءة كانت بعين
البصيرة والعقل لا بعين البصر واحتج القايلون على صحة هذا القول بوجوه
الحجة الاولى ان ملكوت السموات عبارة عن ملك السموات والملك عبارة عن القدرة
وقدرة الله لا ترى وانما تعرف بالعقل وهذا لازم الا ان يقال المراد
بملكوت السموات والارض نفس السموات والارض الا انه يصير على هذا
التقدير لفظ الملكوت عديم الفايدة وانه لا يجوز الحجة الثانية انه تعالى
ذكر هذه الاراءة في اول الاية على سبيل الاجمال وهو قوله وكذلك نري ابرهيم
ثم فسرها بعد ذلك بقوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا فجرى ذكر هذا الاستدلال
كالشرح والتفسير لتلك الاراءة فوجب القول تلك الاراءة كانت عبارة عن بان صح
هذا الاستدلال الحجة الثالثة انه تعالى قال في اخر الاية وتلك حجتنا
اتيناها ابرهيم على قومه والروية بالعين لا تصير حجة على قومه لانهم كانوا
غائبين عنها وكانوا يكذبون ابرهيم عليه السلام فيها بل وما كان يجوز لهم
التصديق في تلك الدعوى بلا اية على صدق دعواه وانما كانت الحجة عليهم استدلاله

بالنجوم من الطريق الذي نطق به القرآن فان تلك الدلالة ثابتة في حقهم كما كانت
ثابتة في حقه. البحث الرابعة ان اراءة جميع العالم دفعة واحدة تفيد العلم
الضروري بان للعالم الها قادرا على الممكنات ومثل هذه الحالة لا تحصل للانسان
عندها استحقاق المدح والتعظيم الا ترى ان الكفار في الآخرة يعرفون الله تعالى
بالضرورة وليس لهم في تلك المعرفة مدح ولا ثواب. فاما الاستدلال بالمخلوقات
على الصانع القادر الحكيم فذاك هو الذي يفيد المدح والتعظيم. البحث الخامسة
انه تعالى كما قال في حق ابرهيم وكذلك نري ابرهيم فكذا في حق هذه الامة
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ولما كانت هذه الاراءة بالعقل لا بالبصر
كانت حاصلة للكفار فكذا في حق ابرهيم عليه السلام يجب ان يكون الامر
كذلك. البحث السادسة انه عليه السلام لما تمم الاستدلال في النجوم والقمر
والشمس قال بعده اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فحكم على السموات
والارض بكونها مخلوقة لاجل الدليل الذي ذكره في النجم والشمس والقمر وذلك
الدليل لو لم يكن عاما في كل السموات والارضين لكان الحكم العام بناء على الدليل
الخاص خطأ فثبت ان ذلك الدليل كان عاما فكان ذكر النجم والشمس والقمر
كالمثال لاراءة الملكوت فوجب ان يكون المراد من اراءة الملكوت تعريف كيفية
دلالتها بتغيرها في حدوثها على الافتقار الى المدبر المؤثر فيكون هذه الاراءة
بالقلب. البحث السابعة ان اليقين عبارة عن العلم المستفاد بالتأمل
اذا كان مسبوقا بالشك وقوله تعالى وليكون من الموقنين كالعلة لتلك الاراءة
فيصير تقدير الآية نري ابرهيم ملكوت السموات والارض لاجل ان يصير من الموقنين
فلما كان اليقين هو العلم المستفاد من النظر في الدليل وجب ان يكون تلك
الاراءة عبارة عن الاستدلال. البحث الثامنة ان جميع مخلوقات الله دالة على
وجود الصانع وقدرته باعتبار واحد وهو انها محدثة ممكنة وكل محدث
ممكن فهو محتاج الى الصانع فاذا عرف الانسان هذا الوجه فقد كفاه ذلك

في الاستدلال على الصانع فكانه بمعرفة هاتين المقدمتين قد طالع جميع
الملكوت بعين عقله وسمع شهادتها بالاحتياج والافتقار بسمع عقله
وهذه الرؤية رؤية باقية غير زائلة البتة ثم انها غير شاغلة عن الله بل شاغلة
القلب والروح بالله اما رؤية العين فالانسان لا يمكنه ان يرى بالعين اشياء كثيرة
دفعة واحدة على سبيل الكمال الا ترى ان من نظر الى صفحة مكتوبة فانه لا يرى من
تلك الصفحة رؤية كاملة تامة الا حرفا واحدا فان حدق نظره الى حرف آخر وشغل
بصره به صار محروما عن ادراك الحرف الاول وعن ابصاره فثبت ان رؤية الاشياء الكثيرة
دفعة واحدة غير ممكنة وبتقدير ان يمكن ذلك الا ان هذه الرؤية غير باقية وبتقدير
ان يكون باقية لكنها شاغلة عن الله الا ترى انه تعالى مدح محمدا صلى الله عليه وسلم
في تركه ما زاغ البصر فدلت هذه الدلائل على ان حمل هذه الاراءة على رؤية
القلب اولى فان قيل فرؤية القلب بهذا التفسير حاصلة لجميع الموحدين
فاي فضيلة تحصل لابرهيم بسببها قلنا جميع الموحدين والمستدلين
يشتركون في معرفة حدوث العالم والاستدلال به على الصانع فاما الاستغراق
في هذا الاستدلال والتأمل في كيفية دلالة كل واحد من الممكنات والمحدثات
في عالم الاجسام والارواح وذرات الارضين والسموات ثم يرقى هذه الحالة
في كل حين واوان ولحظة وزمان على ما هو المراد من قوله نري ابرهيم لا على
قوله ارينا ابرهيم فهذه الحالة لا تحصل الا لعظماء الانبياء كابرهيم وموسى وعيسى
ومحمد صلوات الله عليهم. المسألة الثالثة اختلفوا في الواو في قوله تعالى
وليكون من الموقنين وذكروا وجوها الاول الواو زائدة والتقدير نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين الثاني التقدير نري ابرهيم ملكوت
السموات والارض ليستدل بها وليكون من الموقنين برؤيته ذلك الرابع ان الاراءة
قد تحصل وتصير سببا لمزيد الضلال كما في حق فرعون قال الله تعالى ولقد اريناه
آياتنا كلها فكذب وابى وقد تصير سببا لمزيد الهداية واليقين فلما احتمل هذين

لا حتما لين قال في حق ابرهيم عليه السلام انا اريناه هذه الايات ليراها فيكون
من الموقنين لا من الجاحدين المسله الرابعه اليقين عباره عن علم يحصل
بعد زوال الشبهه بسبب التامل ولهذا المعنى لا يوصف علم الله باليقين
لان علمه غير مسبوق بالشبهه وغير مستفاد من التفكر واعلم ان الانسان
في اول ما يستدل فانه لا ينفك عن شبهه وشك من بعض الوجوه فاذا كثرت
الدلايل وتوافقت وتطابقت صارت سببًا لحصول اليقين وذلك لوجوه
الوجه الاول انه يحصل لكل واحد من تلك الدلايل نوع تاثير وتقويه فلا تزال
القوه تتزايد حتى ينتهي الى الجزم الثاني ان كثره الافعال سبب لحصول
الملكات فكثره الاستدلال بالدلايل المختلفه على المدلول الواحد جاري مجرى
تكرار الدرس الواحد فكما ان كثره التكرار يفيد الحفظ المتاكد الذي لا يزول عن
القلب فكذى هاهنا الثالث ان القلب عند الاستدلال الاول كان مظلما
جدا فاذا حصل فيه الاعتقاد المستفاد بالدليل الاول امتزج نور ذلك
الاستدلال بظلمه القلب فحصل فيه حالة شبيهه بالحاله الممتزجه من النور
والظلمه واذا حصل الاستدلال الثاني امتزج نوره بالحاله الاولى فيصير
الشروق اتم وكما ان الشمس اذا قربت من المشرق ظهر نورها في اول الامر وهو
الصبح فكذلك الاستدلال الاول يكون كالصبح وكما ان نور الشمس لا يزال
يتزايد بتزايد قربها من سمت الراس فاذا وصلت الى قرب الراس حصل النور التام
فكذى العبد كلما كان تدبيره في مراتب مخلوقات الله تعالى اكثر كان شروق
نور المعرفه والتوحيد اجلى الا ان الفرق بين شمس المعرفه وبين شمس العالم
ان لارتقا شمس العالم وتصاعدها حد معين ومقطع معين اما شمس المعرفه
والتوحيد فلا نهايه لتصاعدها ولا غايه لتزايدها فقوله وكذلك نري
ابرهيم ملكوت السموات والارض اشاره الى مراتب الدلايل والبينات وقوله
وليكون من الموقنين اشاره الى درجات انوار التجلي وشروق شمس المعرفه

بلغ

والتوحيد اما قوله تعالى فلما جن عليه الليل راى كوكبا فاعلم ان الفا في قوله
فلما جن عطف على قوله تعالى قال ابرهيم واعلم ان اكثر المفسرين ذكروا ان
ملك ذلك الزمان كان قد راى رويا عبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه
في ملكه فامر ذلك الملك بذبح كل غلام يولد فحبلت ام ابرهيم به وما اظهرت حبلها
للناس فلما جاها الطلق ذهبت الى كهف في جبل ووضعت ابرهيم وسدت الباب
بحجر فجا جبريل عليه السلام ووضع اصبعه في فمه فمصه فخرج منه رزقه وكان
يتعهده جبريل عليه السلام وكانت امه تاتيه احيانا وترضعه وبقي على
هذه الصفه حتى كبر وعقل وعرف ان له ربًا فسال الام فقال لها من ربي
قالت انا فقال ومن ربك فقالت ابوك فقال للاب ومن ربك فقال ملك البلد
فعرف ابرهيم جهلهما بربهما فنظر من باب ذلك الغار ليرى شيئا يستدل به على
الرب فراى النجم الذي كان اضوا النجوم في السما فقال هذا ربي الى اخر القصه
ثم ان القايلون بهذا القول اختلفوا فمنهم من قال ان هذا بعد البلوغ وجريان
القلم عليه ومنهم من قال ان هذا كان قبل البلوغ واتفق اكثر المحققين على
فساد القول الاول واحتجوا عليه بوجوه الاول ان القول بربوبيه النجم كفر
بالاجماع والكفر غير جايز على الانبيا بالاجماع الحجه الثانيه ان ابرهيم عليه السلام
كان قد عرف قبل هذه الواقعه ربه بالدليل والدليل على ذلك انه تعالى اخبر عنه
انه قال قبل هذه الواقعه لابيه ازر اني اراك وقومك في ضلال مبين
الحجه الثالثه انه تعالى حكى عنه انه دعا اباه الى التوحيد وترك عباده الاصنام
بالرفق حيث قال يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وحكى
في هذا الموضع انه دعا اباه الى التوحيد وترك عباده الاصنام بالكلام الخشن
واللفظ الوحش ومن المعلوم ان من دعى غيره الى الله فانه يقدم الرفق على
العنف واللين على الغلظ ولا يخوض في التعنف والتغلظ الا بعد المده
الطويله والياس التام فدل هذا على ان الواقعه انما وقعت بعد ان دعا اباه

الى التوحيد مرارًا واطوارًا ولا شك انه انما اشتغل بدعوة الله بعد فراغه
عن مهم نفسه بسبب ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان عرف الله تعالى
الحجة الرابعة ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان اراه الله ملكوت السموات
والارض حتى راى من فوق العرش والكرسي وما تحتهما ومن تحت الى ما تحت الثرى
ومن كان منصبه في الدين كذلك وعناية الله تعالى به الى هذا الحد كيف يليق به
ان يقول بربوبية الكواكب الحجة الخامسة ان دلائل الحدوث ظاهرة في
الافلاك والكواكب من خمسة عشر وجها شرحنا في كيفية دلالة خلق السموات على ها مج
الصانع القديم ومع هذه الوجوه الظاهرة كيف يليق باقل العقلاء نصيبا من
العقل والفهم ان يقول بربوبية الكواكب فضلا عن اعقل العقلاء واعلم العلماء
الحجة السادسة انه قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقوله لاكونن
عبارة عن المستقبل وهذا يقتضي انه غير ضال في الحال والجاهل بالله لا شك انه
ضال الحجة السابعة انه تعالى قال في وصف ابرهيم عليه السلام اذ جاء ربه
بقلب سليم واقل مراتب القلب السليم ان يكون سليما عن الكفر وقال ايضا اذ جاء
ربه بقلب منيب الحجة الثامنة مدحه فقال ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل
وكنا به عالمين اي اتيناه رشده من قبل اي من زمان الفطرة وكنا به عالمين اول صح
اي بصفوته وطهارته كنا عالمين ونظيره قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل
رسالاته الحجة التاسعة قال تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض
وليكون من الموقنين اي وليكون بسبب تلك الاراءة من الموقنين ثم قال بعده
فلما جن عليه الليل والفا تقتضي التراخي فدلت الفا في قوله فلما جن عليه الليل
على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابرهيم من الموقنين العارفين بربه
الحجة العاشرة ان هذه الواقعة والقصة انما حصلت بسبب مناظرة
ابرهيم مع قومه والدليل عليه انه تعالى لما ذكر هذه القصة قال وتلك حجتنا
اتيناها ابرهيم على قومه ولم يقل على نفسه فعلم ان هذه المباحث انما جرت

مع قومه لاجل ان يرشدهم الى الايمان والتوحيد لا لاجل ان ابرهيم عليه السلام
كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه الحجة الحادية عشر ان القوم يقولون
ان ابرهيم انما اشتغل بالنظر في الكواكب والقمر والشمس حال ما كان في
الغار وهذا باطل لانه لو كان الامر كذلك فكيف يقول يا قوم اني بريء مما
تشركون مع انه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم الحجة الثانية عشر
قال تعالى وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وكيف يحاجونه وهم بعد
ما راوه وهو ما راهم وهذا يدل على انه عليه السلام انما اشتغل بالنظر
في النجم والقمر والشمس بعد ان خالط قومه وراهم يعبدون الاصنام ودعوه
الى عبادتها فذكر قوله لا احب الافلين ردا عليهم وتنبيها لهم على فساد
قولهم الحجة الثالثة عشر انه تعالى حكى عنه انه قال للقوم وكيف اخاف
ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهذا يدل على ان القوم كانوا خوفوه
بالاصنام كما حكي عن قوم هود انهم قالوا له ان نقول الا اعتراك بعض
الهتنا بسوء ومعلوم ان هذا الكلام لا يليق بالغار قبل مخالطة القوم
الحجة الرابعة عشر ان تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار ولا شك ان الشمس
كانت طالعة ثم غربت فكان ينبغي ان يستدل بغروبها على انها لا تصلح
للالهية واذا بطلت صلاحية الشمس للالهية بطل ذلك في القمر والنجم
بطريق الاولى هذا اذا قلنا بان هذه الواقعة كان المقصود منها
تحصيل المعرفة لنفسه اما اذا قلنا المقصود منها الزام القوم
وافحامهم فهذا السوال غير وارد لانه انما اتفق مكالمته مع القوم حال
طلوع ذلك النجم ثم امتدت المناظرة الى ان طلع القمر وطلع الشمس وعلى
هذا التقدير فالسوال غير وارد فثبت بهذه الدلائل الظاهرة انه لا يجوز
ان يقال ان ابرهيم قال على سبيل الجزم هذا ربي ولما بطل ذلك بقي ها هنا
احتمالان الاول ان يقال هذا كلام ابرهيم بعد البلوغ لكن ليس الغرض

منه اثبات الربوبية للكواكب بل الغرض منه امور الاول ان ابرهيم عليه السلام
لم يقل هذا ربي على سبيل الاخبار بل الغرض انه كان يناظر عبدة الكواكب
وكان مذهبهم ان الكواكب ربهم والهتهم فذكر ابرهيم عليه السلام ذلك القول
الذي قالوه بلفظهم وعبارتهم حتى يرجع اليه فيبطله كما ان الواحد
منا اذا ناظر من يقول بقدم الجسم فيقول الجسم قديم فان كان كذلك فلم نراه
ونشاهده مركبا متغيرا فهو انما قال الجسم قديم اعادة لكلام الخصم حتى
يلزم عليه المحال فكذا هاهنا قال هذا ربي حكاية لكلامهم ثم اعقبه بما يدل
على فساده وهو قوله لا احب الافلين وهذا الوجه هو المعتمد في الجواب والدليل
عليه انه تعالى مدحه في اخر هذه الاية على هذه المناظرة بقوله وتلك حجتنا
اتيناها ابرهيم وعلى الوجه الثاني قوله هذا ربي في زعمكم واعتقادكم ونظيره
ان يقول احد للمجسم على سبيل الاستهزاء ان الهه جسم محدود اي في زعمه
واعتقاده وقال تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا وقال تعالى
ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون وكان عليه السلام
يقول يا اله الالهة وتاويله انه اله الالهة في زعمهم الوجه الثالث المراد منه
الاستفهام على سبيل الانكار الا انه اذا اسقط حرف الاستفهام استغنى عنه
لدلالة قراين الحال والوجه الرابع في الاية اختصار والتقدير يقولون هذا
ربي ونظيره قوله تعالى واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا
والتقدير يقولان ربنا الوجه الخامس ان يكون ذلك على سبيل الاستهزا
كما يقال لذليل ساد القوم هذا سيدكم على سبيل الهزو الوجه السادس
انه عليه السلام اراد ان يبطل قولهم بربوبية الكواكب الا انه عليه السلام كان
قد عرف من تقليدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلايل انه لو صرح
بالدعوة الى الله لم يقبلوه ولم يلتفتوا اليه فمال الى طريق استدراجهم
الى استماع الحجة باظهار ضرب من المساعدة لهم في الظاهر مع طمانينة

قلبه بالايمان حتى تمكن بعد ذلك من ابطال ما ذكروا وانما استحل ذكر هذه الكلمة
لانه لم يكن له طريق الى الدعوة غيره وكان ذلك بمنزلة المكره على كلمة الكفر
عند الاكراه فان عند الاكراه يجوز اجراء كلمة الكفر على اللسان لغرض ابطاله
بالدليل القاطع وايضا المتكلمون قالوا لا يقبح من الله تعالى اظهار خوارق
العادات على يدي من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله مكذب لدعواه
فلا يحصل التلبيس بسبب ظهور تلك الخوارق على يده ولكن لا يجوز اظهارها
على يد من يدعي النبوة لانه يفضي الى التلبيس فكذا هاهنا قوله هذا ربي كلام
لا يفضي الى الاضلال لان دلايل فساده جلية وفي اظهاره هذه الكلمة
منفعة عظيمة وهي استدراجهم لقبول الدليل فكان جايزا الوجه السابع
في الجواب ان القوم لما دعوه الى عبادة النجوم فكانوا في تلك المناظرة
اذا طلع النجم الازهر فقال ابرهيم عليه السلام هذا ربي اي هذا هو الرب
الذي تدعونني اليه ثم سكت زمانا حتى افل فقال لا احب الافلين اما الاحتمال
الثاني وهو ان يقال ان ابرهيم عليه السلام انما ذكر هذا قبل البلوغ وتقريره ان
الله تعالى كان قد خص ابرهيم بالعقل الكامل والقريحة الوقادة فخطر بباله
قبل بلوغه اثبات الصانع تعالى ففكر فراى النجوم فقال هذا ربي فلما
شاهد حركتها قال لا يجوز ان يكون ربا وكذا القمر والشمس ثم بلغه الله تعالى
في اثناء هذا الفكر والاستدلال حد التكليف فقال في الحال اني بري مما تشركون
فهذا الاحتمال لا باس به وان كان الاحتمال الاول اولى بالقبول لما ذكرنا من
الدلايل الكثيرة على ان هذه المناظرة انما جرت لابرهيم وقت اشتغاله بدعوة
القوم الى التوحيد اما قوله تعالى حكاية عن ابرهيم قال لا احب الافلين ففيه
سوالات السوال الاول كيف يدل الافول على انه لا يصلح للربوبية اقصى ما في
الباب ان يقال الافول عبارة عن الحركة فلانه لا يخلو ان يكون متحركا او ساكنا
وكلما كان متحركا او ساكنا فهو محدث فكل افل فهو محدث لانا نقول كونه

محدثا لا يمتنع من كونه ربا لابرهيم وذلك لان القوم ما كانوا ينكرون
وجود الله تعالى بل العلم كانوا يقولون انه تعالى خلق الشمس والقمر والنجوم
ثم انه تعالى فوض امر هذا العالم اليها فالبشر عبيد الكواكب ومخلوقة لها
والكواكب مخلوقة لله الاله الاكبر واذا كان كذلك لم يكن من افول الكواكب صحة قوله
لا احب الافلين ولا يصح ايضا لاجل افول الكوكب صحة قوله اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض ولا ايضا صحة قوله وما انا من المشركين الجواب من وجوه
الاول ان افول هذه الاجسام تدل على حدوثها وحدوثها يدل على انها مخلوقة
لموجد قديم ازلي قادر مختار ويجب ان يكون قادريه ذلك القادر ازلية والا لا
لافتقر حدوث قادريته الى قادر اخر ولزم التسلسل واذا كان كذلك امتنع
وقوع شي من الممكنات الا بقدرته اذ لو وقع شي من الممكنات لا بقدرته بل
بقدرة غيره لكان ذلك الغير سببا لتعجيزه عن ايجاد الشي الذي كان مقدورا له وذلك محال
لانه اقدر من غيره والاضعف لا يمكنه ان يعجز الاقدر واذا ثبت هذا ثبت ان
حدوث الاجسام يدل بهذه الوسايط على ان جميع المخلوقات توجد بقدرته
واذا كان كذلك كان المحدث والموجد للناس والحيوان والنبات والمعادن
هو الاله القديم القادر المختار جل جلاله فحينئذ يكون الكواكب معزولة عن
ربوبية البشر وثبت عند ذلك ان افول الكواكب تدل دلالة قطعية على صحة قوله
لا احب الافلين وعلى صحة قوله اني بري مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض واعلم ان هذا الوجه لا يتمشى الا على مذهب اهل السنة
في مسالة خلق الافعال الوجه الثاني في الجواب ان افول الكواكب تدل على
حدوثها وحدوثها يدل على افتقارها في وجودها الى القادر المختار ومن
كان قادرا على خلق هذه الافلاك والكواكب من غير شي من الوسايط فبان يكون
قادرا على خلق البشر بدون شي من الوسايط اولى واليه الاشاره بقوله تعالى
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وبقوله اوليس الذي خلق السموات

واذا كانت قادريته ازلية وجب ان تكون
متعلقة بجميع الممكنات

والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم فثبت بهذا الطريق
كونه قادرا على خلق البشر وكونه قادرا على تدبير هذا العالم السفلي بدون
واسطة الاجرام الفلكية اما كون الافلاك والانجم قادرة على الخلق
والايجاد عالمة بمصالح اهل هذا العالم ومفاسدها فذلك غير معلوم
لان كل شي يسنده المنجم الى الكواكب والفلك فالعقل يستبعد اسناده
الى الفلك واذا كان كذلك فحكم العقل طرح المجهول والاخذ بالمعلوم
فيسند العقل تدبير هذا العالم السفلي الى الاله لا الافلاك والانجم فلهذا السبب
قال عليه السلام اني بري مما تشركون الثالث ان الافول لما دل على حدوث الافلاك
والانجم دل حدوثها على افتقارها الى الاله القديم القدير الخبير البصير الذي يكون
علمه في غاية الكمال وحكمته في نهاية الجلالة واذا كان كذلك كان الاشتغال
بطاعته وخدمته اولى من الاشتغال بخدمة الافلاك والانجم لانه بتقدير ان يكون
مدبر هذا العالم السفلي هو الاله الاكبر كان الاشتغال بطاعته واجبا وبتقدير
ان يكون مدبر هذا العالم هو الافلاك والانجم كان الاشتغال بطاعة
الاله الاعظم اعراضا عن الضعيف وتمسكا بالقوي الاقوى وهذا احسن في
العقول اما لو كان مدبر هذا العالم هو الاله الاكبر كان الاشتغال بطاعة
الافلاك والانجم اعراضا عن القوي وتمسكا بالضعيف وهذا اقبح في العقول
فعلمنا ان على جميع التقديرات صح قول ابرهيم عليه السلام لا احب الافلين وصح
ايضا قوله اني بري مما تشركون السوال الثاني الافول انما يدل على الحدوث
من حيث انه حركة وعلى هذا التقدير يكون الطلوع ايضا دليل الحدوث فلم ترك
ابرهيم الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعول في ذلك على الافول الجواب
لا شك ان الطلوع والغروب يشتركان في الدلالة على الحدوث الا ان الدليل الذي
يتمسك به الانبيا عليهم السلام في معرض الدعوة فلا بد وان يكون ظاهرا جليا
بحيث يشترك في فهمه الذكي والغبي والعاقل والغافل ودلالة الحركة على الحدوث

وان كانت دلالة يقينية الا انها دقيقة لا يعرفها الا الاذكياء من الخلق اما
دلالة الافول فانها دلالة ظاهرة يعرفها كل احد فان الافل يزول سلطانه
وقت الافول فكانت دلالة الافول على هذا المقصود اتم وايضا قال بعض
المحققين الهوي في حظيرة الامكان افول واحسن الكلام ما يحصل فيه حصة
الخواص وحصة الاوساط وحصة العوام فالخواص يفهمون من الافول الامكان
وكل ممكن محتاج والمحتاج لا يكون مقطعا للحاجة فلا بد من الانتهاء الى من يكون
منزها عن الامكان حتى ينقطع الحاجات بسبب وجوده على ما قال وان الى
ربك المنتهى واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول الحركة وكل متحرك محدث
وكل محدث فهو محتاج الى القديم القادر فلا يكون الافل الها بل الاله هو الذي
احتاج اليه ذلك الافل واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب وهم
يشاهدون ان كل كوكب يقرب من الافول في الغروب فانه يزول نوره ويبطل ضوءه
وسلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك لم يصلح للالهية فهذه الكلمة
الواحدة اعني قوله لا احب الافلين كلمة مشتملة نصيب المقربين واصحاب اليمين واصحاب
الشمال فكان اكمل الدلائل وافضل البراهين السؤال الثالث لا شك ان تلك الليلة
كانت مسبوقة بنهار وكانت الشمس افلت في ذلك النهار السابق بعد ان كانت
طالعة واذا كان الافول دليلا على انه لا يصلح للالهية فلم يتمسك ابرهيم عليه السلام
بافول الشمس على النهار السابق على تلك الليلة على انها لا تصلح للالهية ثم اذا
خرجت الشمس عن صلاحية الالهية كان اولى لا يقال انه عليه السلام انما تربى في ذلك
الكهف وهو اول ما خرج من ذلك الكهف الى الخارج كان دليلا فراى الكواكب في تلك
الساعة ثم بعده راى القمر ثم بعده راى الشمس لانا نقول من البعيد ان يتربى
شخص عاقل في غار من اول طفوليته الى زمان بلوغه حد كمال العقل والتكليف
مع انه ما خرج من ذلك الغار الى خارج ذلك الغار في تلك المدة الطويلة وما كان
يفرق بين الليل والنهار وما كان يدخل نور الشمس في ذلك الغار من النقب وهذا

محال في العرف الجواب ان هذا الاشكال لازم على من يقول انه عليه السلام
انما شرع في هذه الواقعة لطلب معرفة الله لنفسه اما على قول من يقول انه عليه السلام
انما استدل بهذه الوجوه حال اشتغاله بالدعوة الى التوحيد ومنع القوم عن
عبادة الكواكب فالسؤال زائل لانه من المحتمل انه اتفق انه كان صلوات الله عليه
جالسا مع اولئك ليلة من الليالي ثم انه زجرهم عن عبادة الكواكب وبين لهم ان ذلك
ضلال وجهل فبيناهم في ذلك الكلام اذ وقع بصرهم على كوكب مضيء فوقعوا
في تلك المناظرة ثم لما افل ذلك الكوكب طلع القمر فاعاد عليهم ذلك الكلام وبقوا
فيه الى ان طلعت الشمس فاعاد ابرهيم عليهم ذلك الكلام فهذا جملة ما يتعلق
بتقرير دلائل ابرهيم عليه السلام اما قوله تعالى فلما راى القمر بازغا الى قوله اني
بريء مما تشركون فلا اشكال فيه البتة الا في موضع واحد وهو ان لقائل ان
يقول الاية مشعرة بان في الليلة الواحدة طلع الكوكب وبعده طلع القمر وهذا
غير ممكن في الليلة الواحدة الجواب فيه وجوه الاول ان الكوكب كان في
الربع الغربي من الفلك وافل ثم طلع بعده القمر ووصل الى نصف السماء وانحدر الى
الربع الغربي فسمي توجهه الى الافول بالافول وهذه الاحوال يمكن حصولها في الليلة
الواحدة الثاني ان طلوع القمر وافوله كان في ليلة اخرى واعلم ان القوم
كانوا على مذهب المفوضة ومعنى هذا المذهب انهم كانوا يقولون البشر عبيد
الكواكب والكواكب عبيد الله سبحانه والدليل عليه ان ابرهيم عليه السلام قال يا قوم
اني بريء مما تشركون وكونهم مشركين يدل على انهم كانوا مقرين باثبات الاله
وانما كانوا مشركين لانهم اثبتوا الشمس والقمر والنجوم نصيبا في العبودية وتدبير
العالم فلما ابطل ابرهيم عليه السلام هذا المذهب ببراهينه ثم اقبل على التوحيد
المحض فقال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فكان قوله اني بريء مما
تشركون عبارة عن كلمة لا اله الا الله وقوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
عبارة عن كلمة الا الله فصار معنى كلمة لا اله الا الله مكشوفا في هذا المقام

وهذا آخر الكلام في هذه الآية وبالله التوفيق **الفصل الثاني**
في شرح مناظرة ابرهيم عليه السلام مع ملك زمانه وهو قوله تعالى الم تر الى الذي
حاج ابرهيم في ربه اما قوله تعالى الم تر فهي كلمة يوقف بها المخاطب على امر
يتعجب منه ولفظه لفظ الاستفهام ونظيره قولهم اما ترى الى فلان كيف يصنع
معناه هل رايت فلان في صنعه كذا اما قوله الى الذي حاج ابرهيم في ربه فقال
مجاهد هو نمرود بن كنعان وهو اول من تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة
يقال حاججته فحججته اي غالبته فغلبته والضمير في قوله تعالى في ربه يحتمل ان
يرجع الى ابرهيم وان يرجع الى الطاغي والاول هو الاظهر بدليل قوله تعالى وحاجه
قومه قال اتحاجوني في الله والمعنى حاجه قومه في ربه اما قوله ان اتاه الله الملك
ففيه قولان احدهما ان الهاء في اتاه عايد الى ابرهيم والمعنى ان الله اتى ابرهيم
الملك واحتجوا على هذا القول بوجوه الاول قوله تعالى فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب
والحكمة واتيناهم ملكا عظيما اي سلطانا بالنبوة والقيام بدين الله تعالى
الحجة الثانية انه لا يجوز ان يوتي الله الملك للكفار ومن يدعي الربوبية لنفسه
الحجة الثالثة ان عود الضمير الى اقرب المذكورين الى هذا الضمير فوجب ان يكون
هذا الضمير عايدا اليه القول الثاني وهو قول جمهور المفسرين ان الضمير عايد الى ذلك
الانسان الذي حاج ابرهيم واحتجوا عليه بوجوه الحجة الاولى ان قوله اتاه الله الملك
يحتمل ثلاث تاويلات وكل واحد منها انما يصح اذا قلنا ان الملك عايد الى ابرهيم
واحد تلك التاويلات ان يكون المعنى حاج ابرهيم في ربه لاجل ان اتاه الله الملك
على معنى ان ايتاء الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك ومعلوم ان
هذا انما يليق بالملك العاتي والتاويل الثاني ان يكون المعنى انه جعل محاجته
في ربه شكرا على ما اتاه الله الملك كما يقال عاداني فلان لاني احسنت اليه
يريد انه عكس ما يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونظيره قوله تعالى وتجعلون
رزقكم انكم تكذبون وهذا التاويل ايضا لا يليق الا بالكفار التاويل الثالث

انه حاج وقت ان اتاه الله الملك وهذا لا يليق بالنبي المعصوم فانه يجب عليه اظهار
المحاجة قبل حصول الملك وبعده اما الملك العاتي فانه لا يليق به اظهار هذا
العتو الشديد الا بعد ان يحصل له الملك العظيم فثبت انه لا يستقيم لقوله ان
اتاه الله الملك معنى وتاويل الا اذا حملناه على الملك العاتي الحجة الثانية ان المقصود
من هذه الاية بيان كمال حال ابرهيم عليه السلام في اظهار الدعوة الى الدين الحق
ومتى كان الكافر سلطانا مهيبا حال ما كان ابرهيم غير ملك كان هذا المعنى اتم
مما اذا كان ابرهيم ملكا وما كان الكافر كذلك فوجب المصير الى ما ذكرناه
الحجة الثالثة ما ذكره ابو بكر الاصم وهو ان ابرهيم عليه السلام لو كان ملكا لما قدر
هذا الكافر على ان يقتل احد الرجلين ويستبقي الاخر بل كان ابرهيم عليه السلام يمنعه
منه اشد المنع وهذا الاستدلال ضعيف لان من المحتمل ان يقال ان ابرهيم
كان ملكا وسلطانا في الدين والتمكن من اظهار المعجزات وذلك الكافر كان قادرا
على الظلم فلهذا السبب امكنه قتل احد الرجلين وايضا يجوز ان يقال انما قتل
احد الرجلين قودا وكان له اختيار الدية واستبقى الاخر اما لانه لا قتل عليه او بذل
الدية فاستبقاه وايضا فقوله انا احيي واميت خبر ووعد ولا دليل في القران على
انه فعل ثم القايلون بهذا القول اجابوا عن دلايل القايلين بالقول الاول اما الحجة
الاولى وهي التمسك بقوله تعالى فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم ملكا
عظيما فجوابه ان هذه الاية دالة على حصول الملك لال ابرهيم وليس فيها دلالة
على حصول الملك لابرهيم واما الحجة الثانية وهي قوله لا يليق بحكمة الله ان يوتي
الكفار الملك فجوابه ان المراد من الملك التمكن والقدرة والبسطة في الدنيا والحس
يدل على ان الله تعالى قد يعطي الكافر هذا المعنى وايضا فلم لا يجوز انه تعالى
اعطاه الملك حال ما كان مومنا ثم انه بعد ذلك كفر بالله تعالى واما الحجة الثالثة
وهو قوله عود الضمير الى اقرب المذكورين واجب فجوابه ان هذا معارض
بما ان الروايات الكثيرة وردت بان الملك هو الذي حاج ابرهيم واما قوله اذ قال

ربي الذي يحيي ويميت ففيه مسايل المسئلة الاولى الظاهر ان هذا الكلام
جواب عن سوال سابق غير مذكور وذلك لان من المعلوم ان الانبيا عليهم السلام
انما بعثوا للدعوة والظاهر انه اذا ادعى الرسالة فان المدعو يطالبه اولا
باثبات ان للعالم الها الا ترى ان موسى عليه السلام لما قال انا رسول رب العالمين
قال فرعون وما رب العالمين فاحتج موسى على اثبات الصانع بقوله رب السموات
والارض فكذا هاهنا الظاهر ان ابرهيم عليه السلام ادعى الرسالة فقال نمروذ من
ربك فقال ربي الذي يحيي ويميت الا ان هذه المقدمة حذفت لان الواقعة دلت
عليها ويحتمل ان يكون ابرهيم قد ذهب اليه ودعاه اولا الى التوحيد من غير ذكر
النبوة المسئلة الثانية اعلم ان دليل ابرهيم كان في غاية الصحة وذلك لانه لا سبيل
الى معرفة الله بواسطة افعاله التي لا يشاركه فيها احد من القادرين والاحيا
والاماتة كذلك لان الخلق عاجزون عنها والعلم بذلك بعد الاختيار ضروري
فلا بد من مؤثر اخر غير هاولاء القادرين الذين نراهم ونشاهدهم حتى يكون
موثرا في الاحيا والاماتة وذلك المؤثر اما ان يكون موجبا او مختارا والاول باطل
لانه يلزم من دوامه دوام الاثر فكان يجب ان لا يبدل الموت
بالحياة ولا بالعكس وذلك محال وايضا فانا نرى في الحيوانات اعضا مختلفة
الشكل والصفة والطبيعة والخاصية وتاثير الموجب بالذات لا يكون كذلك
فعلمنا انه لا بد من الاحيا والاماتة من موجود قادر مختار يوثر بالقدرة
والاختيار وذلك هو الله سبحانه وتعالى وهذا دليل متين في غاية القوة ذكره الله تعالى
في مواضع من كتابه كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وسنفرد
ان شا الله لتقريره فصلا مفردا فان قيل انه تعالى قدم الموت على الحياة في ايات
منها قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وقال الذي خلق الموت والحياة
وقال ابرهيم عليه السلام في الثنا على الله والذي يميتني ثم يحيين فلم قدم في هذه
الاية ذكر الحيوة على الموت قلنا لانه اذا كان المقصود من ذكر الدليل هو الدعوة

الى الله وجب ان يكون الدليل اظهر واوضح ولا شك ان عجايب الخلقة حال الحيوة
اكثر واطلاع الانسان عليها اتم فلا جرم وجب تقديم الحيوة هاهنا في
الذكر واما في تلك الايات فالمقصود منها بيان تعديد الاحوال الماضية فلا جرم
وجب فيها تقديم الموت على الحياة واما قوله تعالى انا احيي واميت فاعلم ان المشهور قال صح
في كتب التفسير ان ابرهيم عليه السلام لما احتج بهذه الحجة دعا ذلك الكافر بشخصين وقتل
احدهما واستبقى الاخر وقال انا ايضا احيي واميت هذا هو المنقول في الكتب
وهو عندي في غاية البعد ويدل عليه وجوه الاول ان الظاهر من حال
ابرهيم انه شرح حقيقة الاحيا والاماتة على الوجه الملخص فان ايراد الكلام المجمل
المبهم عندما يكون الغرض هو التفهيم والتعليم والزجر عن الباطل والدعوة
الى الحق لا يليق باقل الناس علما فضلا عن اعقل العقلا واعلم العلما ومتى
حصل للانسان حقيقة الاحيا والاماتة امتنع ان يشتبه على السامع هذا الاحيا
والاماتة بالاحيا التي اوردها الكافر في معرض المعارضة ويبعد في الجمع
العظيم ان يكونوا في الحماقة بحيث لا يعرفون هذا القدر من الفرق
الثاني انه من بلغ في الجهالة والحماقة الى هذا الحد فاي فضيلة تحصل للانسان
بسبب الزامه وافحامه لكنه تعالى جعل افحامه سببا للفضيلة العظمى حيث
قال فبهت الذي كفر واعلم ان القايلين بهذا القول قالوا ان الكافر لما اورد
هذا السوال عدل ابرهيم من ذلك الدليل الى دليل اخر فقال فان الله ياتي بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهذا ايضا في غاية البعد
ويدل عليه وجوه الاول ان الانتقال من الدليل الاول الى الدليل الثاني يوهم العجز
والجهل وذلك يقتضي صيرورته حقيرا في الاعين وصيرورته بحيث لا يلتفت
الى قوله ولا يبالي بكلامه والانبيا عليهم السلام يجب عليهم ان يصونوا انفسهم
عن هذه الحالة لان هذه الحالة تخل بما هو المقصود من تبليغهم رسالاتهم ويقتضي
ان لا يلتفت القوم اليهم وان لا يقيموا اليهم وزنا فثبت انه لا يجوز عليهم الانتقال

من دليل الى دليل الحجة الثانية ان هذا السؤال كان في غاية الركاكة والجواب
عنه حاصل بادنى تنبيه فان كان القوم قد بلغوا في الحماقة والجهالة الى حيث
لا ينتفعون بذكر الفرق بين هاتين الصورتين لم ينتفعوا ايضا بذكر هذا
الدليل الثاني البتة وان كانوا بحيث يدركون الفرق بين الصورتين كان التنبيه
على الفرق اولى من الانتقال الى الدليل الثاني الحجة الثالثة ان ذلك السؤال
وان كان في غاية الركاكة الا انه لما وقع في اسماع الحاضرين فالسكوت عن الجواب
يقتضي بقاء تلك الشبهة في القلوب وذلك غير جائز لان ازالة الشبهة
على من يقدر على ازالتها فرض مضيق فكيف يجوز الاخلال به وليس لاحد ان
يقول انه عليه السلام انما ترك ذلك الجواب لانه كان خائفا عن ذلك الملك
لانا نقول لما لم يمنع الخوف من الملك عن ذكر الدليل الثاني فبان لا يمنع عن
ذكر الفرق الذي هو اوضح واجلى كان اولى الحجة الرابعة انه انما كان
يحسن الانتقال من دليل الى دليل اخر لو كان الدليل الثاني اوضح واقوى
وها هنا ليس الامر كذلك لان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس
تحريك الاجسام فللخلق قدرة عليه ولا يبعد في العقل وجود ملك عظيم
الجثة اعظم من السموات وانه هو الذي يحرك السماء والدليل على ان هذا
الاحتمال قائم قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية والعرش
اعظم من السموات بكثير فاذا لم يبعد ان يكون الملك حاملا للعرش فاي بعد
في ان يكون محركا للسموات والشمس والقمر فثبت ان الاحياء لا يصح الا من
الله تعالى اما تحريك السموات فانه يصح من غير الله واذا كان كذلك كان دلالة
الاحياء والاماتة على وجود الله اظهر من دلالة طلوع الشمس على وجود الله تعالى
اذا ثبت هذا فنقول انه لا يليق بالنبي المعصوم ان يترك التمسك بالدليل
القوي ويلتزم العجز والانقطاع ويتمسك بعده بدليل ضعيف لا يقبل
التمشية ويكون الداعي له الى كل ذلك سؤال ركيك في غاية السقوط فان مثل

هذا العمل لا يليق بالمبتدئين الحجة الخامسة ان دلالة الاحياء والاماتة
على وجود الصانع الحكيم اقوى من دلالة طلوع الشمس على وجود الصانع من
وجه اخر وذلك لانا نشاهد في ذات الانسان وصفاته من التبدلات
واختلاف الحالات وتعاقب الصفات وكل ذلك ظاهر الدلالة على وجود الصانع
المختار اما الشمس فلا ترى في ذاتها ولا في صفاتها ولا في مجاري
حركاتها شيئا من التبدلات بل القائلون بان المؤثر في وجود العالم علة بالايجاب
لا فاعل بالاختيار يعظم شبهتهم في هذه الصورة فانهم يقولون نرى
احوال الشمس في الطلوع والغروب باقيا على نهج واحد وطريق واحد وذلك
يوهم ان حركة الشمس والقمر والكواكب بالطبع لا بتحريك القادر المختار
فثبت ان دلالة الاحياء والاماتة على وجود القادر المختار اقوى من دلالة
طلوع الشمس وغروبها عليه فكان الانتقال في الاول الى الثاني انتقالا
من الاقوى الى الاضعف وهذا لا يليق باحد من الاذكياء فضلا عن اكمل العقلاء
الحجة السادسة ان نمروذ لما بلغ في الحماقة وفي الوقاحة الى حيث عارض
الاحياء والاماتة بذلك السؤال الركيك فكيف يؤمن منه عند استدلال ابرهيم
عليه السلام بطلوع الشمس من المشرق ان يقول طلوع الشمس من المشرق حصل
بفعلي فان كان لك اله قادر مختار فقل له حتى يطلعها من المغرب وعند هذا
التزم المحققون من المفسرين بانه لو اورد هذا السؤال لكان يجب في حكم الله ان يطلع
الشمس من المغرب ومعلوم ان افساد ذلك السؤال الركيك اهون من التزام طلوع
الشمس من المغرب بكثير وايضا فعند الطلوع من مغربها يصير الاستدلال بطلوع
الشمس من مشرقها ضايعا وحينئذ يصير دليله الثاني ضايعا كما ضاع دليله
الاول ومعلوم ان التزام هذه الظلمات لاجل ذلك السؤال الركيك غير لائق بالعقلاء
الحجة السابعة ان الفاء في قوله تعالى فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من
المغرب يدل على ان هذا الكلام متعلق بالكلام الاول على قول هؤلاء

المفسر من هذا الدليل منقطع عن الكلام الاول غير متعلق به فلا يبقى للفا
فايده اصلا فظهر بهذه الوجوه ان تفسير هذه الايه ان يقول ان ابرهيم
عليه السلام لما احتج على وجود الصانع تعالى بالاحيا والاماته قال المنكر
اتدعي الاحيا والاماته من الله ابتدا من غير واسطه الاسباب الارضيه
والسماويه او تدعي صدور الاحيا والاماته من الله تعالى بواسطه الاسباب
الارضيه والسماويه اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فلا يدل على المقصود
لان الواحد منا يقدر على الاحيا والاماته بواسطه الاسباب الارضيه والسماويه
فان الجماع قد يفضي الى الولد الحي بواسطه الاسباب الارضيه والسماويه وتناول
السم قد يفضي الى الموت فلما ذكر نمروذ هذا السوال اجاب ابرهيم عليه السلام
بان قال هب ان الاحيا والاماته حصلا من الله تعالى بواسطه الاتصالات
الفلكيه الا انه لا بد لتلك الاتصالات الفلكيه والحركات الكوكبيه من فاعل ومدبر
واذا كان المدبر لتلك الحركات الكوكبيه والاتصالات الفلكيه هو الله تعالى كان
الاحيا والاماته الحاصلان بواسطه تلك الحركات الفلكيه ايضا من الله تعالى
واما الاحيا والاماته الصادرات عن البشر بواسطه الاسباب الفلكيه فليست
كذلك لانه لا قدره للبشر على الحركات الفلكيه فظهر الفرق والحاصل ان الاحيا
والاماته الصادران من الله تعالى بواسطه الفلك صادرا في الحقيقه عن الله بخلاف
الواحد منا فانه لا اثر له في الفلك فلم يكن الاحيا والاماته الصادران
بواسطه الفلك صادرين عن البشر فان قيل هذا السوال والجواب اللذين ذكرتم
كيف يفهم من الايه واي مناسبه بينهما وبين ما هو المذكور في الايه قلنا ان مدار
امر القران على الايجاز لا على الاطناب فقول ابرهيم عليه السلام ربي الذي يحيي
ويميت محمول على الاحيا والاماته المعتادين وهما في ظاهر الامر موقوفان
على الاسباب الطبيعيه السفليه والاتصالات الفلكيه العلويه فقال نمروذ انا
احيي واميت مثل هذا الاحيا والاماته اللذين اشرت اليهما وهو الاحيا والاماته

الحاصلان بواسطه الاسباب الفلكيه فقال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق
اي هب ان هذا الاحيا والاماته انما حصل بواسطه لكن محرك الشمس هو الله تعالى
واما انت فلا قدره لك على تحريك الشمس بدليل انه لا يمكنك تحريكها من المغرب فظهر
ان المذكور في الايه يتنبه على ما ذكرناه الا انه انما ذكره على سبيل الايجاز والرمز
على ما هو عادة القران واعلم انا لما فسرنا الايه بهذا الوجه زالت تلك المطاعن
باسرها وذلك لان السوال كلام لا يليق بالعقلا فان كل من يتمسك بالاحيا
والاماته لا بد ان يورد الطبعي والمنجم عليه هذا السوال ولا جواب عنه الا الجواب
المذكور في الايه ولا يكون فيه انتقال لا من الدليل الاول الى دليل اخر ويكون الكلام
الثاني متعلقا بالكلام الاول فيبقى لنا في قوله فان الله ياتي بالشمس من المشرق
دلاله على تعلق الكلام الثاني بالاول ونظير هذا التقرير قوله تعالى في سورة النحل
هو الذي انزل من السما ما لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع
والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر [والنجوم مسخرات بامره] ان في ذلك لايات لقوم يعقلون وما ذرا
لكم في الارض مختلفا الوانه ان في ذلك لايه لقوم يذكرون فجعل الله مقطع
الايه الاولى من هذه الايات الثلثه بقوله يتفكرون ومقطع الايه الثانيه بقوله
يعقلون ومقطع الايه الثالثه اجلالا يذكرون وفي ترتيب هذه المقاطع اسرار
عجيبه وذلك لانه تعالى استدل في الايه الاولى على وجود الصانع المختار
بحدوث الانواع المختلفه من النبات في الارض الواحده والما الواحد الا ان هذا
الدليل في هذا المقام غير تام وذلك لان لقايل ان يقول حدوث الانواع المختلفه
من النبات انما كان لتاثير الكواكب والشمس والقمر ولما كان هذا السوال مما يذكر على
هذا الدليل كان هذا الدليل قبل الجواب عن السوال غير تام فكان مجال التدبر والتفكر
باقيا فلهذا السبب جعل مقطع هذه الايه يتفكرون ثم انه تعالى اجاب عن
هذا السوال من وجهين الاول قوله وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ان في ذلك لايات

لقوم يعقلون وشرح هذا الجواب ان يقال هب ان حدوث الانواع المختلفة
من النبات انما كان لتاثيرات الكواكب واختلاف الفصول الا ان حركات الكواكب
لا بد لها من موثر ولا يتسلسل بل لا بد من الاعتراف بشي هو مسبب الاسباب
ومدبر كل شي فيكون حدوث النبات في الحقيقة واقعًا بتقدير ذلك المدبر الاول
والموثر الاول وعند هذا تم الاستدلال ولا بقي للفكر مجال فلا جرم جعل
مقطع هذه الاية قوله تعالى يعقلون يعني ان كنت كامل العقل فاعترف
بوجود الاله القادر المختار في هذا المقام فان الدليل قد تم ولم يبق بعده
للفكر والنظر مجال وهذا التقرير بعينه هو التقرير المذكور في قصة ابرهيم عليه السلام
فان المنكر لما احال الاحيا والاماتة على الاسباب الفلكية من حيث انه شبه ذلك
الاحيا بالاحيا الصادر منا فعند هذا قال ابرهيم عليه السلام فلا بد للك الاسباب
الفلكية من مدبر وهو الله تعالى فلا جرم انقطع ذلك الكافر وسكت حتى قال تعالى
في صفته فبهت الذي كفر فالحاصل ان المراد من قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون
والوجه الثاني من الجواب عن ذلك السوال قوله وما ذرا لكم في الارض مختلفا الوانه
ان في ذلك لاية لقوم يذكرون وتقرير هذا الجواب هو ان الارض والما والهوا
والشمس والقمر لكل واحد طبيعة واحدة وتاثير واحد ونسبة هذه الاشيا باسرها
الى كل واحد من اجزا الشجرة الواحدة بل الى كل واحد من اجزا الورقة الواحدة على غاية
صغرها ونهاية رقتها واحدة فكان ينبغي ان يكون الاثر حاصلا على السوية
فلما رانا في الشجرة الواحدة اختلافات كثيرة في اجزايها بل شاهدنا في الورقة
الواحدة اختلافا في لون وجهيها علمنا ان هذه الاثار غير مستندة الى الطبايع
والنجوم وانما جعل مقطع هذه الاية بقوله لعلهم يذكرون لانه قد تقرر في
بداية العقول ان الموجب لا بد وان يكون تاثيره بالسوية ولاجل هذا قالت
الفلاسفة المقتضي لشكل الجسم هو الطبيعة وتاثير الطبيعة الواحدة لا بد
وان يكون متشابها فلا جرم قالوا الواجب ان يكون شكل الجسم البسيط هو الكرة

ثم انا نشاهد الاختلاف العظيم في خلقة النبات والحيوان اما النبات فانك ترى
الاترج قشره حارا يابسًا ولحمه حارا رطبا وحماضه باردا يابسًا وبزره حارا
يابسًا فهذا شي واحد حصلت فيه الطبايع ونرى الرمان فيه ذلك القشر الغليظ
والشحم القابض العفص ثم نرى الحب فيه ذلك الما اللطيف العذب وفيه ذلك البزر
الغليظ البارد اليابس القابض بل نجد الورقة اللطيفة احد وجهيها في غاية الصفرة
والوجه الاخر في غاية الحمرة ثم نرى في وسط تلك الورقة اللطيفة عرقا ممتدًا من اصلها
الى طرفها ثم ترى العروق الصغيرة متشعبة من ذلك العرق المتوسط ثم يتشعب
من كل واحد من تلك الشعب شعب اخرى ادق من الشعب بمراتب فاذا شاهدت هذه
الاختلافات الكثيرة في التركيب واللون والخاصية فكان قد تقرر في عقلك ان الموجب
بالذات يكون تاثيره متشابها لا مختلفا فكيف يجوز من عقلك ان يقول ان تولد
هذه الانواع المختلفة انما كان بسبب تاثيرات الانجم والافلاك فهذا برهان قاطع
على انه لا يمكن اسناد الحوادث الارضية الى الافلاك والانجم فلاجل هذا السر
جعل مقطع هذه الاية قوله لعلهم يذكرون يعني الا يتذكر ما كان مقررا في
عقلك من تاثير الواجب بالذات لا يكون مختلفا مع انك تشاهد بحسك هذه
الاختلافات الكثيرة فتامل ايها المسكين في هذه الاسرار لتعلم ان القران بحر
عميق لا ساحل له واعلم انا لما شرحنا هذين النوعين من المناظرات لابرهيم عليه السلام
لتعلقهما بالنجوم والشمس والقمر فلنذكر ساير مناظراته في التوحيد وان لم
يكن لها تعلق بالنجوم والشمس والقمر

الفصل الثالث

في شرح مناظرة ابرهيم عليه السلام مع ابيه في التوحيد قال تعالى في سورة مريم
واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيا اعلم ان الغرض من هذه السورة من اولها الى اخرها
بيان التوحيد والنبوة والمعاد والمنكرون للتوحيد هم الذين اثبتوا معبودًا سوى الله
وهم فريقان منهم من اثبت معبودًا غير الله حيًا عاقلًا فاهمًا وهم النصارى

ومنهم من اثبت معبودا غير الله جمادا وهم عبدة الاوثان والفريقان وان
اشتركا في الضلال الا ان ضلال الفريق الثاني اعظم فلما بين الله تعالى
في هذه السورة ضلال الفريق الاول وهم النصارى تكلم بعده في شرح
ضلال الفريق الثاني وهم عبدة الاوثان فقال واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان
صديقا نبيا والواو في قوله واذكر عطف على قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا
كانه لما انتهت قصة زكريا وعيسى قال يا محمد قد ذكرت لهم حال زكريا فاذكر حال
ابرهيم عليه السلام وانما شرع في قصة ابرهيم عليه السلام بوجوه الاول ان ابرهيم
عليه السلام كان ابا للعرب وكانوا مقرين بعلو شانه وطهارة دينه على ما قال
تعالى ملة ابيكم ابرهيم حنيفا وقال ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه وكانه تعالى
قال للعرب ان كنتم من المقلدين لابائكم على ما هو قولكم انا وجدنا اباءنا على امة
فمعلوم ان اجل ابائكم قدرا واعظمهم فخرا وشرفا هو ابرهيم فكونوا مقلدين له
في ترك عبادة الاوثان وان كنتم من المستدلين فتاملوا في هذه الدلائل التي ذكرها
ابرهيم عليه السلام لتعرفوا فساد عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ابرهيم اما
تقليدا واما استدلالا والثاني ان كثيرا من الكفار في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم
كانوا يقولون كيف نترك دين ابائنا واجدادنا فذكر الله تعالى قصة ابرهيم انه ترك
دين ابيه ازر وابطل قوله بالدليل ورجح متابعة الدليل على متابعة ابيه ليعرف
الكفار ان ترجيح جانب الاب على جانب الدليل رد على الاب الاشرف الاكبر
الذي هو ابرهيم والثالث ان كثيرا من الكفار يتمسكون بالتقليد وينكرون
الاستدلال على ما قالوا انا وجدنا اباءنا لها عابدين فحكى الله تعالى عن ابرهيم
التمسك بطريق الاستدلال تنبيها لهؤلاء الجهال على سقوط هذه الطريقة
ثم انه تعالى قال في صفة ابرهيم انه كان صديقا نبيا وفي الصديق قولان احدهما
انه مبالغ في كونه صادقا وهو الذي يكون عادته الصدق لان هذا البنا
يبنى على ذلك يقال رجل خمير وسكير للمولع بهذه الافعال والثاني ان يكون معناه

ع

كثير التصديق بالحق حتى يصير مشهورا به والاول اولى وذلك لان المصدق
بالشيء لا يوصف بكونه صديقا الا اذا كان صادقا في ذلك التصديق فيعود
الامر الى الاول فان قيل الدليل على القول الثاني قوله تعالى والذين امنوا بالله
ورسله اولئك هم الصديقون قلنا انما سماهم صديقين لكونهم صادقين في
ذلك التصديق واعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم يجب ان يكون صادقا في كل ما اخبر
لان الله تعالى صدقه ومصدق الله تعالى صادق والا لزم الكذب في خبر الله وهو
محال فيلزم من هذا كون الرسول صادقا في كل ما يخبر عنه ولان الرسل شهداء الله
على الناس على ما قال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا والشهيد انما يقبل قوله اذا لم يكن كاذبا فان قيل فما قولكم في ابرهيم عليه السلام
حيث كذب ثلث كذبات وهو قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم وقوله
هذه اختي قلنا معاذ الله ان يكذب ابرهيم وسنجيب عن هذا الكلام في باب عصمة
الانبياء عليهم السلام فثبت ان كل نبي يجب ان يكون صديقا وظاهر انه لا يجب
ان يكون كل صديق نبيا فلهذا السبب وصفه اولا بكونه صديقا ثم بعد وصفه
بكونه نبيا واما النبي فسيجي في باب النبوات تفسيره وقوله كان صديقا قيل انه
صار وقيل انه وجد صديقا نبيا اي كان من اول وجوده الى انتهائه موصوفا
بالصدق والديانة وهذا توكيد ما ذكرنا ان قوله هذا ربي كان في مقام المناظرة
ابطالا لهذا القول عليهم وما كان في معرض الاخبار اما قوله يا ابت فالتاء
عوض من ياء الاضافة ولا يقال يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه
وقد يقال يا ابتا لكون الالف بدلا من اليا ثم اعلم انه تعالى حكى ان ابرهيم عليه السلام
تكلم مع ابيه باربعة انواع من الكلام النوع الاول قوله لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ووصف الاوثان بصفات ثلثة كل واحد
منها قادح في العبودية وبيانه من وجوه الاول ان العبادة غاية التعظيم
فلا يستحقها الا من له غاية الانعام وهو الذي يكون قادرا على خلق اصول

النعم وفروعها كما قررنا في تفسير قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم الثاني ان بديهة العقل حاكمة بانه لا يجوز الاشتغال بشكر من لا نعمة
له عليك فاذا لم يجز الاشتغال بشكره فلان لا يجوز الاشتغال بطاعته
وعبادته اولى الثالث انها اذا لم تسمع ولا تبصر ولا تميز من يطيعها ممن يعصيها
فاي فايدة في عبادتها وهذا يدل على ان الاله يجب ان يكون عالما بكل المعلومات
من الكليات والجزئيات حتى يكون العبد امنا من وقوع الغلط في الثواب والعقاب
الرابع ان الدعا مخ العبادة فالوثن اذا لم يسمع دعا الداعي فاي منفعة في بع صح
عبادته واذا كان لا يبصر تقرب من يتقرب اليه فاي فايدة تحصل من ذلك التقريب
الخامس ان السامع المبصر الضار النافع افضل ممن كان عاريا عن هذه الصفات
والصنم عاري عنها فيكون الانسان اشرف وافضل من الصنم والاقدام
الاشرف الاعظم على عبودية الاخس الاذل لا يليق بالعقلا والسادس
انها اذا كانت لا تنفع ولا تضر لم تحصل للانسان رغبة ولا منها رهبة فاي فايدة
في عبادتها السابع انها لا تقدر على حفظ انفسها عن اضعف الحيوانات
كما قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان
يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله تنبيه
حق قدره بل لا تقدر على صيانة انفسها عن الكسر والاذلال فان الله تعالى اخبر
عن ابرهيم عليه السلام انه كسرها وجعلها جذاذا فاذا كانت لا تحفظ نفسها
عن الكسر والافساد فاي رجا للغير فيها الثامن انه تعالى انه نزه نفسه
عن الشرك من اول سورة النحل فقال تعالى عما يشركون ثم احتج عليه بوجوه اولها
خلقه السموات فقال خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
والثاني بخلقه الانسان فقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين
والثالث بخلقه الحيوان فقال والانعام خلقها الى قوله والخيل والبغال
والحمير والرابع بخلقه النبات فقال هو الذي انزل من السما ما لكم منه شراب

ومنه شجر والخامس بخلقه البحر فقال وهو الذي سخر البحر والسادس بخلقه
الارض فقال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ثم ختم ذكر هذه الدلايل
باعادة المقصود وهو نفي الشركا والانداد فقال افمن يخلق كمن لا يخلق
افلا تذكرون وكل ذلك اشارة الى ان التسوية بين النافع والضار وبين من لا ينفع
ولا يضر في العبادة سفه والتاسع ان ابرهيم عليه السلام عاب الاصنام من ثلثة
اوجه من حيث انها لا تسمع ولا تبصر ولا تقدر فكانه قال العبادة لا تليق
الا لحي والحي فانه يسمع بدليل قوله اجيب دعوة الداعي ويبصر بدليل قوله انني
معكما اسمع وارى ويقضي الحوايج بدليل قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه
والعاشر قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال في
عقب هذه الاية قل الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فقوله قل الحمد لله معناه
الشكر له على اعترافهم بذلك وقوله بل اكثرهم لا يعلمون فمعناه انكم لما اقررتم
بان المدبر هو الله فكيف تشتغلون بعبادة غير الله فان الاقدام على هذا العمل
مع الاقرار بذلك القول لا يليق بمن له عقل وفهم ومعرفة فان قال قايل
السنتم قد ذكرتم ان عبدة الاوثان معبودهم هو الكواكب في الحقيقة
فكيف تتوجه هذه الدلايل عليهم الجواب انا بينا في تفسير قوله تعالى لا احب
الافلين ان على كل التقديرات الاعراض عن مدبر الافلاك والانجم والاشتغال
بعبادة الافلاك والانجم او بعبادة اصنامها وتماثيلها عين الجهل فانه
لما دلت الدلايل على افتقار الافلاك والانجم الى الاله الخالق المدبر وثبت ان
خالق الافلاك والانجم لا بد ان يكون قادرا على خلق الاقوى وقادرا على الاضعف
كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم واذا كان الامر كذلك
كان الاشتغال بخدمة رب الافلاك والانجم اولى من الاشتغال بخدمة الافلاك
والانجم وقد سبق تقرير هذا المعنى على الاستقصا النوع الثاني من كلام ابرهيم عليه السلام

مع ابيه قوله يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا
واعلم ان هذه النهاية فيها اشارة الى ان روح النبي عليه السلام متميز عن ساير
الارواح بمزيد الكمال والجلال وتقريره هو ان العالم عالمان عالم المحسوس
وعالم المعقول والمعقول لا يكون معقولا حتى يثبت له مثال محسوس والا لكان
متخيلا موهوما والمحسوس لا يكون محسوسا حتى يثبت له مثال في المعقول
والا لكان سرابا معدوما واذا عرفت هذا فنقول عالم الروحانيات عالم عظيم
لا نعرف عددهم واصنافهم وانواعهم واجناسهم الا الله ولا بد فيهم من مدبر مطاع
نافذ الامر في جميع الروحانيات وهياكل الروحانيات هي العرش والكرسي
والافلاك والكواكب فلا بد وان يكون ذلك المدبر من جنسهم وان يكون كاملا
بالفعل لانه لا خروج من القوة الى الفعل لا يحصل الا ممن كان مبرأ عن القوة
خارجا الى الفعل من كل الوجوه واما العالم الجسماني فكذلك يجب ان يكون فيه
مدبر كامل من جميع الوجوه ويكون بالحد الغضبية في جميع الجسمانيات ويكون
تدبيره اخراج ما بالقوة الى الفعل من ابنا جنسه فمدبر العالم الروحاني هو الروح
الاعظم ومدبر العالم الجسماني هو الرسول الاعظم مظهرا فالروح مبدا
والرسول نهاية واول الفكر اخر العمل واذا عرفت ان الرسول مدبر الجسمانيات
باخراج ما فيها من الكمالات من القوة الى الفعل عرفت المراد من قول ابرهيم عليه السلام
اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا وهاهنا اسرار
عظيمة وقد نبهنا على مشرعها النوع الثالث قوله يا ابت لا تعبد
الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا والمعنى لا تطعه لانه عاصي في الله
فنفره بهذا الوصف عن القبول منه لانه اعظم الخصال المنفرة واعلم ان ابرهيم عليه السلام
كان عظيم الدرجة في الاخلاص في طاعة الله فلا جرم لم يذكر من جنايات
الشيطان الا كونه عصيا في الله ولم يذكر الشيطان كونه عدوا لادم كان النظر في
عظم حاله في معصية الله غمر فكره واطبق على ذهنه وهذا كان عليه السلام

اول ما تكلم ذكر ما يدل على تنزيه الله ولم يذكر ما يدل على براءة امه كان اشتغاله
بتنزيه الله تعالى شغله عن الالتفات الى حال الام واستفظاعه معصية الله تعالى
لا يصدر الا عن ضعيف الراي ومن كان كذلك كان حقيقا بان لا يلتفت اليه فان قيل
ان هذا القول يتوقف اثباته على امور احدها اثبات الصانع والثاني اثبات
الشيطان والثالث ان الشيطان عاصي في الله والرابع انه لما كان عاصيا لله لم يجز
طاعته في شيء من الاشيا والخامس ان الاعتقاد الذي كان يعتقده والد ابرهيم
مستفاد من طاعة الشيطان ومن شان الدلالة التي يوردها الانسان على خصمه
كونها مركبة من مقدمات مسلمة معلومة ولعل والد ابرهيم كان منازعا في كل
هذه المقدمات فكيف استحسن ابرهيم ذكر هذا الكلام قلنا الحجة المعول
عليها في ابطال مذهب ابيه هو الذي ذكره اولا في قوله لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيا فاما هذا الكلام فيجري مجرى التخويف والتحذير
الذي يحمله على النظر والتامل في تلك الدلالة النوع الرابع قوله يا ابت اني اخاف
ان يمسك عذاب من الرحمن وفي قوله اخاف قولان قال الفرا معناه اعلم
والاكثرون على انه محمول على الظاهر وحمل هذا اللفظ على العلم انما يجب
لو كان ابرهيم عالما بان اباه سيموت على الكفر وذلك لم يثبت فوجب اجراه على
ظاهره فانه يجوز في ابيه ان يومن فيصير من اهل الثواب ويجوز فيه ان يموت
على الكفر فيكون من اهل العقاب ومن كان كذلك كان خائفا لا قاطعا واعلم
ان من يظن وصول ضرر الى غيره فانه لا يسمى خائفا الا اذا كان بحيث يلزم من
ذلك الضرر الم قلبه كما يقال انا خايف على ولدي اما قوله فتكون للشيطان
وليا فذكروا في الولي وجوها الاول انه اذا استوجب عذاب الله كان مع
الشيطان في النار والولاية سبب للمعية فاطلقوا اسم السبب مجازا وانما لم
نحمله على الولاية الحقيقية لقوله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
وقال ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا وحكى عن الشيطان انه

يقول لهم اني كفرت بما اشركتمون من قبل والثاني ان يحمل العذاب على الخذلان
اني اخاف ان يمسك خذلان الله فتصير موالياً للشيطان فيتبرأ الله منك كما قال تعالى
ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً والثالث ولياً اي
تالياً للشيطان يليه كما سمي المطر الذي ياتي تالياً ولياً فان قيل قوله اني اخاف
ان يمسك عذاب من الرحمن فيكون للشيطان ولياً يقتضي ان تكون ولاية الشيطان
اسوأ حالاً من العذاب فما معنى ذلك الجواب ان رضوان الله اشرف واعظم
من الثواب كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم فوجب ان
تكون ولاية الشيطان التي هي في مقابلة رضوان الله اكبر من العذاب واعظم
فهذا هو الاشارة الى تفسير هذه الكلمات الاربعة التي ذكرها ابرهيم عليه السلام
لابيه واعلم انه عليه السلام رتب هذا الكلام في غاية الحسن لانه نبه على ما يدل
على المنع من عبادة الاوثان ثم امره باتباعه في النظر والاستدلال وترك
التقليد ثم نبه على ان طاعة الشيطان غير جائزة في العقول ثم ختم الكلام
بالوعيد الزاجر عن الاشتغال بما لا ينبغي ثم انه عليه السلام اورد هذا الكلام
الحسن اللطيف مقروناً باللطف والرفق فان قوله في مقدمة كل كلام يا ابت
دليل على شدة الحب والرغبة في صونه عن العقاب وارشاده الى الصواب وختم
الكلام بقوله اني اخاف وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه وانما فعل ذلك
لوجوه الاول قضاء حق الابوة كما قال تعالى وبالوالدين احساناً والارشاد الى
الدين الحق من اعظم انواع الاحسان فاذا انضاف اليه رعاية الادب والرفق
كان ذلك نوراً على نور والثاني ان الهادي الى الحق لا بد وان يكون رفيقاً
لطيفاً يورد الكلام لا على سبيل العنف لان ايراده على سبيل العنف
يصير مانعاً عن الاستماع والقبول والثالث ما روى ابو هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك
ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله

تحت عرشي واسكنته حضيرة القدس وادنيه من جواري قوله تعالى اراغب انت عن
الهتي يا ابرهيم اعلم ان ابرهيم لما ادعى الى التوحيد وذكر الدليل على فساد عبادة
الاوثان وارداف ذلك الدليل بالوعظ البليغ واردف كل ذلك مقروناً
باللطف والرفق قابله ابوه بالجواب بضد ذلك فقابل حجته بالتقليد فانه لم
يذكر في مقابلة حجته الا قوله اراغب انت عن الهتي فاصر على ادعاء الهيتها جهلاً
وتقليداً وقابل وعظه بالسفاهة حيث هدده بالضرب والشتم وقابل رفقه
في قوله يا ابت بالعنف حيث لم يقل له يا بني بل قال يا ابرهيم وانما حكى الله تعالى
ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم ليخفف على قلبه ما كان يصل اليه من اذى المشركين
فيعلم ان الجهال منذ كانوا على هذه السيرة المذمومة واعلم ان قوله اراغب
انت عن الهتي يا ابرهيم ان كان المراد منه الاستفهام فهو خطأ لانه قد عرف
بما تكرر منه من وعظه وتنبيهه ووعده ووعيده انه راغب عن ذلك فما فائدة هذا
القول وان كان ذلك على سبيل التعجب فاي تعجب في الاعراض عن حجر لا يبصر
ولا ينفع انما التعجب كله من الاقدام على عبادتها اما قوله لئن لم تنته لارجمنك
ففي الرجم قولان الاول انه الرجم باللسان وهو الشتم والذم ومنه قوله والذين
يرمون المحصنات اي بالشتم ومنه الرجيم اي المرمي باللعن قال مجاهد الرجم كله
في القرآن بمعنى الشتم والثاني انه الرجم باليد وعلى هذا التفسير ففيه وجوه
الاول لارجمنك باظهار امرك للناس ليرجموك ويقتلوك والثاني لارجمنك
بالحجارة لتتباعد عني والثالث قال المورج لارجمنك لاقتلنك بلغة قريش
والرابع قال ابو مسلم لارجمنك المراد منه الرجم بالحجارة الا انه قد يقال ذلك في
معنى الطرد والابعاد على سبيل الاتساع والدليل عليه انه اراد الطرد قوله تعالى
واهجرني ملياً اما قوله واهجرني ملياً ففيه بحثان البحث الاول عطف واهجرني
على معطوف عليه محذوف ويدل عليه لارجمنك والتقدير لارجمنك فاحذرني
واهجرني والبحث الثاني في قوله واهجرني قولان احدهما المراد واهجرني من القول

والثاني واهجرني بالمفارقة من الدار والبلد وهو كهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين اي تباعد عني حتى لا اراك وهذا الثاني اقرب الى الظاهر اما قوله مليا
ففيه قولان الاول مليا اي مدة بعيدة ماخوذ من قولهم اتى على فلان ملاوة
من الدهر اي زمان بعيد والثاني مليا بالذهاب عني قبل ان اضربك فلا تقدر
ان تذهب من قولهم فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له قادرا عليه ثم ان ابرهيم عليه السلام
لما سمع من ابيه هذا الجواب اجابه بامرين احدهما انه وعد التباعد منه
وذلك لان اباه لما امره بالتباعد اظهر الانقياد وقوله سلام عليك توديع
ومتاركة كقوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله
واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وهذا يدل على جواز متاركة المنصوح
اذا ظهر منه اللجاج وعلى انه تحسن مقابلة الاساءة بالاحسان ويجوز ايضا
ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده بالاستغفار ثم انه
لما ودعه بقوله سلام عليك ضم اليه ما دل على انه وان بعد منه لكن شفقته
عليه باقية وهو قوله سأستغفر لك ربي واحتج من طعن في عصمة الانبياء عليهم السلام
بهذه الاية وتقريره ان ابرهيم استغفر لابيه وابوه كان كافرا والاستغفار
للكافر غير جائز فثبت بمجموع هذه المقدمات ان ابرهيم فعل ما لا يجوز
انما قلنا انه استغفر لابيه بقوله تعالى في هذه الاية سلام عليك سأستغفر
لك ربي وقوله ايضا واغفر لابي انه كان من الضالين واما ان اباه كان كافرا
فذلك بنص القران واما ان الاستغفار للكافر غير جائز فيدل عليه وجهان
الاول في قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين والثاني
قوله تعالى في سورة الممتحنة لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة في ابرهيم
الى قوله الا قول ابرهيم لابيه سأستغفر لك فامر بالتاسي بابرهيم الا في هذا
القول فدل على ان هذا الفعل معصية والجواب قوله الاستغفار للكافر غير
جائز قلنا الكلام عليه من وجوه الاول ان القطع على ان الله تعالى يعذب

الكافر لا يعرف الا بالسمع فلعل ابرهيم عليه السلام لم يجد في شرعه ما يدل على
القطع بعذاب الكافر فلا جرم استغفر لابيه والثاني ان الاستغفار قد يجي
بمعنى الاستبطا قال تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمعنى
سأسأل ربي ان لا يعجل عقابك بكفرك في الدنيا والثالث انه عليه السلام انما استغفر
لابيه لانه كان يرجو منه الايمان فلما ايس من ذلك ترك الاستغفار ولعل
شرعه جواز الاستغفار للكافر الذي يرجى منه الايمان والدليل على وقوع
هذا الاحتمال قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فبين ان المنع من الاستغفار
انما حصل بعد ان عرفوا انهم من اصحاب الجحيم ثم قال تعالى بعد ذلك وما كان
استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه
فدلت هذه الاية على انه انما وعده بالاستغفار بشرط ان يؤمن فلما لم يؤمن
فقد الشرط فلا جرم لم يوجد المشروط فان قيل ان كانت القصة كذلك فلم
منعنا من التاسي به قلنا الاية تدل على انه لا يجوز لنا التاسي به في هذا المعنى
الا ان المنع من التاسي به في ذلك لا يدل على ان ذلك كان معصية فان كثيرا من الاشيا
هي من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لنا التاسي به مع انه كان ذلك
مباحا للرسول صلى الله عليه وسلم الرابع لعل هذا الاستغفار من باب
ترك الافضل وحسنات الابرار سيئات المقربين اما قوله انه كان بي حفيا
اي لطيفا رفيقا يقال احتفى فلان بفلان في المسألة اذا تلطف فيه وبالغ في الرفق
والمراد انه تعالى لكثرة الطافه وانعامه علي عودني الاجابة فاذا استغفرت
لك حصل المراد كانه جعله بذلك على يقين انه ان تاب غفر الله له ذلك الوجه
الثاني من الجواب قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون من دون الله الاعتزال
للشي هو التباعد عنه والمراد اني افارقكم في هذا المكان وفي طريقكم ايضا
وابعد عنكم واشتغل بعبادة ربي الذي ينفع ويضر فانكم بعبادة الاصنام

سالكون طريقه الهلاك فوجب علي مجانبتكم ومعنى قوله عسى ان لا اكون
بدعاء ربي شقيا اي ارجو ان لا اكون وانما ذكر هذا الكلام على سبيل
التواضع كقوله والذي اطمع ان يغفر لي وقوله شقيا مع ما فيه من
التواضع ففيه تعريض بشقاوتهم في دعاء الهتهم على ما قرره اولا في
قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقوله تعالى
فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا
جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واعلم ان
احدا لا يخسر على طاعة الله فان ابرهيم عليه السلام لما اعتزلهم في دينهم وبلادهم
واختار الهجرة الى الله ما ضره ذلك في الدين ولا في الدنيا بل نفعه فعوضه
الله اولادا انبيا ولا منصب في الدين اعظم من ان يجعله الله رسولا الى خلقه
ويوجب عليهم طاعته والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظيم المنزله
في الاخره فصار جعله تعالى اياهم انبيا من اعظم النعم في الدنيا والاخره
ثم بين تعالى انه مع ذلك وهب لهم من رحمته اي وهب لهم مع النبوه
اشيا اخرى وابهم في ذكرها ويدخل فيه المال والجاه والاتباع والنسل
الطاهر والذريه الطيبه ثم قال وجعلنا لهم لسان صدق عليا ولسان
الصدق الثنا الحسن وعبر باللسان عما يحصل باللسان واستجاب الله
دعوته في قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى
ادعى كل اهل الاديان انهم على دينه وملته وقال تعالى ملة ابيكم ابرهيم
وقال ملة ابرهيم حنيفا وقال ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
قال بعض العلما ان الخليل اعتزل عن الخلق على ما قال واعتزلكم وما
تعبدون من دون الله فلاجرم بارك الله في ذريته فقال ووهبنا له اسحق
ويعقوب وكلا جعلنا نبيا وتبرا من ابيه في الله على ما قال فلما تبين له انه
عدو لله تبرا منه فلاجرم سماه الله ابا المومنين فقال ملة ابيكم ابرهيم

وتل ولده للجبين ليذبحه في الله على ما قال فلما اسلما وتله للجبين فلاجرم
فداه الله كما قال وفديناه بذبح عظيم واسلم نفسه لله كما قال اسلمت لرب
العالمين فجعل الله النار بردا وسلاما فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم
واشفق على هذه الامه فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فلاجرم
اشركه الله في الصلاه فانهم يقولون في اخر التشهد كما صليت وباركت على
ابرهيم وال ابرهيم وكان وفيا في ادا طاعات ربه كما قال تعالى وابرهيم الذي
وفى لاجرم جعل الله موطئ قدمه مباركا فقال واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى
وعادى كل الخلق في الله فقال انهم عدو لي الا رب العالمين لاجرم اتخذ الله
خليلا ليعلم صحه ما ذكرنا انه لا يخسر على الله احد بلغ

الفصل الرابع
في شرح مناظره ابرهيم مع قومه بكسر الاصنام قال تعالى في سوره الانبيا
ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اعلم انه تعالى قبل الشروع في شرح
هذه الواقعه مدح ابرهيم عليه السلام بقوله ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل
وفيه مسايل المساله الاولى في الرشد قولان الاول انه النبوه واحتج من
ذهب الى هذا القول بقوله وكنا به عالمين قالوا لانه تعالى انما يخص بالنبوه
من يعلم من حاله انه في المستقبل يقوم بحقوقها ويحترز عن كل ما لا يليق بها
ويجتنب عما ينفر قومه من قبول تكاليفها ويتاكد هذا بقوله تعالى والله يعلم
حيث يجعل رسالاته ويتاكد ايضا بقوله تعالى واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات
فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما والقول الثاني ان الرشد هو الاهتدا
لوجوه الصلاح في الدين والدنيا قال تعالى فان انستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم وقال تعالى في سورة هود اليس منكم رجل رشيد وقال قوم
هود له انك لانت الحليم الرشيد ومرادهم لانت السفيه الضال ذكروه
على سبيل الاستهزا وقال وما امر فرعون برشيد وفيه قول ثالث وهو ان يدخل
النبوه والاهتدا الى كل المصالح تحت اسم الرشد اذ لا يجوز ان يبعث الله نبيا

لا وقد عرفه ذاته وصفاته وافعاله ودله ايضا على مصالح نفسه ومصالح
قومه وكل ذلك من الرشد واعلم ان لفظ الرشد جا في القران على خمسة اوجه
احدها الحق قال تعالى في سورة البقره قد تبين الرشد من الغي والثاني الاسلام
قال تعالى في الاعراف وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا والثالث الهدايه
قال تعالى في سورة البقره لعلهم يرشدون وقال في سورة الكهف ومن يضلل الله فلن
تجد له وليا مرشدا وقال ايضا في هذه السوره على ان تعلمني مما علمت رشدا
وقال في سورة الحجرات اولئك هم الراشدون والرابع معرفة المصالح في امور الدنيا
قال تعالى في سورة النسا فان انستم منهم رشدا والخامس من فعل الصواب
على سبيل الاطلاق قال تعالى في سورة الجن فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ويقرب
منه قوله تعالى في سورة الكهف ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا
فالوجوه الثلثة الاول مختصة بالدين والوجه الرابع مختص بالدنيا والوجه
الخامس يعم الكل ما يتعلق بالدين وما يتعلق بالدنيا المسئلة الثالثة احتج
اصحابنا على ان الايمان يحصل بخلق الله تعالى بهذه الايه وذلك لانا بينا
ان لفظ الرشد يتناول الاهتدا الى كل مصالح الدين والدنيا واعظم وجوه
الاهتدا الى مصالح الدين هو معرفة الله فكانت معرفة الله تعالى اعظم وجوه الرشد
والله تعالى قال ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل فدل هذا على ان ايمان ابرهيم
انما حصل بخلق الله واتخاذه اجاب الكعبي عن هذه الحجه بان مثل هذا الكلام
انما يقال فيمن عرض عليه ما ينفعه فاذا قبله يقال ان فلانا اوتي الرشد
وهذا كمن اعطى المال لولدين فقبله احدهما وثمره ورده الاخر واخذه
وضيعه فيقال فلان اغناه ابيه فيمن ثمر المال ولا يقال هذا فيمن ضيع المال
والجواب هذا كلام مشوش ونحن قد بينا ان لفظ الرشد يتناول الايمان
والله تعالى نص على انه اتاه رشده فكان هذا صريحا في ان الله تعالى اتاه
ايمانه واعطاه معرفته اما قوله تعالى من قبل ففيه وجوه الاول قال

ابن عباس وابن جرير الطبري اتينا ابرهيم نبوته واهتداه من قبل موسى والثاني
اتينا ابرهيم رشده في صغره قبل بلوغه حين كان في الغار وهذا هو قول
من حمل الرشد على الاهتدا الى وجوه المصالح والا لزم ان يحكم بنبوته
قبل البلوغ والثالث قال ابن عباس في رواية الضحاك المراد حين كان في صلب
ادم حين اخذ الله ميثاق النبيين والرابع هو كلام خطر ببالي وهو انه اشار
الى العنايه الازليه والى ان السعيد من سعد في بطن امه الى قوله عليه السلام جف
القلم بما هو كاين الى يوم القيامه يعني انه جرى القضا الازلي والحكم
السرمدي بجعله من السعدا ولا يعتبر لانه شي حدث اليوم وذلك لان مذهب
اهل السنه انه تعالى قضى بسعادته في هذا اليوم فحصلت هذه السعاده
في هذا اليوم من نتايج ذلك القضا الازلي والمعتزله يقولون انه اشتغل
بالايمان فصير اشتغاله بالايمان موجبا على الله تعالى ان يعطي له السعاده
وهذا في غاية البعد لان العقل يقتضي ان يكون صفة الخالق متصرفة في
صفة المخلوق ولا يجوز ان يكون صفة المخلوق وفعله متصرفة في صفة
الخالق ولهذا قال ابو بكر الواسطي لا اعبد ربا يرضيه طاعتي ويغضبه
معصيتي والمراد انه لا ينبغي ان يجعل طاعة العبد ومعصيته لو وقع في
المعصيه حتى يكون الخالق متصرفا في المخلوق لا ان يكون المخلوق متصرفا في
الخالق اما قوله تعالى وكنا به عالمين والمراد منه هو المراد من قوله تعالى حيث
يجعل رسالاته والمعنى انه تعالى علم اختصاص روحه القدسيه باحوال
عجيبه واسرار بديعه وهي استغراقه في معرفة الله تعالى ومواظبته على
طاعته واقباله على الدعوه الى الله وبالجمله فكانت روحه في الارواح
كالشمس بين الظلمات ونور الضلالات في الجهالات ونظير هذا الكلام
قوله في رجل كبير قال انا عالم بفلان فان هذا الكلام في الدلالة على تعظيمه
ادل مما اذا شرحت جلال كماله واما قوله تعالى اذ قال لابيه وقومه

مؤثر بنفسه في رضا الرب وغضبه
لان رضاه راجع الى السعي في الطاعه وغضبه في

فقال صاحب الكشاف اذا ما ان يتعلق بابتدا او بمثله او بمحذوف واي اذكر
من اوقات مثله هذا الوقت اما قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون
فالتمثال اسم للشي المصنوع مشبها بخلق من خلق الله واصله من مثلة الشي
بالشي اذا شبهته وذلك الممثل يسمى بالتمثال واعلم ان القوم كانوا يحدون
لكل كوكب تمثالا مخصوصا على ما هو المشهور من مذهب اصحاب الطلسمات
فجعل ابرهيم عليه السلام هذا القول منه ابتدا كلامه لينظر فيما عساهم
يوردونه من شبهة حتى يبطله عليهم قال صاحب الكشاف لم لا ينوي العاكفين
مفعولا بل اجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلين العكوف لها او
واقفون لها فان قيل لم لم يقل عليها عاكفون كقوله يعكفون على اصنام لهم
قلنا لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على اما قوله تعالى قالوا وجدنا
اباءنا لها عابدين واعلم ان القوم لم يذكروا في الجواب الا طريقة التقليد لها صح
الذي يوجب مزيد الانكار عليهم لانهم اذا كانوا على خطا في امرهم
لم يعصمهم هذا من الخطا ان اباهم ايضا سلكوا هذا الطريق واعلم ان عادة
الكفار في اكثر الامر التعويل على طريق التقليد نظيره قوله تعالى في
المايدة واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه اباءنا اولو كان اباوهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون وقال في سورة
يوسف وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وقال في لقمن واذا قيل لهم اتبعوا
ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم
الى عذاب السعير ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى
والى الله عاقبة الامور وقال في الزخرف بل قالوا انا وجدنا اباءنا على
امة وانا على اثارهم مقتدون قل اولو جيتكم باهدى مما وجدتم
عليه اباءكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان

عاقبة المكذبين وقال في ص اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشي عجاب
ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق وقال ان كاد ليضلنا
عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها واعلم ان الشعير يوكل ويذم ولا ترى في الدنيا
٤ انسانا الا وهو يذم التقليد ثم انك اذا افتشت عن احواله تراه غرقا في التقليد
من قرنه الى قدمه والخروج عن طريقة التقليد والتعويل على الدليل نعمة عظيمة
من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده فلنبحث عن الاسباب الموجبة
لتسلط التقليد على اكثر الخلق فنقول ها هنا وجوه الاول يروى عن الخليل بن
احمد البصري انه قال الناس على اربعة اقسام رجل يدري ويدري انه يدري
فذاك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك نايم فايقظوه
ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فارشدوه ورجل لا يدري
ولا يدري انه لا يدري فذلك شيطان فاجتنبوه وقال بعضهم الرجل اذا سيل
فقال لا ادري فذاك ادخل في المدح من قوله ادري فاعترض بعضهم عليه
فقال انما يعظم منصب الرجل بيدري لا بلا ادري فقال المجيب نعم ولكن
قوله لا ادري من ثمرة لا يدري لانه لا يدري انه لا يدري الوجه الثاني ان الانسان
لا ينبغي ان يسام عن المسايل الاصولية والدلايل العقلية وذلك لان هذه
العلوم والمباحث نتايج العقل فمن كرهها فقد كره العقل ومن كره العقل
فلينظر الى المجنون فانه انما قيد بالسلاسل لانه طرح العقل وهو بالحقيقة
فيه معذور فمن رضي بالتقليد وطرح العقل بالاختيار اولى ان يقيد
بالسلاسل كما قال تعالى في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه الوجه
الثالث ان ادم عليه السلام كان في الجنة فترك النظر في مسلة واحدة من مسايل
الفروع وهو ان المراد من قوله لا تقربا هذه الشجرة النوع ام الشخص فاخرج عن
الجنة اذا ترك النظر في كل المسايل الاصولية كيف يدخلها الوجه الرابع ان
الرسالة اقل مرتبة من الربوبية ثم ان الرسول عليه السلام لما لقي الصديق وقال

انا رسول الله اليك قال ما الحجة قال ذلك السر الذي ذكرته مع اهلك في بيتك قال
ذلك سر لم يطلع عليه احد الا الله فلولا ان الله اخبرك والا لما عرفته اشهد ان
لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاذا كانت الرسالة دون الالهية ثم انها
لا تثبت بالتقليد عن لسان اعدل الخلق فكيف يجعل معرفة الربوبية عن لسان
الآباء والاسلاف بل هاهنا ما هو اقوى من كل ذلك وهو انه تعالى قال
لموسى عليه السلام اني انا الله فقال موسى هذه الدعوى فاين الدليل فجعل الله دليله
عليه ان جعله بحيث يسمع ذلك الكلام بجميع اعضائه حتى برجله فحينئذ علم
المقصود فلما لم يكف كلام الحق في معرفة الحق فكيف يكفي كلام الخلق في
معرفة الحق الوجه الثاني من انصف من نفسك فان الله تعالى لا يطلب منك
الا الانصاف قال الاصوليون رجل اعتقد ان الله منزه عن الجسمية والمكان
تقليدا وبقي عليه سبعين سنة فهو من اهل النار ولو انه قرب اجله فقال يا الهي
تبت عن ذلك التقليد ولاني لا اعلم انك على العرش ام لا واجوز كل الامرين
واشرع في النظر والتفكر حتى اعرف الحق ثم انه لم يجد مهلة النظر حتى مات
في تلك الساعة قالوا انه من اهل الجنة فعند اعتقاده الجازم التقليدي هو
من اهل النار وان كان ذلك الاعتقاد حقا وعند التردد كان من اهل الجنة
وما ذاك الا انه انصف حين اعترف بالتجويز الوجه السادس روي ان عليا
رضي الله عنه رجع عن بعض الغزوات وكان حصته من الغنيمة ما ملا به ذيله
فاتاه سايل فجعل يختار اخف الطوارح فعلم ان ذلك من وسوسة ابليس فاخذ
الكل فدفعه الى السايل اذ هو اكره للجهاد الذي رجع عنه ودخل على النبي
مستبشرا فقال النبي عليه السلام ما فعلت فقال رجعت عن الجهاد وقص
عليه القصة فقال عليه السلام ظننت انك ازلت صاحب شبهة عن شبهته
والنكتة ان هذا يدل على ان من تعلم وعلم ثم اشتغل بالتعليم كان هذا خيرا
ممن صار غنيا واعطى وبذل المال حتى افنى لان فايده اعطا المال في الدنيا

وفايده اعطا العلم في الاخرة ابد الابدين ودهر الداهرين والوجه السابع
ان احدا اراد خدمة ملك فقال الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع
في التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك التعلم فقد
صرت اهلا لخدمتي فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم ترني اهلا لخدمتك
وحين رايتني اهلا لخدمتك رايت نفسي اهلا لخدمة الله تعالى وذلك لاني كنت اظن
ان الباب بابك لجهلي فلما تعلمت علمت ان الباب باب الرب واعلم ان القوم
لما قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين اجاب ابرهيم عليه السلام لقد كنتم انتم واباؤكم في
ضلال مبين فثبت ان الباطل لا يصير حقا بسبب كثرة المستمسكين به فعند ذلك
استبعدوا منه هذا الكلام لشدة الفهم بذلك التقليد فقالوا اجئتنا بالحق ام
انت من اللاعبين واعلم ان القوم لما وهموا انه انما يقول ذلك الكلام على سبيل
المزاح اظهر ابرهيم في ذلك الوقت ما يعلمون به انه مجد في اظهار ما قاله وذلك
بالقول اولا وبالفعل ثانيا اما الطريقة القولية فهي قوله تعالى قال بل ربكم رب السموات
والارض الذي فطرهن وانا على ذلكم من الشاهدين اما وجه دلالة السموات والارض
على اثبات الصانع الحكيم القديم فقد تقدم شرحه والمعنى ان الخالق الذي خلق
السموات والارض لمنافع العباد هو الذي يحسن ان يعبد لا من يقدر على ذلك هو
الذي يرجى نفعه ويخاف ضرره فيرجع حاصل هذه الطريقة الى الطريقين المتقدمين
احدهما كون السموات والارض مخلوقة محدثة كما قال تعالى لا احب الافلين
والثاني قبح عبادة الاصنام كما قال تعالى لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا فهذه الطريقة مشتملة على تلك الطريقتين قال صاحب الكشاف الضمير
في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه للتماثيل ادخل في الاحتجاج اما
قوله وانا على ذلكم من الشاهدين ففيه وجهان الاول ان المقصود منه المبالغة في
التاكيد والتحقيق كقول الرجل اذا بالغ في مدح انسان او ذمه اشهد انه كريم
او ذميم والثاني ان قوله وانا على ذلكم من الشاهدين معناه اني قادر على اثبات

ما ادّعيته بالحجة واني لست مثلكم في ادّعا ما لا اقدر على اثباته بالحجة وذلك
انكم ما زدتم على اثبات مذهبكم الا على قولكم انا وجدنا اباءنا لها عابدين
واما الطريقة الفعلية فهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا
مدبرين واعلم ان القوم بغاية حماقتهم لما لم ينتفعوا بالدلايل القولية
عدل ابرهيم الى الفعل وفي كيفية القصة وجهان الاول قال السدي كانوا اذا
رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما
كان هذا الوقت قال ازر لابرهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما كان
ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فلما مضوا ونفي الضعفا
من الناس نادى وقال وتالله لاكيدن اصنامكم واحتج هذا القايل بقوله تعالى
قالوا سمعنا فتى يذكرهم والثاني قال الكلبي كان ابرهيم عليه السلام من اهل بيت
ينظرون في النجوم وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم
ابرهيم بالذي هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السما وقال لاصحابه
اراني اشتكي رجلي غدا فذلك قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم
واصبح من الغد معصوبا راسه فخرج القوم لعيدهم ولم يتخلف احد غيره
وقال تالله لاكيدن اصنامكم وسمع رجل منهم هذا القول فحفظه عليه ثم ان
ذلك الواحد اخبر غيره وانتشر ذلك الخبر في جماعة ولذلك قال تعالى قالوا سمعنا
فتى يذكرهم يقال له ابرهيم واعلم ان كلا الوجهين ممكن وتمام القصة ان
ابرهيم عليه السلام لما دخل بيت الاصنام وجد سبعين صنما مصفوفة
ثم صنم كبير مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عنقه جوهرة تضيان بالليل
فكسر الكل بفاس في يده حتى لم يبق الا الكبير ثم علق الفاس في عنقه
اما قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم فاعلم ان الجذاذ القطاع من الجذ
وهو القطع وفيه سوالات السوال الاول لم قال فجعلهم جذاذا وهذا
الجمع لا يليق الا بالعقلا والجواب من حيث اعتقدوا فيها انها كالناس وفي

انها

انها تعظم ويتقرب اليها ولعله كان فيهم من يظن انها تضر وتنفع
السوال الثاني ما معنى قوله الا كبيرا لهم قلنا يحتمل الكبير في الخلقة
والتعظيم في الامرين جميعا واما قوله لعلهم اليه يرجعون فيحتمل
رجوعهم الى ابرهيم ويحتمل رجوعهم الى الكبير اما الاول فيقرر من
وجهين الاول ان يكون لعلهم يرجعون الى الدين الحق وهو الاقرار
بالتوحيد ويعدلون عن الباطل وعبادة الاوثان والثاني كانه غلب
في ظنه انهم لا يرجعون اليه لما انه ظهر فيهم انه هو الذي يذكرهم بسبب الهتهم
اما الثاني وهو قولنا الضمير يرجع الى الكبير نفسه وجهان الاول
لعلهم يرجعون اليه كما يرجعون الى العالم الكبير في حل المشكلات فيقولون
لذلك الكبير كيف كسرها وبقيت انت صحيحا وكيف علق الفاس في رقبتك
وهذا قول الكلبي وهو بنا على شدة حماقتهم فلعلهم كانوا يعتقدون
فيها انها تجيب وثانيهم الثاني انه عليه السلام انما قال ذلك مع
علمه انهم لا يرجعون البتة استهزاء بهم وان قياس حال من يسجد له ويعبد
ان يرجع اليه في حل المشكلات اما قوله تعالى قالوا من فعل هذا بالهتنا
انه من الظالمين اي من فعل هذا الكسر والحطم الشديد بها الظالم معدود في
الظلمة اما الجراة عن الالهة الحقيقة بالتوقير والاعظام واما لانهم
راوا افراطا في كسرها وتماديا في الاستهانة بها اما قوله تعالى قالوا
سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم والمعنى انهم كانوا من قبل قد عرفوا منه
وسمعوا ما يقوله في الهتهم فغلب على قلبهم انه الفاعل ولو لم يكن الا قوله
ما هذه التماثيل لكفى واعلم انه لا بد ههنا من الكلام في الفتوة لانه استعمل
الفتوة في جل الاشيا اعطى البدن للنيران والمال للضيفان والولد للقربان

فقال ان ابرهيم عليه السلام وصف الصنم

ويحكى ان جبريل صلى الله عليه جاء فوقف في وسط غنمه وكان له اغنام كثيرة حتى قيل
انه كان عدد كلابه اثني عشر الف كلب كل كلب مطوق بطوق وقلادة من ذهب فقال
جبريل سبوح قدوس رب الملايكة والروح فنظر ابراهيم عليه السلام يمنة ويسرة
ولم ير احدا فقال ايها العبد الذي يذكر الله لك ثلث غنمي واذكره ثانيا فذكره ثانيا
فاعطاه الثلث الثاني فذكره ثالثا فاعطاه الثلث الباقي فذكره رابعا فوهبه الكلاب
مع ما على اعناقها من الطوق فذكره خامسا فوهب منه العبيد الذين كانوا يحفظون
الاغنام فذكره سادسا فقال ما بقي لي ملك فاستعبد ربي فاوحى الله تعالى الى
جبريل كم تجرب خليلي فظهر عند ذلك جبريل نفسه وقال حق لك ان تكون لله خليلا
وهذه الاغنام والعبيد كلها مردوده عليك انا جبريل لا احتاج الى شي منها فقال يا جبريل
هذا شي اخرجته من ملكي لوجه الله فلا اعيده الى ملكي وقد وقفته على جميع المسلمين
ياكل كل من مر عليه وقال بعض الحكماء راس الفتوه قول لا اله الا الله الا ترى
الى قصه اصحاب الكهف قال تعالى انهم فتيه امنوا بربهم سماهم فتيه لانهم امنوا بربهم
فلما كان ابرهيم عليه السلام دعى العالمين الى الله تعالى كان باسم الفتوه اولى
اجتمع ابو حفص الحداد مع الجنيد في بغداد فساله عن الفتوه فقال ابو حفص اذكروا
انتم فانكم اصحاب اللسان والعبارة فقال الجنيد الفتوه اسقاط الرويه وترك
التشبيه بالفتيان فقال ابو حفص ما احسن ما قلت لكن الفتوه عندي اداء الانصاف
وترك المطالبه بالانتصاف فقال الجنيد قوموا يا اصحابنا فقد زاد ابو حفص على
ادم وذريته وسال ابو حفص واحدا من العيارين بنيسابور عن الفتوه فقال يا ابا
حفص تسالني عن فتوتنا ام عن فتوتكم فقال ابو حفص اجب عن الكل فقال اما
فتوتنا معشر الشطار فكل ما نقول باللسان وفينا به واما فتوتكم معشر العارفين
فما تقولونه بالسر مع الله تقولون به فقال ابو حفص لو سالت عنه لما كنت اعدى اليه
وقال فضيل بن عياض سيد الفتيان يوسف الصديق عليه السلام وذلك لانه
تحمل المحن العظيم من اخوته ثم لما قدر عليهم ما قابلهم البته وقال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم

وقيل الفتوه ان لا

الثالث عشر

ان لا تؤخر ولا تدخر ولا تعتذر وقيل ان لا تخاصم في ليلة احدا ولا تخاصمك
احد وقيل الفتوه بذل المجهود والرضا بالموجود وترك طلب المفقود
وحفظ الحدود والوفا بالوعود والقيام بخدمه المعبود واعلم انه تعالى سمى
في القران بالفتى خمسه اشخاص سمى ابرهيم عليه السلام في هذه الايه بالفتى وسمى
يوسف عليه السلام به تراود فتاها وخزنه يوسف وقال لفتيته اجعلوا ويوشع
عليه السلام واذ قال موسى لفتاه واصحاب الكهف اذ اوى الفتيه الى الكهف
وانما سمي ابرهيم عليه السلام بالفتى لانه كان وافيا بعهود الله تعالى قال تعالى
وابرهيم الذي وفى وسمي يوسف بالفتى لانه كان حافظ العهد عزيز مصر
وهو قوله تعالى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي وسمي خزنه يوسف فتيانا
لان الخازن يكون امينا حافظا للمال وسمي يوشع فتى لانه كان حافظا
لاسرار موسى عليه السلام قال ارايت اذ اوينا الى الصخره وسمي اصحاب الكهف فتيانا
لانهم كانوا يبغضون اعدا الله لن ندعو من دونه الها ويحبون الله فقالوا ربنا
رب السموات والارض وروي في بعض الاخبار ان واحدا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم
وسال حاجته فقال النبي لعلي ابن ابي طالب كرم الله وجهه احسن اليه فذهب
علي رضي الله عنه وجا ومعه دينار وخمسه دراهم ورغيف تام ونصف رغيف
فساله النبي صلى الله عليه وسلم عن كيفيه الواقعه فقال ان هذا السايل لما سال وقع في
قلبي ان اعطيه دينارا ثم قلت يكفيه خمسه دراهم ثم قلت يكفيه رغيف
واحد ثم قلت يكفيه نصف رغيف ثم طردت الوسوسه عن قلبي وجيت بكل هذه
اليه شيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا فتى الا علي واعلم ان الفتوه على
اقسام احدها الفتوه باليد يروى ان عليا رضي الله عنه كان يحارب كافرا
فقال له الكافر اعطني سيفك فدفع علي سيفه اليه فقال له ذلك الكافر
امجنون انت لم دفعت سلاحك الي واني خصمك واطلب قتلك فقال سالت
وقبيح بالفتى ان يرد السوال فانا استعملت الفتوه معك فان قتلتني كان

ترك الفتوه منك وثانيها الفتوه بالعين وكماله لمحمد صلى الله عليه وسلم
كما قال ما زاغ البصر وما طغى ويروى ان رجلا تزوج امراه وقبل الدخول
بها ظهر بالامراه جدرى فقال الرجل ظهر في عيني نوع ضعف وظلمه ثم
قال عميت فزفت اليه المراه ثم ان المراه ماتت بعد عشرين سنه ففتح الرجل
عينيه فقيل له في ذلك فقال ما عميت ولكن تعاميت حذرا ان تحزن المراه
فقيل له سبقت الفتيان وثالثها الفتوه بالمال يحكى ان واحدا من الحاج
نام بالمدينه فتوهم ان هميانه سرق فخرج فراى جعفر الصادق فتعلق به
وقال اخذت هميانى فقال له كم كان فقال الف دينار فادخله داره واعطاه
الف دينار فرجع الرجل الى داره فراى هميانه في بيته فاستحيا وخرج الى الصادق
معتذرا اليه ورد عليه الدنانير فابى ان يقبلها وقال شي اخرجته من يدي
لا استرده فقال الرجل من هذا فقالوا جعفر الصادق وحكي عن الشبلي
انه قال خطر ببالي اني بخيل ولئيم فقلت اجرب نفسي فنويت ان كل ما اخذه
في هذا اليوم اهبه لاول شخص اراه اولا ثم جا خادم في الحال من دار الخلافه
ووضع عندي صره فيها خمسون دينارا فاخذتها وخرجت من الدار
فرايت حجاما يحلق راس اعمى فدفعتها الى الاعمى فقال لي الاعمى ادفعها الى
هذا الحجام فقلت انها ذهب فقال لي الاعمى ما هذا البخل ثم اخذها ودفعها
الى الحجام فقال الحجام انا نويت ان احلق راس هذا الفقير لله ولا اخذ
الذهب وبالحاصل ان ذلك الذهب ما قبله لا الاعمى ولا الحجام ورابعها
الفتوه باليقين كما يقال ان واحدا من الشطار ذهب اليه واحد من غلمان الملك
مختفيا فطلبه السلطان منه فانكره فضربه الف سوط فما سلمه فاتفق انه
احتلم تلك الليله وكان البرد شديدا فلما اصبح اغتسل بالما البارد فقيل له
خاطرت بروحك فقال استحيت من الله ان اصبر على ضرب الف سوط لاجل
مخلوق ولا اصبر على مقاساه الما البارد لاجل امر الله وخامسها الفتوه

باللقمه كما قيل لبعض الزهاد لو ان الله اعطاك الدنيا بكليتها ماذا تفعل
فقال اجعلها كلها لقمه واضعها في فم مجوسي حتى يصل العدو الى العدو
وسقى الحبيب للحبيب وقال بعضهم ان الله تعالى سمى ثلث فرق رجالا احدها
الذين لا تمنعهم الدنيا عن خدمه المولى رجال لا تلهيهم تجاره ولا بيع عن ذكر الله
والثاني تطهروا عن النجاسات رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين
والثالث رجال يطمئنوا في مقام العبوديه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
ثم نقول بالفارسيه جوانمردان بود كه بود كي بجواني بمرد شود بمعني
اين سه خصلت اورا عادت شود دل از مشغول بودن بغير خداي
دور دارد وخامه ذكر از لوث دنيا دور دارد وسر خود را بزينت
بندگي اراسته دارد وقيل سال شقيق البلخي جعفر بن محمد الصادق عن الفتوه
فقال ما تقول انت فقال شقيق يا بن رسول الله ان اعطانا شكرنا وان منعنا
صبرنا فقال جعفر الكلاب عندنا بالمدينه كذلك تفعل فقال شقيق يا بن رسول الله
ما الفتوه فقال ان اعطينا اثرنا وان منعنا صبرنا قوله تعالى فاتوا به على
اعين الناس لعلهم يشهدون وفي قوله لعلهم يشهدون وجهان احدهما انهم
كرهوا ان ياخذوه بغير بينه فارادوا ان يجيئوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون
عليه بما قاله فيكون ذلك حجه عليه والثاني لعلهم يشهدون فيبصرون ما يصنعون به
فيكون ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله قوله تعالى قالوا انت فعلت
هذا واعلم ان الكلام حذفا وهو فاتوا به فقالوا له انت فعلت طلبوا منه بلغ مع
الاعتراف بذلك ليقدموا على ايذايه فظهر منه ما تغلب له الامر عليهم حتى تمنوا
التخلص منه فقال بل فعله كبيرهم هذا وغرضه منه اظهار جهلهم في عباده
الاوثان فان قيل قوله بل فعله كبيرهم كذب والجواب للناس فيه قولان
الاول انه ليس بكذب وهو قول جمهور المحققين وذكروا في الاعتذار عن ذلك
وجوها الاول ان قصد ابرهيم ما كان ان ينسب ذلك الفعل الى الصنم وانما

قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريض وهذا كما لو قال لك
صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت مشهور بحسن الخط انت كتبت
هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسد فقلت له
بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك
واثباته للامي او المخرمش لان اثباته للامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به
واثبات للقادر والثاني ان ابرهيم عليه السلام غاضته تلك الاصنام حين
ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيضه من كبيرها اشد لان تعظيم القوم له كان
اكثر فاسند الفعل اليه لانه هو السبب في اقدامه على كسرها والفعل
كما يسند الى مباشره فقد يسند ايضا الى الحامل عليه والثالث ان يكون ذلك
حكاية لما يلزم على مذهبهم كانه قال لهم تنكرون ان يفعل كبيرهم فان من حق
من يعبد ويدعى الها انه يقدر على هذا وعلى اشد من هذا . الرابع انه كناية
عن غير مذكور اي فعله من فعله وكبيرهم ابتدا الكلام وعن الكسائي انه
كان يقف عند قوله بل فعله ثم يبتدي كبيرهم هذا . الخامس يجوز ان
يكون فيه وقفا عند قوله كبيرهم ثم يبتدي فيقول هذا فسلوهم والمعنى
بل فعله وعنى نفسه لان الانسان اكبر من كل صنم والسادس ان يكون في
الكلام تقديم وتاخير كانه قال بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون
فيكون اضافة الفعل الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا
ناطقين امتنع كونهم فاعلين وقرا محمد السميفع فعله كبيرهم يعني فعله
الى فعل الفاعل كبيرهم والقول الثاني وهو قول طائفة من اهل الحكاية ان ذلك
كذب واحتجوا بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابرهيم الا ثلث
كذبات كلها في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لساره
هي اختي وفي خبر احوال اهل الموقف اذا سالوا ابرهيم الشفاعة قال اني
كذبت ثلث كذبات وهذا القول باطل اما الخبر الذي رووه فلان يضاف

الكذب الى الرواة اولى من ان يضاف الى الانبياء صلوات الله عليهم والدليل القاطع
عليه انه لو جاز الكذب على الانبياء لمصلحة وباذن الله تعالى فيه فليجوز هذا
الاحتمال في كل ما اخبروا عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع ثم ان ذلك الخبر
لو صح فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلام ان في المعاريض
لمندوحة عن الكذب واما قوله اني سقيم فلعله كان به سقم او يكون ذلك محمولا
على انه سيصير كذلك كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون اما قوله تعالى
فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون ففيه وجوه الاول ان ابرهيم عليه السلام
نبههم على قبح طريقتهم تنبهوا فعلموا ان عبادة الاصنام باطلة وانهم على
جهل وغرور الثاني قال مقاتل فرجعوا الى انفسهم فلاموها وقالوا انتم الظالمون
لابرهيم حيث يزعمون انه كسرها مع ان الفاس في رقبة الصنم الكبير والثالث
انتم الظالمون لانفسكم حيث سالتموه عن هذا السوال حتى انه اخذ يستهزئ بكم
في الجواب اما قوله تعالى ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلا ينطقون
فقال صاحب الكشاف نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه وفي المعنى وجوه
الاول انهم لما تفكروا وعلموا انهم هم الجاهلون والظالمون ثم نكسوا ا
وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا في المجادلة بالباطل وتقريروا ان هذه
الاصنام مع انها غير ناطقة فهي الهة معبودة والثاني انهم انقلبوا على
رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم من الخجالة والانكسار عن كلام ابرهيم والثالث قال
ابن جرير ثم نكسوا على رؤسهم معناه انهم احتجوا على ابرهيم بما هي الحقيقة حجة
عليهم فقالوا لقد علمت ما هؤلا ينطقون فاقروا بهذا الكلام للحيرة التي
لحقتهم والمعنى نكست حجتهم فاقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم اما قوله تعالى
افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون الله
افلا تعقلون فالمعنى ظاهر والكلام الذي ذكره ابرهيم عليه السلام
لابيه وقد سبق شرحه ثم يحتمل انه قال لهم ذلك وقد عرفوا صحة قوله

ويحتمل انه قال لهم ذلك وقد ظهرت الحجة وان لم يعقلوا وهذا هو الاقرب
لقوله تعالى افتعبدون ولقوله افلا تعقلون وقوله تعالى قالوا حرقوه
وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين واعلم انه ليس في القران من القايل هذا القول
والمشهور انه نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح
وقيل ان الذي قال حرقوه رجل اسمه هيون فخسف الله به الارض فهو يتجلجل
فيها الى يوم القيامة واما كيفية القصة فقال مقاتل لما عزم القوم على احراقه
حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة وذلك هو قوله تعالى قالوا ابنوا له
بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى ان المراة لو مرضت قالت
ان عافاني الله لاجمعن حطبا لابرهيم ثم نقلوا له الحطب على الدواب اربعين
يوما فلما اشتعلت النار واشتدت وصارت بحيث لو مر الطير في
اقصى الهوا لاحترق ثم اخذوا ابرهيم ورفعوه على راس البنيان وقيدوه
ثم اتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السما
والارض ومن فيهما من الملايكة الا الثقلين صيحة واحدة يا ربنا ليس في ارضك احد
يعبدك غير ابرهيم وانه يحرق فيك فاذن لنا في نصرته فقال سبحانه وتعالى
ان استغاث بكم فاغيثوه وان لم يتمسك الا بي فانا وليه وكافيه
فلما ارادوا القاه في النار اتاه خازن الرياح فقال ان شئت طيرت النار
في الهوا وجا ملك البحار وقال ان شئت سلطت البحار على هذه النار وجا
ملك السحاب فقال ابرهيم عليه السلام لا حاجة لي اليكم فلما وضع في المنجنيق
ورمي به قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك
فجاه جبريل عليه السلام وقال يا ابرهيم هل من حاجة اما اليك فلا قال فاسال
ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي فقال تعالى يا نار كوني بردا وسلاما
على ابرهيم قال ابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما لمات ابرهيم من بردها
قال ولم يبق يومئذ في الدنيا نار الا وطفئت واخذت الملائكة بضبعي

تال صح

ابرهيم واقعدوه في الارض فاذا عين ما عذب وورد احمر ولم تحرق النار
منه الا وثاقه وبعث الله اليه ملك الظل فقعد الى جنبه يونسه واتاه
جبريل بقميص من حرير من الجنة وقال يا ابرهيم ان ربك يقول لك اما علمت
ان النار لا تضر احبابي ويقال انه عليه السلام بقي في ملك النار اربعين يوما
او اكثر ثم ان نمروذ نظر من صرح له واشرف على ابرهيم عليه السلام فراه
جالسا في روضة وراى ملكا قاعدا الى جنبه فناداه نمروذ يا ابرهيم هل تستطيع
ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي حتى خرج منها فلما خرج
منها قال له نمروذ من الرجل الذي رايته معك قال ذاك ملك الظل ارسله ربي
ليونسني فيها فقال نمروذ اني متقرب الى الهك بالقرابين لما رايت من قدرته فيما
صنع بك واني ذابح له اربعة الف بقرة فقال ابرهيم عليه السلام لا يقبل الله منك
ما دمت على دينك فقال يا ابرهيم لا استطيع ترك ملكي ولكني اذبح له ثم كف
عن ابرهيم عليه السلام ثم ها هنا لطايف اللطيفة الاولى حصل هناك ناران
نار الدنيا ونار حب المولى فظنوا ان نار الدنيا محرقة لكن نار محبة المولى اقوى
فهذه النار ابطلت نار نمروذ هكذا يكون يوم القيامة فان جميع الخلق
يحلون جهنم كما قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا
فيجتمع هناك نار جهنم ونار حب المولى ثم ان نار المحبة تبطل نار جهنم
وتدفعها كما قال تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا
وقال عليه السلام حاكيا الثانية ان ابرهيم عليه السلام قال من الظاهر
الشمس والقمر هذا ربي فالقاه الله تعالى في النار ثم لما كان ذلك القول صورة
بلا معنى لا جرم صير الله تعالى هذه النار صورة بلا معنى وذلك ينبه على ان
كل من قال هذا القول فانه لا يتخلص عن النار الثالثة الملائكة قالت ونحن نسبح
بحمدك ونقدس لك فصاروا ممتحنين بتسبيحهم فالقى الله تعالى خليله في النار حتى
يسبح بتخلله من وسط النار يقول حسبي الله ونعم الوكيل فقال الحق انتم تسبحون

في وسط الرحمة والراحة وهو يسبح في وسط النار ليظهر حكمة قوله اني اعلم
ما لا تعلمون الرابعة ان ابرهيم عليه السلام كان ابدا يخاف النار ويقول
ابدا اوه من النار ولهذا قال تعالى ان ابرهيم لحليم اواه فقيض الله تعالى نمروذ
وقال انه اجج نارا عظيمة والقى ابرهيم فيها حتى جعل النار بردا وسلاما على ابرهيم
لكي يعلم ان ابرهيم ان الخوف ليس من النار بل من خالق النار الخامسة من كنت معه
برحمتي جعلت النار له كما في حق ابرهيم ومن كنت حربا عليه جعلت الما له نارا
كما في حق فرعون اغرقوا فادخلوا نارا السادسة ان ابرهيم عليه السلام لما
ناظر في الملكوت قال لا احب الافلين ثم ناظر مع الملك فقال فان الله ياتي بالشمس
من المشرق ثم ناظر مع ابيه فقال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا
ثم ناظر مع القوم فقال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن ثم ناظر معهم
بالمعاملة فكسر الاصنام وجعلها جذاذا ثم لما القي في النار قال حسبي الله فلما
قال له جبريل عليه السلام الك حاجة قال اما اليك فلا قال له سل ربك قال حسبي من
سوالي علمه بحالي فلما انتهى الى هذا الحد كانه خرج من طبع البشر بالكلية
وصار ملكا مقربا فالحق تعالى قال ان ابرهيم انسلخ عن طبيعة البشرية فيا نار
انت ايضا انسلخي من طبيعتك وكوني بردا وسلاما على ابرهيم واحدا بواحد
السابعة لما القي ابرهيم عليه السلام في النار ظن الملائكة كلهم ان النار تحرقه
وظن ملك المطر والرياح والسحاب ذلك فعرضوا انفسهم عليه فلم يلتفت ابرهيم
اليهم وكان قلبه مشغولا برحمة ربه فقال تعالى علمي في الاشياء غير علمكم
فانتم تنظرون الى ظاهر ابرهيم ولا تعرفون باطنه وانا اعرف ظاهره وباطنه
وانتم تنظرون الى ظاهر النار فتظنون منها الاحتراق والفساد وانا اعلم
ظاهرها وباطنها والان قد انكشف انكم لا تعلمون باطن ابرهيم لانه لم يلتفت
الى احد منكم وحب الحاجة وساكشف لكم انكم لا تعرفون باطن النار يا نار كوني
بردا وسلاما على ابرهيم حتى تعلموا ايها الملائكة انه لا عبرة بظواهر الاشيا

وان حقايقها لا يعرفها احد غيري فحينئذ نظهر لكم صدق قولي اني اعلم
ما لا تعلمون وكذلك كنتم وانتم من ظواهر بني ادم الشهوة والفساد والقتل
وكنت اری من بواطنهم العلم والحكمة والعبودية والثامنة كان الحق سبحانه
قادرا على ان يمنع نمروذ عن ذلك العمل من اول الامر لكنه تعالى اراد ان يظهر
للملائكة انقطاع ابرهيم الى الله واعراضه عن كل الوسايط والاسباب لان
ابرهيم ادعى هذه البراة بقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين وفي قوله لا احب
الافلين وفي قوله وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وفي قوله وما انا
من المشركين وفي قوله ومحياي ومماتي لله رب العالمين وفي قوله اسلمت لرب العالمين
وكل هذه الاقوال يدل على انه بلغ من مقام الرضا بقضا الله الغاية القصوى
وكان الحق عالما بصدقه في هذه الدعاوى فلم يمنع نمروذ عن عمله ليظهر
للملائكة صدق ابرهيم في هذه الدعاوى وتبين للخلق بانه فني عما سوى الله ولم
يتولد حيوة ولا قوة له الا بالتوجه الى حضرة الله التاسعة قال بعضهم نار الدنيا
احقر من ان يخاطبه الله تعالى لكنه خاطبه مع نار المحبة ونار المعرفة فقال كوني
بردا وسلاما على ابرهيم والغرض ان لا يعني ابرهيم بالكلية في نار المعرفة والمحبة
العاشرة يتوجه ههنا سوالان السوال الاول ان ابرهيم لم يخف من النار
وموسى خاف من العصا حين صارت حية لقوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة
موسى والجواب لان انقلاب العصا حية فعل الخالق ونار نمروذ فعل المخلوق
والرسول المعصوم يخاف الله ولا يخاف غير الله والسوال الثاني لم لم يحصل
لمحمد صلى الله عليه وسلم مثل هذه الواقعة والجواب بل وقعت قال تعالى الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل كما انقلب الخليل بنعمة من الله وفضل
واعلم ان هذه الكلمة وهي قوله حسبي الله ونعم الوكيل تفيد النجاة من الهموم
والغموم وعن عبد الله بن طلحة الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند همه

او غمه عنه فراق حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
اذهب الله همه وغمه ومن سلم على فراق فكانما اعتق رقبه وكان لفتح
الموصلي اربع مايه درهم عند صديق له يتجر فيه فارسل الى الصديق ان احمل
الي المال فقال وهل ظهرت مني خيانه فقال لا ولكن احملها الي فحملها اليه
فتصدق بها على المساكين ثم جلس فريدا وحيدا وقال لا احب ان يكون اعتمادي
على شي غير الله حسبي الله ونعم الوكيل ولما قرب وفاه ابي يزيد قال لاصحابه
اني على ثمانون سنه اشتهي ان اقول مره حسبي الله لم اقدر عليه فقالوا وكنا
نظن انه تمر بك ساعه الا ولسانك رطب من ذكر الله فقال لم اقل ذلك لاني لو
قلت حسبي الله ثم ملت الى الدنيا والاخره يقول الله تعالى لي كذبت يا ابا يزيد
لو كنت انا حسبك لما اشتغلت بغيري وقوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا
وسلاما على ابرهيم ففيه مسايل المسله الاولى قال ابو مسلم الاصفهاني في تفسير
قوله قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم المراد ان الله تعالى جعل النار بردا
وسلاما لا ان خطاب الجماد لا يجوز لا ان هناك كلام كقوله كن فيكون اي
يكونه لا ان هناك امر وكلام والاكثرون على انه حصل القول ثم هاولاي
لهم قولان احدهما وهو قول السدي ان القايل هو جبريل عليه السلام
والثاني وهو قول الاكثرين ان القايل هو الله تعالى وهذا هو اللايق
بالظاهر المسله الثانيه ذكروا في كيفيه برد النار وجوها الاول ان الله تعالى
ازال عنها ما كان فيها من الحر والاحراق وابقى ما فيها من الاضاة والاشراق
والله على كل شي قدير والثاني انه تعالى خلق في جسم ابرهيم عليه السلام كيفيه مانعه
من وصول اذى النار اليه كما يفعل بخزنه جهنم في الاخره والثالث انه تعالى
خلق بينه وبين النار حايلا يمنع من وصول اثر النار اليه وقال المحققون
والاول اولى لان ظاهر قوله يا نار كوني بردا اي نفس النار صارت بارده
حتى سلم عليه السلام من تاثيرها لا ان النار بقيت كما كانت واعلم ان كثيرا

من جهال الاطبا والطبيعيين ينكرون هذه الحاله ويقولون من المستحيل
زوال صفه الاحراق عن جرم النار وهذا قول باطل ويدل عليه وجوه
الحجه الاولى ان الاجسام متماثله فكما ان جسم الما يقبل البرد والرطوبه
فكذى جسم النار موصوف بالحر واليبس فكذى جرم الما قابل لهما واذا كان
الامر كذلك ثبت انه يمكن انقلاب الما نارا وانقلاب النار ما فثبت ان هذا في
نفسه ممكن الوجود وثبت ان للعالم صانعا قادرا على جميع الممكنات
فوجب القطع بكونه تعالى قادرا تبريد الما الحجه الثانيه انا نشاهد شعله النار
اذا تصاعدت انطفت ولا معنى لذلك الانطفا الا ان الجرم اللطيف الهوايي
حين كان موصوفا بالاشراق والاحراق كنا نشاهدها فاذا تصاعدت زال
عنها صفه الاشراق والاحراق فصار هوا واذا كان الامر كذلك علمنا ان
الجرم الموصوف بالاشراق والاحراق لا يبعد في العقل زوال هاتين الصفتين
عنه فثبت ان انقلاب جرم النار الى البرد امر جايز ممكن الوجود الحجه الثالثه
انا اذا اسددنا منفذ الكير والحنا عليه بالنفخ فانه تشتعل النار فيه وما ذلك
الا لان الهوا المحتقن داخل الكير يسخن بسبب الحاح النفخ فيه فاذا قوي السخ
اشتعل نارا فعلمنا ان الهوا يمكن ان ينقلب نارا واذا امكن انقلاب الهوا
نارا امكن ايضا انقلاب النار هوا باردا الحجه الرابعه ان اهل الطبايع يقولون
الحيوانات والنبات انما تتولد من امتزاج الطبايع الاربع واذا كان كذلك
لزمهم الاعتراف بان جرم النار موجود في ابدان النبات والحيوان وما ذاك
الا ان جرم النار انكسرت حرارته وحصلت فيها حراره معتدله لايقه
بابدان الحيوانات والنبات واذا كان الامر كذلك ثبت ان حراره النار مع
بقايها نارا قابله للانكسار واذا كان الامر كذلك ثبت ان انقلاب النار
بردا وسلاما امر ممكن الوقوع في نفسه الحجه الخامسه ان عند الاطبا
القوه الجاذبه والقوه الهاضمه انما تقوى على افعالها بمشاكله الحراره

الغريزية وزعموا ان الحرارة الغريزية عبارة عن الجوهر الناري الذي صار
جزوا من بدن الحيوان ومن المعلوم ان هذه الحرارة الغريزية غير محرقة
فعلمنا ان على قولهم النار تقبل الانكسار في الحر الحجة السادسة
انا نشاهد ان النعامة تبلع الحديدة المحماة وان السمندل يعيش في النار
ولا تحترق بها البتة واذا كان هذا ممكنا في الحيوان الخسيس فاي عاقل
يستبعد ذلك من قدرة الله تعالى في حق الرسول عليه السلام الحجة السابعة
انا نرى ان النار مستولية على جميع احراق الاحجار كلها والاجساد الا حجرا
واحدا وهو سلطان الاحجار كلها وهو الياقوت وجسدا واحدا هو
سلطان الاجساد وهو الذهب والسبب في انه لا ولاية للنار على هذا الحجر
وهذا الجسد هو ان هذا الحجر والجسد من الاشيا المنسوبة الى الشمس
فاذا حصل في الاحجار والاجساد حجر وجسد لا ولاية للنار عليهما بسبب
انتسابها الى الشمس فكيف يستبعد ان يحصل في النوع البشري شخص
لا يكون للنار ولاية عليه بسبب مزيد اختصاص له بحضرة خالق الشمس
والقمر وبالجملة فكل من حصر اسرار قدرة الله وحكمته على مقدار ما الفه
وشاهده كان عن المعقول خارجا في تيه الجهل والجنا[?] اما قوله وسلاما على
ابرهيم فالمعنى ان البرد اذا افرط اهلك كما ان الحر كذلك بل لا بد في الكل من
الاعتدال ثم الى تحصيل الاعتدال في الكيفيات طرق احدها ان يقدر الله
حرها وبردها بالمقدار الذي لا يوذي ولا يفسد والثاني ان يحصل بعض
اجزا النار بردا وبعضها يترك على حرارته فيحصل سلم من ذلك البرد الشديد
بل ينتفع به ثم ها هنا سوالات الاولى هل كل النيران في ذلك الوقت بتلك
الصفة والجواب المذكور في القران اسم الماهية فيلزم حصول هذا
البرد في الماهية ويلزم منه عمومه في كل افراد الماهية وقيل بل اختص
هذا الخطاب بتلك النار والمعجز على هذا التقدير اعظم لان اختصاص تلك

النار المعينة بهذه الحالة تدل على ان المقصود رعاية حال ابرهيم عليه السلام
السوال الثاني هل يجوز ما روي عن انه تعالى لو لم يقل سلاما لاهلك البرد ابرهيم
والجواب هذا بعيد لان برد النار لم يحصل منها وانما حصل من جهة الله تعالى
فهو القادر على الحر والبرد السوال الثالث هل يجوز ان يقال انه كان في النار
انعم عيشا منه ساير احواله الجواب لا يمتنع ذلك لما فيه من مزيد النعم عليه
ويجوز ايضا ان يقال انه انما صار انعم عيشا هناك لعظم ما ناله من السرور
بخلاصه من ذلك الامر العظيم ولعظم سروره بسبب خيبة اعدايه وظهور
دلايل دين الله اما قوله تعالى وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين والمعنى
ارادوا ان يغلبوه فصاروا مغلوبين غالبوه بالجدال فلقنه الله الحجة
المسكتة ثم عدلوا الى القوة فخلصه الله من عذابهم قوله ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين وفي الاخبار ان هذه الواقعة كانت في حدود بابل
فنجاه الله من تلك البقعة الى الارض المباركة واختلفوا فيها فقيل انها مكة
لقوله تعالى الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله والسبب في بركتها في الدين
لان اكثر الانبيا صلوات الله عليهم بعثوا منه وانتشرت شرايعهم واثارهم
الدينية منه واما في الدنيا فلانه تعالى بارك فيها بكثرة الما والشجر والثمر والخصب
وطيب العيش وقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا
صالحين وجعلناهم ايمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة
وايتا الزكاة وكانوا لنا خاشعين اعلم انه تعالى بعد ان ذكر انعامه على ابرهيم
وعلى لوط عليهما السلام بان نجاهما الى الارض المباركة اتبعه بذكر ساير النعم
التي اختص ابرهيم عليه السلام بها وهو قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة
والنافلة العطية الخاصة وكذلك النفل وسمي الرجل الكثير العطا نوفلا وللمفسرين
ها هنا قولان الاول قال ابن عباس وابي بن كعب ان ابرهيم عليه السلام لما
سال الله ولدا وهو قوله رب هب لي من الصالحين فاجابه الله دعاه ووهب

لاسحق واعطاه يعقوب من غير دعايه فكان ذلك نافله كالشي المتطوع
به من الادميين فكانه قال ووهبنا له اسحق اجابة لدعايه ووهبنا له يعقوب
نافلةً على ما سال كالصلاة النافله التي هي زياده على الفرض وعلى هذا
القول يكون النافله هو يعقوب عليه السلام خاصه والقول الثاني ان
القول هاهنا مصدر من وهبنا وهو مصدر من غير لفظ الفعل ولا فرق
بين ذلك وبين قوله ووهبنا له هبه اي وهبنا هماله عطيةً وفضلا من غير
ان يكون جزا مستحقا وهذا الوجه اقرب لانه تعالى جمع بينهما ثم ذكر
قوله نافله ولما صلح ان يكون وصفا لهما فهو اولى والنعمه الثانيه قوله تعالى
وكلا جعلنا صالحين اي وكلاً من ابرهيم واسحق ويعقوب انبيا مرسلين
وقال اخرون عاملين بطاعه الله مجتنبين محارمه وهذا الوجه اقرب
لان لفظ الصلاح يتناول الكل ولانه تعالى قال بعد هذه الايه واوحينا
اليهم فعل الخيرات ولو حملنا الصلاح على النبوه لزم التكرار واحتج اصحابنا
بهذه الايه على ان افعال العباد مخلوقه لله تعالى لان قوله وجعلنا هم
صالحين يدل على ان ذلك الصلاح من قبله واجاب الجبايي بانه لو كان كذلك
لما مدحهم على كونهم صالحين وعلى كونهم ايمةً وعلى كونهم عابدين ولما
اثني عليهم بسبب هذه الخصال ولما مدحهم بسبب هذه الخصال علمنا انها
افعالهم واذا ثبت ذلك فلا بد من التاويل وهو من وجهين الاول ان يكون
المراد انه سبحانه اعطاهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا لاجله والثاني
ان المراد ان الله تعالى سماهم بذلك كما في زيد انه فسق فلانا وضلله
وكفره اذا وصفه بذلك وكان مصدقا عند الناس وكما يقال في الحاكم
انه زكى فلانا وعدله اذا احكم بذلك واعلم ان هذه الوجوه مختلفه اما
اعتمادهم على المدح والذم فسيجي الجواب عنه ان شا الله تعالى واما الحمل
على اللطف فباطل لان فعل الالطاف عام في حق المكلفين فلا بد في هذا

التخصيص من مزيد فايده وايضا فلان قوله جعلته صالحا كقولته جعلته
متحركا فحمله على تحصيل شي سوى الصلاح ترك الظاهر واما الحمل على التسميه
فهو مجاز اقصى ما في الباب انه قد يصار اليه عند الضروره في بعض
المواضع وهاهنا لا ضروره فيه وايضا انه تعالى لما اخبر عنه كان وقوعه
واجبا والا لزم انقلاب خبره الصدق كذبا وانقلاب علمه جهلا وذلك محال
والمفضي الى المحال محال النعمه الثالثه قوله تعالى وجعلناهم ايمه يهدون
بامرنا وفيه قولان احدهما جعلناهم ايمه يدعون الناس الى دين الله
والطاعات بامرنا الثاني قول ابي مسلم ان هذه الامامه هي النبوه واحتج
اصحابنا بهذه الايه على امرين احدهما في مسله خلق الافعال على ما قدمنا
تقريره والثاني ان الدعوه الى الحق والمنع عن الباطل لا يجوز الا بامر الله تعالى
لانه لو لم يكن الامر معتبرًا لما كان في قوله بامرنا فايده النعمه الرابعه
قوله واوحينا اليهم فعل الخيرات وهذا يدل على انه تعالى خصهم بشرف النبوه
وذلك من النعم على الاب ثم انه تعالى كما بين اصناف نعمته عليهم بين بعد
ذلك اشتغالهم بعبوديته فقال وكانوا لنا عابدين كانه سبحانه لما وفى
بعهد الربوبيه في الاحسان والانعام فهم ايضا وفوا بعهد العبوديه
وهو الاشتغال بالطاعه والعبوديه والله اعلم واحكم بالصواب واليه
المرجع والماب

الفصل الخامس

في مناظرة اخرى لابرهيم عليه السلام وفي تقرير التوحيد قال تعالى في سوره
الشعرا واتل عليهم نبا ابرهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون قالوا نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين اعلم انه تعالى ذكر في اول هذه السوره شده
حزن محمد صلى الله عليه وسلم على كفر قومه وهو قوله تعالى لعلك باخع نفسك
ان لا يكونوا مومنين ثم انه تعالى ذكر قصه موسى عليه السلام ليعرف
محمدًا صلى الله عليه وسلم ان مثل تلك المحنه كانت حاصله لموسى ثم ذكر

عقيبها قصة ابرهيم ليعرف محمد صلى الله عليه وسلم ان حزن ابرهيم بهذا السبب
كان اشد من حزنه لان من عظم المحنة على ابرهيم عليه السلام ان يرى اباه
وقومه كانهم في النار وهو لا يتمكن من انقاذهم فقال لهم ما تعبدون
وكان ابرهيم عليه السلام يعلم انهم عبدة الاوثان ولكنه سالهم ليريهم
ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شي كما يقال للتاجر ما مالك وانت
تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق جمال وليس بمال ثم انهم اجابوا ابرهيم
بقولهم نعبد اصنامًا فنظل لها عاكفين والعكوف الاقامة على الشي
وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل واعلم انهم
كانوا يكفيهم في الجواب ان يقولوا نعبد اصنامًا ولكنهم ضموا اليه
زيادة على الجواب في قولهم فنظل لها عاكفين وانما ذكروا هذه الزيادة
اظهارًا للابتهاج ولا فتخار بعبادة الاصنام فقال ابرهيم عليه السلام
منبهًا على فساد مذهبهم هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون
وهذه هي الحجة التي ذكرناها في سورة مريم وشرحناها بالاستقصا
فعند هذا قال القوم بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فاجاب ابرهيم عليه السلام
بقوله افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون وكل ذلك قد تقدم
تفسيره في الفصل الذي قبل هذا الفصل ثم قال فانهم عدو لي الا رب العالمين
فاعلم انه عليه السلام ما ذكر الا على الله بهذه الكلمة الواحدة ثم مدح الحق
بالفاظ كثيرة وفيه تنبيه على ان الاشتغال بعيب الاعدا اشتغال بالاعدا
وهو مانع من الله فكان تقليله اولى اهماله لا استقصا لحب ان يكون
الاشتغال بالثنا على الله وفيه سوالات السوال الاول كيف يكون الصنم
عدوا وهو جماد الجواب من وجوه قال تعالى في سورة مريم في صفة الاصنام
كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا قيل في تفسيره ان الله تعالى
يحيي ما عبدوه من الاصنام حتى يقع منهم التوبيخ لهم والبراءة منهم وعلى هذا

الوجه سيصير هذه الاوثان اعدا لهاولا الكفار في الاخرة فاطلق ابرهيم عليه السلام
لفظ العداوة على هذا التاويل الوجه الثاني في الجواب ان الكفار لما عبدوها
وعظموها فرجعوا اليها في طلب المنافع ودفع المضار نزلت بمنزلة الاحيا
العقلا في اعتقاد الكفار ثم انها صارت اسبابًا لانقطاع الانسان عن السعادة
ووصوله الى الشقاوة فلما جرت هذه الاصنام مجرى الحيا وجرى مجرى الدافع
للمنفعة والجالب للضرورة لا جرم جرت مجرى الاعدا والثالث ان المراد من قوله
فانهم عدو لي العابدون دون الاصنام التي هي المعبودة السوال الثاني
لم قال فانهم عدو لي ولم يقل فانها عدو لكم فالجواب انه عليه السلام صور
المسلة في نفسه على معنى اني فكرت في امري فرايت عبادتي لها عبادة العدو
فاجتنبها فاراهم انها نصيحة نصح بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ان ابرهيم ما نصحنا
الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعى للقبول السوال الثالث لم لم يقل فانهم اعدا
لي والجواب لفظ العدو والصديق يقع على الواحد وعلى الجماعة قال تعالى وهم
لكم عدو ثم قال ابرهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهديني واعلم انه تعالى لما حكى
عنه انه استثنى رب العالمين حكى عنه ما وصفه به ما يستحق العبادة لاجله
وهي اربعة انواع من الصفات الصفة الاولى قوله الذي خلقني فهو يهدين واعلم
انه تعالى اثنى على ذاته بهذين الوصفين فقال سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق
فسوى والذي قدر فهدى واعلم انا نفرض مثالا واحدًا ونحقق فيه معنى الخلق
والهداية فنقول الانسان مخلوق من قالب هو من عالم الخلق ومن قلب هو من عالم
الامر وتركيب البدن الذي هو من عالم الخلق مقدم على اتحاد الروح الذي هو من
عالم الامر على ما قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتسوية اشارة الى
تركيب المزاج وتعديل الاشباح ونفخ الروح اشارة الى اللطيفة الربانية النورانية
وتمام هذا التقرير سيجي في تفسير قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
وبالجملة فالخلق اشارة الى تعديل البدن والهداية اشارة الى ابداع القوى المدركة

المركز فيه فثبت ان قوله خلقني فهو يهديني كلمة حاوية لجميع المنافع في الدنيا
وفي الدين ثم فيه دقيقة وهي انه قال خلقني وذكره بلفظ الماضي فقال فهو يهدين
ذكره بلفظ المستقبل والسبب فيه ان خلق الذات لا يتجدد ساعة فساعة بل لما
حصل بقي الى الامد المعلوم اما الهداية فهي امر متكرر في كل حين واوان سوا
كانت الهداية في الدنيا او في الدين فبين تعالى انه هو الذي خلقه في الماضي وانه
هو الذي يهديه في المستقبل في كل حين واوان الى وجوه المصالح بضروب
الهدايات الصفة الثالثة قوله والذي هو يطعمني ويسقين وقد دخل فيه كل ما يتصل
بمنافع الرزق وذلك لانه تعالى اذا خلق الطعام وملكه منه فلم لم يكن منه
ما يتمكن معه من اكله ولا اعتدابه نحو الشهوة والقوة والتمييز بما لم يكمل هذه
المنفعة وذكر الطعام والشراب ونبه على ما عداها وقال بعضهم يطعمني طعام
المعرفة ويسقين شراب المحبة وقيل الذي يطعمني طعام المناجاة ويسقيني
شراب الوصول الى الدرجات وها هنا بحث وهو انه روى الامام محمد
علي الحكيم الترمذي في كتاب نوادر الاصول عن عقبة بن عامر انه عليه السلام
انه قال لا تكرهوا مرضاكم على الطعام فان الله يطعمهم ويسقيهم واعلم ان
المرض بسبب الانقطاع عشق القلب على البدن لتواتر الالام والاوجاع عليه
وكلما كان العشق اقل كان حب الدنيا اقل ومرض القلب ليس الا حب الدنيا
فعلى هذا كلما كان مرض البدن اتم كان عود القلب الى الصحة اتم وكلما زاد
القلب طهارة عن اثر الذنوب سقم حب الدنيا كان شبع القلب باغذية المعرفة
وريه شراب المحبة اتم ومما يدل على ما قلنا ان اقل الناس اكلا الانبياء ثم الاوليا
فكلما كان العبد اكثر خطا من النفس كان اقل اكلا روي عن عامر بن عبد القيس
انه داوم شهرا لا ياكل شيئا وقال ابرهيم التيمي لقد اتى علي شهرا وما اكلت
طعاما ولا شرابا الا حبة عنب اكرهوني عليها وما انا بصائم واني لاقضي
حوائجي وقال عليه السلام الكافر ياكل في سبعة امعا والمومن في معا واحد

والمومن ايمانه يشبعه فمعنى قوله عليه السلام فان الله يطعمهم ويسقيهم انه يطهر
قلوبهم من الذنوب واذا اطهر قلوبهم من علايقهم بعد ذلك بالنفس فاشبعهم وارواهم
واذا اقوى القلب وابتهج بمعرفة ربه وصار فرحانا بخدمة ربه وبالمثول
في طاعته وبمجالسة الملائكة المقربين صار الجسد بحيث لا يحتاج الى الغذا الا ترى
ان الانسان اذا ناله فرح شديد صار بحيث ينسى الحاجة الى الطعام هذا كله كلام
الشيخ محمد علي الترمذي ثم قال وللقلوب مع الله شان لا يعرفه الا اهل القلوب
الصفة الرابعة قوله واذا مرضت فهو يشفين وقال الجنيد اذا مرضت لوحشة
الخلق شفاني بانس الحق وقال الشبلي اذا مرضت من همي الاشتياق شفاني بلذة
التلاق وفيه سوال وهو انه لما قال مرضت دون امرضني والجواب من وجوه الاول
ان المرض انما يحصل باستيلا بعض الاخلاط على بعض وذلك الاستيلا انما
يحصل بسبب ما بينها من التنافر الطبيعي اما الصحة فهي انما تحصل عند بقا الاخلاط
على اعتدالها وبقاها على اعتدالها انما يكون بسبب قاهر يقهرها على الاجتماع
وعودها الى الصحة انما يكون ايضا بسبب قاهر يقهرها على العود الى
الاجتماع والاعتدال بعد ان كانت بطباعها مشاقة الى التفرق والنزاع فاذن
حدوث المرض انما كان بسبب طبايع الاخلاط وحدوث الصحة انما كان بسبب
ان الله سبحانه قهرها على الاجتماع والاعتدال والثاني وهو ان الشفا من اعظم
نعم الله على الانسان والمرض ليس كذلك ومن عادة الله تعالى ان كل ما كان منفعة
ولذة فانه لا يضيفه الى نفسه وكل ما كان الما فانه لا يضيفه الى نفسه الا ترى انه
قال كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال كتب في قلوبهم الايمان ولما ال الامر الى
المشقة ما اضافها الى نفسه فقال كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام
ولما كانت عادة الله جارية برعاية هذه الدقيقة لا جرم ان ابرهيم عليه السلام
اعتبر هذا المعنى فاضاف المرض الى نفسه والشفا الى الله تعالى فان قيل فقوله
والذي يميتني ثم يحيين فاعلم ان الموت سبب لخلاص الروح عن زحمة البدن

ولا اتصال لحضرة الله تعالى ورحمته فكيف بعد ذلك من المكاره ولهذا قال عليه السلام
من بشرني بخروج صفر بشرته بالجنة والسبب انه عليه السلام كان عالما بان وفاته
تقع في شهر ربيع الاول فكان شديد الاشتياق اليه اما المرض فانه لا يخلص
الروح فيه عن البدن بل يسعى في الرحمة والثالث ان غرض الخليل عليه السلام في هذا
المقام اظهار لسان الشكر لا اظهار لسان الشكوى واضافة المرض الى الله تعالى
شكاية فاضاف المرض الى نفسه والشفا الى الله ليكون ابلغ في الشكر
الصفة الرابعة قوله والذي يميتني ثم يحيين وقد شرحنا في تفسير قوله والذي خلق
الموت والحياة وفي تفسير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
الصفة الخامسة قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وهو اشاره
الى ما هو المطلوب لكل عاقل من الخلاص عن العذاب والفوز بالنجاة واعلم
ان ابرهيم عليه السلام جمع في هذه الالفاظ جميع نعم الله من اول الخلق الى اخر الابد
في الدار الاخرة وها هنا سوالات السوال الاول لم قال اطمع والطمع عبارة
عن الرجا وانه عليه السلام كان قاطعا بذلك والجواب من وجوه ثلثة الاول ان هذا
الكلام لا يستقيم الا على مذهبنا حيث قلنا انه لا يجب لاحد على الله شي والثاني
لعله عليه السلام قال هذا الكلام قبل النبوة والثالث غرضه بموافقة كلام الله في
قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فلما علق الله تعالى ذلك بالمشية وافقه
الخليل فعلقه بالطمع وهذا من غاية حسن الادب السوال الثاني لم اسند
الخطيئة الى نفسه مع ان الانبيا منزهون عن الخطايا والجواب لعله ذكر هذا
الكلام قبل النبوة او هو محمول على ترك الاولى السوال الثالث لم علق
مغفرة الخطية بيوم الدين وهو تعالى انما يغفر في الدنيا والجواب لان
اثر هذا الغفران انما يظهر يوم الدين السوال الرابع ما فايدة لي في قوله
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والجواب من وجوه ان الجود افادة ما ينبغي
لا لعوض وهذا هو صفة الحق فقط اما كل من سواه فله فيه عرض فان الاب

طمع

اذا عفى عن ولده والسيد اذا عفى عن عبده فذاك انما يكون لطلب الثواب وللخوف
عن العقاب او لطلب المدح والثنا او لدفع الرقة الخسيسة عن القلب واذا كان
كذلك لم يكن المقصود من العفو رعاية جانب المعفو عنه بل رعاية جانب
النفس اما لتحصيل ما ينبغي او لدفع ما لا ينبغي اما الحق تعالى فانه كامل
لذاته فيمتنع ان يحصل له صفة كمال لم يكن او يزول عنه صفة نقصان كان
واذا كان كذلك لم يكن عفوه الا لرعاية جانب المعفو عنه فقوله والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يعني هو الذي اذا غفر كان غفرانه لي ولاجلي لا لاجل
امر عايد اليه البتة والثاني كانه يقول الهي خلقتني لالي ولاجلي لانك
حين خلقتني ما كنت موجودا واذا لم اكن موجودا استحال تحصيل شي
لاجلي ثم مع هذا فانت قد خلقتني اما لو عفوت كان ذلك العفو لاجلي
فلما خلقتني اولا مع اني كنت محتاجا الى ذلك الخلق ولان تعفو الي
ولاجلي مع اني لا في نهاية الاحتياج الى العفو كان اليق بفضلك ورحمتك
الثالث ان ابرهيم عليه السلام كان لشدة استغراقه في بحر المعرفة شديد الفرار عن
الالتفات الى الوسايط ولذلك قال لجبريل الك حاجة قال اما اليك فلا فها هنا
قال اطمع ان يغفر لي خطيئتي بمجرد اني عبدك ومحتاج اليك وخاضع بين يديك
لا ان يغفرها لي بواسطة شفاعة شافع واعلم ان الاحوال ثلثة اما الماضي
او الحاضر او المستقبل وقد ذكر الخليل عليه السلام نعم الله تعالى عليه في هذه
الاحوال الثلثة اما في الماضي فهو قوله الذي خلقني فهو يهدين واما في الحاضر
فهو قوله والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين واما في
المستقبل فهو اما في الدنيا واما في الاخرة اما في الدنيا فهو قوله والذي يميتني
ثم يحيين واما في الاخرة فهو قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
فما احسن هذا الترتيب وقوله تعالى رب هب لي حكما والحقني بالصالحين
اعلم ان كل ما مضى ثنا على الله تعالى وقوله رب هب لي حكما دعا وتقدم الثنا

على الدعا واجب بحكم النقل والعقل اما النقل فكما في هذه الاية وايضا روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم عن رب العزة انه قال من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته
افضل ما اعطي السايلين واما العقل فهو ان الداعي اذا قدم الثنا على الله تعالى
استنار روحه بمعرفة الله واتصل قلبه بعالم الالهية وسرادقات الصمدية
ومقامات الفردانية وارتفعت الحجب وتلالات انوار الالهية في القلب فيصير
القلب كالقمر اذا وقع في مقابلة الشمس فيكمل نوره واذا كمل نوره قوي تاثيره
فاذا اتبعه بالدعا وصارت تلك القوة الحاصلة بسبب الذكر والثنا
معينا على تحصيل المطلوب فلهذا المعنى وجب تقديم الثنا على الدعا كما فعله
الخليل عليه السلام في هذا المقام فان قيل لم يقتصر ابرهيم عليه السلام على الثنا فان
الدعا اشتغال لطلب الحصة وهو مانع من الاستغراق لا سيما روي عنه
انه قال حسبي من سوالي علمه بحالي والجواب انه في هذا الكلام كان مشغولا
بدعوة الخلق الى الحق بدليل انه قال هاهنا فانهم عدو لي الا رب العالمين
فلا جرم ذكر الثنا اولا ثم الدعا ثانيا لاجل تعليم الخلق اما لما خلى بنفسه
اقتصر على الثنا وهو قوله حسبي من سوالي علمه بحالي واعلم ان ابرهيم عليه السلام
طلب من الله تعالى انواعا من المطالب المطلوب الاول قوله رب هب لي حكما
والحقني بالصالحين ولقد اجابه الله اليه حيث قال وانه في الاخرة لمن الصالحين واعلم
ان النفس الانسانية لها قوتان قوة نظرية عاقلة وقوة عملية فاعلة فالقوة
النظرية عبارة عن القوة التي باعتبارها تقبل الجلايا القدسية عن عالم الغيب
والقوة العملية عبارة عن القوة التي باعتبارها تقوى على تدبير هذا البدن
وذلك لان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به فقوله
هب لي حكما اشارة الى سعادة القوة النظرية وقوله والحقني بالصالحين
اشارة الى سعادة القوة العملية وانما قدم سعادة القوة النظرية على
سعادة القوة العملية لان القوة النظرية مقدمة على القوة العملية بالشرف

وبالذات والدليل عليه الوجوه التي ذكرناها في الفصل الاول من هذا الكتاب
في بيان علم الاصول اشرف من علم الفروع وانما فسرنا معرفة الاشيا بالحكم
وذلك لان الانسان لا يعرف حقايق الاشيا الا اذا استحضر في ذهنه صورة
الماهيات ثم نسب بعضها الى البعض بالنفي او بالاثبات فتلك النسبة هي الحكم
ثم ان كانت تلك النسبة الذهنية مطابقة للنسبة الخارجية كانت النسبة الذهنية
ممتنعة التغيير وكانت مستحكمة قوية فمثل هذا الادراك يسمى حكمة وحكما
وهو المراد من قوله عليه السلام ارنا الاشيا كما هي واما الصلاح فهو كون
القوة العملية متوسطة بين رذيلتي الافراط والتفريط وذلك لان الافراط
في احد الجانبين تفريط في الاخر وبالعكس فالصلاح لا يحصل الا بالاعتدال
الحقيقي شيئا واحدا لا يقبل القسمة البتة ولان الافكار البشرية في هذا العالم
قاصرة عن ادراك ذلك الحد على سبيل الحقيقة لا جرم لا ينفك البشر البتة
عن ذلك الحد وان قل الا ان خروج المقربين عنه يكون في القلة بحيث يكون
لا يحس به وخروج العصاة عنه يكون متفاحشا جدا فقد ظهر هذا
من احتياج كل احد الى ان يستعين بتوفيق الله في تحصيل هذا الصلاح سوا
كان نبيا او وليا فظهر بهذا احتياج ابرهيم عليه السلام الى ان يقول والحقني
بالصالحين المطلوب الثاني في هذا الدعا قوله واجعل لي لسان صدق في
الاخرين واعلم ان مراتب السعادات ثلثة النفسانية والبدنية والخارجية
فالنفسانية قسمان كمال القوة النظرية وهو المراد بقوله هب لي حكما وكمال
قوة العملية وهو المراد بقوله والحقني بالصالحين واما البدنية فقسمان وهو الصحة
والجمال واما الخارجية فقسمان المال والجاه والمال اشد جسمانية لانه ملك
الاعيان والجاه اشد روحانية لانه ملك الارواح وان ابرهيم عليه السلام طلب
السعادات النفسانية وتقسيمها ولم يلتفت الى السعادات البدنية وتقسيمها
لعلمه انها غير باقية واما السعادات الخارجية فطلب قسما واحدا منها وهو

الجاه والثنا الحسن وهو المراد بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين
وقد اعطاه الله ذلك وهو قوله وتركنا عليه في الاخرين فان قيل فاي غرض
في ان يمدح ويثنى عليه والجواب من وجهين الاول وهو على لسان الحكمة
ان الارواح البشرية قد بينا انها موثرة في الحكمة الا ان بعضها قد يكون ضعيفا
فيعجز عن التاثير فاذا اجتمع منها طايفة فربما قوي مجموعها على ما عجزت
الاحاد عنه وهذا المعنى مشاهد في الموثرات الجسمانية اذا ثبت هذا
فالانسان الواحد اذا كان بحيث يثنى عليه الجمع العظيم ويمدحونه فربما
صار انصراف هممهم عند الاجتماع اليه سببا لفيضان زيادة كمال عليه
من عالم القدس الثاني وهو ان اقوام الخلق ربما كانوا غير مستعدين
لقبول الانوار من عالم القدس فاذا اتصلت هذه الارواح بالارواح القوية
التي تكون للانبيا فاذا تجلت الانوار الالهية في تلك الارواح القوية الشريفة
انعكس اثر من تلك الانوار الى هذه الانوار الضعيفة المتعلقة بها بسبب
شدة المحبة فيحصل لهذه الارواح الضعيفة نوع من السعادة بسبب
تلك العلاقة والوجه الاول من الجواب جعلنا ذلك الثنا والمدح سببا لحصول
مزيد سعادة للممدوح وفي الوجه الثاني جعلنا ذلك المدح والثنا
لحصول مزيد سعادة للمادح والوجه الثالث وهو كلام اهل الظاهر ان من
صار ممدوحا فيما بين الناس بسبب ما كان له من الفضايل فانه يصير ذلك المدح
داعيا للمادح الى اكتساب مثل تلك الفضايل والتاويل الثاني لقوله تعالى
واجعل لي لسان صدق في الاخرين انه سال ربه ان يجعل من ذريته في اخر
الزمان من يكون داعيا الى الله وذلك هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمراد من قوله
واجعل لي لسان صدق في الاخرين بعثة محمد صلى الله عليه وسلم والتاويل
الثالث قال بعضهم المراد اتفاق اهل الاديان على حبه ثم انه تعالى اعطاه ذلك
لانك لا ترى اهل دين الا ويحبون ابرهيم عليه السلام المطلوب الثالث قوله واجعلني

من ورثة جنة النعيم واعلم انه لما فرغ من طلب مراتب السعادات في الدنيا طلب
بعده سعادة الاخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث وسنذكر السبب
في انه تعالى لم سمى الجنة ميراثا المطلوب الرابع قوله واغفر لابي انه كان من
الضالين والكلام فيه تقدم في الفصل الثالث في تفسير قوله سلام عليك ساستغفر
لك ربي والمطلوب الخامس من قوله ولا تخزني يوم يبعثون وفيه سوالات
الاول انه لما قال اولا واجعلني من ورثة جنة النعيم امتنع الخزي لانه متى
حصلت الجنة فقد زال الخزي فكيف قال بعده ولا تخزني يوم يبعثون
وايضا قال تعالى ان الخزي اليوم والسو على الكافرين فما كان نصيب الكافر
فقط فكيف يخاف منه الرسول المعصوم قلنا كما ان حسنات الابرار سيات
المقربين فكذلك درجات الابرار دركات المقربين وخزي كل احد ما يليق به
السوال الثاني قوله يبعثون ضمير عن اي شي الجواب انه ضمير العباد لانه معلوم
وان لم يكن مذكورا او ضمير الضالين واعلم ان في الاية وجوها من الملية
الاولى كانه يقال يا ابرهيم ادعيت انك خليل الله فهات صدق الدعوى والبرهان
ابرهيم لما خاف من هذا المقام فلا تخف ايها المذنب ان يوم القيامة يحق للايمان
والتوحيد كما قال لسان الصادقين عن صدقهم الثاني الخليل عليه السلام
لما قال ولا تخزني يوم يبعثون لم يظهر جوابه في نص القران ثم ان الله
اعطاه هذا الامان لامة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يوم لا يخزي الله النبي
والذين امنوا معه اما قوله الا من اتى الله بقلب سليم فاعلم ان الله تعالى اكرمه
بهذا الوصف حيث قال وان من شيعته لابرهيم اذ جا ربه بقلب سليم وفي تفسير
القلب السليم وجوه الاول المراد منه سلامة القلب عن الجهل والاخلاق الذميمة
كما ان سلامة البدن عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب ومرضه
عبارة عن زوال احد تلك الامور والثاني ان السليم هو اللديغ من خشية الله
الثالث السليم هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم واستسلم وهذه الاحوال كانت

حاصله في ابرهيم عليه السلام كما قال تعالى اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين وقال الشبلي رحمه الله عليه القلب السليم كقلب الخليل كان يشير بقلبه
من جانب تحت الى الوفا ومن الفوق الى الرضا ومن اليمين الى العطا ومن اليسار
الى ترك الهوى ومن القدام الى اللقا ومن الخلف الى البقا

الفصل السادس في تفسير استدلال نوح عليه السلام

قال تعالى حكاية عن نوح فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا قال مقاتل ان
قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام
نسايهم اربعين سنة فرجعوا فيه الى نوح عليه السلام فقال نوح استغفروا ربكم
من الشرك يفتح عليكم ابواب النعم واعلم ان الاشتغال بالايمان وساير الطاعات
سبب لانفتاح ابواب الخيرات ويدل عليه وجوه الحجة الاولى ان الكفر سبب
لخراب العالم قال تعالى في صفة كفر النصارى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدًّا ان دعوا للرحمن ولدا فلما كان الكفر سببا لخراب العالم
وجب ان يكون الايمان سببا لعمارة العالم الحجة الثانية الايات الدالة
على هذا المعنى منها هذه الاية ومنها قوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم وقال ولو استقاموا على الطريقة
لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وقال وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا
نحن نرزقك الحجة الثالثة انه تعالى ما خلق الجن والانس الا ليعبدون فاذا
اشتغلوا بتحصيل المقصود حصل ما يحتاج اليه من الدنيا على سبيل
التبعية الحجة الرابعة انه تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
بين ان الخلق مخلوق لاجل عبادته ثم قال خلق لكم ما في الارض جميعا فبين ان
جميع الارض مخلوق لكم ثم انه تعالى قال اوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلما

وفت بعهد العبودية هو المراد بقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
لا بد وان يفي الحق بعهد الربوبية وهو المراد بقوله خلق لكم ما في الارض جميعا
الحجة الخامسة روي ان عمر رضي الله عنه خرج يستسقي فما زاد على
الاستغفار فقيل له وما رايناك استسقيت فقال لقد استسقيت بمجاديح
السما المجدح مثله كواكب مخصوصة ونوءه يكون غزيرا شبه عمر رضي الله عنه الاستغفار
بالانوا الصادقة التي لا تخطي الحجة السادسة ان قوله تعالى يرسل السما
عليكم مدرارا يحتمل ان يكون المراد منه الغيث والمطر على ما هو ظاهر اللفظ
ويحتمل ان يكون المراد منه فتح ابواب السما بامطار التوفيق والهداية والارشاد
ويجب حمل اللفظ عليهما جميعا واما الاول فروي عن بكر بن عبد الله ان اكثر
الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وتحقيقه من
جهة العقل ان الاستغفار اذا قوي على الرفع بعد الثبوت فلان يقوى
على الدفع والمنع كان اولى واما الثاني فما روي ان الحسن جاءه رجل وشكى اليه
الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه اخر الفقر واخر قلة النسل واخر
قلة ريع ارضه فامر الكل بالاستغفار فقال له بعض القوم اتاك رجال
يشكون اليك انواعا فامرت الكل بالاستغفار فتلى هذه الاية استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل
لكم جنات ويجعل لكم انهارا فان قيل لم قال انه كان غفارا ولم يقل انه
الان غفار قلنا المراد منه انه كان غفارا في حق كل من استغفره لانه تعالى
قال لا تظنوا ان غفاريته انما حدثت الان بل هو ابدا هكذا كان فكما
ان جرمكم هو الذنب والمعصية فكذا حرفته هو الغفارية وقوله تعالى يرسل
السما عليكم مدرارا اعلم ان الخلق مجبولون على محبة الخيرات العاجلة فلذلك
قال تعالى واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب لا جرم اعلمهم الله ان ايمانهم
بالله يجمع مع الحظ الوافر في الاخرة الخصب والغنا في الدنيا ولا شيا

التي وعدهم من منافع الدنيا في هذه الآية خمسة اولها قوله يرسل السما
عليكم مدرارا وفي السما وجوه الاول ان المطر ينزل من السما الى السحاب
ومن السحاب الى الارض والثاني ان المراد بالسما وهو السحاب والثالث
المراد بالسما المطر من قوله اذا نزل السما بارض قوم والمدرار الكثير
الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمونث كقولهم رجل او امراه
معطار ومعطال والنعمة الثانية قوله ويمددكم باموال وهذا لا يختص بنوع
واحد من المال بل يعم الكل والنعمة الثالثة قوله وبنين ولا شك ان كثرة الاولاد
الذكور سبب لبقا الذكر واشتداد الظهر والنعمة الرابعة قوله ويجعل لكم
جنات اي بساتين والنعمة الخامسة قوله ويجعل لكم انهارا فبدا بذكر هذه النعم
بانزال الما من السما وختمها باخراج الما من الارض والسبب فيه انا بينا ان اصول
النعم في هذا العالم انما يكون بنزول الما من السما الى الارض واعلم انه تعالى
لما امرهم بالاستغفار ووعد على الاستغفار بهذه المنافع اكد ذلك
ورغب فيه فقال ما لكم لا ترجون لله وقارا وفيه وجوه الاول ان يكون
التقدير ما لكم لا تاملون من الله وقارا او تعظيما بفعله في حقكم كان القوم
لما قيل لهم متى استغفرتم الله اعطاكم هذه النعم الكثيرة فالقوم استبعدوا
ذلك فقالوا كيف ان يعطينا هذه النعم العظيمة بمجرد الاستغفار فاجيبوا
بقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي ما لكم لا ترجون من الله ان يفعل في حقكم
هذا التوقير والتعظيم مع انه فعل في حقكم ما هو اعظم واجل منه
وهو انه خلقكم اطوارا الوجه الثاني ان القوم كانوا يبالغون في الاستخفاف
بنوح عليه السلام فامرهم الله بتوقيره وترك الاستخفاف به فقيل لهم
انكم اذا وقرتم نوحا كان ذلك لاجل الله ولاجل امره وطاعته فان كل
ما ياتي به الانسان لاجل الله فانه لابد وان يرجوا منه خيرا والوجه الثالث
وهو ان يكون المراد من الوقار الحلم وترك التعرض والمعنى ما لكم لا تاملون

ان ينزل الله معاجلكم بالعذاب لحكمه ولطفه ويمهلكم لتومنوا وقوله لله
لبيان من ثبت له الوقار الوجه الرابع وهو ان الوقار هو الثبات من وقر
اذا ثبت واستقر فكانه قال ما لكم وعند هذا تم الكلام ثم قال على سبيل
الاستفهام بمعنى الانكار لا ترجون لله وقارا اي لا ترجون لله ثباتا وبقا
فانكم لو رجوتم ثباته وبقاه لخفتموه ولما اقدمتم على الاستخفاف
برسله واوامره والمراد من قوله ترجون اي تعتقدون لان الراجي ليس معتقدا
له ثم انه تعالى لما امر في هذه الآية بتعظيم الله استدل على التوحيد بوجوه من
الدلايل الحجة الاولى حجة ماخوذة من الانفس وهو قوله وقد خلقكم
اطوارا وفيه وجهان الاول قال الليث الطور التارة يعني حالا بعد حال
فانه كان ترابا اولا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة والثاني قال ابن الانباري
الطور الحال والمعنى خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضهم بعضا كما قال
واختلاف السنتكم والوانكم واعلم انه تعالى خلق البشر بحيث لا يشبه بعضهم
بعضا في الصورة وللحكمة فيه انه لو حصلت المشابهة لحصل الاشتباه
فما كان يتميز زوج هذه المراة عمن لم يكن زوجها ولا عبد هذا الانسان
عن عبد غيره وحينئذ لم يتميز الحلال عن الحرام والمستحق عن غير المستحق
وذلك يفضي الى زوال المصالح وحصول المفاسد فلهذا السبب اقتضت
الحكمة الالهية تخصيص كل شخص بصورة مخصوصة ثم انه من اعظم الدلايل
على القادر المختار لان الاب واحد والام واحد وتاثير الطبايع والنجوم والافلاك
واحد ثم يكون مع هذه التشابه والتساوي يكون كل واحد منهم مختصا بصورة
مخصوصة معينة فهذا لا يكون الا بتاثير القادر المختار وروي ان واحدا
استعظم امر الشطرنج عند عمر رضي الله عنه وقال انه رقعة مختصرة ثم انه يقع
فيه انواع غير متناهية من اللعب فقال عمر رقعة الوجه اصغر من رقعة الشطرنج
وكل عضو من اعضا الوجه موضع معين من الوجه لا يتغير عنه فان العين

لها موضع معين وكذلك الانف والفم ثم مع هذا يقع فيه من الاختلاف
ما لا نهاية له فانك لا ترى انسانين في المشرق والمغرب يتماثل صورتاهما
من كل الوجوه وهذا يدل على كمال قدرة الله وعلمه وحكمته سبحانه وتعالى
الحجة الثانية على التوحيد حجة ماخوذة من الافاق وهي قوله تعالى الم تروا كيف
خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورًا وجعل الشمس سراجا
واعلم انه تعالى تارة يبدا بدلايل الانفس وبعدها بدلايل الافاق كما في هذه
الاية وذلك لما ذكرنا ان نفس الانسان اقرب الاشيا اليه فلا جرم بدا بالاقرب
فالاقرب لان الاقرب اعرف وتارة يبدا بدلايل الافاق ثم بدلايل الانفس
اما لان دلايل الافاق ابهر واعظم او لانها اشرف واعلم ان هذا في الحقيقة
دلايل ثلثة الاول السموات السبع الطباق وقد تقدم في الباب المتقدم كيفية
دلالتها على الصانع المختار وثانيها كون القمر نورًا وثالثها كون الشمس
سراجا والله تعالى وصف الشمس والقمر بانواع من الصفات الصفة الاولى
ذكر كون القمر نورا والشمس سراجا في ايات احدها في هذه الاية وقال في يونس
هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين
والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون وقال في الفرقان
تبارك الذي جعل في السما بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرًا واعلم ان
الاستقرا يدل على ان احوال هذا العالم مختلفة بحسب اختلاف الشمس والقمر
فلنبين ذلك في الشمس اولا ثم في القمر ثانيا اما تاثيرات انوار الشمس في هذا العالم
فمن وجوه الاول التاثيرات الحاصلة بحسب اليوم والليلة وذلك انا نرى جميع
الحيوانات في الليل كالميتة فاذا طلع نور الصبح ظهرت في اجساد الحيوانات
نور الحياة فكان الطلوع يبعث في ابدان الحيوانات قوة الحياة وكلما كان طلوع
ذلك النور اكثر كان ظهور قوة الحياة في الابدان الحيوانية اكمل ثم كلما طلع
قرص الشمس بالتمام ترى الناس وساير الحيوانات يتدبون بالحركة والقوة

والاشتداد وما دامت الشمس صاعدة الى وسط سمايهم كانت حركتهم في الزيادة
والقوة فاذا مالت الشمس عن وسط السما واخذت حركاتهم وقواهم في الضعف
ولا تزال تتزايد الضعف الى زمان غيبوبة الشمس وكلما ازدادت غيبوبة نور
الشمس ازداد الضعف والفتور والنقصان في الابدان الحيوانية وفي القوى
المدركة والمحركة صح ورجعت الحيوانات الى بيوتها واحجرتها كالميتة المعدومة فاذا طلعت
الشمس عليهم في اليوم الثاني رجعوا الى الحالة الاولى من الحيوة والقوة والحركة
الوجه الثاني في تاثيرات الشمس بحسب حركاتها اليومية وبيانه انها لو كانت
واقفة في موضع واحد لاشتدت السخونة في ذلك الموضع واشتد البرد
في ساير المواضع لكنها تطلع في اول النهار من المشرق فيقع على ما يحاذيها
من جانب المغرب ثم لا تزال تدور وتغشى جهة جهة حتى تنتهي الى طرف المغرب
فتشرق حينئذ على الجوانب الشرقية وحينئذ لا يبقى موضع مكشوف في الشرق
والغرب الا وياخذ حظا من شعاع الشمس الوجه الثالث في تاثيرات الشمس
بحسب الفصول الاربعة وبيانه انه لو لم يكن للشمس حركة في الميل لكان تاثيرها
مخصوصا بمدار واحد فكان ساير المدارات تخلو عن المنافع الحاصلة
منه وكان يبقى كل واحد من المدارات الجنوبية والشمالية على كيفية واحدة
فان كانت حارة افنت الرطوبات واحالتها كلها الى النارية ولم تتكون المتولدات
فيكون الموضع المحاذي لممر الشمس على كيفية الاحتراق والبعيد عنه جدا
على كيفية البرد الشديد والمتوسط بينهما على كيفية متوسطة فيكون في موضع
صيف دايم يوجب الاحتراق وفي موضع شتا دايم يوجب الجمودة
والتحجر وفي موضع ربيع دايم او خريف دايم ولا يتم فيه النضج اما اذا حصلت
للشمس ميل تارة الى الشمال واخرى الى الجنوب حصل في كل بقعة من بقاع
الارض هذه الفصول الاربعة التي هي معينة على النشو والنما وحصول
مصالح الحيوانات والنبات والوجه الرابع في تاثيرات حركة الشمس

من حيث انها تتم الدوره في سنه واحده وذلك لانا لو قدرنا ان الشمس تتحرك
حركه بطيه لكان هذا الميل قليل النفع وكان التاثير شديد الافراط وكان
يعرض قريبا مما لو لم يكن له ميل ولو كانت حركاتها اسرع من هذه لما كملت
المنافع وما تمت فاما اذا كانت هذه الحركه لا في غايه السرعه ولا في غايه
البطو حصلت المنافع المذكوره والمصالح المذكوره الوجه الخامس في تاثير
الشمس بحسب قربها من سمت الراس وبعدها عنه اعلم ان كل موضع يكون الشمس
بعيده جدا عن سمت روس اهله اشتد البرد فيه وهو مثل الموضعين اللذين
تحت القطبين فانه لا تكون هناك حيوان ولا تنبت فيه نبات من شده البرد
ويكون هناك سته اشهر نهارا وسته اشهر ليلا ويكون هناك رياح عاصفه
جدا وثلوج متواليه ويدل عليه البحر الارمني فانها اقرب الى مدار الشمس من الموضع
المذكور بكثير مع انه يشتد فيه الرياح العواصف ويشتد ظلمته حتى انه
لا يمكن ركوبه لشده برده وظلمته ويستدل عليه ايضا بحر الشام فانه اذا
حصلت الشمس في اوايل العقرب الى ان يحصل في اول الحوت ففي هذه
الاشهر الاربعه لا يستطيع الناس ركوب هذا البحر الوجه السادس
في تاثيرات الشمس في احوال الحيوانات بحسب قربها من سمت الروس وبعدها عنه
اعلم ان الاستقراء يدل على ان السبب الظاهر لاختلاف الناس في اجسامهم والوانهم
واخلاقهم وطبايعهم وسيرهم اختلاف احوال الشمس في الحركه وذلك لان
الناس ثلثه اقسام احدها الذين يسكنون خط الاستوا الى محاذاه ممر راس
السرطان وهم يسمون بالاسم العام السودان لان الشمس تمر على سمت روسهم
في السنه اما مره او مرتين فتحرقهم وتسود الوانهم وشعورهم والذين مساكنهم
في غايه القرب من خط الاستوا فهم الزنج والحبشه والشمس لقوه تاثيرها
في مساكنهم تحرق شعورهم وتسودها وتجعلها جعده كثيفه وتجعل
وجوههم قحله وجثثهم عظيمه واخلاقهم خشنه فالسواد فيهم اقل

وطبايعهم اعدل واخلاقهم الين واجسامهم اوصف كاهل الهند واليمن
وبعض المغاربه وكل العرب والقسم الثاني الذين مساكنهم على ممر راس
السرطان الى قريب من محاذاه بنات نعش الكبرى وهم يسمون بالاسم العام
البيضان فهولاء لان الشمس لا تسامت روسهم وايضا لا تبعد عن
مسامته روسهم بعدا كثيرا لم يعرض لهم شده من البرد والحر فلا جرم صارت
الوانهم متوسطه ومقادير اجسامهم معتدله واخلاقهم حسنه كاهل
الصين والترك وخراسان والعراق وفارس والشام ثم هولاء كل من كان اميل
منهم الى ناحيه الجنوب كان اتم في الذكا والفهم لقربه من منطقه البروج وممر
الكواكب المتحيره ويكون حركاتهم اليق بحركات الكواكب السياره في الرجوع والخفه
ومن كان منهم يميل الى ناحيه المشرق فهم اقوى نفسا واشد ذكرا لان المشرق
يمين الفلك لان الكواكب منه تطلع وله انوار من جانبه تظهر واليمين لا شك انه اقوى
ومن كان الى ناحيه الغرب فهم الين نفسا واشد تانيثا واكثر كتمانا للامور
والقسم الثالث الذين يكون مساكنهم محاذيه لبنات نعش وهم الصقالبه
والروس فانهم لكثره بعدهم عن ممر البروج وحراره الشمس صار البرد عليهم
اغلب ورطوبه الفضله اكثر لانه ليس هناك من الحراره ما ينشفها فلذلك
صارت الوانهم بيضا وشعورهم سبطه شقره وابدانهم عظيمه ورخصه
وطباعهم مايله الى البروده واعلم ان كل واحد من هذين الطرفين وهما الاقليم
الاول والسابع يقل فيه العمران وينقطع بعضه عن بعض لغلبه الكيفيتين
الفاعلتين ثم لا يزال يزداد العماره في الاقليم الثاني والسادس والثالث
والخامس ويقل الخراب فيها واما الاقليم الرابع فانه متواصل العمارات
قليل الخراب وذلك لفضل الوسط على الاطراف باعتدال المزاج الوجه السابع
في تاثيرات الشمس بحسب قربها وبعدها من الارض اعلم ان المواضع الذي
تسامتها حضيض الشمس فهي البراري الجنوبيه وهي محترقه ناريه لا يكون

فيها حيوان البتة واما البلاد المتقاربة لتلك المواضع فسكانهم كلهم سود
الالوان على التفصيل الذي ذكرناه واما المواضع التي يسامتها اوج التي صح
الشمس فهي في جانب الشمال وهي غير محترقة بل معتدلة فاعلم ان التفاوت
الحاصل بسبب قرب الشمس من الارض في الحضيض وبعدها عنها في الاوج
ليس بكثير بل قليل ثم ان بسبب ذلك التفاوت القليل صار الجنوب محترقا
فعلمنا بهذا ان الشمس لو صارت الى الفلك الثوابت لفسدت الطبايع من شدة
البرد ولو انها انحدرت الى فلك القمر لاحترق هذا العالم بالكلية فلهذه الحكمة
جعل الباري جل ثناؤه الشمس وسط الكواكب السبعة لتكون حركتها المعتدلة
وقربها المعتدل سبب الطبايع والمطبوعات في هذا العالم على حد الاعتدال
فاما اهل الاقليم الاول فلاجل قربهم من حضيض الشمس كانت سخونة هوايهم
شديدة فلاجرم هم اكثر سوادا لان تاثير الشمس فيهم اكثر واهل الاقليم
الثاني سمر الالوان واما الاقليم الثالث والرابع فاعدل الاقاليم مزاجا
بسبب اعتدال الهوا وايضا فغاية ارتفاع الشمس انما يكون عند كونها
في ابعد بعدها عن الارض فلاجرم صار اهل هذا الاقليم معدنا للاشخاص
الفاضلة والصور الجميلة واما الاقليم الخامس فسخونة الهوى هناك اقل
من الاعتدال بقدر يسير فلاجرم صار في حيز البرد والثلوج وصارت
طباع اهلها اقل نضجا من طبايع اهل الاقليم الرابع لان بعدهم عن الاعتدال
قليل واما اهل الاقليم السادس والسابع فاهلها يحوز بيوض والغلبة البرد
والرطوبة عليهم اشتد بياض الوانهم وزرقة عيونهم وعظمت وجوههم
واستدارت فقد ظهر ان صور الناس واشكالهم انما اختلف بحسب اختلاف
احوال الشمس فهذا اشارة قليلة الى كيفية تاثيرات الشمس واما القمر فتاثيراته
من وجوه الاول انا نرى ابدان الحيوانات في وقت زيادة ضوء القمر يكون اقوى
واسخن وبعد الامتلاء يكون اضعف وابرد ويكون الاخلاط التي في بدن

الانسان مادام القمر زايدا في ضوءه فانها يكون ازيد ويكون ظاهر البدن اكثر
رطوبة وحسنا فاذا انتقص ضوء القمر تناقصت هذه الاحوال الثاني ان البحارات
الطبية دلت على ان احوال البحرانات مربوطة باحوال زيادة ضوء القمر ونقصانه
الثالث انه يكثر الالبان للحيوانات في النصف الاول من الشهر وتتناقص في النصف
اذا صح الثاني الرابع ان الانسان اذا نام في ضوء القمر حدث في بدنه نوع من الاسترخا والكسل
ويهيج عليه الزكام والصداع واذا وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة تحت
ضوء القمر تغيرت طعومها وروايحها ولاصحاب التجارب اعتبارات كثيرة من هذا
الباب ويكفينا هذا القدر في بيان منفعة كون الشمس ضيا والقمر نورا فان قال
قايل ظاهر كلامكم في هذا الفصل مشعر بان المؤثر في احوال هذا العالم هو الشمس
والقمر وكلامكم في الابواب المتقدمة صريح في ان المؤثر هو قدرة الله فكيف الجمع
بين القولين والجواب انا نقول الخبز مشبع والماء مروي وان كنا نعتقد
ان خالق الشبع هو الله تعالى فكذا ههنا اليس انه تعالى قال هو الذي خلق
الموت والحيوة وقال والذي يميتني ثم يحيين وقال الله يتوفى الانفس حين موتها
ثم قال قل يتوفاكم ملك الموت ثم قال حتى اذا جاء احدكم الموت والوفاة
منسوب الى الله بالخلق والايجاد ومنسوب الى ملك الموت توفته رسلنا لحصول
الموت والوفاة منسوب الى الله بالخلق والايجاد ومنسوب الى ملك الموت
بالامر بقبض الارواح ومنسوب الى اتباع ملك الموت لاجل انهم يباشرون
اعمالا اجرى الله تعالى عادته بخلق الموت عقيبها فكذا ههنا اجرى الله تعالى
عادته بخلق الحوادث المختلفة بحسب قرب الشمس وبعدها فتلك الحوادث
منسوبة الى قدرة الله تعالى بالخلق والايجاد ومنسوبة الى الشمس على سبيل
اجرا العادة الصفة الثامنة من صفات الشمس والقمر كونهما مسخرة قال تعالى
في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الى قوله والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره وقال في الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها

ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى وقال في لقمان الم تر
ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى
اجل مسمى وقال في الزمر خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار
ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الا هو العزيز الغفار
واعلم ان هذا التسخير من وجوه احدها انها مع غاية ثقلها بقيت في جو السما
وذلك لا يكون الا بتسخير الله وحفظها في جو الهوا والثاني انها متحركة
بالاستدارة على نهج واحد لا يقع في تلك الحركات اختلاف بالبطو والسرعة
ولا بالرجوع والاستقامة ولا بالارتفاع والانخفاض بل لكل واحد منهما
سير مقدر ونهج مقدر وحد مقدر وذلك لا يكون الا بتسخير مسخر وتقدير
مقدر سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا واعلم ان العقول قاصرة
عن معرفة منافع ما لكل واحد من الكواكب من القرب والبعد والحركة والجهة ولكن
العقل لما دل على بعض المنافع والحكم وجب ان يقاس الباقي عليه فيقطع
بان الله تعالى في كل واحد منها حكما مخفية واسرارا مطوية لا تصل اليها
عقول الخلق ولا ينتهي الى مباديها اوهام الملائكة المقربين فضلا عن افهام
البشر ويكون الغاية القصوى لنا ان نعترف بجلالة خالقها وكمال حكمة مدبرها بلغ
كما قال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار الصفة الثالثة
كون القمر اية الليل وكون الشمس اية النهار قال تعالى في بني اسرائيل وجعلنا الليل
والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم
ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شي فصلناه تفصيلا وقال في يس
والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى
عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
وكل في فلك يسبحون فهذه الايات دالة على ان سيرها وحركاتها بحكم
بالغة وعلى ان هذه الحركات ينتهي بالاخرة الى الانقطاع والسكون فغاية

كل متحرك سكون ونهاية كل متكون ان لا يكون وهذا الذي حكم بان الشمس والقمر
لا يدرك كل واحد منهما صاحبه انما يكون الان فاما عند انتهائها الى الانقطاع
فهناك تجتمعان كما قال في سورة القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع
الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر فتامل الان في ضوء هذه الكواكب
ثم اعرف زوال الضوء عنها في العاقبة كما قال تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت وتامل الان في حركاتها العجيبة ثم اعرف انتها حركاتها الى سكون
كما قال تعالى كل يجري الى اجل مسمى الا هو العزيز الغفار فهذا جملة الكلام في
صفات الشمس والقمر البحث الثالث قوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم
فيها ويخرجكم اخراجا واعلم انه تعالى رجع ها هنا الى دلايل الانفس وهو
كالتفسير لقوله خلقكم اطوارا فانه تعالى بين انه خلقهم من الارض ثم يردهم اليها
ثم يخرجهم منها مرة اخرى واعلم ان في قوله انبتكم من الارض نباتا مختار البحث
الاول في معنى هذه الاية وجهان الاول معنى قوله انبتكم من الارض اي انبت
الاب الاول لكم من الارض وهو ادم عليه السلام والثاني انبت الكل من الارض
لانه تعالى انما خلق البشر من النطفة والنطفة تتولد من الاغذية المتولدة من النبات
المتولد من الارض البحث الثاني كان ينبغي ان يقال انبتكم من الارض نباتا لكنه لم
يقل ذلك بل قال انبتكم من الارض نباتا والمعنى انبتكم من الارض فنبتم نباتا وفيه
دقيقة لطيفة وذلك لانه تعالى انما ذكر هذا ليستدل به على اثبات الصانع
والانبات صفة الله تعالى وخلقه وصفة الله تعالى غير محسوسة فلا يمكن
الاستدلال بها على وجود الصانع اما النبات صفة المخلوق وهي مشاهدة
محسوسة فيمكن الاستدلال بها على وجود الصانع فكان العدول من لفظ
الانبات الى لفظ النبات لهذه الدقيقة اللطيفة البحث الرابع قوله تعالى
والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا واعلم ان شرح صفات
الارض قد تقدم فلا نعيده والله اعلم

الفصل السابع

انباتا صح

في شرح مناظرة موسى عليه السلام مع فرعون في اثبات الصانع المختار اعلم
ان قبل الخوض في شرح تلك المناظرة تقدم مقدمات لا بد منها الاولى
ان كتب القصص ناطقة بان فرعون كان يدعي كونه خالق السموات والارض
والحيوان والنبات حتى ذكروا ان ابليس ذهب الى دار فرعون وهو في المستراح
فقرع الباب فقال من انت فقال ابليس وهل يخفى على رب الخلق ما وراء الباب
فلما دخل عليه ابليس قال فرعون من شر ما قال ابليس انت قال لم قال لاني
اطوف المشرق والمغرب وكان منتهى امري في ادم اني قلت انا خير منه
اما انت فمع نقصك وقصورك تقول انا ربكم الاعلى فكيف اكون اشر منك
ثم خاف ابليس ان يرجع فرعون عن طريقه بسبب هذه المناظرة فقال وهل
تعرف اشر منا فقال الذي يستعمل عمل الاخرة في كسب الدنيا وامثال هذه
الحكايات في كتب القصص كثيرة واعلم انه بعيد عندي ان يقال انه كان يدعي
انه خالق السموات والارض والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوانات
ويدل عليه وجهان الاول ان فرعون وقومه اما ان يقال انهم كانوا
عقلاء او مجانين فان كانوا عقلاء امتنع منه ادعاء كونه خالقا للسموات
والارض لان العلم بفساد ذلك ضروري وما كان كذلك امتنع وقوع الخلاف
فيه بين العقلاء واما ان قلنا انهم كانوا مجانين فهذا باطل لوجوه احدها
لو كان الامر كذلك لما كان يليق بحكمة الله تعالى ارسال الرسل اليهم ولا انزال
الكتب عليهم وكيف وقد قال عليه السلام رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ
وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ والثاني وهو مناظرات
فرعون مع موسى عليه السلام يدل على انه كان في غاية الخبث والمكر والدها
وذلك لا يليق بالمجانين والثالث ان ضبط تلك الممالك وتسخير اولئك
الاقوام الكثيرين لا ياتي من المجنون الحجة الثانية ان ملك فرعون لم يتجاوز
القبط ولم يبلغ الشام والدليل عليه انه لما هرب موسى عليه السلام منه الى مدين

قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين ويقال انه ما كان بين مصر وبين
مدين الا ثمانية ايام ومع هذا القصور في ملك الدنيا كيف يجد العاقل من
نفسه انه يدعي كونه خالقا للسموات والارض فثبت بما ذكرنا فساد هذا الكلام
فان احتج القايلون بذلك القول بانه تعالى حكى عنه انه قال انا ربكم الاعلى وحكى
عنه في سورة القصص انه قال فرعون يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فادعى
الربوبية في الاية الاولى والالهية في الاية الثانية وذلك يدل على ما قلناه
والجواب انا بينا بالدلايل القاطعة ان مثل ذلك الانسان اذا كان عاقلا
فانه لا يجوز ان يدعي كونه خالقا للسموات والارضين فلا بد من تاويل لفظ
الرب ولفظ الاله فنقول الرجل لعله كان دهريا ينكر القول باثبات الصانع
وكان يقول الافلاك والكواكب واجبة الوجود لذواتها وهي المؤثرة في
حوادث هذا العالم واذا كان كذلك فلا امر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب
ولا رسول ولا تكليف ثم انه يجب على ملك البلاد ان يقوم بتحصيل مصالح الرعية
ويجب على الرعية الانقياد لاوامره فاذا كان الملك هو الذي يقوم بمصالحهم
ويهتم بتربيتهم ويعتني بشانهم كان ربا لهم ومربيا لهم واذا كان هو
مربيا لهم ومنعما عليهم وجب عليهم ان يكونوا منقادين لاوامره وتكاليفه
ومعترفين بعبوديته وعبادته واذا كانوا كذلك كان هو معبودا لهم
والاله هو المعبود فكان مراده من ادعاء الربوبية والالهية هذا المعنى
ويحتمل ايضا ان يقال انه كان من الصابية وهم الذين يقولون البشر عبيد
الكواكب والكواكب عبيد الاله الاكبر العالم فلا جرم يجب على البشر عبادة
الكواكب ويجب على الكواكب عبادة الله تعالى والقايلون بهذا القول يسمون بالمفوضة
واصحاب الوسايط وهذا القول اقرب والدليل عليه قوله تعالى حكاية عن قوم فرعون
ويذرك والهتك فاثبتوا الالهة وهي اما الكواكب واما الاصنام وعلى هذا التقدير
فقوله انا ربكم الاعلى معناه انتم عبيدي وتحت امري وانا عبد الشمس والقمر

وهما عبيد للاله الاكبر وقوله ما علمت لكم من اله غيري معناه انا الحكم والمهى
هو الشمس والقمر والاله الشمس والقمر هو الاله الاكبر فيرجع حاصل الكلام الى
ان فرعون كان اماما من الدهرية واماما من الصابية فاما ان يقال انه كان يدعي
انه خالق للسموات والارض فهذا غير لايق باحد من العقلا المقدمة الثانية
انه تعالى حكى عنه في القصص انه قال يا ايها الملا ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي
يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى واني لاظنه كاذبا واعلم ان كثيرا من اهل الاثر روي انه لعنه الله بناء
لما امر ببنا هذا الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الفا سوى
الاتباع والاجرا وامر بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير
فشيد ذلك الصرح حتى بلغ مبلغا لم يبلغه بنا احد من الخلق فبعث الله عز وجل
جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة
وقعت على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل وقطعة وقعت في البحر
وقطعة بقيت منهدمة ولم يبق احد من عماله الا وقد هلك ويروى في هذه
القصة ان فرعون ارتقى على ذلك الصرح ورمى بنشابة الى السما فاراد الله تعالى
ان يفتنهم فردت النشابة اليهم ملطوخة بالدم فقال فرعون قتلت اله موسى
فعند ذلك بعث الله جبريل حتى خرب ذلك الصرح وفرعوا على هذه الحكاية
وجوها كثيرة من الكلمات واعلم ان مثل هذا العمل لا يليق بالعقلا ويدل
عليه وجوه الحجة الاولى ان فرعون وقومه لما كانوا من العقلا فلا شك
انهم كثيرا ما كانوا يكونون في اعلى جبل يكون من اعلاه الى اسفله فرسخ وفرسخان
ثم ان كل احد يرى السما من اعلى ذلك الجبل ومن اسفله على قدر واحد من غير
تفاوت البتة ومن المعلوم ان وضع بنا يكون مقدار ارتفاعه في الهوا
فرسخين كالمتعذر وبتقدير ان يحصل ذلك فانه لا يتفاوت قدر السما في الحس
بسبب الصعود على اعلاه ومتى كان كذلك فالعاقل العارف بهذا

بلغ

الامر كيف يليق به ان يبني الصرح حتى يصعد منه الى السما الحجة الثانية
ان الذي يقال انه رمى السهم الى السما فرجع ملطخا فقال قتلت اله موسى
هذا ايضا من السخف الذي لا يليق بالعقلا فكيف يليق بالعاقل ان يحاول
ايصال السهم وبتقدير ان يفعل ذلك فكيف يمكنه ان يقتل اله السما بهذا
القدر من العمل ولعل اله موسى يكون مستترا بحجاب داخل السما لا يصل
اليه السهم تعالى الله عن هذه الاوهام الفاسدة علوا كبيرا وما هذه الكلمات
من احاديث العقلا في شي وانما هو من سخف ارباب الطامات الذين
غرضهم تشويش قلوب الاغمار من المستمعين وكلام الله منزه عنه وعن
امثاله ونظير امثال هذه الترهات مشرعا قويا لمن اراد الطعن في القران
بل الصواب عندنا في تفسير هذه الاية ان هذا الكلام من تتمة قوله ما علمت
لكم من اله غيري وذلك لان الرجل كان دهريا فقال لموسى عليه السلام هذا
الاله الذي تدعي وجوده غير مشاهد ولا محسوس ولا دليل ايضا على
وجوده فانه يكفي لحدوث الحوادث الارضية حركات الاجرام الفلكية
واذا كان غير معلوم بالضرورة ولا بالدليل فكيف يمكن اثباته فهذا هو
مراده من قوله ما علمت لكم من اله غيري ثم قال عند هذا الكلام على سبيل
السخرية يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع
الى اله موسى ومثل هذا الكلام لا يقال على سبيل التحقيق بل على سبيل
الاستبعاد وبيان انه لا سبيل له ونظيره قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما فتاتيهم باية
وليس المقصود بيان انه يجب عليه ان يفعل ذلك حتى ياتيهم باية بل الغرض
بيان انه لا سبيل الى ذلك فكذى في هذه الاية فهذا ما عندي في
تفسيرها والله اعلم بمراده المقدمة الثالثة ان فرعون وان كان من
المنكرين لوجود الصانع باللسان لكن من الناس من قال انه كان عارفا

بتقلبه لربه لانه لعنه الله كان يظهر لا انكاره تمكرا وتجبرا وعنادا واحتجوا
عليه بوجوه الحجة الاولى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون
لقد علمت ما انزل هؤلا الا رب السموات فمن نصب التا في علمت
كان هذا خطابا لموسى مع فرعون وهذا يدل على ان فرعون كان عارفا بربه
الحجة الثانية قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما
وعلوا وهذا اصرح في المطلوب الحجة الثالثة قوله تعالى في القصص
في صفة فرعون وقومه وظنوا انهم الينا لا يرجعون وهذا يوهم انهم كانوا
معترفين بالمبدأ منكرين للمعاد الحجة الرابعة انه لما قال فرعون وما رب
العالمين قال موسى رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم تعقلون فقال فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب منه الماهية وهو يذكر ما يدل
على الصفة الخارجة عن الماهية فان الخالقية صفة خارجة عن الماهية فهذا يدل
على ان فرعون ما نازع في وجود الصانع بل كان يطلب منه الماهية
الحجة الخامسة لما قال من ربكما يا موسى اجابه موسى عليه السلام بقوله ربنا
الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى وقال اهل اللغة كلمة الذي كلمة تقتضي
وصف المعارف بجمل معلومة وهذا يدل على انه كان قد تقرر عند فرعون
ان للخلق والهداية لا بد لهما من قادر مختار الحجة السادسة قوله في الاعراف
ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم
الرجز اذا هم ينكثون فالقوم لما قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك (الى اجل هم بالغوه صح)
يكشف عنا هذا الرجز دل على انهم كانوا معترفين بوجود الله سبحانه وتعالى
الحجة السابعة انا قد دللنا على ان فرعون كان عاقلا ولهذا لما حسن
بعثة الرسول عليه السلام اليه وتوجه التكليف عليه ولما كان من العقلا [illegible]
بتغير احواله في نفسه وبدنه وفي ابائه واجداده بافتقاره الى صانع حكيم

مدبر عليم ولهذا قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
فهذا ما قيل في هذا الباب وبالجملة فقد كان كافرا اعظم الكفر سوا كان كفره
بسبب الجهل او بسبب العناد ولما فرغنا من هذه المقدمات فلنرجع الى
المقصود ونقول ان سوال فرعون عن موسى عليه السلام في باب اثبات الصانع
كان على وجهين احدهما انه سال عن الصانع بكلمة من والثاني انه سال عنه بكلمة ما
فاما السوال بكلمة من فهو في سورة طه قال تعالى حكاية عنه قال فمن ربكما
يا موسى واما السوال بكلمة ما فهو قوله تعالى في سورة الشعرا حكاية عنه
قال وما رب العالمين وقبل الخوض في التفسير لا بد من بيان الفرق بين السوالين
فنقول المطلوب بسوال من التعيين الحاصل بسبب الصفات العرضية تقول من هذا
الرجل فيقول في جوابه انه فقيه عربي وما يجري مجرى هذه الصفات واما المطلوب
بسوال ما فهو التعيين الحاصل بسبب الماهية ومقومات الحقيقة تقول ما هذا
الشي فيكون جوابه انه جسم او جوهر او غير ذلك اذا عرفت ذلك فنقول علمنا
بصفات الله تعالى من قدرته وعلمه وارادته متقدم على علمنا بحقيقة ذاته
المخصوصة وكنه ماهيته وذلك لان العلم بكنه الحقيقة اما ان لا يحصل
للبشر او ان امكن حصوله للبشر الا ان هذه المرتبة تكون متاخرة عن العلم بقدرته
وعلمه بلى كنه حقيقته المخصوصة مقدم بالرتبة على صفاته لان الذات موصوفة
والموصوف متقدم بالرتبة على الصفة الا ان المحكي في القران هو كيفية التوسل
بالدلايل الى معرفة الله تعالى واذا كان كذلك كان السوال بمن متقدما على السوال بما
فلا جرم راعى الله تعالى على هذا الترتيب فذكر السوال بمن في سورة طه وذكر السوال
بما في سورة الشعرا وهذا سر عجيب ولنذكر البحث عن هذين الموضعين الموضع الاول
قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى وفيه سوالات السوال الاول
لم قال فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما والجواب لانه اثبت نفسه ربا لموسى وهو قوله
الم نربك فينا وليدا فذكر ذلك على سبيل التعجب كانه قال انا ربكم فلم تدعي ربا اخر

وهذا الكلام شبيها بكلام نمروذ لعنه الله وذلك لان ابرهيم عليه السلام لما
قال ربي الذي يحيي ويميت قال نمروذ انا احيي واميت ولم يكن الاحيا الذي ذكره
شبيها بالاحيا الذي تمسك به ابرهيم عليه السلام الا في اللفظ فكذا هاهنا
لما ادعى موسى ربوبية الله تعالى ذكر فرعون كونه ربا لموسى وما كان بين
الربوبية التي ذكرها موسى وبين الربوبية التي ذكرها فرعون مشابهة الا في اللفظ
السوال الثاني ان فرعون طول المناظرة في السوال ما ولم يطول في سوال من فما
الفرق والجواب الفرق ما ذكرنا ان المطلوب في سوال من معرفة الصفات وهذا
مقام واضح ليس فيه من الشبهات كما قال الله تعالى ولين سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فلا جرم ترك فرعون فيه التطويل اما المطلوب بسوال ما
فهو كنه الماهية وذلك مقام صعب كما قال تعالى وما قدروا الله حق قدره
فلهذا السبب طول في المناظرة السوال الثالث ان فرعون قال بعد هذا
الكلام فما بال القرون الاولى واي تعلق بهذا الكلام بما قبله ثم ان موسى اجاب
عنه بقوله قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ثم عاد مرة اخرى
الى ذكر دلايل اثبات الصانع وهو قوله الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك
لكم فيها سبلا فكيف وقع ذلك الكلام الاجنبي في البين والجواب قد
بينا ان الدلايل الدالة على اثبات الصانع وقدرته وعلمه وحكمته في غاية القوة
والظهور ولا يمكن القاشي من الشكوك والشبهات فيه فلما طالبه فرعون بسوال
من كان جواب موسى في غاية الظهور وعجز فرعون عن القا الشكوك والشبهات
فيه فاراد ان يصرفه عن ذلك الكلام ويشغله بكلام اجنبي عنه لئلا تظهر
قوة كلامه فسأله عن تواريخ المتقدمين فعرف موسى عليه السلام ان غرضه
تشويش ذلك الكلام عليه فلم يلتفت اليه بل دفعه بقوله تعالى قال علمها عند
ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى يعني لا فايدة لنا في هذا السوال وهذا
الجواب ثم رجع الى تقرير كلامه الاول فقال الذي جعل لكم الارض مهدا فتامل

هاهنا في سعي المبطلين في اخفا الحق وانظر الى قوة قلب المحقين وعدم
التفاتهم الى لغوهم وجهلهم ومن انصف علم ان كل اية من هذا الكتاب الكريم معجز
ظاهر فضلا عن كل هذا الكتاب السوال الرابع ما وجه دلالة قولنا ربنا الذي
اعطى كل شي خلقه ثم هدى على وجود الصانع والجواب اعلم ان هذا هو
الدليل الذي حكاه الله تعالى عن ابرهيم عليه السلام في قوله الذي خلقني فهو يهديني
وهو الذي ذكره الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في قوله سبح اسم ربك الاعلى الذي
خلق فسوى والذي قدر فهدى وتقرير هذا الدليل على سبيل التفصيل ان الخلق
عبارة عن تركيب القوالب والابدان والهداية عبارة عن ايداع القوى المدركة والمحركة
في تلك الابدان وخلق جواهر الابدان مقدم على ايداع القوى فيها ولذلك قال تعالى
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فالتسوية للقالب ونفخ الروح عبارة عن ايداع
القوى فيه وقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه خلقا
اخر فظهر ان الخلق مقدم على الهداية فلهذا المعنى قدم الله تعالى الخلق في الذكر
على الهداية ثم اعلم ان الشروع في شرح عجايب حكمة الله تعالى في الخلق والهداية
شروع في بحر لا ساحل له ومن اراد تصنيفا مشتملا على جميع تلك الوجوه
فذلك التصنيف هو جميع عالم الاجسام والارواح اما علم الاجسام فخذ من
اعلى سطح العرش الى اسفل سطح تحت الثرى وغص بفكرك في كل ذرة من ذراتها
فانك تجد تلك الذرة في دلالتها على كمال قدرته وحكمته بحرا لا ساحل له فمن الذي
يمكنه ان يعرف تمام حكمة الله في خلقة جناح البعوضة ومن الذي يمكنه ان يعرف
كيفية خلقة ابدان البعوضة وتركيب اعضايه وتاليف ابعاضه وتاليف العظام
والعروق والاعصاب ونفخ الروح فيه وايداع الحواس الخمسة والذهن والتمييز
فيه فاذا عجز عقلك عن معرفة البعوضة فاين انت من معرفة حكمة الخلق والهداية
في اجرام السموات والارضين وقال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
ثم اذا عرفت ضعف عقلك في عالم الاجسام فانتقل منه الى عالم الارواح واعرف

ان عالم الاجسام في عالم الارواح كالقطرة في البحر فكيف يمكنك بتفاصيل عالم
الارواح مع انك عاجز عن معرفة الروح حيث قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا
فعند هذا شاهد عجزك وقصورك عن معرفة اقل الاشيا وعن الاحاطة باقل
شاهد من شواهد جلال الله ودلايل قدسه وعزته وهذا اخر مقام الصديقين
كما قال تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله وان اردت امثلة هذا المعنى فتامل في الابواب المتقدمة المشتملة
على عجايب خلقة السموات والارض وفي الانفس اما السوال الثاني وهو السوال بما
على ما ذكره الله تعالى في سورة الشعرا ففيه اسرار واعلم ان هذا البحث لا يمكن الا ان
تتقدم مقدمة عقلية وهي انه اذا كانت حقيقة من الحقايق مجهولة فتعريفها
اما ان يكون بنفسها او بما يكون داخلا فيها ومقوما لها او لما يكون خارجا
عنها ولاحقا بها او بما تركبت من القسمين اعني الامور الداخلة والامور الخارجة
اما تعريفها بنفسها فمحال لان المعرف معلوم قبل المعرف وتعريف الشي بنفسه
يقتضي تقدم الشي على نفسه وهو محال اما تعريف تلك الحقيقة بالامور الداخلة
في قوام الماهية فهذا في حق واجب الوجود محال لوجهين الاول ان هذا انما
يتاتى في الحقيقة التي يكون مركبة من اجزا القوام وذلك في حق واجب الوجود
محال لان كل مركب فهو محتاج الى كل واحد من اجزايه وكل واحد من اجزايه غيره
فكل مركب فهو محتاج الى غيره وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن لذاته فما ليس
بممكن لذاته فهو غير مركب من الاجزا واذا لم يكن مركبا من الاجزا فانه يمتنع
تعريفه باجزايه والثاني ان يقدر ان واجب الوجود مركبا من الاجزا الا ان
اجزا ماهيته غير معلومة فيمتنع تعريفه باجزايه ولما ثبت فساد هذين
القسمين ثبت انه لا يمكن تعريف واجب الوجود الا بلوازمه واثاره ثم ان تلك اللوازم
والاثار قد يكون خفيه وقد يكون جليه ولا يجوز تعريف الحقايق باللوازم
الخفية بل لا بد من تعريفها باللوازم الجلية واظهر اثار واجب الوجود ونتايج

قدرته وحكمته هو هذا العالم المحسوس وهو السموات والارض وما بينهما
اذا عرفت هذه المقدمة فنقول ان فرعون لما سال موسى عليه السلام بسوال من في قوله
فمن ربكما يا موسى ووجد كلام موسى في غاية القوة عدل عن ذلك الى غيره
وهو السوال بما لان الجواب عن هذا السوال في غاية الصعوبة ويمكن القا
الشبهات فيه فقال وما رب العالمين فقال موسى عليه السلام رب السموات والارض
وما بينهما ان كنتم موقنين والمعنى انكم لما سلمتم في الجواب عن السوال الاول
وهو السوال بلفظ من وجوب انتها هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود
وثبت ان واجب الوجود لذاته فرد مطلق منزه عن الكثرة في حقيقته وماهيته
وثبت ان الفرد المطلق المنزه عن الكثرة من جميع الوجوه لا يمكن تعريف حقيقته
الا بذكر لوازمه واثاره الظاهرة الجلية وثبت ان اظهر اثار واجب الوجود هو
هذا العالم المحسوس ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته وذاته المخصوصة الا بذكر
انه خالق لهذه السموات والارض فقوله ان كنتم موقنين معناه ان كنتم موقنين بحقيقة
هذه المقدمات فاعلموا انه لا جواب عن سوالكم الا هذا الذي ذكرته ولما
ذكر موسى هذا الجواب الحق قال فرعون لمن حوله الا تستمعون اظهر التعجب من
كلام موسى عليه السلام يعني انا اطلب الجواب عن السوال الدال على الماهية وهو يذكر
الجواب الدال على الصفة وهذا الجواب هو جواب السوال بمن وانا انما اطلب جواب
السوال بما فاين احدهما عن الاخر وتمام الاشكال ان تعريف الماهية بلوازمها
الذي
لا يفيد معرفة نفس تلك الماهية لانا اذا قلنا في تعريف شي انه يلزمه اللازم
الفلاني فهذا يتوجه عليه سوال وهو ان تلك الحقيقة هل هي معلومة ام لا فان كانت
معلومة فلا حاجة الى تعريفها بذكر هذا اللازم وان لم يكن معلومة فكيف يعلم انه
يلزمها هذا اللازم تصديق والتصديق مسبوق بالتصور فلو كان التصور
مستفادا من هذا التصديق لزم الدور فثبت ان قوله رب السموات والارض لا يصلح
جوابا عن قوله وما رب العالمين فعند هذا اجاب موسى عليه السلام بقوله ربكم ورب

ابائكم الاولين وكانه عدل عن تعريف تلك الحقيقة بخالقية السماء والارض الى تعريفها بكونه خالقا لنا ولابائنا وذلك لانه لا يمتنع ان يعتقد احد ان السموات والارض واجبة لذواتها فهي غنية عن الخالق والموجد الى ان يظهر فساد هذا الاعتقاد بالبرهان اما لا يمكن ان يعتقد احد في نفسه وفي ابائه واجداده كونهم واجبة الوجود لذواتها لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك كان ممكنا محدثا فيظهر جدا افتقاره الى المرجح والموجد فلهذا السبب عدل موسى عليه السلام عن الكلام الاول الى هذا الكلام فعند هذا قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى اني سالته عن الماهية فاجاب بذكر الصفة فلما انكرت عليه هذا الجواب ذكر جوابا مثل الجواب الاول فان المذكور في الجوابين هو الصفة الخالقية وذكر الصفة لا يصلح جوابا عن السوال الطالب للماهية فهذا مجنون حيث لا يفهم السوال بعد التكرير عليه مرة بعد اخرى قال موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق اخر اوضح مما تقدم وذلك لان الجواب الاول اشارة الى دلايل الافاق والجواب الثاني اشارة الى دلايل الانفس وهذا الجواب الثالث مركب من دلايل الافاق والانفس معا لان قوله رب المشرق والمغرب اشارة الى دلايل الافاق وقوله وما بينهما اشارة الى دلايل الانفس فاذا تاملت فيه علمت ان موسى عليه السلام لم يترك شيا في عالم المحسوسات يدل على الله الا وقد ذكره لان دلالة عالم المحسوسات على الله تعالى اما من الافاق او من الانفس او منهما معا واعلم انه اراد بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار وبالمغرب غروب الشمس وظهور الليل والامر ظاهر في ان هذا التقدير المحكم العجيب لا يحصل الا بتدبير مدبر قاهر حكيم سبحانه وتعالى وهذا هو بعينه طريقة ابرهيم عليه السلام مع نمرود فانه قال ربي الذي يحيي ويميت وهو الذي قاله موسى في قوله ربكم

ورب ابائكم الاولين ثم لما طالب نمرود بتمام الدلالة قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وهو عين قول موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما واعلم ان موسى انما قال هاهنا ان كنتم تعقلون لانه لما ثبت بالبرهان القاهر انه لا يمكن تعريف الحقيقة بنفسها ولا يمكن تعريف حقيقة واجب الوجود باجزايها لما ثبت انه فرد صمد منزه عن التركيب ولا يمكن تعريفه بما يتركب عن الداخل والخارج لان ذلك يقتضي كون تلك الماهية متركبة ولما بطلت هذه الاقسام الثلثة لم يبق طريق الى تعريف تلك الحقيقة الا بذكر لوازمها واثارها الظاهرة فكانه عليه السلام قال ان كنت من العقلاء وتفهم الكلام وتميز بين الحق والباطل فاعلم انه لا سبيل الى تعريف حقيقته الا بهذا الطريق الذي ذكرته وهذا اخر هذه المناظرة وهو في غاية الشرف والجلالة واعلم ان من فوايد هذه المناظرة انها تدل على انه تعالى ليس بجسم ولا متحيز ولا متشكل لانه لو كان كذلك لكان الجواب الكاشف عن الماهية ممكنا وحينئذ يكون جواب موسى باطلا وسوال فرعون حقا ولما كان القول بذلك باطلا علمنا انه منزه عن الجسمية والجوهر والحيز وبالله التوفيق ولما كان ختم هذه المناظرة على التمسك بشروق الكواكب وغروبها فلنذكر هاهنا كيفية هذه الدلالة والله اعلم

الفصل الثامن

في شرح كيفية دلالة الشروق والغروب على وجود الصانع الحكيم تعالى

اعلم انه تعالى ذكر كيفية الشروق والغروب في ايات احدها انه ذكره بلفظ الوحدان فقال رب المشرق والمغرب ومنها انه ذكره بلفظ التثنية فقال رب المشرقين ورب المغربين ومنها انه ذكره بلفظ الجمع فقال رب المشارق والمغارب ومنها انه تعالى عبر عن الشروق والغروب بعبارة اخرى فقال والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس وقال في سورة الفلق قل اعوذ برب الفلق وهو اشارة الى زمان الطلوع ثم قال ومن شر غاسق اذا وقب وهو اشارة الى زمان الغروب

ومنها انه تعالى خص اول زمان الطلوع فقال فالق الاصباح وجاعل الليل
سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وخص زمان الغروب
بالذكر فقال والنجم اذا هوى وقال ابرهيم عليه السلام لا احب الافلين
وهاهنا مباحث البحث الاول وهو ان الطلوع والغروب حالتان عجيبتان
يدلان على الافتقار الى الخالق المدبر الحكيم وذلك لانا اذا نظرنا الى الكوكب
اول طلوعه من افق الشرق فانه يطلع مستنيرا متلالئا ليس في نوره
كدورة ولا غبرة ولا ظلمة واذا نظرنا اليه وهو في افق المغرب نراه قد
ذهب نوره ورونقه حتى ان الشمس مع عظم جرمها وكمال نورها اذا قربت
من الغروب فانه يذهب نورها ورونقها واذا اعتبرنا هذه الاحوال علمنا ان
اول طلوع الكوكب شبه ولادة الصبي ولذلك فان اهل النجوم جعلوا الدرجة
الطالعة من الفلك دليل الحياة وقالوا كما ان الولد ظهر في هذا العالم بعد ان
كان غير ظاهر كذلك ظهرت هذه الدرجة في تلك الساعة بعد ان كانت غير ظاهرة
فلما حصلت المشابهة بينهما من هذا الوجه جعل تلك الدرجة دليلا على حياته
ثم ان الكوكب بعد طلوعه يزداد كل لحظة تصاعدا وقوة ونورا واستعلاء
وكمالا ولا يزال كذلك الى ان يقرب من وسط السماء الى هذا الوقت تشبه حالة
الادمي في زمان النشو والنماء ثم اذا قربت الشمس من وسط السماء فهنالك تبقى
زمانا على حالة واحدة لا يشاهد فيها لا اثر الارتفاع ولا اثر الانخفاض
وهذه الحالة من الشمس وساير الكواكب تشبه حال الانسان في زمان الشباب
ومدة الوقوف وهي المدة التي لا يظهر فيها زيادة ولا نقصان ثم ان الشمس
والكوكب بعد ذلك يقع في الربع الغربي من الفلك ولا يزال ياخذ في الانحطاط
قليلا قليلا الا انه يظهر بسبب الانخفاض نقصان في نورها وقوتها
وحرارتها وهذه الحالة من الكوكب تشبه حالة الانسان في سن الكهولة
واخر هذا الوقت هو اول وقت صلاة العصر ثم من بعد صلاة العصر تاخذ

قوة الشمس في النقصان الظاهر والانحطاط البين فينقص نورها ويقل
ضوؤها ويعظم امتداد ظلها ولا يزال تتزايد هذه النقصانات الى ان يصل
الكوكب الى افق الغرب وهذه الحالة من الشمس والكوكب تشبه سن الشيخوخة
واما غروبها في افق المغرب فلا يكون الا بعد ذهاب نورها واصفرار لونها
ونقصان قوتها وارتعاش ذاتها وسقوطها في النظر على وجه الارض ثم
انها تغرب فتصير كانها فنيت وبطلت وهذه الحالة تشبه حال الانسان عند الموت
فانه اولا يذهب نور وجهه وتبطل حسن صورته ويصفر لونه ويضعف قوته
وياخذه الارتعاش والضعف ثم يسقط على وجه الفراش بحيث لا يمكنه ان يرفع
راسه ثم انه بعد ذلك يموت فهذه الاحوال الاربعة للشمس والقمر وساير الكواكب
تشبه الاحوال الاربعة لكل حيوان ونبات اعني سن النمو وسن الوقوف وسن
الكهولة وسن الشيخوخة ثم حصول الموت بعد ذلك ثم ان الشمس اذا غربت بقيت
اثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم بعد ذلك يزول ذلك الشفق ولا يبقى في هذا
العالم من اثار الشمس شيء البتة وهذا اشبه ان الانسان اذا مات بقي بعد موته
ذكره واثاره اياما قليلة ثم انه يبطل ذلك الذكر وتلك الاثار ولا يبقى في الانسا
منه اثر ولا خبر فهذه الاحوال الخمسة للشمس تشبه الاحوال الخمسة للانسان
فلهذا السبب اوجب الشارع الحكيم الصلوات الخمس في هذه الاحوال الخمسة وما
احسن هذا الترتيب وما اشد مطابقة الحكمة الشرعية النبوية على الحكمة العرشية
الروحانية واعلم انك متى تاملت في جميع الاجرام العلوية والسفلية والابداعية
والعنصرية ظهر لكل عاقل انها عند الشروق والتصاعد اخذت في الكمال بعد ان كانت
ناقصة وعند الانحدار من وسط السماء الى نهاية الغروب اخذت في النقصان
بعد ان كانت كاملة وتوارد هذه النقصانات بعد الكمالات والكمالات بعد
النقصانات على سبيل الدوام والاستمرار يدل على انه لا كمالاتها لها بذواتها ولا
نقصاناتها لها من انفسها بل هي تحت تسخير مسخر وتدبير مدبر قاهر يتصرف فيها

بتقديره وتجريها على حسب ارادته ومشيته الا له الخلق والامر تبارك الله رب
العالمين البحث الثاني في الشروق والغروب وهو ان حال ما ياخذ ذلك الكوكب
في الغروب ترى كوكبا اخر في مقابلته من افق المشرق اخذ في الطلوع وترى
كوكبا اخر قد طلع وهو اخذ في الارتفاع والتصاعد وكوكبا اخر قد بلغ
وسط السما وكوكبا اخر قد وقع في الربع الغربي وقرب من الغروب فاذا اعتبرت
هذه الاحوال تراها مشابهة لاحوال الخلق في هذا العالم فانسان يموت
وانسان يتولد وثالث في تلك الساعة يكون طفلا ورابع شاب وخامس كهل
وسادس شيخ وكما ان كواكب السموات مختلفة الاحوال فبعضها سعد وبعضها
نحس وبعضها قوي النور وبعضها ضعيف النور وبعضها قريب من وسط السما
وبعضها واقع في اطراف الفلك وبعضها في الشرف والعتبه المتلمه وبعضها في
الوبال والهبوط والخلو عن الحظوظ فكذلك نرى اشخاص هذا العالم بعضهم في
السعاده وبعضهم في النحوسه وبعضهم في الغنى وبعضهم في الفقر وكذا القول
في الدولة والعلو والذلة والسقوط وكما ان مدبر العالم العلوي دبر نظام
تلك الكواكب مع اختلافها في الطلوع والغروب والنورانية والضعف من غير ان
يختل شيء من احوالها فكذلك يدبر احوال اشخاص العالم السفلي مع اختلافهم في
السعاده والشقاوه والغنا والفقر وعند هذا يلوح لك شمة من اسرار قوله
كل يوم هو في شان وقوله لا يشغله شان عن شان وقوله يدبر الامر من السما
الى الارض ثم يعرج اليه وتمام الكلام في هذه المباحث العميقة ما اليه الاشاره
في سوره الاعراف وهو قوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب
المعتدين فقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اشاره الى ما ذكرناه من
كيفية التسخير والتدبير وقوله الا له الخلق والامر فيه سر عجيب وحكمة غالبه وهي انك

لما شاهدت في اجزاء السموات والارض والكواكب اثار التسخير والتدبير يقع في
قلبك ان تعرف وجه الحكمة في كل واحد منها على سبيل التفصيل فحينئذ يقال لك
قف في درجتك ولا تتعد طورك ولا يلتقي عقلك في بحر لا ساحل له ولا تكلف
نفسك صعود جبل لا نهاية له ولا تطمع في الوصول الى ما هو فوق فهمك
ووهمك وعقلك وروحك فانك لست من رجال هذه الاسرار ولا في حدقة عقلك
قوة الاطلاع على هذه الانوار ولكن اعترف لنفسك بالعجز والذلة والقصور
واعترف بخالق هذه الانوار الموجودات على سبيل الاجمال الغاية الجلالة ونهاية
الكبريا وقل الا له الخلق والامر والحكمة والقوة والعلو والسلطان والكبريا
تبارك الله رب العالمين ومدبر الاجساد والارواح والعلويات والسفليات اجمعين
ثم اذا تركت الخوض في ذلك التفصيل واعترفت بهذا التعظيم على سبيل الاجمال
فعند هذه الحالة ارجع الى نفسك واعتبر حال عجزك وقصورك واشتغل بالدعا
والتضرع فها هنا غاية درجات الصديقين ونهاية خطرات افكار العارفين
وليس وراه للعقول مطار ولا مسرى ولا للافكار مجال ولا محط واليه الاشاره
بقوله تعالى في اخر هذه الايه ادعوا ربكم تضرعا وخفية فما اجل هذه التلويحات
التي اشتمل عليها القران العظيم وما اشرف هذه الرموز الحاصلة في مطاوي
ايات الذكر الحكيم فوالله الذي لا اله الا هو انه لا يخطر ببال هذا المسكين الكاتب
لهذا الكتاب ولا يدور في خياله طريق احسن ولا انفع ولا اجذب للارواح
البشريه والعقول الانسانية الى حضرة القدس لاجل الصعود من هذه السافلات الى الالهيه
والاسرار العلويه ونظير هذه الايه قوله تعالى في اخر ال عمران ان في خلق السموات
والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا
باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض
اشاره الى وقوع العقل في هذا البحر الذي لا ساحل له وقوله ربنا ما خلقت هذا

باطلا اشاره الى منع العقل من طلب هذه التفاصيل والحاث ان يعتصم على الثنا المجمل وقوله فقنا عذاب النار اشاره الى الاشتغال بالدعا والتضرع عقيب حصول هذه الثنايا البحث الثالث في الاستدلال بكيفيه الطلوع والغروب على وجود الخالق المدبر اعلم ان المقصود من المشرق والمغرب بلفظ الوحدان اشاره الى مشرق الشمس ومغربها واما قوله رب المشرقين ورب المغربين فالمراد طلوع الشمس والقمر وغروبهما واما قوله رب المشارق والمغارب ففيه قولان الاول المراد منها طلوع الشمس والقمر والنجوم والثاني المراد منها مطالع الشمس ومغاربها وذلك لان الشمس اليوم الذي يكون في النقطه الاولى من السرطان وهو اليوم الاول من الصيف الى ان تحصل في النقطه الاولى من الجدي وهو اليوم الاول من الشتا مجموع ستة اشهر تطلع كل يوم من مطلع اخر وذلك ماية وثمانون مطلعا ثم انها من اول الشتا الى اول الصيف وهو ايضا ستة اشهر ترجع فتطلع من تلك المطالع باعيانها ولما كان للشمس ماية وثمانون مغربا كان المراد من قوله رب المشارق والمغارب هذه المغارب وهذه المشارق والله اعلم فهذا القول الاستدلال باحوال المشارق والمغارب على الخالق المدبر الحكيم في غاية الظهور وذلك لان هذه الاجسام الفلكيه والاجرام الكوكبيه لا يمكن ان يكون حركتها لنفس طبايعها ويدل عليه وجوه الحجة الاولى ان الاجسام متساويه في الجسميه وتمام الماهيه وحكم الاشيا المتساويه في الذات وتمام الماهيه المتساوي في اللوازم والاحكام واذا كان كذلك فكما صح على واحد منها صح على الباقي واذا كان كذلك كان اختصاص كل فلك وكل كوكب بطبعه وحيزه وشكله وحركته لابد وان يكون لاجل القادر المختار الحجة الثانيه ان الشي الذي يكون مهروبا عنه لحكم الطبيعه يمتنع ان يكون مطلوبا بمقتضى نفس تلك الطبيعه وها هنا الاجرام الفلكيه متحركه بالاستداره وكل ما كان متحركا بالاستداره فان كل نقطه تفرض كونها مهروبا عنها فان المهروب عنها هو نفس طلبها

ونفس التوجه اليها فثبت ان هذه الحركة ليست بالطبيعة الحجة الثالثة لو كانت هذه الحركات طبيعيه لوجب ان يكون شروقها وغروبها على نهج واحد وطريقه واحدة لان ما يكون من توابع الطبيعه وجب بقاوه وعدم تغيرها لكنا بينا ان الشمس تطلع كل يوم من مشرق اخر وتغرب في مغرب اخر فثبت بهذه الدلايل ان حركات هذه الافلاك ليست من ذواتها وطبايعها وانه لابد وان يكون بتدبير مدبر وتقدير مقدر وقهر قاهر تحركها على حسب مشيته ومقتضى ارادته فسبحان الله رب العالمين فان قيل لم لا يجوز ان يقال ان حركاتها بسبب انها احيا مختاره قلنا هب ان الامر كذلك الا انا على هذا التقدير يكون كل واحد منها مخصوصا باختيار خاص وارادة خاصه فيعود طلب العلة لذلك الاختصاص ولا يقطع الطلبات ولا تزول الحاجات الا عند الانتهاء الى الفاعل الالهي والمقدر الازلي السرمدي سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومن الايات الوارده في هذا الجنس من الكلام قوله تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس واعلم ان الخنس جمع خانس والخنوس الانقباض والاستخفا يقال خنس من بين القوم والخنس في الحديث الشيطان يوسوس الى العبد فاذا ذكر خنس اي انقبض منه ولذلك سمي بالخناس والكنس جمع كانس وكانسة يقال كنس اذا دخل الكناس وهو مقر الوحش يقال كنست الظبا في كنسها وتكنست المراه اذا دخلت هودجها تشبه بالظبي اذا دخل الكناس اذا ثبت هذا فنقول المعتبرون من المفسرين ذكروا في الخنوس والكنوس وجهين الاول ان ذلك اشاره الى رجوع الكواكب واستقامتها فرجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاوها تحت ضوء الشمس ولا شك ان هذه حاله عجيبه وفيها اسرار عظيمه باهره فلهذا المعنى اقسم الله بها والقول الثاني ما روي عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه واختاره مقاتل وقتاده انها جمع الكواكب وخنوسها عباره عن غيبوبتها عن البصر في النهار وكنوسها عباره عن ظهورها للبصر في الليل وعندي فيه قول ثالث وهو ان هذه الكواكب السبع السياره

تختلف مطالعها ومغاربها على ما قررناه وشرحناه ولا شك ان لها
مطلعا واحدا ومغربا واحدا هما اقرب المشارق والمغارب الى سمت رؤسنا
ثم انها تاخذ في التباعد قليلا قليلا حتى تميل الى سمت رؤسنا فخنوسها عبارة
عن تباعدها عن هذا المطلع الذي هو اقرب المطالع الى سمت الراس وكنوسها
عبارة عن عودها اليه فعلى التفسير الاول يكون القسم واقعا بالخمسة المتحيرة
وعلى القول الذي ذكرته يكون القسم واقعا بجميع الكواكب سواء كانت من
السيارات او من الثوابت واعلم انه تعالى لما اقسم بها دل ذلك على اختصاصها
باسرار عجيبة واحوال شريفة لا تصل العقول البشرية اليها على ما حققنا
الكلام فيه في تفسير قوله في اخر ال عمران الذين يذكرون الله قياما وقعودا الى
قوله فقنا عذاب النار ومما يدل هاهنا انه تعالى ابتدا اعمال الصديقين
بالذكر فقال الذين يذكرون الله ثم انهم يصلون من الذكر الى الفكر واليه الاشارة
بقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض وهاهنا اشكال وهو انه تعالى
قال في الذين يذكرون الله فجعل الذكر المعتبر اللائق بهذا المقام ذكر الله لا ذكر
غيره ثم جعل نهاية هذا الذكر الفكر فكان يجب ان يكون هذا الفكر هو الفكر
في الله لكنه لم يقل ذلك بل جعل الفكر اللائق بهذا المقام الفكر في خلق السموات
والارض وهذا اشتغال بغير الله تعالى فكيف يعقل ان يجعل ذكر الله اولا مبدا
الفكر في غير الله غاية وكمالا والجواب انا بينا في مناظرة موسى عليه السلام
مع فرعون ان الفكر في الله ممتنع لانه لا يمكن التوصل الى جلال الله وعظمته
الا بالنظر في مخلوقاته ومبتدعاته وهذا متايد بقوله عليه السلام تفكروا في
الخلق ولا تتفكروا في الخالق ولما كان اشرف مخلوقاته المحسوسة السموات
والارض كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس لا جرم جعل الغاية
القصوى لسير افكار المقربين والنهايات العظمى لغايات انظارهم ان يتفكروا في
عجايب خلق السموات والارض ثم انا بينا فيما قبل ان الخاطر اذا وقع في هذا

بلغ صح

الموضع كان الاولى ان يرده عنها ويمنعه عن الخوض فيها والاقتصار على الثنا
المبهم والتعظيم المجمل كما في قوله في الاعراف والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
ثم قال بعده الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وهذا هو الثنا ثم قال بعده
ادعوا ربكم تضرعا وخفية وهذا هو الدعا وقال في ال عمران ويتفكرون في خلق
السموات والارض ثم قال بعده ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وهذا هو الثنا
ثم قال فقنا عذاب النار وهذا الدعا فهذه الاثار التي وجدناها في فضل القران
هي اشرف المطالب واعظم الرغايب وما ذاك الا بتوفيقه وهدايته وما هو الا من
فضل ربي ليبلوني ااشكر ام اكفر فيا رب الارباب واله الالهة زدنا من فضلك واحسانك
يا ارحم الراحمين اما قوله تعالى والليل اذا عسعس فقال اهل اللغة عسعس من الاضداد
يقال عسعس الليل اذا ادبر وعسعس اذا اقبل ثم منهم من قال المراد هاهنا اقبل
الليل لانه على هذا التقدير يكون القسم واقعا باقبال الليل وهو قوله والليل اذا
عسعس وبادباره وهو قوله والصبح اذا تنفس ومنهم من قال المراد بقوله عسعس
ادبر ثم قوله والصبح اذا تنفس اي امتد ضوءه وتكامل فقوله والليل اذا عسعس
اشارة الى اول طلوع الفجر وقوله والصبح اذا تنفس اشارة الى تكامل طلوع الصبح
ونظيره قوله تعالى والليل اذ ادبر والصبح اذا اسفر اما قوله والصبح اذا تنفس
اي اذا اسفر وهو كقوله والصبح اذا اسفر ثم في كيفية التشبيه قولان احدهما انه
اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على سبيل المجاز والثاني
انه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك واجتمع الحزن في
قلبه فاذا تنفس وجد راحة فهاهنا لما طلع الصبح فكانه تخلص من ذلك الحزن
فعبر عنه بالتنفس واعلم ان في طلوعها وغروبها احوالا عجيبة فلنقل ان طلوع
الشمس يشبه تكوين العالم وتخليقه في اول الامر ويكون غروبها يشبه
تخريب العالم وقت قيام القيامة ويعتبر بهذا التشبيه ان الظلمة صفة
عدمية فهي شديدة المناسبة للعدم الاصلي المستمر من الازل الى وقت حدوث

العالم فكما ان في الليل يكون الظلمة مستقرة في جميع اقطار السموات واكناف
الارض فكذلك كانت ظلمة العدم مستقرة مستمرة من الازل الى الابد فكما
كان هناك لا لوح ولا قلم ولا انوار ولا ظلم ولا سما ولا ارض ولا طول ولا عرض
ولا ذوات ولا صفات بل كان الله ولم يكن معه شي غيره وكما ان في اخر الليل
يتعلق بالظلمات شي من النور ويكون ذلك النور محفوفا بالظلمات التي
لا حد لها فكذلك ظهر في اخر الليل الازل شي من نور ايجاد الله وتكوينه وهذه
المخلوقات متناهية والممكنات الباقية على العدم غير متناهية والمتناهي
بالنسبة الى غير المتناهي قليل من كثير فهذه الحالة شبيهة بنور الصبح في بحار
ظلمات الليل واذا عرفت هذا ظهر ان طلوع النور مسبوق بتراكم ظلمات العدم
وظهر ايضا ان الانوار الساطعة على الممكنات من الوجود اقل من الممكنات
الباقية في ظلمات العدم لا جرم قدم الله تعالى ذكر الظلمات على النور وعبر عن
الظلمات بلفظ الجمع وعن النور بلفظ المفرد فقال الحمد لله الذي خلق
السموات والارض وجعل الظلمات والنور فتامل في هذه الاسرار فهذا حال
تشبيه طلوع الصبح بطلوع صبح الايجاد والتكوين من شروق احسان الله تعالى
وفضله وعنايته البحث الثاني ان غروب الشمس في اخر النهار شديد
الشبه باماتة جميع الاحيا وقت قيام القيامة وبقا الخلق خامدين ليس لهم
حس ولا حركة في الليل شبيه ببقا الخلق فيما بين النفختين على العدم المحض ثم
انتباه الخلق في وقت الصبح شبيه قيام الخلق عند الحشر والبعث وتقرير هذا
الكلام هو ان النفخ في الصور يحصل بثلث مرات اولها نفخة الفزع قال تعالى
في سورة النمل ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من
شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذه الاحوال بعينها
موجودة في الشمس وذلك لان غروبها في المغرب يشبه نفخة الفزع فان
الشمس اذا غربت في مغربها استولى الخوف والفزع على الحيوانات وتوجه

والثانية نفخة الصعق
والثالثة نفخة الاحيا
قال تعالى في الزمر
ونفخ في الصور فصعق
من في السموات ومن في الارض
الا من شا الله ح

كل واحد منها الى ماواه ومسكنه ثم اذا غرب الشفق بالكلية فذلك يشبه نفخة
الصعق وهناك يسكت كل حيوان وينام ويصير الكل خامدا جامدا او كانه
صار ميتا او صار معدوما الا من شا الله من الحيوانات التي لا تنام وهذا
الاستثنا المذكور في الاية حاصل ايضا ها هنا واما طلوع الصبح فكذلك
شبه نفخة البعث والاحيا وذلك لان الشمس اذا قربت من مشرقها فكانها تنفخ
روح النور في الاموات عالم الظلمات وهكذا ايضا حال النفخة الثالثة
لاسرافيل عليه السلام فانه يصل من قوة تلك النفخة اثر الحياة الى جميع الحيوانات
واعلم ان مشاهدة هذه الاحوال الثلثة في الشمس من اقوى الدلايل على صحة هذه
الاحوال الثلثة في يوم البعث وزمان القيامة وذلك لان الارواح اقوى واعظم
من الاجسام فاذا لم يبعد ان يكون في عالم الاجسام من مخلوقات الله تعالى
جسم له هذه التاثيرات الثلثة فاي بعد في ان يكون عالم الارواح من مخلوقات الله تعالى
ملك يكون له هذه التاثيرات الثلثة وعند هذه الاعتبارات تظهر صدق اقاويل
الانبيا عليهم السلام فيما اخبروا عنه من معرفة المبدا ومعرفة المعاد اما معرفة
المبدا فهو ان عالم الاجسام مع ملكها وهو الشمس وعالم الارواح مع ملكها وهو
اسرافيل كلهم مسخرون تحت سرادقات العزة وعتبات الالهية واما معرفة
المعاد فهو قياس عالم الارواح على الاجسام فكما ان كواكب السموات مختلفة
بالعظم والصغر والكمال والضعف كان للشمس كالسلطان لها باسرها
وهي مع وحدتها مستولية على كل الكواكب والكل مقهورون تحت صولته
مخفون تحت شروق نوره كذلك يجب ان يكون في عالم الارواح شي يكون كالسلطان
لجميع الارواح ويكون الكل تحت رايته ومقهورون تحت جلالته واليه الاشارة
بقوله يوم يقوم الروح والملايكة صفا وهو المسمى بيمين رب العزة في قوله والارض
جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ثم قد شهدت الفطرة
السليمة ان الارواح كالمبدا والاجسام كالمظهر وكل واحد من الاجسام والارواح

مفتقر بعضها الى بعض ومحتاج بعضها الى بعض واحتياج بعضها الى
البعض من اصدق الشواهد واظهر الدلايل على افتقار الارواح والاجساد
والانوار والظلمات بسبب زوجيتها الى الفرد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد واليه الاشارة بقوله تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين
فثبت بما ذكرنا ان التامل في كيفية طلوع الشمس وغروبها مفتاح عظيم لانفتاح
انوار عالم القدس وتجلي اضواء سرادقات الجلال

الفصل التاسع

في كيفية الاستدلال باختلاف احوال الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم
سبحانه اعلم ان الايات الدالة على هذا النوع من البحث نوعان احدهما الايات
الدالة على تعظيم احوال الليل والنهار والثاني الايات المشتملة على حكمة خالق
الليل والنهار اما النوع الاول فهي كثيرة في القران فاولها قوله تعالى في سورة
البقرة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار الى قوله لايات لقوم
يعقلون وقال في اخر سورة ال عمران ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولي الالباب والمقصود من هذا الكلام من السورتين واحد
وقال في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على
العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا واعلم ان نظم هذه الايات الثلاث اسرار عجيبة
فالاول انه تعالى ابتدا في هذه الايات الثلاث بذكر السموات والارض ثم ذكر عقيبها
احوال الليل والنهار والسبب في هذا الترتيب ان تحلو السطح المقعر من الفلك
الاعظم ظهر المكان وتحرك السطح المحدب منه ظهر الزمان فالمكان اقرب
الينا من الزمان وقد عرفت ان التعليم المفيد هو الذي يبتدا فيه من الاظهر
فالاظهر مترقيا الى الاخفى فالاخفى ولما كان المقصود من هذه الايات ذكر
الدلايل الدالة على جلال الله وقدسه لاجرم وقع الابتدا فيها بذكر خلق
السموات والارض فان ذلك مشعرا بالمكان ثم وقع الانتقال منها الى ذكر
الليل والنهار فانه مشعر بالزمان ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام

بلغ

قل لمن ما في السموات والارض قل لله فهذا اشارة الى ان الزمان والمكان وكل
ما في المكان ملكه وملكه ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار وهو اشارة الى
ان كل ما في الزمان ملكه وملكه فالمكان والمكانيات والزمان والزمانيات
شاهدة معترفة دالة على كونه سبحانه منزها عن علائق المكان ولواحق الزمان
ومناسبات الحدوث والامكان ومشابهات الافلاك والاركان ومن نظايره
ايضا قوله تعالى في صفة السماء رفع سمكها فسواها وهو اشارة الى المكان
ثم قال واغطش ليلها واخرج ضحاها وهو اشارة الى الزمان النوع الثاني
من لطايف هذه الايات انه تعالى جعل هذه الدلايل في سورة البقرة ايات لقوم
يعقلون وجعلها في سورة ال عمران ايات لاولي الالباب وفي سورة الاعراف
انتقل من الغيبة الى الحضور فقال ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض والسبب
في هذا الترتيب على ما يخطر بالبال والله اعلم باسرار كلامه ان درجات المحققين
ثلاثة اولها الذين يستدلون باحوال السموات والارض على وجود الصانع المختار
واليه الاشارة في سورة البقرة بقوله لايات لقوم يعقلون والثاني الذين
صاروا مكاشفين بكيفية دلالة كل واحد من اجزاء الارضين والسموات على
الصانع وحكمته وعلمه وعدله وذلك لانا بينا ان لكل واحد من اجزاء الارضين
والسموات دلالات لا نهاية لها على كمال قدرة الله وحكمته فاذا صار الانسان
مكاشفا باحوال تلك الدلالات حتى يصير عقله غرقا في بحار تلك الدلايل فهذا
الانسان قد ترقى من ظاهر عالم العقل الى اوج عالم الاسرار والالباب واليه
الاشارة في سورة ال عمران بقوله لايات لاولي الالباب والثالث ان الانسان
في المقام الاول والثاني كان مشغولا بمطالعة الدلايل و[illegible] اشتغال العقل
بمطالعة الدلايل تحصل الحرمان عن الاستغراق في نور جلال الله فاذا كملت توجه
الانسان في مقام الاستدلال نودي من بطنان الصمدية وسرادقات الجلال
والكبريا اخلع نعليك فان كل دليل فهو مركب من مقدمتين لا محالة لا ازيد ولا انقص

سان
ويشفد بر صح

وهاتان المقدمتان كالنعلين في قدم العقل فبهما يتمكن العقل من السفر من الخلق
الى الخالق ومن الممكن الى الواجب وصل الى بيداء الصمدية وبساط جلال الالهية
يؤمر بخلع هذين النعلين فاذا قال العبد لم اخلعهما قيل له لانك بالوادي المقدس
طوى حتى وصل الى الوحدة كيف يلتفت الى الكثرة ومن وجد المدلول كيف يكون
مشغولا بالدليل وحينئذ يترقى من مقام الغيبة الى الحضور والشهود فيصير
مخاطبا من الحق بالحق في الحق الى الحق فيسمع من غير واسطة ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام وسمعت بعض المحققين يقول ان في اول الامر يقول
العبد ما رايت شيئا الا ورايت الله بعده وفي وسط السير يقول ما رايت شيئا الا ورايت
الله معه وفي اخر الدرجة يقول ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله وذلك لانه في المقام
الاول يستدل بغير الله وفي المقام الاخير يستدل بمعرفة الله على الله وهذه المراتب
الثلثة مطابقة لهذه الايات الثلثة واعلم ان دلالة الليل والنهار على وجود الصانع
الحكيم من وجوه الاول كون الليل والنهار مختلفين كما في هذه الاية وقال في يونس
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون
وقال في الحج ذلك بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وان الله سميع عليم
وقال في الفرقان وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا
وقال في الزمر يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال المفسرون هذا
الاختلاف يحتمل وجهين الاول انه افتعال من قولهم خلفه يخلفه اذا ذهب الاول
وجاء الثاني فاختلاف الليل والنهار عبارة عن تعاقبهما في المجيء والذهاب ومنه
يقال فلان يختلف الى فلان اذا كان يذهب اليه ويجيء من عنده فذهابه يخلف مجيه
ومجيه يخلف ذهابه وكل شيء يجيء بعد شيء اخر فهو خلفه وبهذا فسر قوله تعالى
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة والثاني المراد واختلاف الليل والنهار في
الطول والقصر والزيادات والنقصان وعندي فيه وجه ثالث وهو ان الليل
والنهار كما يختلفان في الطول والقصر في الازمنة فهما ٥ يختلفان ايضا في

الامكنة فان الارض كرة واذا كان كذلك فهذه الساعة التي اشير اليها
هنا وقت الصبح وفي موضع اخر وقت طلوع الشمس وفي موضع اخر وقت
الظهر وفي موضع وقت المغرب وفي موضع اخر وقت نصف الليل وعلى هذا
القياس جميع الاحوال المختلفة في الليل والنهار حاصل في هذه الساعة الواحدة
بحسب كل واحد بقاع الارض هذا اذا اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول
اما اذا كان في البلاد المختلفة في العرض فكل بلد يكون عرضه الشمالي اكثر
كانت ايامه الصيفية اطول ولياليه الصيفية اقصر وايامه ولياليه الشتوية
بالضد فهذه هي الاحوال المختلفة في الايام والليالي بحسب اختلاف اطوال
البلاد وعرضها وهذا ايضا هو المراد من تكوير الليل والنهار الوجه الثاني
من وجوه دلالة الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم قوله تعالى في القصص
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون
اما كلمة هو فسيجي تفسيرها في اسماء الله واما كلمة لا اله الا هو فقد تقدم
تفسيرها ثم انه تعالى اردف ذلك بصفات ثلثة الصفة الاولى قوله له الحمد في
الاولى والاخرة وفيه ابحاث ثلثة احدها بيان حقيقة الحمد والفرق بينه
وبين المدح والشكر والثاني ان قوله له الحمد دال على ان غيره لا يستحق الحمد
والثالث ان اهل الاخرة مشغولون بالحمد كما في هذه الاية وكما في قوله تعالى
وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي احلنا دار المقامة
من فضله واخر دعواهم فيها ان الحمد لله رب العالمين وتحقيق الكلام في هذه
المباحث سيجي ان شاء الله تعالى في تفسير سورة الفاتحة الصفة الثانية قوله وله الحكم
والمعنى انه لا في الاولى ولا في الاخرة الا له اما في الدنيا فلان حكم احد سواه ه حكم صح
لا ينفذ على الغير الا بواسطة حكمه فلولا امر الله وحكمه لما نفذ على العبد
حكم سيده وعلى الزوجة حكم زوجها وعلى الولد حكم والده وعلى الرعية
حكم السلطان وعلى الامة حكم الرسول ونظيره قوله تعالى لله الامر من قبل

ومن بعد وقوله الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين واذا تاملت كما ينبغي
علمت ان الحق هو الحاكم في الحقيقة واما في الاخرة فلا شك انه تعالى له الحكم
والقضا كما قال يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله الصفة
الثالثة هي قوله تعالى واليه ترجعون يعني مرجع كل احد الى حكمه وقضائه
لا تصرف لاحد في ذلك اليوم كما قال يوم لا تجزي نفس عن نفس شيا والامر
يومئذ لله واعلم انه تعالى لما بين انه هو المستحق للحمد اتبع هذا الكلام
ببعض ما يستحق الحمد وهو اتحاد الليل والنهار فقال قل ارايتم ان جعل الله
عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله ياتيكم بضيا افلا تسمعون
قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله
ياتيكم بليل تسكنون فيه افلا تبصرون واعلم ان وجه الاستدلال بهذا المعنى
على الصانع الحكيم من وجوه الاول انه لا بد من النهار ليحصل فيه الضو فيتيسر
التحرك عند الابصار ولا بد من الليل ليحصل الظلمة فيه فيحصل السكون عند ذلك
الانتشار واما انه لا بد من التحرك فلان الانسان محتاج الى تحصيل المطعوم
والملبوس واعداد المسكن وساير المصالح وكل ذلك مما لا يتهيا الا عند
السعي والجد في التحصيل وذلك لا يتيسر الا في ضو النهار واما انه لا بد من
السكون فلان الانسان اذا سعى وتحرك كثيرا تعب فاحتاج الى النوم
والراحة ليزول ذلك الاعيا والتعب الوجه الثاني هي كيفية الاستدلال
ان تقدير ان يسكن الله الشمس في موضع معين في الفلك او وقف الفلك عن
الحركة فحينئذ يدوم النهار في ذلك الجانب من الارض وتعظم السخونة فيه ويدوم
الليل في الجانب الاخر من الارض وتعظم البرودة فيه وحينئذ يخرج كل واحد
من جانبي الارض عن صلاح العمارة وسكنى الحيوانات الوجه الثالث
ان بتقدير تعاقب الليل والنهار فلو كان الليل اطول مما هو الان او كان النهار
اطول مما هو الان لبطلت المنافع ايضا الا ترى ان تحت القطبين يكون

نصف السنة نهارا ونصفها ليلا لا جرم ان هناك لا يصلح لتولد الحيوانات
ولا لتولد النبات فظهر ان المنافع لا تحصل الا بتعاقب الليل والنهار ومع
التعاقب ان لا يكون الليل في غاية الطول ولا ان يكون النهار في غاية الطول
ومتى حصلت التعاقب بين الليل والنهار وكان لكل واحد منهما مدة معتدلة
ومقدار معتدل حصلت المنافع وصلحت الامكنة لسكنى الحيوانات
الوجه الرابع ان كل واحد من الليل والنهار يصير يمحى الاخر مغلوبا فلولا
قهر قاهر وتدبير مدبر لامتنع ان يصير الغالب والمغلوب غالبا وهذا
يدل على ان لهما محدثا وموجدا وفيه ايضا دلالة على البعث لان الليل
ياتي على النهار فيسلبه حتى لا يبقى من اثر النهار شي ثم ان النهار ياتي على الليل
فيسلبه حتى لا يبقى من اثر الليل شي ثم انهما بقيا على هذا التعاقب دايما فلما
قدر المدبر سبحانه على اعادة الليل الذي ذهب وبطل فدل ذلك على انه قادر
على اعادة ما اماته وافناه وان لم يبق له اثر الوجه الخامس من قوله تعالى
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل دليل على فساد قول الثنوية انه فاعل
الخير غير فاعل الشر لان الامر لو كان كما ذكروا لكان الاتي بالنور غير الاله
الاتي بالظلمة فاذا غلب الاله النور الاله الظلمة فالغالب لا يصير مغلوبا فوجب
ان لا يزول النهار ولا يحصل الليل فلما لم يكن كذلك علمنا ان الليل والنهار
والظلمة والنور بتقدير مقدر واحد ومدبر مدبر واحد وهو الله رب العالمين
بقي في الاية سوالات السوال الاول ما معنى السرمد في اللغة الجواب السرمد
هو الدايم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة
سرد وواحد فرد الثاني هلا قال بنهار تتصرفون فيه كما قال بليل تسكنون
فيه الجواب ان منافع الليل هو السكون والنوم والراحة واما منافع النهار
فكثيرة يطول تعديدها السوال الثالث لم قال في الليل افلا تسمعون وفي
النهار افلا تبصرون فالجواب لان الليل عبارة عن الظلمة وهي غير مرئية لا جرم

قال في نظامها افلا تسمعون والنهار عبارة عن الضوء وهو مرئي فلهذا قال
افلا تبصرون وقال الكلبي قوله افلا تسمعون معناه افلا تطيعون من يفعل
ذلك وقوله افلا تبصرون معناه افلا تبصرون ما انتم عليه من الخطا والضلال
النوع الثالث من وجوه دلالة النهار والليل على الصانع المختار الحكيم قوله تعالى
في اخر هذه الاية ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله
ولعلكم تشكرون واعلم ان تقرير هذا الوجه ان الليل والنهار ضدان والضدان
يكون كل واحد منهما مبطلا لذات الاخر ومنافيا للمنفعة اما الليل والنهار فانه لا تحصل
الانتفاع باحدهما الا عند حصول الاخر فغلب طبيعة الضدين من المعاوقة
الى المعاونة مما لا يقدر عليه احد الا الله تعالى وانما قلنا انه لا تحصل المنفعة
الا بتعاقبهما وذلك لانه لو دامت الظلمة دام النوم وتعذرت الحركات
فهلكت الحيوانات ولو دام الضوء دامت السخونة ولم يحصل النوم ويستولي
الاعيا والتعب على الحيوانات فيموت الكل فظهر ان الانتفاع باحدهما لا يمكن
الا عند حصول تعاقبهما ومن المعلوم ان قلب طبيعة الضدين من المعاوقة الى
المعاونة لا يقدر عليه الا الله تعالى ثم انه تعالى بين في هذه الاية انه زاوج
بين الليل والنهار لاغراض لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار ولتشتغلوا
بالشكر عن هاتين المنفعتين النوع الرابع من وجوه دلالة الليل والنهار على
الصانع الحكيم قوله تعالى في سورة الفرقان وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم
سباتا وجعل النهار نشورا وقال في سورة عم وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا
الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا واما قوله وجعلنا نومكم سباتا فقد
طعن فيه بعض الملحدة فقال السبات هو النوم فيصير التقدير وجعلنا نومكم
نوما والجواب عنه ان السبت في اصل اللغة هو القطع سبت الرجل راسه
يسبته سبتا اذا حلق شعره وقال ابن الاعرابي في قوله سباتا يعني قطعا
وعند هذا تحتمل الاية وجوها الاول ان يكون المعنى وجعلنا نومكم نوما

منقطعا لا دائما فان النوم بمقدار الحاجة من انفع الاشيا اما دوامه
فهو من اضر الاشيا اما دوامه فهو من اضر الاشيا فلما كان انقطاعه
نعمة عظيمة لا جرم ذكره الله تعالى في معرض الانعام الثاني ان الانسان
اذا تعب ثم نام فذلك النوم يزيل عنه التعب فسميت تلك الازالة سبتا وقطعا
وهذا هو المراد من قول ابن قتيبة وجعلنا نومكم سباتا اي راحة وليس غرضه
منه ان السبات اسم للراحة بل المقصود ان النوم يقطع التعب ويزيله
وحينئذ تحصل الراحة الوجه الثالث قال المبرد وجعلنا نومكم سباتا اي جعلناه
نوما خفيفا عليكم دفعه وقطعه تقول العرب رجل مسبوت اذا كان النوم
يغالبه وهو يغالب النوم كانه قيل وجعلنا نومكم لطيفا يمكنكم دفعه
وما جعلناه غشيا مستوليا عليكم فان ذلك من الاعراض الشديدة اما قوله تعالى
وجعلنا الليل لباسا وقال القفال اصل اللباس هو الشي الذي يلبسه الانسان
ويتغطى به فيكون ذلك مغطيا له فلما كان الليل يغشى الناس بظلمته ويغطيهم
جعل لباسا لهم والمراد كون الليل ساترا لهم واما وجه النعمة في ذلك فهو ان ظلمة
الليل يستر الانسان عن العيوب اذا اراد هربا من عدو او بياتا له او اخفا ما لا يحب
الانسان اطلاع غيره عليه قال المتنبي
وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب
وكما ان الانسان بسبب اللباس يزداد جماله وتتكامل قوته ويندفع عنه اذى
التعب الجسماني واذى الافكار الموحشة النفسانية ولهذا السبب فان
المريض اذا نام بالليل وجد الخفة العظيمة اما قوله وجعلنا النهار معاشا فاعلم
ان المعاش وجهان احدهما انه مصدر يقال عاش يعيش عيشا معاشا ومعيشة
وعيشة وعلى هذا التقدير لا بد فيه من اضمار والمعنى جعلنا النهار وقت معايش
والثاني ان يكون معاش مفعلا وظرفا للتعيش وعلى هذا لا حاجة الى
الاضمار ومعنى كون النهار معاشا ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوايجهم

ومكاسبهم في النهار لا في الليل النوع الخامس من وجوه دلالة الليل والنهار
على وجود الصانع الحكيم قوله تعالى في يس واية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا
هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم واعلم ان
قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار وفي قوله تجري لمستقر لها علة اقوال
اصحها انها تجري وتتحرك الى انتها امرها عند انقضا الدنيا اي لا تزال تجري حتى
تنتهي الى الوقت الذي تنقضي الدنيا فيه وفي ذلك الوقت تقف وتستقر وتترك
الحركة ولنذكر ها هنا ان النهار افضل ام الليل وفي ترجيح كل واحد من الطرفين
وجوه اما الذين فضلوا النور على الظلمة فقد تمسكوا بوجوه اول

الفصل العاشر من مباحث متفرقة في هذا الباب

النوع الاول في المباحث المتفرقة على كون القمر هلالا اعلم انه تعالى فرع على كون
القمر هلالا احكاما تتعلق بعلم الاصول والتوحيد واحكاما تتعلق بعلم الفروع
والتكليف اما ما تتعلق بعلم الاصول فهو قوله تعالى في يس والقمر قدرناه منازل
حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل
سابق النهار وكل في فلك يسبحون ونظيره قوله تعالى في سوره اذا السما
انشقت فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق فقوله اذا اتسق
فاعلم ان اصل الاتساق الاجتماع يقال وسقته فاتسق كما يقال اوصلته
فاتصل اي جمعته فاجتمع ويقال امور فلان متسقة اي مجتمعة على الصلاح
كما يقال منتظمة قال ابن عباس اذا اتسق اي اذا استوى واجتمع وتكامل
وتم واستدار وذلك ليلة ثلثة عشر واما ما تتعلق بعلم الفروع فهو قوله

في سوره البقره يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فنتكلم
في شرح هذين الاصلين اما الاية الاولى فاعلم انه تعالى جعل الزمان
مقدارا من اربعة اوجه السنة والشهر واليوم والساعة اما السنة فهي
عبارة عن الزمان الحاصل من حركة الشمس من نقطة معينة من الفلك بحركتها
الحاصلة على خلاف الحركة اليومية الى ان تعود الى تلك النقطة بعينها والقوم
اصطلحوا على جعل تلك النقطة هي نقطة الاعتدال الربيعي وهي اول برج
الحمل واما الشهر فهي عبارة عن حركة القمر من نقطة معينة من الفلك الخاص به
الى ان يعود الى تلك النقطة ولما كان الشهر احوال القمر وضعه مع الشمس
واشهرا اوضاعه من الشمس هو الهلال العربي مع ان القمر في هذا الوقت
شبه الموجود بعد العدم والمولود الخارج من الظلمة لا جرم جعلوا
هذا الوقت مبدا للشهر واما اليوم بليلته فهو عبارة عن مفارقة نقطة
من دايرة معدل النهار ونقطة من دايرة الافق او نقطة من دايرة نصف
النهار وعودها اليها فالزمان المقدر بهذا المقدار عبارة عن اليوم والليلة
ثم ان المنجمين اصطلحوا على تعيين دايرة نصف النهار مبدا لليوم بليلته
واما اكثر الامم فانهم جعلوا مبادي الايام بلياليها من مفارقة الشمس افق
المشرق وعودها اليه من الغداه واحتج من نصر مذهبهم بان الشمس عند طلوعها
كالموجود بعد العدم فجعله اولا اولى وعلى هذا القول فزمان الليل عبارة
عن مدة كون الشمس تحت الارض وزمان النهار عبارة عن مدة كون الشمس فوق
الارض وفي شرعنا الاسلام يفتتحون النهار من وقت طلوع الفجر في وجوب
الصلاه والصوم وغيرهما من الاحكام وعند المنجمين مدة الصوم في الشرع
هي زمان النهار كله مع زيادة زمان من الليل معلومة المقدار محدودة المبدا
واما الساعة فهي على قسمين مستوية ومعوجة فالمستوية جزء من اربعة وعشرين
جزءا من يوم وليلة فهذا هو الكلام المختصر في تعريف السنة والشهر واليوم والساعة

واذا عرفت هذا فنقول اما السنه فهي عباره عن دورة الشمس ويحدث بسببها
الفصول الاربعه وذلك لان الشمس اذا حصلت في الحمل فاذا تحركت من هذا الموضع
الى جانب الشمال اخذ الهوا في جانب الشمال يسخن لقربها من مسامتة الرووس
ولتواتر الاسخان الى ان يصل الى اول السرطان وحينئذ يشتد الحر ما دامت
في السرطان والاسد لقربها من سمت ثم ينكسر قليلا قليلا الى ان يصل الى الميزان
وحينئذ يطيب الهوا ويعتدل ثم ياخذ الحر في النقصان والبرد في الزياده
ولا يزال يزداد البرد الى ان تصل الشمس الى اول الجدي وحينئذ يشتد البرد
ما دامت في الجدي والدلو فالبرد يكون في غاية الشده الى ان ينتهي الى اول الحمل
فحينئذ يطيب الهوا ويعتدل وعادت الشمس الى مبدا حركاتها وتمت السنه وحصلت
الفصول الاربعه التي هي الربيع والصيف والخريف والشتا ومنافع الفصول الاربعه
مشهوره في الكتب واما الشهر فهو عباره عن دورة القمر في الفلك الخاص به وزعموا
ان نوره مستفاد من الشمس وابدا يكون احد نصفيه مضيئا بالتمام الا انه
عند الاجتماع يكون نصفه المضي هو النصف الفوقاني فلا جرم نحن لا نرى
في تلك الحالة من نوره شيئا وعند الاستقبال يكون نصفه المضي مواجها لنا
فلا جرم نراه مستنيرا بالتمام وكلما كان القمر اقرب الى الشمس كان المرئي من
نصفه المضي اقل وكلما كان ابعد كان المرئي من نصفه المضي منه اكثر ثم انه وقت
الاجتماع الى وقت الاستقبال يكون كل ليله ابعد من الشمس لا جرم نرى كل ليله
ضوءه اكثر ومن وقت الاستقبال الى وقت الاجتماع يكون كل ليله اقرب الى الشمس
فلا جرم نرى كل ليله ضوءه اقل ولا يزال يقل ويقل حتى عاد كالعرجون القديم
فهذا ما قال اصحاب النجوم واما الاصوليون فانهم يقولون القمر جسم والاجسام
متماثله في الجسميه والاشيا المتساويه في تمام الماهيه يمتنع اختلافها في
اللوازم فاذن حصول الضو في جرم القمر والشمس امر جايز الوجود لا يمتنع عدمه
وما كان كذلك امتنع رجحان وجوده على عدمه الا بترجيح الفاعل المختار فان ذلك

الفاعل يكون قادرا على ايجاده وعلى اعدامه وعلى هذا التقدير فلا حاجة الى
اسناد هذه الاختلافات الحاصله في نور القمر الى قربها وبعدها من الشمس
بل الحق ان حصول النور في جرم الشمس انما كان بسبب ايجاد القادر المختار
واذا كان كذلك كان لا محاله قادرا على ازالة النور عن جرمه فحينئذ يكون صيرورة
الشمس مظلمه في ذواتها امرا جايزا وحينئذ ينفتح باب عظيم في الدين وهو انه يمكن
تصحيح كل ما جا في صفات الافلاك والكواكب يوم القيامه نحو قوله اذا الشمس
كورت واذا النجوم انكدرت واذا السما انشقت واذا السما كشطت واذا
عرفت هذا ظهر دلالة اختلاف احوال القمر في الضو والنور على الفاعل المختار
سبحانه وتعالى وفي الايه سوالات السوال الاول ما معنى قوله والقمر قدرناه منازل
والجواب معناه والقمر قدرنا مسيره منازل اوله منازل على حذف الجار او ذا
منازل على حذف المضاف السوال الثاني ما العرجون الجواب العرجون اصل
العذق قال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف واذا قدم دق
وانحنى واصفر فشبه الهلال به لدقته وانحنايه وتقوسه فهذا ما يتعلق بعلم
الاصول من مباحث الهلال اما ما يتعلق بعلم الفروع فهو ان لقايل ان يقول
خالق العالم ومدبره لم خصص جرم القمر بهذا الاختلاف فنقول للعلما المسلمين
في هذا المقام جوابان احدهما ان يقال ان افعال الله تعالى يمكن تعليلها
بغرض ومصلحه ويدل عليه وجوه الاول ان من فعل فعلا لغرض فان قدر
على تحصيل ذلك الغرض دون تلك الواسطه كان فعل تلك الواسطه عبثا وان
لم يقدر فهو عاجز والثاني ان كل من فعل فعلا لغرض فان كان وجود ذلك
الغرض اولى له من لا وجوده كان ذلك الفاعل ناقصا بذاته مستكملا
بغيره وذلك في حق الله محال وان لم يكن اولى لم يكن غرضا والثالث انه لو كان
فعله فعلا لغرض فذلك الغرض ان كان محدثا افتقر احداثه الى غرض اخر
وان كان قديما لزم من قدمه قدم الفعل وهو محال فلا جرم قالوا كل شي

صنعه فلا علة لصنعه ولا يجوز تعليل افعال الله واحكامه البتة فلا يسال
عما يفعل وهم يسالون والجواب الثاني قول من يقول لا بد من افعال الله
واحكامه من رعاية المصالح والحكمة والقايلون بهذا القول سلموا ان
عقول البشرية قاصرة في اكثر الامر عن الوصول الى اسرار حكمة الله تعالى في
ملكه وملكوته لان الله تعالى اخبر عن الحكمة في اختلاف ضوء القمر في ايات منها
قوله تعالى في سورة البقرة ويسلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج
ومنها قوله في يونس وهو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق ومنها قوله في
بني اسرايل وجعلنا الليل والنهار ايتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة
لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شي فصلناه تفصيلا
وقال في سورة يس والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم وشرح هذا
المعنى ان يقول ان تقدير الزمان بالشهور فيه منافع بعضها تتصل بالدين وبعضها
تتصل بالدنيا اما ما تتصل منها بالدين فكثيرة منها الصوم قال تعالى شهر رمضان الذي
انزل فيه القران ومنها الحج قال تعالى الحج اشهر معلومات ومنها عدة المتوفى
عنها زوجها قال تعالى يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ومنها مدة الحمل والرضاع
قال تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا ومنها النذور التي تتعلق بالاوقات
وكفضايل الصوم في اوقات لا سبيل الى معرفتها الا بالاهلة واما ما تتصل
بالدنيا فهو كالمداينات والاجارات ومدة الحمل والرضاع وغيرها وكل ذلك
مما لا يسهل ضبط اوقاتها الا عند وقوع الاختلاف في ضوء القمر وتحقيق
الكلام فيه ان المصنف الذي يراعي الترتيب يقسم كتابه الى انواع ثم كل نوع منها
الى ابواب ثم كل باب منه الى فصول حتى يكون الاطلاع على مضمون ذلك الكتاب
اسهل وايسر وجملة هذا العالم تصنيف الله تعالى وهو سبحانه يراعي التسهيل
على المكلفين فقسم جملة الزمان الى الشمس ثم قسم كل سنة اثني عشر شهرا في كتاب الله

ثم قسم كل شهر الى ايام ثم كل يوم الى الساعات ثم قسم كل ساعة الى الانفاس ثم
قسم كل نفس الى اللمحات كما قال تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك ثم قسم
كل لمحة الى الاجزا التي لا تتجزى والانات التي لا تنقسم ولما ظهر ان الاختلاف
احوال القمر معونة عظيمة في تعين الاوقات وتحديدها للوجوه التي ذكرناها
لا جرم نبه على هذه النعمة بقوله قل هي مواقيت للناس والحج لان تعديد جميع تلك
المنافع يفضي الى الاطناب والاقتصار على البعض دون البعض اهمال البعض
فلم يبق طريق الا التنبيه على الكل بطريق الاختصار ومن منافع اختلاف ضوء
القمر انه لو لم يحصل هذا الاختلاف لتاكد شبهة الفلاسفة في قولهم ان الاجرام
الفلكية لا يمكن تطرق التغير الى احوالها فهو سبحانه بحكمته القاهرة ابقى الشمس على
حالة واحدة واظهر الاختلاف في احوال القمر من وجهين احدهما المحو الذي في وجهه
فان بعض اجزايه مخالف لبعض في كيفية النور والثاني ان مقدار ضوءه يختلف في
كل يوم ثم جعل هذين النوعين من الاختلاف دليلا على كون الاجرام قابلة للاختلاف
والتغير حتى يدل ذلك على افتقار الشمس والقمر والنجوم والافلاك والعناصر الى مقدر
قادر حكيم سبحانه وتعالى النوع الثاني في المباحث المتعلقة
بالبروج قال تعالى في سورة الحجر وجعلنا في السما بروجا وزيناها للناظرين وقال
في الفرقان تبارك الذي جعل في السما بروجا وقال تعالى والسما ذات البروج واليوم
الموعود وشاهد ومشهود واعلم انه تعالى لما ذكر البروج ذكر المنازل ايضا
فقال في سورة يونس وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال في
سورة يس والقمر قدرناه منازل حتى عاد كا والكلام في المباحث المتعلقة
بالبروج والمنازل طويل الا انا نذكرها هنا من ذلك طرفا قليلا فنقول اما البروج
ففيها مباحث الاول وهو انا بينا مصالح هذا العالم لا تنتظم الا بالفصول الاربعة
المتعاقبة فالحق تعالى قسم الفلك باربعة اقسام الربع الاول التي متى كانت الشمس
فيه كان الزمان ربيعا والربع الثاني التي متى حصل الشمس فيه كان الزمان صيفا

والربع الثالث التي متى حصل الشمس فيه كان الزمان خريفا والربع الرابع التي متى
حصل الشمس فيه كان الزمان شتا فقسم الفلك الى هذه الارباع الاربعة ليحدث
الفصول الاربعة في الارض ثم انه تعالى قسم كل فصل الى ثلثة اقسام ابتدا ووسط
وانتها والحكمة فيه ان الانتقال من احد الضدين الى الضد الاخر يوجب الامراض
والاسقام الشديدة فلما كان الشتا باردا جدا جعل اول الخريف ضعيفا في الحرارة
حتى ينتقل الانسان من البرد الشديد الى الحر الضعيف ولا تصير الطبيعة مقهورة
ثم ان ذلك الحر لا يزال يتزايد ويقوى حتى يبلغ الى كمال الحر اللايق بالربيع فحينئذ
يقع الانتقال منه الى الحر الشديد الذي هو في الصيف فلا تصير طبايع الامزجة
والابدان مقهورة فاول الربيع ضعيف الحر لانه مجاور للشتا واخر الربيع
قوي الحر لانه مجاور للصيف وبهذا التدبير يحصل الانتقال من ضد الى ضد
فلا يحصل الامراض والالام بسبب ذلك فلهذا المعنى اقتضت الحكمة الالهية
ان يقسم كل ربع من ارباع الفلك ثلثة اقسام احدها يكون مبدا لذلك الفصل
والثاني وسطا له والثالث يكون كمالا له فصار لاجل هذا الترتيب الفلك
مقسوما الى اثنا عشر برجا ثم انه تعالى سير الشمس في هذه البروج كما قال تبارك
الذي جعل في السما بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا فلا جرم صير السنة
اثنا عشر شهرا كما قال ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق
السموات والارض الوجه الثاني في عجايب البروج اعلم ان العوالم ثلثة العالم
الاصغر وهو بدن الانسان والعالم الاوسط وهو العالم السفلي لما فيه من
العناصر الاربعة والعالم العلوي هو عالم السموات والكواكب اما العالم الاوسط
فخلق فيه اجرام اربعة الارض والما والهوا والنار واثقل الاجسام هو الارض
فلا جرم الارض تحت جميع طبايع الاربعة والما اقل ثقلا منه فجعل الما محيطا
بالارض ثم الهوا اخف فجعل الهوا محيطا بالما ثم النار اخف الاجسام العنصرية
فجعل النار محيطة بجميع العناصر الاربعة فهذا هو الترتيب المحكم والوضع المتقن

ثم انه تعالى قلب هذا الترتيب في خلق العالم الاصغر فجعل الارض فوق الكل
والنار تحت الكل والدليل ان يافوخ الانسان فوق جميع اعضايه وهو عظم
والعظم بارد يابس وطبعه طبع الارض فجعل الارض فوق جميع الاعضا ثم
جعل الهوا تحت الارض فان النفس هوا ومنفذ النفس هو الانف وهو تحت
اليافوخ ثم جعل الما تحت الهوا لان معدن الما هو الفم والفم تحت الانف
ثم جعل النار تحت الما لان معدن النار الحرارة الغريزية وهو القلب والقلب
تحت الاعضا ففي العالم الاوسط جعل الارض تحت الكل والنار فوق الكل
وفي العالم الاصغر قلب هذا الترتيب فجعل الارض فوق الكل والنار تحت الكل
ليظهر للعقلا ان السبب في حصول الترتيب خلق القادر المختار وتكوينه
لا تاثير الطبيعة والخاصية واما في العالم الاكبر فقد رتب هذه الطبايع
على خلاف ما وقع ترتيبها في العالم الاصغر وفي العالم الاوسط وذلك لان
الحمل برج ناري ثم يجاوره الثور وهو ارضي ثم يجاوره الجوزا وهو هوايي ثم
يجاوره السرطان وهو مايي فوقع الابتدا بالناري والانتها بالمايي واعلم
ان الحكمة في وقوع هذه الطبايع الاربعة في كل واحد من هذه العوالم الثلثة
على ترتيب اخر مخالف لترتيب غيره ليكون ذلك شاهدا بان الطبايع معزولة والخواص
باطلة ولا تاثير الا القدرة الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
الوجه الثالث ان ترتيب العناصر الاربعة في العالم الاسفل وقع بحيث يكون كل
متجاورين منهما فانهما يشاركان في كيفية ويتباينان في اخرى مثل الارض
والما يشتركان في البرد ويختلفان في الرطوبة واليبوسة والما والهوا يشتركان
في الرطوبة ويختلفان في الحرارة والبرودة والهوا والنار يشتركان في الحرارة
ويختلفان في الرطوبة واليبوسة قالوا والسبب فيه ان لا يتجاور ضدان من كل
الوجوه ثم ان هذه الدقيقة صارت متروكة في ترتيب الطبايع في العالم الاكبر وذلك
لان هناك قد تجاورت البروج المتضادة الا ترى ان الحوت والحمل متضادان

بلغ

لان الحوت بارد رطب والحمل حار يابس وهما متجاوران وكذلك الثور والجوزا متضادان لان الثور بارد يابس والجوزا حار رطب وهما متجاوران وكذلك السرطان والاسد وكذا السنبلة والميزان وكذا العقرب والقوس وكذى الجدي والدلو كل واحد من هذين البرجين متضادان بكلي الكيفيتين وهما متجاوران وهذا امر ادل الدلايل على ان تجاور هذه البروج ليس لاجل مشاكلة طبايعها ومجانسة ذواتها بل ذلك لايجاد القادر المختار والصانع الحكيم جل جلاله وتقدست اسماوه الوجه الرابع ان الشمس في غاية السخونة ومذهبكم ان الحمل برج حار يابس ناري والسرطان برج بارد رطب مائي فلو كانت هذه التاثيرات (حاصلة) بسبب الطبيعة لكانت اذا حصلت الشمس في الحمل فقد حصل كوكب حار جدا في برج حار جدا فوجب ان يقوى السخونة جدا ولو حصلت الشمس في السرطان فقد حصل كوكب حار جدا في برج بارد جدا فوجب ان ينكسر حره ويضعف لكن ليس الامر كذلك فانه حين يحصل الشمس في الحمل يكون الحر ضعيفا وحين يحصل في السرطان يكون الحر قويا فعلمنا ان قوة الحر ليس لتاثير الانجم والبروج بل بتقدير المقدر وتدبير الصانع الحكيم فان قيل اذا حصل الشمس في السرطان فهاهنا وان حصلت الشمس في البرج البارد الرطب الا انها على سمت الراس فلا جرم قوي الحر بهذا السبب قلنا هذا باطل بكونها في الاسد لبعدها عن سمت الراس مع ان الحر عند كون الشمس في الاسد اشد واقوى وهذه الاعتبارات دالة على ان تغير احوال العالم بسبب تقدير الصانع المختار لا بسبب احوال الانجم والافلاك الوجه الخامس ان القوم لما سلموا ان البروج مختلفة في الطبايع والماهيات فان واحدا منها يقتضي السخونة واليبوسة والاخر يقتضي البرودة والرطوبة فلولا اختلافها في الماهية والا لما اختلفت اثارها واذا كانت هذه البروج مختلفة الطبايع والماهيات كان الفلك مركبا من اجسام مختلفة الطبايع والحقيقة كما ان الانسان مركب من اعضا مختلفة واجزا غير متناسبة في الحقيقة

لان الشمس حال كونها في الاسد صح

والماهية وكل مركب فانه ينتهي لا محالة الى الانحلال والاختلال ومباينة كل واحد من تلك الاجزا المتنافرة المتقابلة من صاحبه وهذا يقتضي ان السموات تنشق وتخرب ولا يبقى تركيبها وهو مطابق للقران العظيم ولنكتف بهذا القدر من الكلام في البروج والمنازل وبالله التوفيق النوع الثالث في المباحث المتعلقة بالشفق قال الله تعالى فلا اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق اعلم ان تركيب لفظ الشفق اصله في اللغة لرقة الشي ومنه يقال شي شفق اذا كان رديا وذلك لضعفه ورقته وجوده واشفق عليه اذا رق قلبه عليه والشفقة رقة القلب ثم اتفق العلما على انه اسم للاثر الباقي من الشمس في الافق بعد غروبها ثم اختلفوا فذهب عامة العلما الى انه هو الحمرة وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومن اهل اللغة قول الليث والفرا والزجاج وعن ابي حنيفة في احدى الروايتين انه البياض وروي اسد بن عمرو انه رجع عنه واحتج الاولون على قولهم بوجوه الحجة الاولى قال الفرا سمعت بعض العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كانه الشفق وكان ذلك الثوب احمر فدل ذلك على ان الشفق هو الحمرة الحجة الثانية ان الامة مجمعة على ان الشفق هو وقت العشا الاخير فوجب ان يكون المعتبر هو الحمرة لا البياض لان البياض يمتد وقته ويطول لبثه والحمرة لما كانت بقية ضو الشمس عن الافق ذهبت الحمرة الحجة الثالثة ان اشتقاق الشفق لما كان من الرقة ولا شك ان الضو ياخذ في الرقة والضعف عند غيبوبة الشمس فيكون الحمرة شفقا اما من قال انه هو البياض فقد احتجوا بوجوه الحجة الاولى انا بينا ان اشتقاق هذا اللفظ يدل على الضعف والبياض الباقي اثر ضعيف بقي من الشمس فوجب ان يكون مسمى باسم الشفق الحجة الرابعة ان صلاة الصبح وصلاة العشا صلاتان واقعتان على الطرفين فلما كان وقت صلاة الصبح بطلوع البياض وجب ان يكون وقت صلاة العشا بغروب البياض اما قوله تعالى والليل وما وسق فقال اهل اللغة وسق اي جمع ومنه الوسق وهو الطعام المجتمع الذي يكال ويوزن ثم صار اسما

للحمل واستوسقت الابل اذا اجتمعت وانضمت قال القفال مجموع اقاويل
المفسرين على انهم فسروا قوله تعالى وما وسق على جميع ما جمعه الليل من النجوم
ورجوع الحيوان عن الانتشار وتحرك ما يتحرك فيه من الهوام ثم هذا يحتمل ان
يكون اشارة الى الاشيا كلها لاشتماله عليها فانه تعالى اقسم بجميع المخلوقات
كما قال فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقال سعيد بن جبير المراد من قوله وما
وسق الاعمال التي عملت في الليل قال القفال يحتمل ان يكون ذلك تهجد العباد
لانه تعالى قد مدح المستغفرين بالاسحار فجاز ان يحلف بهم وانما قلنا ان
الليل جمع هذه الاشيا كلها لان ظلمته كانها تجلل الجبال والبحار والشجر والحيوانات
فلا جرم صح ان يقال وسق الليل جميع هذه الاشيا اما قوله والقمر اذا اتسق اي اذا
استوى واجتمع وتكامل واستدار وذلك ليلة الرابع عشر ثم قال لتركبن طبقا عن طبق
فيه مسايل المسالة الاولى قرئ لتركبن على خطاب الانسان في يا ايها الانسان
ولتركبن بضم البا على خطاب الجنس لان الندا في قوله يا ايها الانسان انك كادح للجنس
ولتركبن بكسر البا على خطاب النفس وليركبن الانسان المسالة الثانية الطبق ما طابق
غيره يقال ما هذا بطبق لذا اي لا يطابقه ومنه قيل للغطا الطبق واطباق
الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق
اي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لاختها ولنذكر وجوه المفسرين فنقول
اما القراءة برفع البا وهي خطاب الجمع فيحتمل وجوها الاول ان يكون المعنى
لتركبن ايها الناس امورا واحوالا امرا بعد امر وحالا بعد حال ومنزلا بعد منزل
الى ان يستقر الامر على ما يقضي به الانسان اولا من جنة او نار فحينئذ يحصل الدوام
والخلود اما في الثواب او في العقاب ويدخل في هذه الجملة احوال الناس من حين
يكون نطفة الى ان يصير شيخا ثم يموت فيكون في البرزخ ثم يحشر ثم ينقل اما
الى الجنة واما الى النار والثاني ان معنى الاية ان الناس يلقون يوم القيامة احوالا
وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث اقسم الله ان البعث كاين وان الناس

يلقون فيه الشدايد والاهوال الى ان يفرغ الله من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعد
له من جنة او نار وهو كقوله بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وقوله يوم
يكشف عن ساق وقوله يوم يجعل الولدان شيبا والثالث ان يكون المعنى الناس ان صح
ينقل احوالهم فمن متنعم يشقى ومن شقي يتنعم وهو كقوله خافضة رافعة
وهذا التاويل مناسب لما قبل هذه الاية لانه تعالى لما ذكر حال من يوتى كتابه وراء ظهره
انه كان في اهله مسرورا وكان يظن ان لن يحور اخبر الله تعالى انه يحور ثم اقسم ان
الناس يركبون يوم القيامة طبقا عن طبق اي حالا بعد حال في الدنيا والرابع ان
يكون المعنى لتركبن سنة الاولين ممن كان قبلكم في التكذيب بالنبوة والقيامة
واما القراءة بنصب البا من قوله لتركبن ففيه اقوال الاول ان يكون ذلك بشارة
للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر والغلبة على المشركين المكذبين بالبعث كانه قال اقسم يا محمد
لتركبن حالا بعد حال حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم
ويتفرع على هذا القول احتمالات احدها ان يكون المعنى انه يركب حال ظفر
وغلبة بعد حال خوف وشدة والاحتمال الثاني ان يكون المعنى ان الله تعالى يبدله
بالمشركين انصارا مسلمين ويكون مجاز ذلك من قولهم طبقات الناس والقول الثاني ان
يكون ذلك بشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم بصعوده الى السموات يشاهد ملكوتها
ويشاهد اجلال الملايكة له والمعنى لتركبن يا محمد الى السموات طبقا عن طبق قال تعالى
سبع سموات طباقا وقد فعل الله ذلك ليلة الاسرا وهذا القول روي عن ابن عباس
وابن مسعود والقول الرابع في هذه القراءة ان هذه الاية واردة في شرح احوال
السموات والمعنى لتركبن السما يوم القيامة حالة بعد حالة وذلك لانها اولا تنشق
كما قال تعالى اذا السما انشقت ثم تنفطر كما قال اذا السما انفطرت ثم تصير وردة
كالدهان وكالمهل على ما ذكره الله تعالى هذه الاشيا في ايات من القران فكانه تعالى
لما ذكر في اول السورة انها تنشق اقسم في اخر السورة انها تنتقل من احوال الى احوال وهذا
مروي عن ابن مسعود النوع الرابع في المباحث المتعلقة بالالفاظ قال تعالى

في سورة الرعد ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو
والاصال وقال في النحل اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤا ظلاله عن اليمين
والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة
والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون
وقال في الفرقان الم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ولنشرع في تفسير هذه الاية المذكورة في سورة
الفرقان فنقول انه تعالى استدل بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال
الى حال على وجود الصانع الحكيم اما قوله الم تر ففيه وجهان احدهما انه من رؤية
العين والثاني انه من رؤية القلب وهو العلم فان حملناه على رؤية العين فالمعنى
الم تر الى الظل كيف مده ربك وان حملناه على العلم وهو اختيار الزجاج فالمعنى
الم تعلم وهذا اولى وذلك لان الظل اذا جعلناه من المبصرات فتاثير قدرة الله تعالى
في تمديده غير مرئي بالاتفاق ولكنه معلوم من حيث ان كل متغير ممكن وكل ممكن
فله مؤثر فحمل هذا اللفظ على رؤية القلب اولى من هذا الوجه المسالة الثانية المخاطب
بهذا الخطاب وان كان هو الرسول عليه السلام بحسب ظاهر اللفظ الا ان الخطاب عام
في المعنى لان المقصود بالاية بيان انعام الله تعالى بخلق الظل وجميع المكلفين مشتركون
في انه يجب كونهم متنبهين لهذه النعمة واستدلالهم بها على وجود الصانع الحكيم
سبحانه والكلام الملخص يرجع الى وجهين الاول ان الظل هو الامر المتوسط بين
الضوء الخالص وبين الظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور الفجر الى طلوع الشمس وكذا
الكيفيات الحاصلة داخل السقف وافنية الجدران وهذه الحالة اطيب الاحوال
لان الظلمة الخالصة يكرهها الطبع وينفر عنها المزاج واما الضوء الخالص وهو
كيفية الفائضة من الشمس فهي لقوتها تبهر حس البصر وتفيد السخونة القوية وهي
مؤذية فاذا اطيب الاحوال هو الظل ولذلك وصف الجنة به فقال وظل ممدود
واذا ثبت هذا فنقول انه تعالى بين ان هذا الظل من النعم العظيمة والمنافع
بلغ

الجليلة ثم ان الناظر الى الجسم الملون وقت الظل كانه لا يشاهد شيئا سوى الجسم
وسوى اللون ولا يعرف ان الظل امر ثالث به يكمل الانتفاع بمحسوسات هذا
العالم فاذا طلعت الشمس ووقع ضوؤها على اجسام هذا العالم وزال ذلك
الظل فلولا وقوع ضوء الشمس على الاجرام لما عرف ان للظل وجودا وحقيقة
لان الاشياء انما تعرف باضدادها ولولا الظلمة لما عرف النور فكانه تعالى
لما اطلع الشمس على الارض زال الظل فحينئذ ظهر للعقول ان الظل كيفية زائدة
على الجسم واللون فلهذا قال الله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اي خلقنا
الاظلال بما فيها من المنافع واللذات ثم هدينا العقول الى معرفة وجودها
بان اطلعنا الشمس فكانت الشمس دليلا على وجود كيفية الظل الذي هو منشأ المنافع
الكثيرة ثم قبضناه اي ازلنا الظل لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع
الشمس ازداد نقصان الاظلال في جانب المغرب ولما كانت الحركات المكانية
لا توجد دفعة بل يسيرا يسيرا فكذا زوال الاظلال لا يكون دفعة بل يسيرا يسيرا
وايضا فقبض الاظلال لو حصل دفعة لاختلت المصالح ولكن قبضها يسيرا يسيرا
يفيد رعاية مصالح العالم والمراد بالقبض الازالة والاعدام هذا احد التاويلين
التاويل الثاني انه تعالى لما خلق الارض والسماء وما خلق الشمس والقمر والكواكب وقع
ظل السماء على الارض فحصلت ظلمة شاملة متكاثفة في الارض ثم انه تعالى خلق
الشمس دليلا عليه وذلك لان بحسب حركات الاضواء تتحرك الاظلال فانهما متعاقبان
متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد احدهما ينقص الاخر وكما ان
المهتدي يهتدي بالهادي والدليل ويلازمه فكذلك الاظلال كانها مقتدية وملازمة
للاضواء فهذا هو المراد من جعل الشمس دليلا عليها واما قوله ثم قبضناه الينا
قبضا يسيرا فاما ان يكون المراد انتهاء الاظلال يسيرا يسيرا الى غاية نقصاناتها
فسمى ازالة الاظلال قبضا لها او يكون المراد من قبضها يسيرا قبضها عند قيام
الساعة وذلك بقبض اسبابها وهي الاجرام التي تلقي الاظلال وقوله يسيرا كقوله

ذلك حشر علينا يسير فهذا هو التاويل المخلص اذا عرفت هذا فنقول الاستدلال به
علي وجود الصانع المحسن الرحيم ظاهر وذلك لان حصول الظل امر نافع
للاحيا والعقلا واما حصول الضو الخالص والظلمة الخالصة فهو موجب
للمضار لا للمنافع وذلك لان تركيب الانسان تركيب ضعيف والحواس الانسانية
لا تطيق ادراك الكيفيات القوية واعتبار النظر الى الضو القوي يعمي البصر
وسماع الاصوات القوية يورث الصمم وملامسة الحر القوي والبرد القوي يورث
الموت بل لا بد من الاعتدال في المدركات والمحسوسات والظل كيفية معتدلة
كانها كيفية متولدة من امتزاج النور والظلمة فثبت ان كيفية الظل من المنافع
العظيمة اذا ثبت هذا فنقول هذه الكيفية اما ان تكون من الواجبات او من
الجائزات والاول باطل والا لما تطرقت التغيرات اليه فاذن هو من الجائزات
فلا بد لوجوده بعد العدم ولعدمه بعد الوجود من صانع قادر رحيم محسن
يقدر هذه الاظلال في قوتها وضعفها بالمقدار النافع ويقدر بقاها
وانتقالاتها بالمقادير النافعة ومما ذكرناه انه سبحانه خصص الشمس والقمر
والنجوم كل واحد منها بمقدار خاص من الضو ومقدار خاص من قوة الاضاءة
ومقدار خاص من الحركة في الجهة والبطو والسرعة ومما ذكرناه من المحسن الحكيم
الرحيم فهذا هو الكلام في الاستدلال بوجود هذه الاظلال علي الصانع
الحكيم واعلم ان للاظلال انواعًا من الخواص العجيبة الخاصية الاولى ان
الاظلال في انفسها متحركة الا ان الحس البتة لا يشاهد حركتها اما ان العقل
قاطع بكونها متحركة وذلك لان الحس شاهد بانتقال الظل من مكان الى مكان
اخر ولولا حركتها والا لما حصل هذا الانتقال واما ان الحواس لا تشاهد
حركاتها فالامر فيه ظاهر النوع الخامس المباحث المتعلقة بالنجوم واعلم
انه تعالى ذكر في القران انواعًا من منافعها الاول كونها زينة السما والثاني
كونها [illegible] رجومًا للشياطين والله سبحانه وتعالى ذكرها بين المنفعتين معا في ايتين بلغ

احدهما قوله في الصافات انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل
شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا
ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب وثانيهما
في الملك ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجومًا للشياطين واعتدنا
لهم عذاب السعير وذكر تعالى في سورة الجن هذه المنفعة الثانية وهي كون هذه
الكواكب رجومًا للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير فقال حكاية عن الجن وانا
لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسًا شديدا وشهبا فلنتكلم في شرح
هاتين المنفعتين اما المنفعة الاولى وهي كون هذه النجوم زينة السما الدنيا
ومصابيح فيها فاعلم ان هذا مشتمل علي بحثين احدهما كونه زينة ومصابيح
والثاني انها في السما الدنيا اما انها زينة للسما فلا شك فيه واما انه تعالى سماها
مصابيح في سورة الملك فذلك لان المصابيح هي السرج والناس يزينون
مساجدهم ودورهم بالمصابيح فكانه قيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم
فيها بمصابيح اي بمصابيح لا تساوي بها مصابيحكم في الاضاءة البحث الثاني
ان ظاهر هذه الاية يدل علي ان هذه الكواكب مركوزة في السما الدنيا لكن اصحاب
الهيئة والنجوم اتفقوا علي ان هذه الثوابت مركوزة في الفلك الثامن الذي هو
فوق اكر السيارات واحتجوا عليها بان بعض هذه الثوابت في الفلك الثامن فيجب
ان تكون كلها هناك وانما قلنا ان بعضها في الفلك الثامن وذلك ان الثوابت التي تكون
قريبة من المنطقة واقعة في ممر السيارات تنكسف بهذه السترات والكسوف
لا بد وان يكون فوق الكاسف فهذه الثوابت فوق اكر السيارات الكاسفة وانما قلنا انه
لما كان بعض الثوابت في الكرة الثامنة وجب ان تكون كلها في الكرة الثامنة لانها
باسرها متحركة حركة واحدة بطيئة في كل مائة سنة درجة واحدة واذا كانت هذه الثوابت
متشابهة في الحركة وجب ان تكون كلها مركوزة في كرة واحدة واعلم ان هذه الحجة
ضعيفة فانه لا يلزم من تشابه الثوابت كلها في الحركات كونها باسرها مركوزة

في كره واحده لانه لا يمتنع في العقل وجود كره تحت كره القمر ويكون مشابهه في البطو لكره الثوابت ويكون الكواكب التي لا تنكسف بهذه السيارات مركوزه في هذه الكره السفليه التي هي سما الدنيا اذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر والكبر مع كونهما متشابهتين في الحركه الا ترى ان جمله جميع السيارات سوى القمر متحركه حركه بطيه متشابهه لحركه فلك الثوابت وعلى هذا التقدير لا يمتنع ان يكون اكثر هذه المصابيح مركوزه في السما الدنيا فان قيل هب ان ما ذكرتم يحتمل لكن هذه الكواكب الثابته الواقعه في ممر السيارات المنكسفه بها مركوزه في كره فوق اكثر هذه السيارات السبعه وحينيذ يعود الاشكال في تلك الكواكب والجواب من وجهين الاول قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح يقتضي ان يكون السما الدنيا مزينه بمصابيح وليس فيه دلاله على ان كل الكواكب في هذه السما واما قوله في سورة الصافات انا زينا السما الدنيا بزينه الكواكب فصيغه الجمع وان كانت تفيد الاستغراق لكن اطلاق لفظ العموم لا اراده الاكثر مجاز مشهور في القران الوجه الثاني في الجواب ان قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينه الكواكب لا يقتضي كون الكواكب موجوده فيها وذلك لان السموات اذا كانت شفافه فالكواكب سوا كانت في سموات اخرى فوقها فهي لا بد وان تظهر في السما الدنيا وتلوح منها فعلى التقديرين يكون السما الدنيا مزينه بهذه المصابيح المنفعه الثالثه الكواكب كونها رجومًا للشياطين يروى ان الجن كانوا يصعدون الى السموات ويستمعون الاخبار ويرجعون الى الدنيا ويلقونها على الخلق وكان يصير ذلك سببًا لتمكن الكهنه من الاخبار عن الغيوب فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم حرست السما ورصدت الشياطين فمن جا منهم مسترقًا للسمع رمي من هذه الكواكب بشهاب فاحرقه فهذا هو السبب في انقضاض الشهب وهو المراد من قوله وجعلناها رجومًا للشياطين ومن الناس من طعن فيه واحتج بوجوه الحجه الاولى ان انقضاض الكواكب امر مذكور في كتب قدما الفلاسفه

قالوا ان الارض اذا اسخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ كره النار احترق بها فتلك الشعله هي الشهاب واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقال السبب فيه رمي الجن بالشعله من النار الحجه الثانيه ان هاولاي الجن كيف يعقل ان يشاهدوا واحدًا والفا من جنسهم كلما استرقوا السمع احترقوا ثم انهم مع ذلك يعودون الى مثل صنيعهم فان العاقل اذا راى الهلاك في شي مره واحده والف مره امتنع ان يعود اليه من غير فايده الحجه الثالثه انه روي في الاخبار ان ثخن كل واحد من السموات مسيرة خمسمايه عام فهولاي الجن ان قدروا على خرق هذه السموات مع عظمتها فهذا باطل لان الله تعالى نفى ان يكون فيها فطور قال تعالى هل ترى من فطور قال وما لها من فروج ووصفها بالشده فقال سبعًا شدادًا وان لم يقدر الجن على خرق اتصال السموات فكيف يمكنهم ان يسمعوا اسرار الملايكه من هذا البعد العظيم فلم لا يسمعون كلامهم اذا سار من الارض وحينيذ لا يبقى فايده في بعدهم من السما الحجه الرابعه ان الملايكه انما اطلعوا على اخبار المستقبله اما لانهم طالعوها من اللوح المحفوظ او لانهم تلقفوها من وحي الله اليهم وعلى التقديرين فلم لم يسكتوا عن ذكرها حتى لا يتمكن الشيطان من الوقوف عليها لا سيما وقد وصفهم الله تعالى بقوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فاذا لم ياذن الله لهم في ذلك الكلام لا يذكرونه واذا لم يذكروه عجز الشيطان عن الوقوف عليه الحجه الخامسه ان القران دل على ان الشياطين مخلوقه من النار قال تعالى وخلق الجان من مارج من نار والنار لا تحرق بالنار بل تقويها فكيف يعقل ان يقال ان الشياطين زجروا عن استراق السمع بهذه الشهب الحجه السادسه انا ان قلنا ان هذا القذف كان لاجل صون المعجزات عن شبهات الكهنه فلم دام ذلك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم الحجه السابعه انه تعالى لما قال انا زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين دل هذا على انه تعالى خلق الكواكب لهاتين المنفعتين فاذا كان احد المنفعتين وهي التزيين

يتعقل ان يسمعوا عن اسرار الملايكه من هنا اسرار ... مع البعد العظيم

كانت موجوده قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وجب ان يكون المنفعه الثالثه ايضا
كانت موجوده قبل ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم الحجه الثانيه ان وصف هذا
الانقضاض جا في شعر الجاهليه قال بشر ابن ابي حازم

والعير يرهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر

وانقض كالدري يتبعه نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

يرد علينا العير من دون الفه او الثور كالدري يتبعه الدم

الحجه الثالثه روى الزهري عن علي بن الحسين رضوان الله عليه عن ابن عباس قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال
صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهليه فقالوا كنا نقول يموت
عظيم او يولد عظيم قالوا فثبت بهذا الوجوه ان هذه الشهب لا يجوز ان يكون
المعنى فيها ما ذكرتم والجواب عن الشبهه الاولى انا لا ننكر ان هذه الشهب كانت
موجوده قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لمنافع اخرى لها ان ذلك لا ينافي
انها بعد البعث قد حصلت لسبب اخر وهو دفع الجن وزجرهم يروى انه قيل
للزهري اكان يرمى في الجاهليه فقال نعم قلت افرايت قوله تعالى وانا كنا
نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا قال غلظت
وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم واما الجواب عن الشبهه الثانيه
انه اذا جا القدر عمي البصر فاذا قضى الله تعالى على طايفه منها الحتف او لطغيانها
وضلالها اوقع في قلوبهم من الدواعي المطمعه في درك المقصود بما يبعثها
على العمل المفضي الى الهلاك والبوار والجواب عن الشبهه الثالثه البعد بين كل
سمايين مسيره خمسمايه عام اما خرق كل ذلك فلعله لا يكون عظيما والجواب عن الشبهه الرابعه
ما روى الزهري عن علي بن الحسين رضوان الله عليه عن ابن عباس ذكر قصه الرمي بالنجم

قال فقال صلى الله عليه وسلم انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا الله تعالى
اذا قضى الامر في السما سبحت حمله العرش ثم سبح اهل كل سما حتى ينتهي التسبيح
الى سما الدنيا ثم يستخبر اهل كل سما ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك
الخبر من سما الى سما الى ان ينتهي الخبر الى سما الدنيا فيخطف الجن فيرمون والجواب عن
الشبهه الخامسه ان النار يكون اقوى من نار اخرى فالاقوى يبطل الاضعف الخامس
والجواب عن الشبهه السادسه قد بينا ان الشهب كانت موجوده لساير المنافع الا انها
في زمان محمد صلى الله عليه وسلم شددت وغلظت لهذا المقصود الاخر فعند
زوال بعض المقاصد لا يجب زوال الشهب وهذا هو الجواب عن بقيه الشبهات
في حمل الشهب المنفعه الثالثه في خلق الكواكب انه تعالى جعلها علامات
يهتدى بها في ظلمات البر والبحر قال تعالى وعلامات وبالنجم هم يهتدون المنفعه
الرابعه ان يستدل بحركاتها المسخره على وجود الصانع الحكيم كما في سوره الاعراف
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره فهذه هي المنافع المذكوره في القران واهل
التجارب ذكروا وجوها اخرى منها انه يحصل بسببها في الليل قدر من الضو ولذلك
فانه اذا تكاثف السحاب في الليل عظمت ظلمه الليل وذلك بسبب ان السحاب يحجب
انوارها ولا يبعد ادخال هذه المنفعه تحت قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون
فان ذلك القدر من الضو اذا حصل ترتب عليه الاهتدا ومنها انه يحصل بسببها
تفاوت في احوال الفصول الاربعه وذلك لانها اجسام عظيمه نورانيه فاذا قارنت
الشمس كوكبا دريا مسخنا صار الصيف اقوى حرا وهو مثل نار تنضم الى نار اخرى
فانه لا شك انه يكون الاثر الحاصل من المجموع اقوى ومنها انه يستدل ببعض
الكواكب على معرفه القبله ولا شك انها من المهمات واعلم انه تعالى بين ان له في
خلق البعوضه حكما عظيمه فقال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضه
فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون
ماذا اراد الله بهذا مثلا فاذا كانت خلقه البعوضه لا تنفك عن حكمه باهره

ودلايل قاهره فكيف يجوز انفكاك خلقه هذه النجوم الشريفه والكواكب النورانيه
الازليه عن حكم شريفه واسرار قدسيه فجميع اجزا العالم بسمواته وكواكبه ورياحه
وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته واعضا حيواناته لا تخلوا
ذرة من ذراته عن حكم كثيره قاهره عرفناها او لم نعرفها فسبحانه هو العزيز الحكيم

الباب الثالث في الاستدلال بخلقة الانسان على وجود الصانع
الحكيم سبحانه وفيه فصول الاول في الحكمه في خلق الانسان اعلم ان هذه المناظره
هي التي شرحها الله تعالى في قوله واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفه الى اخر
الايه واعلم انه تعالى لم يذكر وجه الحكمه في هذه الايه على التفصيل في خلق
الانسان ولم يرد على قوله اني اعلم ما لا تعلمون وللعلما في هذا المقام طريقان
الاول الطريقة الاجماليه التي ذكرها الله تعالى في هذه الايه وتقريرها انه تعالى قادر
على جميع المقدورات منزه عن ملك الحاجات عالم بكل المعلومات واذا كان الامر
كذلك كان لا محاله عالما بانه ما الذي ينبغي فعله وما الذي ينبغي تركه وكان عالما
لا محاله بكونه غنيا عن كل ما لا ينبغي ومن كان غنيا عما لا ينبغي وكان عالما بكونه
غنيا عما لا ينبغي امتنع اقدامه على فعل ما لا ينبغي واذا كان الامر كذلك ثبت
ان كل ما يفعله الله تعالى حكمه وصواب وانه منزه عن فعل العبث كما قال تعالى
افحسبتم انما خلقناكم عبثا ومنزه عن فعل اللعب كما قال تعالى وما خلقنا السما
والارض وما بينهما لاعبين ومنزه عن فعل الباطل كما قال وما خلقنا السما والارض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا بل كل ما فعله فهو انما فعله بالحق كما قال
ما خلقناهما الا بالحق وله الملك والملك بالحق كما قال ثم ردوا الى الله مولاهم الحق
ومتى علمنا ان الامر كذلك علمنا ان له في خلق البشر حكما بالغه واسرارا
شريفه ولكنه تعالى ما كشف تفاصيلها للبشر كما قال ما اشهدتهم خلق السموات
والارض ولا خلق انفسهم فوجب الايمان بتلك الحكمه على الاجمال وترك الخوض
في تفاصيلها الطريق الثاني بيان حكمه خلق الانسان على التفصيل وفيه وجوه

الاول ان المخلوقات على اربعة اقسام احدها الذي له عقل ولا شهوه له وهم
الملائكه قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون والثاني الذي له
شهوه ولا عقل له وهو كل الحيوان سوى الانسان والثالث الذي له شهوه وعقل
وهو الانسان فان رجح شهوته على عقله التحق بالبهايم بل كان اضل كما قال تعالى
اولئك كالانعام بل هم اضل وان ترجح عقله على شهوته التحق بالملائكه قال تعالى
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا الرابع الذي لا عقل له ولا شهوه وهي
الجمادات ثم انه تعالى كان في العهد الاقدم والزمان الاسبق خلق الاقسام الثلثه
وبقي القسم الرابع وهو الذي يحصل فيه العقل والشهوه معا فاقتضت قدرته
التامه ومشيته الكامله خلق هذا القسم الرابع ليلا يبقى شي من الاقسام الممكنه
محروما عن وجود ايجاده ونعمة ابداعه فعند هذا قال للملائكه اني جاعل
في الارض خليفه فقالت الملائكه اما اذا اجتمعت بين الشهوه والغضب وبين العقل
حالة المنازعه فيتولد الفساد من الشهوه ويتولد سفك الدما من الغضب وقال
مدبر العالم المحيط علمه بجميع الكليات والجزئيات اني اعلم ما لا تعلمون ويحتمل
والله اعلم بمراده ان يقال انه يحصل من خلقهم وتكوينهم كمال حكمتي وقدرتي
ورحمتي ويحصل منه ايضا كمال حالهم ودرجتهم واما كمال قدرتي فكيلا يبقى هذا
القسم محروما عن اثر الجود واما كمال حكمتي فلانه وان كان الفساد والقتل
حاصلان كثر الا ان الاكثر عدمهما وحصول العبوديه والدلال وترك الخير الكثير
لاجل الشر القليل شر كثير وهو لا يليق بحكمتي واما كمال حالتهم ودرجاتهم فهو ان
العمل بمقتضى العقل عند عدم الشهوه ليس في غاية الكمال انما الكمال هو العمل
بمقتضى العقل مع قيام منازع الشهوه كما في حق البشر ويحتمل في ظنونا ان
المراد بقوله اني اعلم ما لا تعلمون هو هذا المعنى والله اعلم باسرار كلامه
والقسم الثاني المخلوقات اعلم ان مخلوقات الله تعالى بحسب التقسيم العقلي على ثلثه
اقسام فانها اما ان يكون ارواحا قدسيه نورانيه ربانيه بلا اجساد واما ان

يكون اجسادا بلا ارواح واما ان يكون مركبة من الارواح والاجساد
اما القسم الاول فهم الملائكة ولهذا السر سماهم في القران قال تعالى في سورة البقرة
في صفة عيسى عليه السلام وايدناه بروح القدس وقال نزل به الروح الامين على
قلبك وقال في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا وقال في عم
يوم يقوم الروح والملائكة صفا بل سمى اثارهم في الارواح البشرية روحا فقال
في النحل ينزل الملائكة بالروح من امره وقال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
واما القسم الثاني اعني التي يكون اجسادا بلا ارواح فهي الجمادات والنباتات
والمعادن فان قيل الحيوان له روح فكيف ادخلته تحت القسم الذي لا روح له
قلنا مرادنا من الروح اللطيفة التي تقوى على ادراك المعقولات والمجردات
وليس لساير الحيوانات هذه الروح ولما دخل في الوجود هذان القسمان بقي
القسم الثالث وهو الموجود الذي يحصل من الازدواج بين الارواح العلوية
والاجساد السفلية والارواح النورانية الربانية اللطيفة والاجساد
الظلمانية الشهوانية الكثيفة فحصل من ذلك الازدواج الانسان فجسده من عالم
الخلق وروحه من عالم الامر فلا جرم قال الا له الخلق والامر وجعل جسده
بالتسوية وروحه بالنفخ فقال فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وكان جسده من
فطرة هذا العالم وروحه من فطرة العالم الاعلى فقال في فطرة جسده ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين الى تمام المراتب الستة ثم قال في فطرة روحه في المرتبة
السابعة ثم انشاناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين وذكر ان جسده
من هذا العالم فقال قل انما انا بشر مثلكم وان روحه متوجه الى ذلك العالم
وهو قوله يوحى الي وبين ان طاعة الجسد هو الاشتغال بالعبادات وان
طاعة الروح هو التوكل على رب الارضين والسموات وقال في اخر هود فاعبده
وتوكل عليه واعلم ان دلائل كمال القدرة وجلالة الحكمة في تخليق هذا النوع
اتم واكمل وبيانه من وجوه الحجة الاولى ان الروح علوي والبدن سفلي والعلو

يلي

والسفل ضدان والروح نوراني والبدن ظلماني والنور والظلمة ضدان
والروح لطيف والبدن كثيف واللطافة والكثافة ضدان والروح رحماني بدليل
انه لا يرغب الا في معرفة الله تعالى ولا يميل الا الى محبة الله تعالى ولا يبتهج
الا بمطالعة انوار جلال الله ولا يطمئن الا بذكر الله ولا يستقر الا على عتبة
قدس كبرياء الله واما البدن فانه شهواني شيطاني لانه لا يتغذى الا بدردي
عالم الجسمانيات ولا يفرح الا بالانغماس في الشهوانيات والظلمانيات واذا كان
الامر على هذه الجملة حصل بين الروح والجسد منافاة عظيمة ومباينة تامة
فالجمع بينهما يدل على قدرة كاملة وحكمة عالية الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
الحجة الثانية ان الشوق الى الله مقام شريف وفيه لذة عجيبة وهذا المقام غير
حاصل الا للبشر واعلم ان هذا الكلام لا يتخلص الا بتقديم حقيقة الشوق
فنقول ان الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه ولم يدرك من وجه اخر
اما الذي لم يدرك بوجه من الوجوه اصلا فلا يشتاق اليه فان من لم ير شخصا
ولم يسمع وصفه لم يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بكماله وتمامه لا يشتاق
اليه لان الشوق طلب وطلب الحاضر محال ثم ان الشوق الى المحبوب يقع على وجهين
احدهما اذا راه ثم غاب عنه بقي في خياله اثر تلك الصورة المحسوسة فاشتاق
الروح الى ان يستكمل ذلك الاثر من عالم الخيال الى عالم الحس الوجه الثاني ان يرى
وجه المحبوب ولا يرى شعره ولا ساير محاسنه فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره
قط واذا عرفت هذا فنقول هذان الوجهان غير متصورين في حق الملائكة
اما الوجه الاول فلان ذلك انما يمكن اذا ادرك ثم غاب وممتنع في حق الملائكة
ان يغيبوا عن شيء عرفوه فكل ما عرفوا فذلك العرفان حاضر لهم ابدا لا يتبدل ذلك
العرفان بالغفلة ولا ذلك الحضور بالغيبة وهذا هو المراد بقوله تعالى يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وبقوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وبقوله
صلى الله عليه وسلم ان من الملائكة صافون لا يركعون وراكعون لا يسجدون وبالجملة

فاحوالهم باقية ومعارفهم دايمة وهم مصونون عن تغيرات الاحوال
وتبدلات المعارف فان حصل لهم شوق فذلك يكون من القسم الثاني اما الانسان
فان هذين القسمين لا يمكن وقوعهما له بالنسبة الى معرفة الله تعالى بل هما
لازمان لكل العارفين ضرورة اما القسم الاول فلان الله تعالى يتجلى للعارفين
من الامور الالهية وانه في غاية الوضوح والتجلي الا انه يكون مشوبا بشوايب
التخيلات فان الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن المحاكات والتمثلات وهي
مكدرات للمعارف وانما تمام التجلي في الاخرة حتى تزول الخيالات وتبطل
التمثلات فهذا احد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح والقسم
الثاني ان الامور الالهية لا نهاية لها وانما تنكشف لكل عبد من العباد بعضها
ويكون الحاضر متناهيا والغايب غير متناهي ولو ان العارف خلق في اول وقت
حدوث العالم ثم سار باسرع سير في درجات المعارف الالهية بل طار حول العرش
الجلال الى اطيرانا الى اخر وقت يتخيله الخيال ويستحضره العقل من اواخر اهل
الجنة واهل النار لكان الحاصل من طيرانه وسيره متناهيا ويكون ما لم يصل
هو اليه غير متناهي واذا كان الامر كذلك ظهر ان القسم الاول من الشوق تزول
في الاخرة اما القسم الثاني من الشوق الى الله تعالى فانه البتة لا يزول بل كل ما كان
السير اشد واكثر كان الشوق اكمل واعظم اذا عرفت هذه القاعدة فنقول
كل من بقي على حالة واحدة فان كان تلك الحالة موجبة اللذة ثم بعث فعند بقايها
واستمرارها لا يبقى لذيذا وكذا اذا كان مولما فعند استمراره لا يبقى مولما
بل اللذة والالم لا يحصلان الا عند الانتقال من احد الجانبين الى الجانب الاخر
ولنضرب لهذا مثالا من المحسوس فاحوال الخلق بالنسبة الى الاغذية الطيبة
والاطعمة اللذيذة ثلثة الاول حال الملوك المنعمين المتوسعين في كل الاشيا
اللذيذة الطيبة لا يلتذون بها وذلك لانهم لما واظبوا على اكلها اعتادوها
فلا جرم لا يلتذون بها القسم الثاني الفقرا الذين لا ياكلون الا الاطعمة الخشنة

البشعة ولم يتفق لهم البتة تناول الاطعمة الطيبة اللذيذة فهولاء اذا وجدوا
طعاما فيه ادنى طيب ولذة فانهم يستلذون في غاية اللذة اذا عرفت هذا فنقول
الملايكة المقربون وان كانت درجاتهم في المعارف عالية الا ان تلك الدرجات
باقية مستمرة فهم كالملوك المنعمين فانهم وان كانوا مواظبين على الاغتذا بانوار
جلال الله والاستشاق نسيم روح الله الا انه لم يبق لهم فترة في هذه الحالة
ولا انتقال عن هذه الدرجة وما وقعوا في ظلمة المعصية وانكسار ظلمات
الذنوب واما الحيوانات فحالهم شبه حال الفقرا المواظبين على الفقر والضر
والبوس والمسكنة والجوع والعري ولم يبق لهم انتقال من هذه الحالة الى حالة طيبة
فلا جرم لم يكن لهم الم من الحالة التي هم فيها اما الانسان فتارة يقع في ظلمات عالم
الاجسام وتارة يتخلص منها الى انوار عالم القدس وسبحات سرادقات الجلال
فينتقلون تارة من الشك الى الرجا واخرى من الرجا الى الشك فاذا انتقلوا من الشك
الى الرجا ومن الابتلا الى النعما عظم الالتذاذ لهم فلا جرم يحصل هناك من اللذات
والسعادات ما لا عين رات ولا اذن سمعت واذا كانت اسباب هذه الغيبة
والحضور بعد الغيبة متعاقبة على الارواح البشرية في دار الدنيا حصلت هناك
الالام واللذات متعاقبة واللذة اذا حصلت بحيث يكون قبلها فقدان وبعدها
توقع الحرمان كان الالتذاذ بها اشد واكمل فهذا النوع من السعادة والبهجة
حاصلة للانسان وغير حاصلة للملايكة المقربين ولا لساير الحيوانات فيمكن ان
يكون المراد من قوله اعلم ما لا تعلمون هذه الحالة واليه الاشارة بقوله وحملها
الانسان انه كان ظلوما جهولا فقوله وحملها الانسان اشارة الى تجلي الانوار
عالم القدس في روح الانسان وقوله انه كان ظلوما جهولا اشارة الى ضربات
ظلمات النفس الجسمانية والموانع الشهوانية النفسانية الوجه الثالث ان بخلق
الملايكة ظهرت القدرة والحكمة وذلك لان كمال قوتهم يدل على كمال قدرة خالقهم
وكمال عظمتهم تدل على كمال حكمة خالقهم اما بخلق البشر ظهر كمال الجود وكمال

الرحمة اما كمال الجود فانه لا مناسبة بين التراب وبين جلال رب الارباب
ثم انه برحمته وكرمه جعله مركز المحبة ومعدن المعرفة كما قال يحبهم ويحبونه
واما كمال الرحمة فلانه مع كثرة معاصيهم اظهر فيهم انواعا من العجايب فاودع
في قلبه نور عرفان جلاله واجرى على لسانه ذكر توحيده وجعل عينه محلا
للابصار دليله واذنه محلا لسماع كلامه فالملايكة بهم ظهرت القدرة والحكمة
والبشر بهم ظهر الجود والرحمة الوجه الرابع ان الملايكة خلقوا من الانوار واما اثار
التركيب في البشر اكثر وذلك لانه تعالى خلقك من هذين الجوهرين الروح والبدن
واظهر لك من اثنين الايام والاحباب وركبك من شيئين المني والدم وجعل لك مطيتين
الليل والنهار وغذاك بغذائين الطعام والشراب واعد لك دارين الجنة والنار
كل هذا التحقيق صدق قوله تعالى ومن كل شيء خلقنا زوجين الوجه الخامس
ان العبد يعرف ربه بالقدس والعظمة وصفات الجلال والاكرام مع انه ابعد
الاشيا مشابهة له ومشاكلة ثم انه لا يعلم روحه ونفسه مع انه هو هو كما قال
قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ليعلم العبد ان كل ذلك
بسبب مدد التوفيق والارشاد لا بسبب الجد والاجتهاد القسم الثالث
ان نقول الموجودات بحسب القسمة العقلية على اربعة اقسام احدها الموجود
لا اول له ولا اخر له وهو الحق سبحانه والثاني الموجود الذي له اول وله
اخر وهو الدنيا والثالث الموجود الذي له اول ولا اخر له وهو العبد والاخرة
اما القسم الرابع لا اول له وله اخر فهذا محال لما ثبت في علم الاصول ان ما ثبت
قدمه امتنع عدمه اذا عرفت هذا فنقول ايها العبد لك اول ولا اخر لك وكذلك
الاخرة لها اول ولا اخر لها فانظر انك كفو الدنيا وكفو الاخرة لا يخفى عليك كفو
الاخرة فلما كان الامر كذلك فالحق سبحانه وتعالى خلق الملايكة للبقا ابد الاباد
في الاخرة وخلقك ايضا للبقا ابد الاباد في الاخرة لان اظهار القدرة والحكمة
والرحمة في خلقك للبقا اتم من اظهارها بسبب خلق الملايكة وذلك لانها ذوات

نورانية مبراة عن الاسقام والاعلال والامراض فلعله يخطر ببال احد ان بقاها
انما كان لكونها صافية نورانية ثم انه تعالى ازال هذا الخيال بان خلقك من اكثف
الاشيا واشد ظلمة وهو التراب وجعلك محلا للاعلال والاسقام ومنزل
الافات والامراض ثم جعلك في البقا الابدي كفوا للملايكة المقربين ليظهر للخلق
ان البقا لا يحصل الا بابقايه والوجود لا يحصل الا بايجاده وابداعه واعلم انك
قد عرفت ان الدنيا لها اول واخر وهذا يقتضي انها لا تبقى البتة وكما ان من صفتها
انها لا تبقى فكذلك الانسان كلما كان اشد قبضا واشد امساكا لها كان
فوات الدنيا عنه اكثر والدليل عليه انه تعالى شبه الدنيا بالماء فقال انما مثل الحياة
الدنيا كماء انزلناه من السماء والماء اذا اغترفت منه بقي في يدك فاما اذا قبضت
يدك عليه لا يبقى من الماء في يدك شيء فكلما كان ذلك القبض اشد كان عدم بقاء ذلك
الماء في الكف اكمل فكذا الدنيا مهما اخذتها لا بالحرص بقيت حاصلة فاما اذا
قبضت عليها بمخالب حرصك فاتت وخرجت عن يدك فان قيل نرى ان البخيل
الذي يمسك المال يكثر ماله والسخي الذي ينفق المال يقل ماله قلنا هذا خطا
لان الذي يظن انه بقي عليه ماله فليس كذلك لانه يموت فيوخذ ذلك من غير حمد
ولا اجر ولا يبقى الا الخسارة والذي ينفقه في سبيل الله يبقى كان ذلك في خزانة رحمة الله
كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق القسم الرابع للمخلوقات انها على
ثلاثة اقسام اما كاملة لا يتطرق النقصان اليها وهم اصحاب العالم العلوي
واجسادهم السموات وارواحهم الملايكة واما ناقصة لا يتطرق اليها الكمالات
وهي الحيوانات والنبات والمعادن بقي في القسمة قسم ثالث وهم الذين يكونون
كاملين وتارة ناقصين فاذا صاروا في حد الكمال كانوا فوق العرش جالسين
مع الملايكة في حضرة رب العالمين معتكفين على عتبة عزة الله مواظبين على ذكر
جلال الله متفكرين في معارج الاء الله متوكلين على رحمة الله مشتغلين بخدمة الله
مستغرقين في محبة الله محترقين بنور عظمة الله وتارة ينزلون الى حد النقصان

ومقام الشهوة والغضب اما في مقام الشهوة تارة يكونون كخنزير اجمع
ثم ارسل على النجاسات وتارة كالذباب الذي كلما ذب آب الى القاذورات
واما في مقام الغضب تارة كالكلب العقور واخرى كالجمل الصؤول والبالغ
كالنار المحرقة والسيول المغرقة فهو مع كونه شخصا واحدا يصدق عليه انه
ملك نوراني وشيطان ظلماني وخنزير حريص وحمار صبور وكلب نابح وثعلب
رواغ وفاسق خبيث وملك كريم ولا شك ان تركب شخص واحد يظهر منه
هذه الآثار المتناقضة والاحوال المتباينة ادل على كمال القدرة واعظم في
اثار اظهار الحكمة فلهذا السبب والله اعلم قال اني اعلم ما لا تعلمون واعلم
ان الانسان الموصوف بهذه الصفات بعث الى هذه الدنيا ليكون مسافرا
قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر
وبطن امه مبدا سفره والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته وسنوه
منازله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطاه يسار به سير السفينة
براكبها وقد دعي الى دار السلام كما قال تعالى والله يدعو الى دار السلام وقال لهم
دار السلام ثم ان دار السلام اشرف البقاع واعز المواضع قال تعالى جنات
تجري من تحتها الانهار قال وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين لكن الطريق
الى دار السلام مظلم جدا والله تعالى برحمته يهدي اليه وبفضله يرشد اليه وباحسانه
يدعو اليه وبكرمه يسهل المشي اليه وبجوده يعفو عن الذنوب ويتجاوز عن
السيئات فلهذا المعنى قال اني اعلم ما لا تعلمون فهذا تمام الكلام في حكمة
خلق الانسان

الفصل الثاني في شرح فضيلة الانسان

قال تعالى ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا اعلم ان هذه الاية مشتملة على
اربعة انواع في التشريفات النوع الاول قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم وفيه
مباحث البحث الاول اعلم انه تعالى بين امرك في الاول والوسط والنهاية على الكرم

واعترف العدو بذلك ثم بين لحوق نهاية كرامتك ثم شبهك في ذلك بالملائكة المقربين
اما انه بين اول امرك على الكرم فهو قوله اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق
اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم فهذه الاية اول اية انزلها الله على الرسول عليه السلام
وقوله اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اشارة الى ان اول وجودك
فثبت ان اول اية انزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم انما انزلها لبيان كرمه
وجوده في اول احوال خلقك وايجادك وفيه دقيقة وهو ان لا امرك غير مبني
على كونه كريما بل على كونه اكرم الموجودات لانه قال اقرأ وربك الاكرم ويتاكد
هذا الكلام الذي ذكرناه بما روي ان ادم عليه السلام لما عطس قالت الملائكة
له قل الحمد لله فقال تعالى يرحمك الله ولذلك خلقتك واما انه بين وسط امرك على الكرم
فهو قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم واما انه بين خاتمة امرك على الكرم فهو قوله يوم
القيامة عند عجزك وشدة خوفك وعدم قدرتك على تمهيد الاعتذار يا ايها الانسان
ما غرك بربك الكريم قال بعض المفسرين هذا تلقين للجواب والمقصود ان يقول
العبد يا رب غرني غاية كرمك فلما كان اول هذا الامر واوسطه واخره مبنيا على بلغ صح
الكرم ظهر ان العبد لا يضيع في جوار كرمه ولا يخيب مع كثرة نعمه واما انه اعترف
العدو بذلك فلان اعدى الاعداء هو ابليس وقد اعترف بذلك حيث قال ارايتك هذا
الذي كرمت علي واما انه تعالى بين نهاية امرك فهو قوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم
واما انه شبهك بالملائكة المقربين في هذه الصفة فلانه تعالى وصف الملائكة بالكرم
فقال في حق جبريل عليه السلام انه لقول رسول كريم وقال في قصة يوسف ما هذا
بشرا ان هذا الا ملك كريم وقال في صفة الملائكة الذين كانوا ضيوف ابرهيم عليه السلام
هل اتاك حديث ضيف ابرهيم المكرمين وقال في صفة جميع الملائكة بل عباد مكرمون
ثم هاهنا دقيقة وهي انه تعالى قال في صفة الملائكة انهم مكرمون من غير التشديد
وقال في حق البشر ولقد كرمنا وذكره مع التشديد والمقصود من هذا التشديد
بيان تكثير الكرامات في حق البشر قال ابو يزيد البسطامي رحمه الله عليه ان انواع

كرامات الله تعالى في حق البشر غير متناهية الا ترى الى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها فهذا على سبيل الاجمال واما على سبيل التفصيل فمن وجوه
منها انه يمطر كل ساعة على المتوكلين مطر الكفاية دليله قوله تعالى ومن يتوكل على الله
فهو حسبه وكل مومن فهو متوكل على الله بدليل قوله تعالى فان تولوا فقل حسبي الله
وقال عن الصحابة انهم قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
ومنها انه يمطر كل ساعة على المطيع مطر المودة قال تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا
ومنها انه تعالى يمطر على المجتهدين مطر الهداية قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا ومنها انه يمطر على الشاكرين مطر الزيادة قال تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم
ومنها انه تعالى يمطر على المتذكرين مطر الهداية والبصيرة قال تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ولا نستقصا
في هذا الباب خارج عن وسع البشر وكله داخل تحت قوله ولقد كرمنا بني ادم
البحث الثاني قوله ولقد كرمنا بني ادم اعلم ان عطية الله تعالى لها اسما كثيرة
في القران احدها الفضل قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اي ينبغي
ان يكون فرحكم بفضل الله عليكم لا باعمالكم وهذا هو قول اهل السنة
والجماعة فانهم يقولون العبد وان اطاع ربه باعظم الطاعات من اول خلق العالم
الى قيام الساعة فانه لا يدخل الجنة الا بفضله ورحمته ولا يكون للعبد على ربه
دين ولا حق ومما يدل على صحة هذا المعنى وجوه الاول ان هذا العبد ان اطاع
فربما وجد من كان اذكى منه واكثر حذقا وعلما منه مع انه وقع في الكفر
واذا كان كذلك فكل واحد من هذين العبدين اعني المطيع والعاصي والمومن
والكافر والمقر والمنكر يصح ان يصدر من كل واحد منهما كل واحد من هذين
العلمين بدلا عن الثاني فهذا المطيع لما اختار الطاعة مع انه كان يجوز ان
يختار المعصية بدلا عن الطاعة فاما ان يقال حصل هذا الرجحان من غير مرجح
وهو يفضي الى ان نفي الصانع او توقف على مرجح وذلك المرجح ان كان من العبد

عاد الطلب فيه وهو يفضي الى التسلسل وان كان من الله فحينئذ يكون صدور تلك
الطاعة من العبد نعمة من الله في حقه واذا كان صدور الطاعة عن العبد عين
نعمة الله على العبد فكيف يستحق العبد بسببه عليه في الدنيا نعمة اخرى منه في
العقبى فهذا برهان اوضح من ضوء الشمس على ان كل ما يحصل فانه انما يحصل بفضل الله
فلهذا قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الحجة الثانية وهو ان
العبد الى ان يصير بحيث يقدر على ان ياتي بالطاعة ويحترز عن المعصية فقد سبق
من الله عليه نعم عظيمة كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم فهو الذي خلقه بعد ان كان معدوما محضا كما قال تعالى وقد
خلقتك من قبل ولم تك شيئا ثم خلقه من تراب كما قال تعالى منها خلقناكم ثم رده في
اطوار الخلقة واكوار الفطرة ثم نفخ فيه الروح وخلق فيه الحياة كما قال تعالى
ثم انشاناه خلقا اخر ثم اعطاه القدرة كما قال الله الذي خلقكم من ضعف ثم
اعطاه العقل والعلم كما قال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
ثم اعطاه صورة حسنة كما قال وصوركم فاحسن صوركم ثم اعطاه الاغذية
والارزاق كما قال الذي خلقكم ثم رزقكم ثم انه تعالى بعد هذه النعم العظيمة
الدنيوية انعم عليه بالنعم العظيمة الدينية وهي بعثة الرسل وانزال الكتب وازالة
الختم والوقر والرين والغشاوة من قلبه واعطاه التوفيق والهداية والعصمة
ثم ان هذا العبد بعد هذه النعم العظيمة اتى بطاعات قليلة كما يليق بقدرته
القاصرة وعقله المختصر لا يحكم العقل بوقوع هذه الطاعة البشرية قضا لحق
تلك النعم العظيمة المتقدمة واذا وقعت هذه الطاعات قضا لحق تلك النعم
السابقة امتنع صيرورتها موجبة لنعم اخرى واذا كان الامر كذلك علمنا ان
دخول الجنة يكون بمحض فضله ورحمته الحجة الثالثة هب انه يمكن ان يصير
عمل العبد علة لاستحقاق الثواب على الله تعالى الا ان فرح العبد بما يعطيه الله تعالى
بفضله واحسانه يجب ان يكون اكمل من فرحه بما يحصل من كسبه واجتهاده ومثاله ان

وجد بكسبه دينارًا او وجد من تشريف الملك المعظم خلعة نفيسة على سبيل الاعزاز فان فرح كل عاقل لما حصل من تشريف الملك يكون اتم واكمل من ذلك القليل الذي حصله بكسبه فاذا كان الامر كذلك في السلطان المجازي في الملك المختصر فما ظنك بتشريف سلطان السلاطين على سبيل الحقيقة في اعطا ملك الابدي ولهذا قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا **البحث الرابع** انه تعالى جعل اشتغال العبد بالطاعة مبدأ الخيرات وجعل اعانة الله على تلك الطاعات غاية السعادات الا ترى انه قال اولًا اياك نعبد ثم قال واياك نستعين وقال اولًا والذين جاهدوا فينا ثم قال لنهدينهم سبلنا وفي هذه الدلايل كثرة مقصودنا هاهنا اقامة هذه الدلايل العاطفة على صحة قوله قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا **الاسم الثاني** من اسما عطية الله تعالى المنة قال تعالى بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين وقال لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولًا ومن الاسما الواردة في الحديث الحنان المنان فان قيل اليس انه تعالى نهى رسول الله عن المنة فقال ولا تمنن تستكثر ونهى الامة عن المنة فقال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وثبت ان المنة توجب الريا فصار كالذي ينفق امواله رياء الناس فاذا ثبت ان هذه الخصلة مذمومة فكيف ارتضاها النفسه والجواب انه تعالى اذا انعم على العبد ثم من عليه بتلك النعمة صار العبد مشغولًا بالمنة وصار غافلًا عن النعمة والمنة صفة الحق والنعمة من جنس الخلق والاشتغال بصفة الحق اولى من الاشتغال بالخلق **الاسم الثالث** من اسما عطية الله تعالى الاحسان قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال في يوسف عليه السلام وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وقال موسى عليه السلام لقارون واحسن كما احسن الله اليك **الاسم الرابع** اللطف قال تعالى الله لطيف بعباده ومن لطفه ان نور قلبك بالهدى وجنبك عن الردى والهوى وجعلك من امة المصطفى ووعدك ان يصونك عن العذاب تحت الثرى ويحشرك في زمرة ارباب التقى ويقيك من عذاب سقر ولظى ويدخلك جنة الماوى ويعطيك الزيادة المذكورة

بلغ

في قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة **الاسم الخامس** الهبة قال تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور **الاسم السادس** الفتح قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق **الاسم السابع** الاكرام والتكريم كما في قوله ولقد كرمنا بني ادم والتكريم هو جعل الشي كريمًا ولا شك ان صيرورة الشي كريمًا انما يكون بحصول صفات الكمال فيه وحصول تلك الصفات لا يكون الا بايجاد الحق وتكوينه فظهر ان التكريم لا يحصل الا باكرامه والحسن لا يحصل الا من جوده واحسانه **البحث الثالث** في قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم اعلم انه قد اختلف المفسرون في المراد بهذا التكريم وذكروا فيه اقوالا كثيرة وطريق ضبط القول فيها ان نقول هذا التكريم اما ان يكون المراد منه احوالا موجودة في جسد الانسان او احوالا موجودة في روحه او مجموعهما اما الاحوال الجسدانية فيحتمل حمل هذا التكريم على امور **النوع الاول** ان يكون المراد ولقد كرمنا بني ادم بالصورة الحسنة والذي يدل عليه ان الصورة الحسنة من جملة نعم الله على العبد وجوه الاول قوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم الثاني قوله صبغة الله ومن احسن من الله صبغة واعلم ان الصبغ ما يكون به الثياب يقال صبغ الثوب يصبغه بفتح البا وكسرها وضمها ثلث لغات صبغًا وصبغا بفتح البا وكسرها لغتان والصبغة فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ وذكروا في المراد بصبغة الله وجوهًا الاول المراد به تركيبه وصورته وخلقته وفطرته وعلى هذا القول فالاية تدل على كمال حسن صورة الانسان من وجهين الاول انه تعالى لما اضاف هذا الصبغة الى نفسه دل ذلك على كمالها كما في قوله بيت الله وناقة الله والثاني انه تعالى قال ومن احسن من الله صبغة وهذا دل على كمال هذه الصبغة والثاني ان المراد منه دين الله ثم ذكروا في انه لم سمي دين الله بصبغة الله وجوهًا احدها ان بعض النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد

قال صح

منهم بولد ذلك قالوا الان صار نصرانيا فقال تعالى اطلبوا صبغة الله وهي الدين
والاسلام صبغتهم فعلى هذا السبب في اطلاق لفظ الصبغة على الدين طريقة
المشاكلة ونظيره قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم يخادعون الله
وهو خادعهم ومكروا ومكر الله ان تسخروا منا فانا نسخر منكم والثاني ان اليهود
تصبغ ابناها يهودا والنصارى تصبغ ابناها نصارى يعني يلقنونهم
فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوب اولادهم حب هذه الاديان قال ابن
الانباري يقال فلان يصبغ فلانا في الشيء اي يدخله فيه ويلزمه اياه كما يجعل
الصبغ لازما للثوب وانشد ثعلب

دع الشر وانزل بالنجاة تحوزا اذا انت لم يصبغك في الشر صابغ

والثالث انه سمي الدين صبغة لان هيئته تظهر بالمشاهدة من اثر الطهارة والصلوة
وغيرهما قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود والرابع قال القاضي
عبد الجبار بن احمد الهمداني صبغة الله متعلق بقوله قولوا امنا بالله الى قوله
ونحن له مسلمون فوصف هذا الايمان الصادر منهم بانه صبغة الله ليبين ان
المباينة بين هذا الدين الذي اختاره والمبطل ظاهرة جلية كما تظهر المباينة بين
الالوان والاصباغ لذي الحس السليم البحث الثالث قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان في احسن تقويم واعلم ان التقويم تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون في التاليف
والتعديل يقال قومه تقويما فاستقام وتقوم ثم ذكروا في هذا التقويم
وجوها منها ما نقل عن يحيى بن اكثم وجماعة انه حسن الصورة حكي ان ملك زمانه
خلا بزوجته في ليلة مقمرة وقال لها ان لم تكوني احسن من القمر فانت طالق فافتى
الملك بالحنث الا يحيى بن اكثم فانه قال لا يقع الطلاق فقيل له خالفت شيوخك
فقال الفتوى بالعلم ولقد افتى من هو اعلم منا وهو الله تعالى حيث قال
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض الصالحين يقول الهنا اعطيتنا

في الاولى احسن الاشكال فاعطنا في الاخرة احسن الافعال وهو العفو عن الذنوب
والتجاوز عن العيوب البحث الرابع ان كل شخص فله جزءان احدهما مثل جسمه
وهو منظره والاخر مخبره وهو نفسه وكثيرا ما يتلازمان ولذلك فزع
اصحاب الفراسة في معرفة احوال النفس اولا الى الهيئات البدنية حتى قال بعض
الحكماء قل ما يوجد صورة حسنة تدبرها نفس ردية فنقش الخواتم مقروء من الطين
وطلاقة الوجه عنوان ما في النفس وقال عليه السلام اطلبوا الحوائج من حسان
الوجوه وقال عمر رضي الله عنه اذا بعثتم رسولا فاطلبوا احسن الوجه وحسن الاسم
وحكي ان المامون استعرض جيشا فمر به رجل قبيح الوجه فاستنطقه فوجده الكن
فامر باسقاطه وقال ان الروح اذا وقع اثرها في الظاهر كانت صباحة واذا
وقع اثرها في الباطن كانت فصاحة وهذا الرجل لا ظاهر له ولا باطن
البحث الخامس في ان كمال الجسم من الفضائل قوله تعالى فزاده بسطة في العلم
والجسم واعلم ان حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا فيه الا ان حسن السيرة
افضل منه ويدل عليه وجوه الحجة الاولى ان حسن الصورة من مطالب الشهوة
فكان حسن السيرة افضل لا محالة من حسن الصورة الحجة الثانية ان يوسف عليه السلام
اجتمع له حسن الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع في انواع البلاء
منها ان اباه كان يحبه ازيد كما قال تعالى مخبرا عن اخوته اذ قالوا ليوسف واخوه
احب الى ابينا منا فلا جرم قصدوا قتله كما قال تعالى حكاية عنهم اقتلوا يوسف
او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وثانيها انه وقع بسبب الحسن في اسر
الرق قال تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وثالثها انه بسبب الحسن وقع في
زحمة مراودة المرأة قال تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه ورابعها انه وقع
في الهم كما قال ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وخامسها
وقع في الخوف عن زوج تلك المرأة قال تعالى والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء
من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم وسادسها انهم جعلوه في السجن

بسبب هذه الوقعة وبقي هناك مدة طويلة قال تعالى فلبث في السجن بضع سنين
فهذه هي الآفات الحاصلة بسبب حسن الصورة واما الخيرات الحاصلة بسبب
حسن السيرة فوجوه احدها انه لما كان عالما بعلم التعبير خاطبوه بخطاب
العظيم واستفتوا منه تفسير تلك الرويا قال تعالى حكاية عنهم يوسف ايها الصديق
افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وثانيها ان الملك لما وجد عنده هذا
العلم طلبه واخرجه من السجن قال تعالى وقال الملك ايتوني به والثالث انه زالت التهمة
عنه في هذا الوقت ببركة العلم قال تعالى عن امراة العزيز الان حصحص الحق
انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين والرابع ان الملك اصطفاه لنفسه
عند ذلك قال تعالى وقال الملك ايتوني به استخلصه لنفسي والخامس ان الملك اثنى عليه
قال تعالى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولم تقل صبيح مليح السادس
ان يوسف عليه السلام توصل الى ذلك الملك بحسن السيرة لا بحسن الصورة قال تعالى
حكاية عن يوسف قال اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم فثبت بما قلنا انه وقع
في ستة انواع من البلا بسبب حسن الصورة ووصل الى ستة انواع من الخيرات
بسبب حسن السيرة وذلك يدل على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة
الحجة الثالثة ان النسوة لما راين يوسف عليه السلام قلن حاش لله ما هذا بشرا
ان هذا الا ملك كريم شبهنه يوسف بالملك وذلك التشبيه كان في حسن السيرة
لا في حسن الصورة لانه عليه السلام دخل مطرقا راسه ولم ينظر الى واحدة منهن مع
انه كان في اوان زمان الشباب واستيلا الشهوة فلما شاهدن منه تلك السيرة
الحسنة صارت صورته في جنب سيرته مضمحلة ذاهبة حتى ان النسوة مع شدة
شهوتهن لم يذكرن منه الصورة بل ذكرن منه السيرة فدل على ان حسن السيرة
افضل من حسن الصورة الحجة الرابعة ان حسن الصورة من مفاخر النساء
وحسن السيرة من مفاخر الرجال الحجة الخامسة انه تعالى وان كان لا يطلق
في حقه لفظ حسن السيرة الا ان المعنى حاصل لان افعاله كلها حسنة من حيث

انها احسان وانعام واكرام ولطف وكرم وهو تعالى منزه عن الصورة وهذا
يدل على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة الحجة السادسة ان حسن الصورة
لا يبقى الا اياما قلايل اما حسن السيرة فانه لا يزول اثره ولا يبطل بهجته فدل
هذا على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة فهذا جملة الكلام في شرح قول من
قال المراد بقوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم حسن الصورة الوجه الثاني ان المراد من
هذا التكريم امتداد القامة وذلك لان الشي كلما كان اكثر ارتفاعا وامتدادا كان
اعلى في جنسه فالاشجار كلما كانت اكثر ارتفاعا كانت اشرف ولهذا السبب
سمي كلما جاوز احاد جنسه بصفات الشرف بانه العالي والفايق الوجه الثالث
المراد بهذا التكريم انه تعالى اكرم الانسان حيث مكنه من القيام والقعود والاستلقا
والانبطاح واعلم انه تعالى خلق الخلق على اربعة اصناف في التركيب منها القايمين
وهو الاشجار والنبات ومنها ما شبه الراكعين وهي البهايم ومنها ما شبه
الساجدين وهي الحشرات التي تدب على بطنها ووجوهها ومنها ما شبه القاعدين
وهي الجبال والتلال ثم انه تعالى اقدر الانسان على جميع هذه الهيات ومكنه
من ان يذكر الله تعالى على جميع هذه الاحوال كما قال الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم فمن اتى بركعة واحدة فقد حصلت في تلك الركعة الواحدة
هذه الهيات الاربعة وهي القيام والركوع والسجود والقعود فيحصل له
ثواب هذه الاصناف الاربعة فاقدار الله تعالى الانسان على جميع هذه الهيات
هو المراد بقوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم الوجه الرابع من هذا التكريم انه تعالى
خلق بني ادم من جوهر التراب وللتراب انواع من الفضايل احدها الوصلة وذلك
لانه تعالى خلق ابليس من النار كما قال خلقتني من نار وخلقته من طين فالنار سبب
القطيعة والتراب سبب الوصلة والثاني ان التراب فيه امانة قال تعالى في كل سنبلة
مائة حبة وفيه لطيفة انه تعالى خلقكم من شي فيه امانة فاجتهد حتى لا تبدل الامانة
بالخيانة ولاجل كون التراب امينا قبل ادم الامانة وهو قوله تعالى انا عرضنا

لا امانه على السموات والارض الى قوله وحملها الانسان والثالث ان التراب
طاهر وطهور قال تعالى فتيمموا صعيدا طيبا ثم قال الطيبات للطيبين
والطيبون للطيبات فلاجل هذا السر اصطفى الله ادم فقال ان الله اصطفى
ادم ثم اصطفى ابناه فقال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ثم
كرمهم فقال ولقد كرمنا بني ادم والرابع التواضع والدليل عليه ان ادم عليه السلام
لما اتى بالزله قال في الحال ربنا ظلمنا انفسنا ولما اتى ابليس بالمعصيه
فقال له ربه لم فعلت قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فتكبر
على الله ورد امر الله والخامس الطهاره قال عليه السلام التراب طهور المومن والما
ايضا طهور قال تعالى وانزلنا من السما ما طهورا ثم عجن بالتراب طاهرا بطاهر
وطهورا بطهور واعلم ان النار لا تنطفي الا باحد هذين الشيئين التراب والما
فجعل هذا الطين سببا لانطفا نار الوسوسه في الدنيا وانطفا نار جهنم في
الاخره الخامس في تفسير قوله ولقد كرمنا بني ادم قال ابن عباس كرمناهم
بالاكل بالاصابع واما البهايم فانها تاكل بالفم واعلم ان وجه التكريم في هذا
المعنى من وجوه الاول ان الراس محل العقل والفكر والذهن والاكل عند
الشهوه والبطن ولا يليق بالحكمه ان يسجد الراس الذي هو معدن العقل والفكر
لاجل الغدا الذي هو نصيب النفس بل جعلت اليد خادمه للراس حتى ان اليد
ترفع اللقمه الى الفم كما تخدم العبد سيده وفيه لطيفه انه تعالى اغناك عن ان
تخضع راسك وتسجد لطلب الطعام فلا تختر بجهلك سجده المخلوق لطلب
الطعام الوجه الثاني في شرح هذه النعمه ان البهيمه تاخذ علفها بفمها ملطخه
ملوثه اما الانسان فانه ينظف طعامه باصابعه ويميز جيده عن رديه وههنا
دقيقه وهي انه تعالى علق رعايه مصالح البهايم بطباعها حتى انها بطباعها
تميز بين مصالحها ومفاسدها فتحترز وقت تناولها العلف عما يوذيها
وتجذب ما ينفعها وهكذا يكون كل الطيور والبهايم والحشرات من اول الامر

اما الانسان على قرب شانه بعقله لا بطبعه حتى ان الانسان قبل ظهور نور العقل
فيه لا يميز بين النافع وبين الضار اما اذا حملنا هذا التكريم على الاحوال
الروحانيه ففيه وجوه الاول ولقد كرمنا بني ادم بالعقل والفهم واعلم انه تعالى
عظم امر العقل في كتابه من وجوه النوع الاول تكثير اساميه ونحن نذكر ههنا
بعضها فالاسم الاول العقل قال موسى عليه السلام في مناظرته فرعون رب
المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون واوحى الله الى داود عليه السلام اذا
رايت عاقلا فكن له خادما قال عليه السلام اول ما خلق الله العقل فقال له اقبل
فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم قال له وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك
بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب وبك اعاقب وقال عليه السلام لا دين لمن لا عقل له
وقال لا يعجبنكم اسلام امري حتى تعرفوا عقده عقله وقالت الحكما في تفسير هذا عقيدته
الخبر من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الخير وايضا
بالعقل قدر الانسان على القيام باوامر الله في قوله قد افلح من زكاها وقدر
على تحصيل حرث الاخره في قوله من كان يريد حرث الاخره نزد له في حرثه قالوا ثمره حرث
الاخره على التفصيل سبعه اشيا بقا بلا فنا وقدره بلا عجز وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر
وامن بلا خوف وراحه بلا شغل وعز بلا ذل وايضا اكثر المفسرين على ان معنى
قوله تعالى الله نور السموات والارض الله هادي اهل السموات والارض ومعلوم ان
كمال تلك الهدايه انما تحصل بالعقل وايضا العقل نوعان غريزي وهو القوه المتهيئه
للعلوم الكليه البديهيه ووجود هذه القوه في الطفل كوجود النخله في النواه
والسنبله في الحبه ومستفاد وهو كمال حال هذه القوه ثم هذا المستفاد
ضربان ضرب يحصل للانسان حالا فحالا بلا اختيار منه ولا يعرف كيف حصل
ومن اين حصل وضرب يحصل باختياره فيعرف كيف حصل ومن اين حصل ولما
انقسم العقل الى الغريزي والى المستفاد قال امير المومنين علي رضي الله عنه العقل
عقلان مطبوع ومسموع فلا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا تنفع الشمس

وضوء العين ممنوع والى القسم الاول اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما خلق الله
خلقا اكرم عليه من العقل والى الثاني اشار بقوله لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس
الى خالقهم بابواب البر فتقرب اليه انت بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى عند
الناس في الدنيا وعند الله في الاخرة واعلم ان لفظ العقل في اللغة اسم لما تقيد
به البعير لئلا يشرد وسمي بهذا المعنى تنبيها على عادتهم في تسمية المعقولات
باسماء المحسوسات تنبيها على انه هو الذي يمنع الانسان ويكون قيدا له عن الاقدام
على ما لا ينبغي من الافعال الاسم الثاني اللب قال تعالى ولكم في القصاص حياة
يا اولي الالباب وقال فاتقون يا اولي الالباب وقال في الطلاق فاتقوا الله يا اولي
الالباب وقال في ال عمران ان في خلق السموات والارض الى قوله لايات لاولي الالباب
واعلم ان اللب من كل شيء هو المقصود الخالص منه وهذا الاسم يدل على ان المقصود
من الانسان انما هو العقل وكيف لا يكون كذلك واشرف الامور الصادرة عن الانسان
ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ثم من الظاهر ان معرفة الحق اشرف من عمل الخير
ومعرفة الحق لا يمكن الا بالعقل فدل على ان لب الانسان هو العقل الاسم الثالث
النهى ويحتمل ان يكون جمعا لنهية وان يكون اسما مفردا وجعل اسما للعقل
الذي انتهى عن الاشتغال بالمحسوسات وتوجه الى عالم المعقولات ولهذا المعنى
احال اربابه على تدبر معاني المحسوسات الى معرفة ما فيها من المعقولات كقوله تعالى
اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم الاية وقال في طه وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا
من نبات شتى الى قوله ان في ذلك لايات لاولي النهى الاسم الرابع الحجر واصله من الحجر
اي المنع وهو ان يحجر الانسان نفسه عن فعل ما لا ينبغي قال تعالى هل في ذلك قسم
لذي حجر الاسم الخامس الحجى من حجا الشيء اذا قطعه ومنه الاحجية فكانه سمي
العقل بهذا الاسم لكونه قاطعا بين الانسان وبين الافعال القبيحة الاسم السادس
ان العلم ثمرة العقل ثم انه تعالى سمى العلم نورا والجهل ظلمة فقال الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور وسماه ايضا روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا

وسماه ايضا حياة والجهل موتا فقال او من كان ميتا فاحييناه وقال وما يستوي
الاحياء ولا الاموات وايضا سماه ماء في قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها فاذا كان العلم نتيجة العقل وحال النتيجة في العلو والشرف
كذلك فاعرف ان الاصل كيف يكون النوع الثاني في بيان فضائل العقل
قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي لمن كان له عقل فجعل من لا عقل له له صح
كانه لا قلب له ونظيره قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم
وقال تعالى من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب والمراد بالقلب في كل هذه
الايات العقل وايضا فاثبت الله للعقل ابصارا او رؤية اما الابصار ففي
قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون واما الرؤية ففي قوله ما كذب
الفواد ما راى وقال في ابرهيم وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من
الموقنين وقال الم تر الى ربك كيف مد الظل وسمي عدم ادراك العقل عمى في
ايات منها قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يبصرون ومنها قوله فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومنها قوله تعالى الذين كانت اعينهم في غطاء
عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا ولولا ان المراد من العين ها هنا
البصيرة لا البصر لما قال عن ذكري لان الذكر لا يدرك بحاسة العين وكيف لا يكون
فقد البصيرة اعظم ضررا من فقد البصر وقد عرفت ان البدن بمنزلة الفرس والنفس
بمنزلة الراكب وضرر عمى الراكب نفسه اشد عليه من عمى فرسه وقال ان شر
الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وقال ايضا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير فان قيل ان كان للعقل هذه الفضايل الكثيرة فلم قال
اكثر اهل الجنة البله الجواب من وجوه الاول المراد بالبله الجاهلون بامر الدنيا
العالمون بامر الاخرة كما قال ابرهيم عليه السلام الا من اتى الله بقلب سليم الثاني
ان من عبد الله للجنة فهو ابله في جنب من يعبده لكونه ربا ومالكا الثالث قال الحسن
اكثر اهل الجنة البله اي هم حشو الجنة كالعامة في البلد الرابع اكثر اهل الجنة البله

وهم اهل المعاصي الذين عفا الله عنهم واما العقلاء المطيعون فهم اهل الدرجات
العلى الوجه الثاني في تفسير قوله ولقد كرمنا بني ادم سبحانه خلق كل ما سواك لاجلك
فقال في الارضيات هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال في السموات
وسخر لكم ما في السموات فجعل الارض فراشا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا
والسما سقفا لنا فقال وجعلنا السما سقفا محفوظا وجعل كل ما في الارض
رزقا لنا فقال وانزل من السما ما فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وجعل الشمس
موقتا للصلاة لنا فقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وجعل القمر معرفا
لاوقات صيامنا وحجنا فقال قل هي مواقيت للناس والحج وزين السما بالكواكب
لاجلنا فقال ولقد زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وجعل الكواكب تهتدي بها
في اسفارنا فقال وعلامات وبالنجم هم يهتدون وجعل الشمس محركة حتى انا
بحركتها نجد القبلة في النهار وجعل القطب ساكنا حتى انا بسكونه نجد القبلة بالليل
وخلق الانعام لغذايك وثيابك فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ومنها تاكلون وسخر لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ثم قال ويخلق
ما لا تعلمون اي اعددت لكم في الدنيا من المنافع ما لا تعلمون تفصيله ثم ذكر
الرسول عليه السلام مثله في الجنة فقال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم خلق النبات لاجلك فقال كلوا
وارعوا انعامكم ثم انا اعطيناك هذه الاشيا بالفضل قبل الطاعه وبالكرم قبل
السوال كما قال واتاكم من كل ما سالتموه ثم جمع جميع النعم فقال وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ان الله لغفور رحيم وهذه الاية نعمة اعظم من كل ما تقدم من النعم
وذلك لان الانسان لما لم يشتغل بالشكر بل لم يشتغل بتعديد نعم الله عليه
مهد برحمته عذره في ترك ذلك الشكر فقال انها كثيرة وعقلك لا تقدر على استحضارها
على التفصيل فكان هذا الترك للعجز فكنت معذورا فيه وهو المراد من قوله وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قال ان الله لغفور رحيم يعني غفور يستر عليك في

الدنيا ورحيم يتجاوز عن تقصيرك في الاخره وقال في سورة ابرهيم وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار وهذه اشاره الى ان القدر الذي يقدر عليه
من الشكر فانه لا يفعله ويتغافل عنه الوجه الثالث في تفسير قوله ولقد كرمنا
بني ادم انه سخر قلبه لمعرفته ولسانه لشهادته وبدنه لخدمته ثم في القيامه يعطي كل
ما يشتهي ويهدي الى ان يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده الوجه الرابع انه جعل
اباهم ادم عليه السلام رسولا الى الملايكة حيث قال انبيهم باسمايهم ثم جعله مسجودا
لهم حيث قال اسجدوا لادم ثم لعن ابليس لاجل مخالفته فقال اخرج منها فانك رجيم
ثم اباح له اكل الجنه فقال وكلا منها رغدا حيث شيتما ثم لما وقع في الزله
تاب عليه فقال فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ثم اكرمه بالاصطفا قال ان الله
اصطفى ادم ثم خصه بالاجتبا بعد العصيان فقال وعصى ادم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ومعلوم ان اكرام الاب سبب لاكرام الابن
الوجه الخامس انه تعالى جعل فيهم الانبيا والرسل والابرار كما قال موسى عليه السلام
اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبيا وجعلكم ملوكا الوجه السادس اكرمنا
بالخط الحسن قال تعالى الذي علم بالقلم وقيل بالصوت الحسن قال تعالى
يزيد في الخلق ما يشا الوجه السابع اكرمنا بالفصاحه والبلاغه قال تعالى
واختلاف السنتكم والوانكم وقال عليه السلام ان من البيان لسحرا وقالت الحكما
المرء باصغريه قلبه ولسانه الوجه الثامن انه تعالى اكرمنا بالاطعمه الصافيه
اللذيذه كالسمن والعسل اما السمن فقال فيه من بين فرث ودم لبنا خالصا
سايغا للشاربين واما العسل فقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه
شفا للناس وكذا الزبيب والسكر ثم انه تعالى اباح الكل فقال قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ثم من كرمه انه اعطى هذه
الاغذيه اللطيفه ثم اوقع في القلب ايثارها على الغير عند الحاجه اليها كما قال تعالى
ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصه حتى تجدونها يوم القيامه احسن

واكمل كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وعصمنا من حال من قال
في صفته اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا الوجه التاسع اكرمنا بالامر والنهي
وتشريف التكليف الا ترى انه لما كان ولا بد انسان عليه اعز من عبده لاجرم
يكون تكاليفه على ولده اكثر مما على عبده الوجه العاشر قال علي ابن ابي طالب كرم الله
وجهه ولقد كرمنا بني ادم بالدعوة الى الجنة قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام
فاكرمهم بالدعوة الى الدار ووعد لنا الملك الجبار كما قال للذين احسنوا الحسنى
وزيادة الوجه الحادي عشر انه تعالى خلق الخلق اصنافا مختلفة ثم خص
الحيوان لمزيد الفضل والشرف لانه لو خلق العرش والسموات والشمس والقمر وذلك
ولم يخلق حيوانا البتة لكان الكل عبثا لانه تعالى منزه عن النفع والضر وليس
هناك حيوان ينتفع به البتة فكان خلق هذه الاشيا خاليا عن الحكمة اما لو خلق
العرش وخلق بعوضة وقال خلقت العرش لينتفع به هذه البعوضة خرج
الخليق عن ان يكون عبثا ودخل في ان يكون حكمة فثبت بهذا ان العرش يمكن
جعله تبعا للبعوضة ولا يمكن جعل البعوضة تبعا للعرش فلهذا المعنى قال كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم فضل الادميين على كل الحيوانات كما قال
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ثم فضل الذكور على النسا فقال
الرجال قوامون على النسا ثم فضل المومن على الكافر فقال وبشر المومنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا ثم فضل العلما والمجاهدين اما العلما فقال
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم واما المجاهدين فقال وفضل الله
المجاهدين على القاعدين ثم فضل الانبيا عليهم السلام فقال ان الله اصطفى
ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين ثم فضل اولي العزم من الرسل
فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ثم فضل اربعة منهم على الباقين
وهم الخليل والكليم والروح والحبيب فقال وفضلنا بعض النبيين على بعض
ثم فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على الكل فقال وكان فضل الله عليك عظيما

فكرمك بان خلقك مومنا بربك عارفا بربك مجاهدا في طاعة ربك ثم جعلك
على ملة ابرهيم عليه السلام ودين محمد صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في تفسير هذا
التكريم انه كرمنا بالتقوى فقال ان اكرمكم عند الله اتقاكم والرسول عليه السلام
اتقى البشر لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ثم اتقى الامة ابو بكر رضي الله عنه قال تعالى
في حقه وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى والجنة معدة للمتقين قال تعالى في
صفة الجنة اعدت للمتقين فالحمد لله الذي جعلنا من امة اتقى الانبيا وهو
محمد صلى الله عليه وسلم ومن محبي اكرم الاتقيا وهو ابو بكر رضي الله عنه البحث الرابع
في قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم فان قال قايل انكم فسرتم هذا التكريم
بهذه الوجوه الا ان فيه اشكالا وهو ان بني ادم فيهم المومنون وفيهم الكافرون
فكيف يليق هذه التشريفات بالكافرين والجواب من وجوه الاول فيه نكته على
دقيقة لطيفة وهي ان من ليس بمومن فكانه ليس من الاحيا بل ليس من الموجودات
الثاني ولقد كرمنا بني ادم كقوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا
اي واختار موسى من قومه سبعين رجلا الثالث ان تفسير التكريم بالاحوال التي
يشترك فيها المومن والكافر وهو الصورة الحسنة والقد المستقيم والاغذية
اللطيفة وكون جميع المخلوقات مخلوقة لنا وخص خواص اهل الايمان بهم
وعند هذا نقول التكريم عام في حق الكل والاصطفا خاص الا ترى انه تعالى
قال ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين وقال تعالى
الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وقال في حق موسى اني اصطفيتك على
الناس وقال في حق الامة ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الوجه الرابع
في الجواب انه تعالى عمم المومن والكافر في نعمه الخلق والرزق وتمكين الاقدار وارسال
الرسل وانزال الكتب والامر والنهي والترغيب والترهيب ثم خص المومن بتسعة
اشيا احدها الهداية انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا والثاني
المحبة والزينة ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم والثالث التيسير

فسنيسره لليسرى والرابع التوفيق ما شا الله لا قوة الا بالله وقال وما توفيقي
الا بالله والخامس كراهية الكفر وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان والسادس
القبول انما يتقبل الله من المتقين والسابع المغفرة ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فهذا جملة الكلام في تفسير قوله ولقد كرمنا بني ادم
النوع الثاني من التشريفات المذكورة في هذه الاية قوله تعالى وحملناهم في
البر والبحر والمعنى اعطيناهم المراكب اما في البر فهي الخيل والبغال والحمير لاجل
ركوبنا والجمال لركوبنا وحمل امتعتنا كما قال وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا
بالغيه الا بشق الانفس واما في البحر فهي السفن والزوارق وغيره فلكنه وهي
ان الدنيا بحر الموج ودار البلا ثم ان في الدنيا اعطى انواع المركوبات وفي الاخرة
دار الرحمة والاحسان فكيف يترك العبد في القيامة بغير مركوب فلهذا قال
يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا راكبين على الجنايب والنجايب وقال الصادق
البر هو النفس والبحر هو القلب فمن حمله في النفس فقد اكرمه بنور التدبير
ومن حمله في القلب فقد اكرمه بنور التاييد وقال بعضهم وحملناهم في البر
والبحر اي تكفلنا مصالحهم في كل الاحوال النوع الثالث من
التشريفات المذكورة في هذه الاية ورزقناهم من الطيبات اي اطعمناهم الاطعمة
اللذيذة كالعسل والسمن والزبد والسكر وما رزقناهم شيا من الخبث والاذى
وذلك لان الجن ياكلون العظم ودوابهم تاكل الروث والبهايم تعلف التبن
والعشب والطيور يلتقط الحب والسباع ياكل الجيف واما اغذية بني
ادم فهي نظيفة نقية ايها المسكين انه ما اطعمك الا الطيبات فلا تتناول انت
اختيارك لحم الميتة كما قال ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
وقال بعضهم ورزقناهم من الطيبات اي تارة مطبوخا واخرى غير مطبوخ
واما ساير الحيوانات فغير مطبوخ اصلا وقيل ورزقناهم من الطيبات
المعرفة والمناجاة كما قال عليه السلام ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني

النوع الرابع من التشريفات في هذه الاية قوله تعالى وفضلناهم على كثير ممن
خلقنا تفضيلا والكلام في هذه الاية يتعلق بتفضيل الملك على البشر وسيجي
هذه المسلة بلا مستقصا ان شا الله تعالى قال كعب الاحبار الحلو خلق اصناف
الملايكة ولهم عقل بلا شهوة والبهايم ولها شهوة بلا عقل والادمي وله كلاهما
فمن كانت شهوته راجحة على عقله فهو من جنس البهايم كما قال تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل فعلى هذا القياس من كان عقله راجحا على شهوته وجب ان يكون
افضل من الملايكة وايضا فهذه المراتب الاربعة بمجموعها غير بني ادم وهذا يدل
على انهم افضل واعلم ان قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم فيه تشريف عظيم وذلك
لان التكريم عبارة عن جعل الشي كريما والكريم هو الذي يكون منشا للكرم
وهذا ينبه على انه تعالى جعل بني ادم مدبر الحيوانات ومصلحا لاحوالهم
او ضابطا لامورها على الوجه الاصلح الاليق فصير معناه كونه خليفة الله في
الارض كما قال اني جاعل في الارض خليفة ثم قال في الجملة الثانية وحملناهم في
البر والبحر وفيه اشارة الى اعلى درجاته وتعظيم مقاماته والتحقيق فيه
هو ان الانسان كانه جالس على الحد المشترك الذي هو اخر مراتب العالم
الارضي واول مراتب عالم السموات فنسبته الى الارضيات بالفعل والتدبير
ونسبته الى السموات بالانفعال والقبول فقوله ولقد كرمنا بني ادم اشارة الى كونه
متصرفا في السفليات وحملناهم في البر والبحر اشارة الى فيضان انوار السموات
عليه وقوله ورزقناهم من الطيبات اشارة الى الدرجة التربية الواصلة اليه من عالم
الغيب اما الى نفسه وروحه فبالعلم والحكمة والعصمة والتسلط واما الى جسده
وقالبه فبالاغذية الموافقة واما قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
فهو اشارة الى دقيقة عجيبة وذلك لان الملايكة ارواح عقلية محضة مطهرة
عن علايق الحس والخيال والشهوة والغضب والحيوانات اجساد محضة
لا خبر عندها من عالم العقول وعالم العصمة اما الانسان فهو مجمع المراتب

مستحضر للارحتين فهو مع الملائكة ملك ومع السباع سبع ومع البهايم بهيمه
ومع الشياطين شيطانا فكونه مستجمعا لكل هذه الاحوال يصلح ان يكون
مرادا من قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا والله اعلم باسرار كلامه

الفصل الثالث في بيان ان اول الانبيا هو ادم عليه السلام

اعلم ان المخلوقات على قسمين منهم من كان من جملة المكلفين ومنهم من لم يكن كذلك
واجمع العقلا على ان المكلف افضل ممن لا يكون مكلفا وكيف لا يكون كذلك
وقد قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهذا نص صريح في ان
المقصود من الخلق انما هو التكليف واذا كان كذلك فكلما بقي في الخلق
من يكون قايما بعهدة التكاليف بقي عالم الخلق واذا لم يبق احد يقوم باداء التكاليف
صار عالم المخلوقات عبثا والحكيم لا يرضى بالعبث فحينئذ تخرب السموات
والارض وتقوم القيامه واذا تاملت في هذا علمت ان قيام السموات والارضين
والجبال والبحار ودوران الشمس والقمر والنجوم كلها كالطفيلي على قيام ذلك
الشخص الاشعث الاغبر الذي يرده الخلق ولا يقبله احد من الناس باداء
تكاليف الله تعالى فهو قايم باداء التكاليف ومشتغل باداء العبوديه والسموات
والشمس والقمر والنجوم والعناصر والمواليد باقيه تبعا لبقايه فجمله ملوك
الارض انما ياكلون من فتات سفرته وانما يشربون من بقيه ما في كوزه وهذا هو
المراد من قوله عليه السلام ان لله عبادا هم السبب الاصلي في مصالح اهل العالم
فبهم يمطرون وبهم يرزقون وفي كل جنس واحد هو اكملهم واجلهم ولهم
ولهم اصحاب يقربون منه فذلك هو الاقوى الاكمل في القيام بعهدة
اوامر الله هو المسمى بقطب الارض والذين يقربون منه ولكنهم بعد ما وصلوا
اليه فهم اصحابه واذا عرفت هذا فنقول اصناف المكلفين اربعة الملائكه
والانس والجن والشياطين اما الملائكه فقد روي في الاخبار ان الله تعالى خلقهم من
الريح وهذا الخبر متاكد بوجوه عقليه احدها انهم قدروا على الطيران

على اسرع الوجوه والثاني انهم قدروا على حمل العرش وذلك لان الريح صاعده
بالطبع فتستعمل لحمل الاشيا والثالث انهم سموا روحانيين واشتقاق الروحاني
من الروح وروي ايضا في بعض الاخبار انهم خلقوا من النور ثم هذه الروايه ايضا
ماكدة بوجوه عقليه احدها انها صفت عن الكدورات واخلصت في طاعه
رب الارض والسموات والثاني انها توغلت بقوة نورانيتها في بحار عرفان جلال الله
والثالث انهم بسبب تلك النورانيه تبراوا عن المعاصي والذنوب وعند هذا
قال بعض العلما الاولى ان نجمع بين الروايتين فنقول ابدانهم من الريح وارواحهم
من النور فهولاي هم سكان عالم السموات واما الشياطين فهم كفرة واما ابليس
فكفره ظاهر لانه تعالى قال وكان من الكافرين واما ساير الشياطين فهم ايضا كفرة
بدليل قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم وان اطعتموهم
انكم لمشركون ثم انهم باسرهم اعدا البشر بدليل قوله تعالى في صفة ابليس ففسق عن
امر ربه افتتخذونه وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو بيس للظالمين بدلا
وقال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن واما الجن فمنهم كافر
ومنهم مسلم قال تعالى حكاية عنهم وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم
فاولئك تحروا رشدا فهذا هو الكلام في تفصيل احوال هذه الاجناس الثلثة
اما الجنس الرابع وهو الانسان والبشر ولا شك ان منهم مومن ومنهم كافر
واما اصلهم فهو من شخص واحد هو اول الانبيا والذي يدل على انتها هذه
الاشخاص البشريه الى شخص هو اول الانبيا وجوه الحجة الاولى لو وجد انسان
في الازل فذلك الانسان اما ان يقال انه كان مسبوقا بانسان اخر وما كان
مسبوقا بانسان اخر فالاول مسبوق بغيره وهو محال لان الازل عبارة عن
نفي المسبوقيه والجمع بين المسبوقيه واللامسبوقيه محال وان لم يكن مسبوقا
بانسان اخر فذلك الانسان هو الانسان الاول فالابا الى الاب الاول وهو
المطلوب الحجة الثانيه ان الانسان لا ينفك عن تغير الحالات وتبدل الصفات

لكن بغير الحالات في الازل محال وهذا يقتضي انه لم يوجد احد من البشر
في الازل فاذا كان كذلك وجب القول بانتها الناس الى الانسان الحجة الثالثة
لو لم يكن للابا مبدا الاول لتوقف حصول الواحد منا على انقضا ابا لا نهاية
لهم لكن انقضا ما لا نهاية له محال والموقوف على المحال محال فكان ينبغي ان لا يوجد
هذا الولد وحيث وجد علمنا ان للابا انقضوا لهم مبدا اول الحجة الرابعة
لو حصل شي من الناس في الازل لما فني لان الازلي لا يقبل العدم الحجة الخامسة
ان الذين وجدوا فيما قبل لو لم يكن لهم مبدا لكانت اعدادهم غير متناهية
ولو كان كذلك لامتنع الانقضا عليها لان انقضا ما لا نهاية له محال
الحجة السادسة ان كل عدد داخل في الوجود فهو قابل للزيادة والنقصان
وكل ما كان كذلك فهو متناهي فكل ما دخل في الوجود فهو متناهي
الحجة السابعة مجموع الابا الذين لا نهاية لهم من الانسان والابا الذين لا نهاية لهم
من هذه الساه اكثر عددا من كل واحد من هاتين الجملتين وحدها فيكون كل واحد
من الجملتين وحده اقل من المجموع وكل ما كان اقل من غيره فهو متناهي والمجموع
ضعف المتناهي فيكون الكل متناهيا الحجة الثامنة كل عدد موجود
فهو اما شفع او وتر وعلى التقديرين فهو متناهي وكل عدد موجود فهو متناهي
وكل عدد موجود فهو متناهي فثبت بهذه البراهين وجوب انتها الابا الى الاب
الاول فان قيل انا لم نشاهد انسانا يكون الا من نطفة الاب في رحم الام وهذا
يقتضي ان يكون كل انسان مسبوقا بانسان اخر والجواب ان المحققين من
الفلاسفة اتفقوا على انه يمكن حدوث الانسان بالتولد كما يمكن حدوثه
بالتوالد واحتجوا عليه بوجوه الحجة الاولى ان بدن الانسان انما تولد من
اجتماع العناصر الاربعة واذا كان كذلك وجب ان يكون المحدث لبدن
الانسان هو الله تعالى اما المقدمة الاولى فالدليل على صحتها ان هذه الاعضا
الحيوانية اذا احترقت ينفصل عنها ما ورمادا وتصاعدت ابخرة كثيرة عنها

وذلك يدل على ان هذه الابدان الحيوانية متالفة من هذه العناصر وانما قلنا
انه لما كان الامر كذلك كان محدثها هو الله تعالى وذلك لان هذه العناصر
الاربعة طبايع متضادة متنافرة موجبة للتباين مانعة من الاجتماع واذا كان
الامر كذلك فهي مع كونها متنازعة الى التباين لما اجتمعت افتقر اجتماعها الى
جامع وذلك الجامع اما ان يكون قوة حالة فيها او شيا خارجا عنها والاول
محال لان القوة الحالة فيها اما ان يكون حالة في بسائطها او في الجسم المركب
المتولد من امتزاجها والاول باطل لانا بينا ان الطبايع الحالة في تلك البسايط
موجبة للتنافر والتباين فلا يكون موجبة لاجتماعها وامتزاجها القسم الثاني
ايضا باطل لان القوة الحاصلة للجسم المتولد عن امتزاجها تبع لتلك الامتزاجات
ومتاخر عنها والمقتضي لتلك الامتزاجات متقدم عليها والمتاخر لا يكون
نفس المتقدم فثبت ان الجامع لهذه العناصر لا قوة حالة في بسائطها ولا قوة
حالة في الجسم المتولد من امتزاجاتها فاذن ذلك الجامع شي مباين عنها وهو الله تعالى
فثبت ان المحدث لهذه الابدان الحيوانية هو الله تعالى واذا كان كذلك كان قادرا
على احداثها كيف شا واراد فيكون قادرا على احداثها من غير سبق الاب
والام وهو المطلوب الحجة الثانية ان الكيفية المزاجية الحاصلة في ابدان
الحيوانات انما تحدث بايجاد الله تعالى لاجل امتزاج هذه العناصر ومتى كان
الامر كذلك وجب ان يكون الله تعالى قادرا على ايجاد هذه الكيفية الملايمة
كيف شا واراد من غير واسطة الاب والام وانما قلنا ان حدوث هذه الكيفية
ليس لاجل امتزاج هذه العناصر وذلك لان الحار والبارد اذا اختلطا فاما ان
يكون تاثير كل واحد منهما في كسر الاخر معا او على التعاقب والاول باطل لان
العلة موجودة مع المعلول وعلة انكسار كل واحد منهما هي قوة الاخر فلو حصل
الانكساران لحصل كون كل واحد منهما قويا كون كل واحد منهما منكسرا وذلك
محال والثاني ايضا محال لان احدهما لما انكسر بالاخر امتنع ان يصير المغلوب

بل صيرورته مغلوبا غالبا وعلى هذا التقدير يكون هذا مترجحا بل يكون
كونا وفسادا ولما بطل هذان القسمان ثبت ان حصول هذه الكيفية
الملايمة للحموة ليس لاجل امتزاج الطبايع والعناصر بل هي كيفية يخلقها
الله تعالى ويحدثها ابتدا واذا كان الامر كذلك كان الله تعالى قادرا على
خلقها كيف شا واراد فيكون قادرا على احداثها في الجسم من غير سبق الاب
والام وهو المطلوب البحث الثالث هب ان حدوث تلك الكيفية انما يكون
بسبب امتزاج العناصر واجتماع الطبايع لكنا نقول ان ذلك المزاج انما حدث
لان اجزا مخصوصة متقدرة بمقدار مخصوص متصغر تصغيرا مخصوصا
اجتمعت واختلطت فلزم من اجتماعها واختلاطها تاثير بعضها عن البعض
ولزم من ذلك التاثير حصول المزاج المخصوص الانساني ولزم من حدوث ذلك
المزاج المخصوص حدوث النفس الانسانية فاذن مهما حصلت تلك الاجزا
المخصوصة بذلك التصغير المخصوص وحصل اختلاط بعضها بالبعض وحصل
الانسان بالتولد لكن حدوث تلك الاجزا المخصوصة بذلك التصغير مع
اختلاط بعض تلك الاجزا بالبعض امر ممكن فحدوث الانسان على سبيل التولد
امر ممكن وهذه نكتة متوجهة جدا على اصول الفلاسفة البحث الرابع ان
انقطاع النوع امر ممكن واذا كان كذلك وجب ان يكون الحدوث على سبيل التولد
ممكنا اما ان انقطاع النوع ممكن فلانه ليس بواجب ان يكون عن كل انسان
انسان واذا كان هذا الاحتمال قايما في كل واحد كان قايما في الكل فثبت
ان انقطاع النوع امر ممكن واذا ثبت هذا وجب ان يكون الحدوث على سبيل
التولد امرا ممكنا اذ لو لم يكن ذلك ممكنا لوجب ان يمتنع الانقطاع الذي
لا عود له البحث الخامس انا نشاهد حدوث كثير من الحيوانات بالتولد
فقد يتخلق حيات من الشعر وعقارب من التبن والباذروج والفار متولد من المدر
والضفادع تتولد من المطر وجميع هذه الاشيا كما انها تحدث بالتولد فهي ايضا

تحدث بالتوالد وليس اذا انقطع هذا التولد فلم نشاهد في سنين كثيرة وجب
ان لا يكون له وجود في الندرة عند شكل نادر يحصل في الفلك لا سيما الى حين
البحث السادس ان اكثر الناس يتعجبون من تولد الحيوانات من الطين
ولا يتعجبون من تولدها في الرحم من الما المهين وهذا العجب في الحقيقة وذلك لان
الناس يقدرون على تصوير الحيوانات من الطين والخشب ومن الحديد كما هو
موجود ولا يمكنهم ان يصوروا حيوانا من الما لان الما جسم سيال لا تتماسك فيه
الصور فيكون هذه الحيوانات في الارحام من الما المهين اعجب في الحكمة واعظم
في القدرة من كونها من الطين فان قال قايل اذا كان الصانع المختار قادرا على
خلق الولد من دون الابوين فلم لم يخلق هكذا ليكون الدلالة اقوى والجواب
ان الحكمة فيه من وجوه الاول ان خلق البشر من غير هذا الوجه يبطل التعارف
بالانساب وفي بطلانه سقوط المصالح الكثيرة بين الناس في المعاملات
وقد نبه الله تعالى عليه فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبايل لتعارفوا والثاني لو لم يحصل التوالد لبطلت صلة الرحم
وزال تعطف القرابات وبطل تلذذ الاباء بالابناء وتعزز الابناء بالاباء وفيه
زوال مصالح كثيرة من العالم وقد نبه الله تعالى عليه فقال وهو الذي خلق من الما
بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فكان معناه والله اعلم جعله
نسبا لما فيه من المصالح اللطيفة وكان قادرا على ان يوجده ابتدا والثالث
ان العاقل قد امر بالتواضع والاجتناب عن الكبر ثم ان العاقل اذا علم انه خلق
من نطفة قذرة وسار في مخرج البول مرة بعد مرة ونشا في نجاسة يتغذى
منها ونبت لحمه وعظمه منها كان ذلك كاسر النخوته وقد نبه الله تعالى على هذا
فقال الم نخلقكم من ما مهين فجعلناه نطفة في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا
فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين منبها على ان كل من كان كذلك لم يكن له ان
يتكبر بل الواجب عليه ان يذل ويخضع لخالقه والله اعلم فثبت بهذا ان اصول

العقل شاهد بامكان هذا المعنى واما شهادة النصوص الاسلامية
على صحتها فلا شبهة فيها فعلمنا ان الطعن فيه باطل اذا ثبت ما ذكرنا فنقول
ان القران دل على ان ذلك الاب الاول هو ادم عليه السلام قال يا ايها الناس اتقوا
ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونسا
واعلم ان هذه الاية فيها اسرار وذلك لان الله تعالى افتتح سورتين في كتابه
بهذا اللفظ احدهما اول سورة النسا فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة والثانية سورة الحج يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم
فاما السورة الاولى فهي الرابعة من سورة النصف الاول من القران فان اولها الفاتحة
ثم البقرة ثم ال عمران ثم النسا واما سورة الحج فهي ايضا السورة الرابعة من النصف
الثاني فان اولها مريم ثم طه ثم الانبيا ثم الحج وفي كيفية ترتيب هاتين السورتين
عجايب احدها ان سورة الاولى اشارة الى حال المبدا في كيفية التكوين والايجاد
فانه قال اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها والثانية
اشارة الى حال المعاد في كيفية الاعدام والافنا فانه قال ان زلزلة الساعة شي
عظيم ثم لا شك ان الايجاد متقدم على الافنا ولهذا قدمه الله تعالى في الذكر
فقال تؤتي الملك من تشا وتنزع الملك ممن تشا فقدم ذكر الايتا على ذكر النزع
فلهذا السبب قدم سورة النسا على سورة الحج واللطيفة الثانية ان الايجاد شبه
الرحمة والاعدام شبه الغضب وقال تعالى سبقت رحمتي غضبي فلا جرم قدم
سورة الايجاد على سورة الافنا واللطيفة الثالثة انه تعالى قال هناك ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة ولم يقل في الحج ربكم الذي اقام زلزلة الساعة نظيره قوله تعالى
كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم قال كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام فان
قيل اسم الربوبية منشا اللطف والرحمة والكرم فكيف يليق بهذه الكلمة التخويف
الشديد الحاصل من قوله ان زلزلة الساعة شي عظيم قلنا من كمال تربية المودب
الرحيم المشفق ان يضرب ولده وان يهدده حتى يزداد سعيه في طلب المكارم

والمعالي وهذا هو الجواب عن السوال عن قوله تعالى سنفرغ لكم ايها الثقلان
فباي الاء ربكما تكذبان فانه يقال ان قوله سنفرغ لكم ايها الثقلان غاية التهديد
وقوله فباي الاء ربكما تكذبان اشارة الى تعديد الالا والنعما فكيف يليق هذا
بذاك لانا نقول التهديد من الاب المشفق الرحيم في حق الولد الكسلان المغفل
يكون من اعظم النعم والجواب الثاني ان الام ترضع ولدها سنتين ثم انها
تلطخ حلمة ثديها بالصبر ولاشيا المرة ثم تضعها في فم الصبي كانها تقول
لا افطمك بهذه المرارة شحا عليك وانما ذلك لغرض اخر وهو انه خلق لك من الانسا
نعيم لا تحصى ولا تنالها الا بترك هذه المصة الواحدة فتجرع هذه المرارة حتى
تصل الى تلك الخيرات الكثيرة وكذا الرب تعالى اعد لك الجنان لكنك لا تصل اليها
الا بتجرع كاس الموت في هذه الدار ثم ينقلك الى محفل القيامة ثم يسلك الى الجنة
فكان الموت وخراب هذا العالم من اعظم النعم في حقك ولهذا المعنى قال اتقوا ربكم
ان زلزلة الساعة شي عظيم ومن الايات الدالة على ان اول البشر هو ادم عليه السلام
قوله تعالى في اخر سورة الاعراف هو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
ليسكن اليها الا ان فيه اشكالا وهو ان اخر هذه الاية دل على ان هذه النفس
الواحدة اقدم على الشرك على ما قال فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما
فتعالى الله عما يشركون ومعلوم ان الشرك لا يليق بادم فلا جرم قال المحققون
المراد من هذه النفس الواحدة قصي ابن كلاب والشرك الصادر منه هو انه سمى
اولاده بعبد مناف وعبد قصي وعبد الدار والله اعلم

بلغ مقابلة

الفصل الرابع في كيفية خلق ادم عليه السلام

اعلم انه تعالى
ذكر في كيفية خلق ادم عليه السلام ايات احدها انه مخلوق من التراب قال تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب وقال ومن اياته ان خلقكم من تراب ثم اذا
انتم بشر تنتشرون وقال في حق اولاد ادم منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها
نخرجكم تارة اخرى وقال في سورة النجم هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم

اجنة في بطون امهاتكم وقال في سورة نوح والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم
فيها ويخرجكم اخراجا واعلم ان في قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون متاخر عن خلق ادم وهذا محال لانه لا بد
وان يكون قوله كن فيكون متقدما على حدوث ادم في الوجود والجواب من وجهين
الاول ان يحمل خلق ادم على خلق بدنه ويحمل قوله كن فيكون على خلق روحه والثاني
ان يحمل الخلق على التقدير وعند هذا يزول الاشكال لانه يحصل التقدير في علم
المقدر اولا ثم يحصل التخليق والتكوين مفرعا على ذلك التقدير والاية الثانية
ذكر فيها انه مخلوق من الماء قال تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا
وصهرا وقال تعالى والله خالق كل دابة من ماء وقال الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه
في قرار مكين وقال تعالى الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل
نسله من سلالة من ماء مهين وقال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين والاية الرابعة ذكر فيها انه خلقه من سلالة من طين قال تعالى
ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين والاية الخامسة انه مخلوق من طين لازب
قال تعالى انا خلقناهم من طين لازب والاية السادسة انه مخلوق من صلصال كالفخار
وقال تعالى في سورة الرحمن خلق الانسان من صلصال كالفخار والاية السابعة انه
مخلوق من صلصال من حما مسنون قال تعالى اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون
والاية الثامنة انه مخلوق من عجل قال تعالى خلق الانسان من عجل ساريكم اياتي
فلا تستعجلون والاية التاسعة قوله لا اقسم بهذا البلد الى قوله لقد خلقنا
الانسان في كبد والاية العاشرة قوله تعالى الذي خلقكم من ضعف ثم من بعد
ضعف قوة فهذا مجموع هذه المراتب ولنشرح كل واحد منها فنقول المرتبة
الاولى وهي انه مخلوق من التراب والطين واعلم ان ابليس طعن فيه بسبب كونه
مخلوقا من التراب وفضل نفسه عليه بسبب كونه مخلوقا من النار فقال خلقتني
من نار وخلقته من طين والعلماء ذكروا في تفضيل التراب على النار وجوها

الحجة الاولى ان التراب في غاية التواضع والنار في غاية التكبر فلما خلق ادم من
التراب ظهر منه التواضع فقال ربنا ظلمنا انفسنا ولما خلق ابليس من النار
ظهر منه التكبر فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقال ارايتك
هذا الذي كرمت علي الحجة الثانية ان التراب وان كان مظلما الا انه ستار
للعيوب والنار وان كانت مضيئة الا انها تدل على العيوب وتظهر الفضائح
الحجة الثالثة ان التراب يطفي النار فلهذا السبب كان وجود ادم سببا
لانطفاء رونق ابليس وايضا الشهوة والغضب والحرص مخلوقة من النار الا ترى
ان الشهوة لا تعمل في الغذا الا بواسطة الحرارة واما ان الغضب نار فظاهر
واما ان الحرص نار فكذلك وذلك لان خاصية الحرص ان الانسان كلما وجد من
الدنيا اكثر صار حرصه اكثر كالنار كلما القي فيه الحطب اكثر كان اشتعاله اعظم
واحتياجه الى الحطب الكثير اشد فثبت ان الشهوة والغضب والحرص كلها مخلوقة
من النار ثم انه تعالى اودع هذه الصفات في ذاتك فلا جرم خلقك من الطين وهو
تراب وماء وكل واحد منهما سبب لانطفاء النار فكان المقصود من خلق الانسان
من التراب والى ان ينطفي هذه النيران فيبقى الانسان مصونا في الدنيا عن الخزي لان
وفي الاخرة عن دركات النيران الحجة الرابعة انه تعالى انما خلق الانسان للخلافة
الارض قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة فخلقكم من الارض خليفة الارض اذا كان
مخلوقا من الارض كان ارحم باهل الارض الحجة الخامسة اراد اظهار
القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي في غاية الاشراق والضوء ثم ابتلاهم بظلمات
الجهالات والضلالات وخلق الملائكة من الهوى الذي هو الطف الاشيا
واعطاهم كمال القدرة والقوة وخلق السموات من امواج مياه البحار وابقاها
معلقة في الهوا موصوفة بكمال الشدة كما قال في صفتها وجعلنا السما سقفا
محفوظا وقال وما لها من فروج وقال سبعا شدادا وخلق ادم من التراب
الذي هو اكثف الاشيا واشدها ظلمة واعطاه الطاعة والمحبة والمعرفة

التي هي انوار الاشيا واضواها والمقصود من كل ذلك اظهار الضد من الضد
لكون ذلك برهانا باهرا وبيانا ظاهرا على انه هو الخالق بغير احتياج والمدبر
والمقتدر بلا امتزاج وعلاج للحجة السادسة ان التراب سبب الوصلة
دليله قوله تعالى انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة والنار سبب القطيعة
ولما كان الامر كذلك لا جرم حصل لادم عليه السلام شرف الوصلة ثم اجتباه ربه
فتاب عليه وهدى وحصل لابليس صفة القطيعة اخرج منها فانك رجيم
للحجة السابعة التراب فيه امانة والنار فيه خيانة اما الاول فانك اذا اديت
اليه كفا من الحنطة رد اليك جرابا من الحنطة قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن
ربه واما الخيانة في النار فلانها تحرق الاشيا وتفنيها وايضا لما كان من
التراب لا جرم قبل الامانة كما قال وحملها الانسان وحفظها على احسن الوجوه
ولما كان في النار خيانة لا جرم ان ابليس عبد ربه سنين ثم خان في تلك العبادة
كما قال وكان من الكافرين للحجة الثامنة التراب طاهر طهور قال عليه السلام
التراب طهور المسلم ولو لم يجد الماء عشر حجج والماء ايضا طاهر طهور قال تعالى
وانزلنا من السما ما طهورا وجناب الحق تعالى طيب طاهر قال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى طيب لا يقبل الا الطيب فلما كان الماء والتراب طاهرين طيبين
لا جرم كان ادم عليه السلام لكونه مخلوقا منهما طاهرا طيبا ولما كان كذلك
كان مخصوصا من رحمة الله بالمزيد كما قال الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
للحجة التاسعة روي ان محمدا صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة فالاغنيا
طمعوا في ان ينزل في دارهم وكانوا ياخذون بزمام الناقة ليدخلوها الى
بيوتهم فقال عليه السلام دعوها فانها مامورة ثم انها سارت حتى وصلت الى
باب دار ابي ايوب وبركت هناك وما كان السبب لذلك الا غاية فقر ابي
ايوب وشدة انكساره وهذا ايضا متايد بقوله عليه السلام حاكيا عن ربه انا عند
المنكسرة قلوبهم لاجلي اذا عرفت هذا فنقول التراب اعظم المخلوقات انكسارا

وذلة وتواضعا لانه تحت كل الاجسام والخلق يضعون اقدامهم ويمشون عليه
فلما كان اعظم الاشيا نقصا وحقارة هو التراب لا جرم صار محلا ومنزلا
لمحبة رب الارباب قال تعالى يحبهم ويحبونه واما النار فانها تدعي العلو والرفعة
والنورانية فكانت صفة النار صفة لفرعون كما قال تعالى في صفته ان فرعون علا في
الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طايفة منهم وكانت صفة التراب صفة
لموسى عليه السلام كما قال تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا فلا جرم صار التراب اعز الاشيا والنار اذلها للحجة العاشرة
النار يعلوه الدخان المظلم فنوره تحتاني وظلمته فوقانية واما التراب فظلمته
تحتانية ونوره فوقاني اليه يصعد الكلم الطيب وايضا النار حسنة المنظر
قبيحة المخبر فهي كالمنافق وكالمراة الفاجرة والارض قبيحة المنظر حسنة المخبر
وايضا النار ظاهرها نور وباطنها لا نور والارض بالضد من هذه الصفات
فالحاصل ان باطن الارض كله منفعة وباطن النار كله مضرة ونظر الحق تعالى
على البواطن والاسرار لا على الظواهر فلا جرم عامل ادم به بحسب باطنه وابليس ايضا
على وفق باطنه للحجة الحادية عشر ان نهاية السفل هي الارض ونهاية العلو
هو العرش والارض احد اركان عالم الاجسام واما النار فليست في غاية العلو
فان السموات والعرش والكرسي فوقها ولا في غاية السفل فان الهوا والما والارض
تحتها فما كانت النار كاملة في مقام من المقامات للحجة الثانية عشر
ان النار سريعة الاشتعال سريعة الانطفا كثيرة الاحتياج الى الغذا قليلة
ملة البقا اما الارض فانها تغذي ولا تتغذى وتبقى ولا تفنى فثبت فضل التراب
على النار للحجة الثالثة عشر من الكلمات المشهورة قولهم كل شي يرجع الى اصله
فكانه قيل يا ابليس خلقتك من نار فيكون مرجعك الى النار واما ادم فهو مخلوق من
الطين والطين خاصيته التواضع والتواضع سبب القرب من رحمة رب العالمين
فلا جرم كانت عاقبة ادم عليه السلام هو رحمة رب العالمين كما قال ثم اجتباه ربه

فتاب عليه وهدى الحجة الرابعة عشر ان الارض في نفسها ليست
حسنة الوجه ولا طيبة الرائحة لكنها انها تخرج جميع الاشيا التي لها حسن الوجه
وطيب الرائحة والنار حسنة الوجه لكنها انها سبب لحدوث الاشيا القبيحة
وهي الاحتراق والادخان والفساد والتنبيه ان العبرة بالسيرة لا بالصورة
كما حققناه في تفسير قوله تعالى ولقد كرمنا بني ادم الحجة الخامسة عشر
التراب والما لا يحصل الانتفاع بهما الا عند فقد ان الريح فانه اذا وصل
الريح الى التراب صار غبارا موذيا واذا وصل الريح الى الما تموج وخرج عن
حد النفع واذا وصل الى النار اطفا النار فكانه قيل لادم عليه السلام كان
في قلب ابليس ريح التكبر فانطفات ناره بذلك الريح فاياك ثم اياك احترز عن
ريح التكبر لئلا يصير التراب الذي منه خلقت غبارا والما الذي خلقت منه
موجا مهلكا فثبت من هذا الوجه فضل التراب على النار اما المرتبة الثانية
في خلق ادم عليه السلام كونه مخلوقا من الما قال تعالى والله خالق كل دابة من ما وقال
وهو الذي خلق من الما بشرا وقال تعالى الم نخلقكم من ما مهين وقال الم يك نطفة من
مني يمنى وفيه فوايد الفايدة الاولى ان يكون صافيا فيه يتجلى فيه نور جلال الله تعالى
الثانية ان يكون سيارا ابرا سه فيكون ابدا عابدا لله على قمة راسه قال تعالى
ولله يسجد ما في السموات والارض الثالثة طاهرا في ذاته قال تعالى وانزلنا من
السما ما طهورا وايضا قال عليه السلام من توضا تحاتت ذنوبه كما يتحات
الورق عن الشجر زمان الخريف النكتة انه اذا كان استعمال الما في ظاهر الاعضا
يوجب زوال الذنوب فلان يكون خلقه اصل الاعضا من الما دافعا للتمكن الذنوب
كان ذلك اولى المرتبة الثالثة في خلق ادم عليه السلام كونه مخلوقا من
الطين والحكمة فيه ان يمتزج اللطيف والكثيف والمتحرك والساكن والصافي
والكدر فيكون ذلك دليلا على فردانية الصانع كما قال ومن كل شي خلقنا زوجين
وفيه فايدة اخرى وهي ان من مشى على الطين فلو انزلق رجله وسقط تلوث ثوبه

ولكنه لا يهلك ولا تتكسر اعضاه فلما كان الانسان موصوفا بالشهوة التي هي
منبع الفساد وبالغضب الذي هو منشا سفك الدما علم الحق انه لا بد وان
تنزلق رجله في سلوك نفسه طاعة الله فاذا كان طينا ملوثا بلوث المعصية ولكنه
لا يهلك ولا ينكسر شي من اعضايه بل يقوم سليما كما قال تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا المرتبة الرابعة
في خلق ادم عليه السلام كونه مخلوقا من سلالة من طين والسلالة فعالة وهي بمعنى
المسلولة لانها هي التي تسل من اللطف اجزا الارض واعلم انه روي في الخبر انه عليه السلام
قال ان الله خمر طينة ادم بيده اربعين صباحا فهذه اللطافة انما حصلت لذلك الطين
بسبب هذا التشريف وقال تعالى لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
وهذا كمال التشريف في حق ادم عليه السلام فان قيل فقد قال تعالى في صفة
خلق الحيوانات اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فبين انه تعالى
انما خلق الانعام بالايدي وذكر انه انما خلق ادم عليه السلام باليدين وهذا
يقتضي فضل الانعام على الانسان والجواب انه تعالى ذكره وفيه تزيل هذه الشبهة
فانه قال خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون فبين الله تعالى
انه انما خلق الانعام بالايدي لاجل مصالح الناس ورعاية لمهماتهم فكان هذا
التشريف ايضا عايدا الى البشر وفيه تنبيه على دقيقة كانه قال هيات ذاتك باليدين
وهيات ما تحتاج اليه بعد الحيوة من الماكول والملبوس والمركب بالايدي وذلك
لتعلم ان عنايتي بك بعد حياتك اشد من عنايتي بك قبل وجودك ومن النكت اللطيفة
ها هنا ما سمعت انه كان بنيسابور امراة من عقلا المجانين كان يقال لها نازنين
فكانت تقول مسكين ابن ادم في يد الحق كما قال خمر طينة ادم بيده اربعين صباحا وقلبه
في اصبع الحق كما قال قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن ثم انه مع انه لا يملك امر جسده
ولا امر روحه صار التكاليف متوجهة عليه والله وامر الالهية لازمة عليه
المرتبة الخامسة كونه مخلوقا من طين لازب واللازب هو اللازم وانما سمي لازبا

ولازماً لان اللازب واللازم هو الملتصق بالغير والانسان اكثر الاشيا حاجه
فلا جرم كان اكثر الاشيا تمسكاً بذيل رحمة الله واشد الاشيا التصاقاً بجانب
فضله واحسانه المرتبه السادسه كونه من صلصال من حما مسنون فاثبت له
ثلاثه انواع من الصفات الصفه الاولى كونه صلصالا وهو الذي اذا تحرك
تصلصل كالخزف الذي يسمع من داخله صوت الصفه الثانيه كونه حما والحما
هو الذي استقر في الما وتغير لونه الى السواد والصفه الثالثه المسنون وهو الذي
تغير رايحته قال تعالى انظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير واصله لم
يتسنن وقال تعالى فيها انهار من ما غير اسن اي غير متغير واعلم ان كونه صلصالاً
اشاره الى غايه ضعفه وقله بقايه فان الطين الذي يصير صلصالا ينكسر
ويتفرق بادنى سبب وكونه من حما اشاره الى الاخلاق الظلمانيه البهيميه التي منشاها
قوه الشهوه وكونه مسنوناً وهو الرايحه المؤذيه اشاره الى الاخلاق السبعيه
التي منشاها قوة الغضب ونظيره قول الملايكه اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدما فالفساد منشاه من الشهوه وسفك الدما منشاه من الغضب واما المرتبه
السابعه وهو كونه صلصالا كالفخار فاعلم ان الصلصال قبل ان يصير فخاراً
لم يصلح للامور لانه مور فاذا جعل فخاراً اصلح لان يجعل فيه الما وذلك الما اذا استقر
فيه صار صافيا عذبا زلالا فيكون ذلك اشاره الى صيرورته صالحا لحفظ ما
العبوديه وزلاله المعرفه فيه واما المرتبه الثامنه وهي قوله خلق الانسان من عجل
فاشهر الاقوال فيه ان المراد ادم عليه السلام وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمه
والسدي والكلبي قال مجاهد خلق الله تعالى ادم بعد كل شي في اخر نهار يوم الجمعه
فلما دخل الروح راسه ولم يبلغ اسفله قال يا رب استعجل بتمام خلقي قبل غروب الشمس
قال مجاهد فذلك قوله تعالى خلق الانسان من عجل وعن السدي لما نفخ فيه الروح ومكث
الروح في راسه عطس فقال الملايكه له قل الحمد لله فلما قال ذلك قال الله سبحانه يرحمك ربك
ولذلك خلقتك فلما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنه فلما دخل الروح في جوفه

اشتهى الطعام فوثب الى ثمار الجنه قبل ان تبلغ الروح الى رجليه فهذا هو الذي
اورثه اولاده العجله ثم للمفسرين اقوال في تفسير العجل الاول وهو قول المحققين
خلق الانسان من عجل اي خلق عجولا وذلك على المبالغه كما يقال للرجل الذكي
هو نار تشتعل والعرب قد تسمي المرء بما يكثر منه فيقول ما انت الا اكل ونوم
وما هو الا اقبال وادبار وهذا الوجه متاكد بقوله تعالى وخلق الانسان عجولا
وقال المبرد خلق الانسان من عجل اي من شانه العجل كقوله خلقكم من ضعف اي ضعفا
الثاني قول ابو عبيد العجل الطين بلغة حمير وانشد والنخل ينبت بين الما والعجل
والثالث قال الاخفش من عجل اي من تعجيل من الامر وهو قوله كن فيكون والرابع
من عجل اي من ضعف وهو قول الحسن المرتبه التاسعه قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان في كبد قيل في الكبد وجهان الاول قال صاحب الكشاف الكبد اصله من قولك
كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده وانتفخت ثم اتسع في هذا اللفظ حتى
استعمل في كل تعب ومشقه ومنه اشتقت المكابده وقال اخرون الكبد شده الامر
ومنه تكبد اللبن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد كانه دم يغلظ ويشتد والفرق بين
هذين القولين ان الاول جعل اسم الكبد موضوعا للكبد ثم اشتق منه الشده
وفي الثاني اللفظ موضوع للشده والغلظ ثم اشتق منه اسم هذا العضو المخصوص
والوجه الثاني ان الكبد هو الاستوا والاستقامه والوجه الثالث ان الكبد شده الخلق
والقوه اذا عرفت هذا فنقول اما على الوجه الاول فيحتمل ان يكون المراد منه شدايد
الدنيا فقط وان يكون المراد منه شدايد التكاليف فقط وان يكون المراد شدايد
الاخره فقط وان يكون المراد كل هذه الوجوه اما اذا حملناه على شدايد الدنيا فيكون
قوله لقد خلقنا الانسان في كبد اي خلقناه في اطوار كلها شده ومشقه تاره في
بطن الام ثم زمان الارضاع ثم بعد البلوغ تحصل وجوه المعاش ودفع ضرر
الاعدا ثم دفع ضرر الالام والاسقام والتضرر من الافات النازله من السما والارض
واما الثاني وهو حمله على شدايد الدين فهو توجه التكاليف الشاقه عليه قال الحسن يكابد

الشكر على السرا والصبر على الضرا ومكابدة المحن في اداء العبادات والرضا بقضا الله
عند نزول الافات والبليات واما الثالث وهو حمله على مشاق الاخره فالموت
ومسايلة الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الله الى ان يستقر به القرار اما
في الجنه واما في النار واما الرابع وهو ان يكون اللفظ محمولا على الكل فهو الحق
عندي وعندي فيه وجه اخر وهو انه ليس في هذه الدنيا لذه البته بل ذلك
الذي يظن انه لذه فهو خلاص عن الالم فان ما يتخيل من اللذه عند الاكل فهو خلاص عن
الم الجوع والبرد فاذا تفكرت علمت انه ليس للانسان الا الالم او الخلاص عن الالم
فهذا معنى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد اي هو طول عمره يكون في مكابدة
الالام ومقاساة المتعبات والموذيات وعند هذا الحرف يظهر انه لا بد في حكمة
الحكيم المدبر لهذا العالم من الحشر والنشر والبعث يوم القيامه لان الحكيم الذي دبر
خلق الانسان ان كان مطلوبه ان يولم الانسان فهذا لا يليق بالرحمه وان كان مطلوبه
ان لا يتالم وان لا يلتذ ففي تركه على العدم حصول لهذا المطلوب وان كان مطلوبه
ايصال اللذه والنفع اليه فقد بينا انه ليس في هذه الحيوه لذه وانه تعالى خلق الانسان
في هذه الدنيا في كبد ومشقه ومحنه فاذن لا بد بعد هذه الدار من دار اخرى لتكون
تلك الدار دار السعادات والخيرات والكرامات واما على الوجه الثاني وهو ان تفسير الكبد
بالاستوا فقال ابن عباس في كبد اي قايما منتصبا وساير الحيوانات تمشي منكسه
فهذا امتنان على الانسان بهذه المرتبه المرتبة العاشره من مراتب خلق الانسان
قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف واعلم ان اثار ضعف الانسان لا تحصى كما قال
بعضهم تنتنه العرقه وتوذيه البقه وتقتله الشرقه وقال هرون الرشيد لابن
السماك عظني قال ان عطشت ولم تجد شربة من الما الا بكل ما تملكه ماذا تفعل
قال اعطي واخذ قال فان احتبس ذلك الما ولم يخرج الا ببذل كل ما تملك قال اعطي
حتى يخرج قال فاذن الشربه الواحده من الما قيمه كل ما تملكه مرتين وايضا فان
البقه اصغر الحيوانات جثه واضعفها بنيه ثم انها قتلت نمروذ اكبر ملوك بني ادم

والطغاه واعظمهم سلطانا ويروى ان الشافعي رحمة الله عليه حضر عند بعض الملوك
العظما فكان بحيث النوم فكان الذباب يجلس على وجهه فيوقظه ويوذيه ثم انه كان
يلطم وجهه وخده عند طرد الذباب فقال في اثنا هذه الحاله ما الحكمه في خلق
الذباب فقال الشافعي رضي الله عنه في الحال ليذل به عظما الملوك ويظهر عجزهم عن دفعه
قال الزنبور اليس اذا اخذ الادمي سلاحه وسيفه ورمحه بيده فجا واحد منا فيلسعه
بحميه مثل راس ابره فيشغله ذلك عن كل ما هو فيه ويشوش حاله وسائر اعضاه حتى
لا يمكنه ان يقبض على سيفه قالت الذبابه اليس ان اعظمهم سلطانا واشدهم هيبه
اذا قعد على سرير ملكه مع الهيبه والعظمه فانه يجي احدنا من المطبخ او من الخلا
ملوث اليدين والرجلين والجناحين فيقعد على وجهه وثيابه فيوذيه ويلطخه ولا يقدرون
على الاحتراز منا وقالت الحشرات والهوام اليس اذا قعد احدهم في مجلسه
وسريره فيجي احدنا فيدخل بين ثيابه فيفزعه ويزعجه واذا اراد ان يبطش بنا يصفع
نفسه بيده ويلطم خده بكفه وكل ذلك دليل عجز الانسان وتمام البيان فيه قوله تعالى
يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا
له الى قوله ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره فهذا هو الكلام في مراتب
خلق الانسان عند وجوده وقبل هذه المراتب كلها العدم المحض كما قال تعالى
لزكريا وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا وقال في اول سورة الانسان هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا فهذه الحيوة الدنيا وية كانت معدومه من الازل
الى الان وستصير معدومه من الان الى الابد فانظر الى طول مدة الازل وطول مدة
الابد ثم انظر الى هذه الحيوه المحفوفه بهذين الطرفين حتى تعرف حقاره هذه الحيوه
وصغرها وقلتها بلى ان صرفها الى الطاعات استوجبت بها الثواب الابدي
والسعادات السرمديه فحينئذ يصير هذا الحقير عظيما وهذا الصغير كبيرا

الفصل الرابع في عجايب تكوين الاجنه اعلم انه تعالى
خلق الخلق من اشيا مختلفه فخلق السما من الدخان قال تعالى ثم استوى الى السما وهي

دخان وخلق الارض من زبد البحر على ما نقل عنه عليه السلام انه قال خلق جوهره
لطيفه فنظر اليها بعين الهيبه فصارت ماء ثم سلط على الماء الحراره فارتفع منه زبد
فخلق منه الارض وخلق الجنه من رحمته والنار من غضبه قال تعالى سبقت رحمتي
غضبي وخلق الملائكه من النور وخلق الجن من النار قال تعالى وخلق الجان من مارج
من نار وقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال ابليس خلقتني من نار وخلقت
ادم من التراب قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده وخلق منها
زوجها وخلق عيسى من الريح قال تعالى ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا
فيه من روحنا وخلق بقيه اولاد ادم من النطفه قال تعالى ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وخلق سائر الحيوانات من
الما قال تعالى والله خلق كل دابه من ما وخلق ناقة صالح من الصخر قال تعالى هذه ناقة الله
لكم ايه كل هذه الاشيا مخلوقه من هذه المواد فهذه المواد يمتنع ان تكون مخلوقه صح
من مواد اخرى والا لزم التسلسل ويمتنع ان تكون هذه المواد قديمه لانها محل
للحوادث وكل ما كان محلا للحوادث فهذه المواد محدثه فهي مخلوقه لله تعالى والله تعالى
خلقها من العدم المحض والنفي الصرف فثبت انه تعالى تاره يخلق الاشيا من العدم
الصرف والسلب المحض وتاره يخلق بعض الاشيا من بعض ثم ها هنا بحث ان تامل
الانسان وهو ان كل قادر سوى الله تعالى فانه لا يمكنه التصرف الا في نوع واحد
فالخياط يتصرف في الثياب والحداد يتصرف في الحديد واما الحق تعالى فهو المتصرف
في المعدومات والموجودات على وفق الحكمه ومطابقة المصلحه فمن ها هنا
يظهر كمال قدرة الله تعالى ثم ها هنا دقيقه اخرى وهي انه تعالى اذا خلق شيا
من شي جعل مرجعه اليه الا ترى ان الملائكه لما كان اصلهم من النور فهم لما طعنوا
في البشر حيث قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها لكنهم ما بقوا مستمرين على ذلك
الطعن بل رجعوا الى مقتضى اصلهم وهي النورانيه وعادوا الى الصلح والاستغفار
فقال تعالى حكاية عنهم ويستغفرون للذين امنوا ربنا فاغفر للذين تابوا واتبعوا

سبيلك وعيسى عليه السلام لما كان اصله نفخة جبريل عليه السلام لا جرم عاد بالاخره
الى عالم الافلاك قال تعالى اني متوفيك ورافعك الي وقال بل رفعه الله وكذى
البشر لما كان اصله من التراب لا جرم بالاخره يرجعون الى التراب ويصيرون ترابا
كما قال تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تاره اخرى واذا علم العبد
ان مصيره الى التراب والفنا زالت محبة الدنيا عن قلبه واعرض عن الدنيا وعلم انه يجب
عليه الاهتمام بعبادة الاخره والاقبال على طاعة الله تعالى واذا عرفت هذه
المقدمه فنقول انه ذكر في القران كيفيه تخليق الانسان في سوره الحج يا ايها الناس ان كنتم في
ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفه ثم من علقه ثم من مضغه مخلقه وغير مخلقه
لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم
ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيا وترى الارض
هامده فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله
هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير وان الساعه اتيه لا ريب فيها وان الله
يبعث من في القبور وقال في سوره القيامه الم يك نطفه من مني يمنى ثم كان علقه فخلق فسوى
فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقال في المرسلات الم نخلقكم من ما مهين فجعلناه
في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون الا ان اكثرها شرحا وتفصيلا
هو المذكور في سوره قد افلح وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
الى قوله فتبارك الله احسن الخالقين انه تعالى ذكر في هذه الايه سبع مراتب في تخليق
الانسان وقبل هذه الايه افتتح السوره بذكر سبعه انواع من خصال الخلايق والطاعات
اولها الايمان وهو قوله تعالى قد افلح المومنون والكلام في حقيقة الايمان سياتي
في باب مفرد ان شا الله تعالى وثانيها الصلاه وهي قوله تعالى الذين هم في صلاتهم خاشعون
واختلفوا في الخشوع فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبه ومنهم من جعله
من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من قال هو عباره عن مجموع الامرين
وهو الاولى فان الخاشع في صلاته لا بد وان يحصل له من فعل افعال القلوب نهاية الخضوع

والتذلل للمعبود ومن قسم التروك ان لا يكون مشتغل القلب بشي سوى تعظيم
خالقه ومن افعال الجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده ومن
التروك ان لا يلتفت يمينا وشمالا فالخشوع عبارة عن مجموع هذه الاشيا لان
ان الخشوع الذي يرى على الانسان ليس الا ما يتعلق بالجوارح فان الذي يتعلق
بالقلب لا يرى وتمام الكلام في هذا المعنى سياتي ان شا الله في كتاب الصلوه
الصفه الثالثه قوله تعالى والذين هم عن اللغو معرضون في اللغو اقوال احدها انه
يدخل فيه كل ما كان حراما او مكروها او مباحا ولكن لا يكون بالانسان ضروره ولا
حاجة اليه والثاني انه عبارة عن كل ما كان حراما وهذا التفسير اخص من الاول والثالث انه
عباره عن المعصيه في القول وهذا اخص من الثاني والرابع انه المباح الذي لا حاجة اليه
واحتج هذا القائل بقوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم فكيف يحمل اللغو على
المعاصي مع ان المواخذه فيها غير حاصله واحتج الاولون بان اللغو انما سمي لغوًا
لانه يلغى فكلما يقتضي الالغا يكون مسمى باللغو فقد يكون كفرا كقوله تعالى
وقالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقد يكون كذبا كقوله تعالى لا يسمع فيها

ثم اللغو قد يكون نحو

لاغيه وقوله لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا اذا عرفت هذا فنقول انه سبحانه مدحهم
بانهم معرضون عن اللغو والاعراض عنه هو بان لا يفعل ولا يرضى به ولا يخالط من يقدم
عليه قال تعالى واذا مروا باللغو مروا كرامًا واعلم انه سبحانه لما وصفهم بالخشوع في
الصلوه اتبعه بوصفهم بالاعراض عن اللغو حتى يحصل لهم الفعل والترك فالفعل هو الصلوه
والترك هو الاعراض عن اللغو الصفه الرابعه قوله والذين هم للزكوه فاعلون والقول في
تفسير اسم الزكوه وفي منافعه سياتي في باب الزكوه الصفه الخامسه قوله تعالى والذين هم
لفروجهم حافظون والكلام فيه سياتي في باب النكاح ان شا الله الصفه السادسه
قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون واعلم انه سمى الشي المؤتمن عليه والمعاهد
عليه امانة وعهدًا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
وقال تعالى وتخونوا اماناتكم وانما تودى الاجسام لا المعاني وانما تقع الخيانة في الامور

عليه لا في نفس الامانه والعهد ما عقده الانسان على نفسه فيما يقربه الى ربه ويقع
ايضا هذا اللفظ على ما امر الله تعالى به كقوله الذين قالوا ان الله عهد الينا والراعي هو
القايم على الشي بالحفظ والاصلاح كراعي الغنم وراعي الرعيه واعلم ان الامانه والخيانه
متقابلان قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم فكل ما
خرج عن احدهما دخل في الاخر فكل العبادات داخل في الامانه بدليل قوله تعالى انا
عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال ثم تمام الكشف فيه ان العبادات قد تكون
مخفيه كالصيام وغسل الجنابه واسبغ الوضوء وقد يكون بحيث يخفى كيفيه الانسان
بها قال عليه السلام اعظم الناس خيانة من لم يتم صلوته ومن جمله ذلك ما يلزمه الانسان
بفعل او قول فيلزمه الوفا به كالودايع والعقود وما يتصل بهما ومن ذلك الاقوال
التي يحرم بها النسا ويحرم بها التصرف في العبد لانه مؤتمن في كل ذلك واما العهد فانه
يدخل فيه العقود والايمان والنذر فبين سبحانه ان مراعاه هذه الامور والقيام بها
معتبر في حصول الفلاح الصفه السابعه قوله تعالى والذين هم على صلوتهم يحافظون
واعلم انه فرق بين الخشوع وبين المحافظه عبارة عن تحصيل شروطها من رعايه الوقت
والطهاره والتشمر لادايها وترك التواني فيه فهذه امور سبعه قدم الله تعالى ذكرها
ثم قال بعدها اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وهاهنا
سوالات السوال الاول لم سمى الجنة بالميراث مع انه سبحانه حكم بان الجنة حقهم في قوله
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنه الجواب من وجوه الاول انه روى
عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال لا مكلف الا وقد اعد الله له في النار ما يستحقه ان عصا
وفي الجنه ما يستحقه ان اطاع وجعل لذلك علامه فاذا امن البعض ولم يومن البعض
صارت منازل من لم يومن منقوله الى الذين امنوا فلما كان حرمانهم عن تلك الدرجات
ودخولهم في النار شبيها بالموت سمي ميراثا لهذا الوجه وقد قال الفقها انه كما يورث
عن الميت ما كان مملوكا له كذلك يورث عنه ما يقدر فيه كونه مملوكا وان لم يكن يدخل في
ملكه كالديه فانها موروثه مع انها لم تدخل في ملك المقتول البته الثاني انه لما حصلت

الجنة لهم مع انهم ما كانوا عارفين في الدنيا بكمية منافعها اشبه ذلك انتقال المال الى الوارث الثالث ان الجنة كانت مسكن ابينا ادم عليه السلام فاذا انتقلت الى اولاده كان ذلك شبيها بالميراث السوال الثاني كيف حكم على الموصوفين بالصفات السبعة بالفلاح مع انه تعالى ما تمم ذكر الواجبات كالصوم والحج والجواب ان قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ياتي على كل الواجبات من الافعال والتروك السوال الثالث هذه الاية تدل على ان هاولاء هم الوارثون للجنة فاما من لم يات بالطاعات واتى بالمعاصي ثم تاب ومات عقيب توبته من غير شي من الطاعات وجب ان يدخل الجنة وهو على خلافه فالايات الدالة على ان التايب من اهل الجنة والجواب ظاهر الاية وان كان يفيد الحصر الا انه يجب حمل الظاهر على ان الكاملين من اهل الجنة هم الموصوفون بهذه الصفات بدليل ان المجانين والصبيان يدخلونها وكذلك الفساق من اهل الصلوة لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ونظير حمل هذا الحصر على حالة الكمال قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومن الناس من قال الفردوس عبارة عن اشرف موضع في الجنة وعلى هذا التقدير يزول السوال قال صلى الله عليه وسلم الفردوس مقصورة الرحمن وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسلوا الله الفردوس فانها سرة الجنة

واعلم انه سبحانه شرع في اول هذه السوره هذه المراتب السبعة في العبادات ملاح

ارد فها بما يدل على وجود الصانع وقدرته وعلمه وحكمته وهو ذكر المراتب السبعة في خلقة الانسان اولها قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وثانيها قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وثالثها قوله ثم خلقنا النطفة علقة ورابعها قوله فخلقنا العلقة مضغة وخامسها قوله فجعلنا المضغة عظاما وسادسها قوله فكسونا العظام لحما وسابعها قوله ثم انشاناه خلقا اخر فلنشرح احوال هذه المراتب السبعة بعون الله وفضله اما المرتبة الاولى وهي قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ففيه سوال مشكل

وهو ان المراد من الانسان ان كان هو ادم عليه السلام فكيف يستقيم قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فان ادم عليه السلام ما كان كذلك وان كان هو اولاد ادم فكيف يستقيم قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فانهم ليسوا مخلوقين من الطين والجواب من وجوه الاول ان لفظ الانسان شامل لادم ولاولاده ثم قوله من سلالة من طين منصرف الى ادم وقوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين منصرف الى اولاد ادم والثاني ان المراد من الانسان في هذه الاية اولاد ادم والطين هاهنا اسم ادم والسلالة هي الاجزاء الطيبة المبثوثة في اعضايه وهي التي لما اجتمعت حصلت في اوعية المني صارت منيا وهذا التفسير مطابق لقوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين والثالث وهو الذي ذكرته وقلت هو المراد من الانسان هاهنا اولاد ادم عليه السلام وذلك لان المقصود من ذكر هذه الاية التنبيه على ما يدل على وجود الصانع وهذا لا يحصل الا بالامر المشاهد ولا امر المشاهد هو تولد اولاد ادم لا تولد ذات ادم فثبت ان المراد من الانسان هاهنا اولاد ادم بقي ان يقال فما المراد من قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين مع ان اولاد ادم ليسوا كذلك وجوابه ان الانسان انما تولد من النطفة وهي انما تولد من الاغذية ولا اغذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانية تنتهي الى النباتية والنبات انما تولد من صفو الطين فالانسان بالحقيقة يكون متولدا من سلالة من طين اقصى ما في الباب ان تلك السلالة من الطين تواردت عليه اطوار الخلقة وادوار الفطرة حتى صارت منيا ولكن ذلك لا يبطل كون الانسان متولدا من سلالة من طين كما انه انما تولد من المني بعد تعاقب الاطوار والادوار عليه ولم يكن ذلك قادحا في كونه متولدا من المني وهذا التاويل الذي ذكرته مطابق اللفظ ولا يحتاج معه الى شي من التكلفات والله اعلم بمراده المرتبة الثانية قوله تعالى ثم جعلناه نطفة في قرار مكين واعلم ان الاطبا يقولون ان الانسان اذا اكل طعاما فانه ينطبخ ذلك الطعام في معدته لا الحرارة المعدة وحدها بل

بحراره ما يطيف بها اما من اليمين فالكبد واما من اليسار فالطحال واما من قدام
فالثرب الشحمي القابل للحراره سريعا واما من فوق فالقلب بتوسط تسخينه
للحجاب فما يكون منه صافيا يدخل في عروق صلاب دقاق في الكبد
والذي يكون كالثفل ينزل في الامعا ثم ينطبخ ذلك المصفى مرة اخرى في الكبد
ويحصل عند ذلك الانطباخ رغوه وهي الصفرا ويذهب الى المراره ورسوب
وهي السودا ويذهب الى الطحال ويفصل المابيه الفضليه ويذهب الى الكليتين
ومنهما الى المثانه ومنها الى الاحليل ويخرج ثم انه تعالى خلق مجرى بين الطحال
وبين فم المعده ومجرى اخر بين المراره والامعا ثم ان تلك السودا ينصب شي منها
على فم المعده فيحصل في المعده دغدغه الجوع ولو انسد هذا المجرى لم يحصل
للانسان شعور بالحاجه الى الطعام وايضا ينصب من المراره شي من الصفرا على
الامعا حتى يغسل الامعا من الفضلات ويحصل للانسان شعور بالحاجه الى
اخراج الفضله ولو انسد ذلك المجرى لم ينصب تلك الصفرا على الامعا فبقي الثفل
فيها ويتولد القولنج ثم انه يحصل بعد هذين الطبخين طبخ ثالث وهو ان ذلك
الدم الصافي يخرج من الكبد ويتوزع في العروق وينطبخ مره ثالثه في العروق ثم
يحصل طبخ رابع وهو ان تلك الدما المتوزعه في العروق ينصب على جواهر
الاعضا ويتكيف بكيفيه طبايع تلك الاعضا فبعضها يصير متكيفا بكيفيه العظم
وبعضها بكيفيه اللحم وبعضها بكيفيه العصب فهذه اربع مراتب في الطبخ اذا عرفت
هذا فنقول انه اذا صارت الشهوه مستوليه على الانسان تولدت من تلك
الشهوه سخونه منتشره في جميع الاعضا ثم بسبب تلك السخونه ترتفع بخار لطيف
ورغوه لطيفه من جميع الاخلاط والاعضا ومجموع ذلك البخار والرغوه
انما يرتفع مما يحصل عند الهضم الرابع فيتولد من العظم جوهر شبيه في الطبع
بالعظم ومن اللحم والعروق والاعصاب كذلك ثم كما انه حصل في تلك الرغوه
قوى وطبايع متشابهة لتلك الاعضا البسيطه فكذلك يحصل فيها قوى وطبايع

بلغ

متشابهة لقوى الاعضا المركبه فيحصل فيها اجزاء من الدماغ واجزاء من العين
واجزاء من اليد واجزاء من الرجل وبهذا المعنى لما سال اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن سبب مشابهه الولد تاره اباه واخرى امه فقال عليه السلام ان كان الغالب
هو ما الرجل حصلت المشابهه بالاب وان كان الغالب هو ما المراه حصلت
المشابهه بالام ثم هذه الرغوه المتحلله من جميع الاعضا والابعاض تصعد
في العرقين السباتيين بامر الحكيم الخبير الى الدماغ وذلك لان الدماغ اشرف
اعضا الانسان وهو مسكن القوه المفكره والحافظه والذاكره فاقتضت الحكمه
الالهيه ان يحصل من خواص الدماغ الذي هو اشرف اعضا بدن الانسان في تلك
الرغوه اثر وكيفيه ثم انه سبحانه يخلط بتلك الاجزا شيا كثيرا من الدماغ ولذلك فان
من باشر كثيرا ظهر اثره على العين في الفتور والكلال والانكسار ثم انه سبحانه
ينزل تلك الاجزا من الدماغ الى صلب الرجل وترايب المراه ثم عند الوقاع ينزل من الصلب
والترايب الى مستقر الرحم فهذا هو المراد من قوله تعالى ثم جعلناه نطفه في قرار
مكين واعلم انا قد ذكرنا ان هذه النطفه تجري مجرى رغوة تنفصل من الاعضا
بسبب ذوبان يعرض لها عند استيلا حرارة الشهوه فيكون بعض تلك الاجزا
من ذوبان العظم وبعضها من ذوبان اللحم ولما كان البدن الانساني مخلوقا من
الطبايع الاربعه كان ذوبانها ايضا كذلك فيكون المني جسما مركبا من
ارضيه ومابيه وهوابيه ونارية والهوابيه والناريه غالبه عليها ويدل عليه
ان بياض الرطوبه انما يكون بسبب اختلاط الهوابيه بها كما يكون في الزبد
والاجزا الكثيفه التي في المني هي مواد الاعضا والاجزا اللطيفه والكثيفه
بعضها الى البعض ولما كان اللطيف سريع التحلل والتلاشي اقتضت الرحمه
الالهيه جعل الاجزا اللطيفه في الوسط وجعل الاجزا الكثيفه كالصوان لها
فيصير الكل كالكره المستديره ويكون باطنها مملوا من الاجزا الروحانيه اللطيفه
ويكون ظاهرها من الاجسام الكثيفه وذلك الموضع الذي هو مجموع الاجزا

اللطيفة هو الموضع الذي اذا استحكم وكمل كان قلبا فلهذا المعنى قال اهل العلم
اول الاعضا الانسانية تكونا هو القلب واخرها موتا هو القلب وعند هذا
يظهر ان قطرة النطفة تصير كالكرة ويكون مجمع الارواح في باطن تلك الكرة هو
القلب وحينئذ يحصل هاهنا احوال عجيبة الاول ان العالم الاصغر وهو الانسان
كرة كما ان العالم الاكبر ايضا كرة الثاني ان كرة العالم الاصغر بقي معلقة في جوهر الرحم
بحفظ الخالق الحكيم كما ان كرة العالم الاكبر بقيت معلقة في الخلا الذي لا نهاية له بحفظ
الخالق الحكيم كما قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا والثالث ان كرة
العالم الاصغر يكون الكثيف محيطا واللطيف محاطا به على ما شرحته وكرة العالم
الاكبر بخلاف ذلك لان في العالم الاكبر اللطيف محيط وهو السموات والمحاط به
هو الكثيف وهو الارض والرابع انه تعالى قال في السموات والارض خلق السموات والارض
في ستة ايام واما العالم الاصغر فقال اهل التجارب ان هذه الكرة المتولدة من هذه النطفة
تبقى ستة ايام على حالتها الاولى لا يتغير منها صفة ولا تتزول عنها حالة والذي يروى
انه تعالى لما اراد خلق ادم عليه السلام امر الملائكة حتى اخذوا من كل ناحية من نواحي الارض
قبضة فبعض تلك الاجزا احمر وبعضها اسود وبعضها ابيض وبعضها سبخة وبعضها وبعضها حزنة صح
عذبة وبعضها مرة فلا جرم جات اولاد ادم على صفات مختلفة بعضهم احمر وبعضهم
اسود وبعضهم حر كريم وبعضهم نذل سفيه فكذا هاهنا لما اراد خلق ولد ادم
امر الملائكة الموكلين بابدان البشر حتى اخذوا من كل طرف من اطراف ابدان الاب والام
اخذا على خاصية اخرى فاخذوا من سواد الحدقة والشعر جزا اسود ومن بياض الملتحمة
والسن والجلد جزا ابيض ومن الدم جزا احمر ومن الدماغ الاجزا الباردة ومن القلب
الاجزا الحارة ومن الكبد الاجزا الرطبة ومن العظام الاجزا اليابسة وبالجملة اخذوا
من كل طرف من ابدان الابوين جزا مناسبا له في الطبيعة مشاكلا له في الخاصية ثم
انه سبحانه كما اخبر عن طينة ادم انه خمرها بيده اربعين صباحا فكذا هاهنا خمر هذه
الاجزا بعضها ببعض اربعين صباحا وكما انه سبحانه بحكمته راعى في تخمير طينة ادم

دقائق لا تصل اليها العقول والافكار فكذا في تخمير هذه الاجزا بعضها ببعض
راعى اسرارا لا يطلع عليها افهام الخلق فقدر لكل شخص في ذلك التخمير نسبة خاصة
في المقدار والكيفية ومناسبة مقدرة في الحسن والقبح والسعادة والشقاوة
والغنى والفقر والعلم والجهل لا يعرفها احد الا هو ولا يقف على كنه اسرارها
احد الا هو له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين واعلم انه تعالى ذكر في ايات
كثيرة تولد الانسان من النطفة فقال في اول سورة النحل خلق الانسان من نطفة فاذا هو
خصيم مبين وقال في الواقعة افرايتم ما تمنون انتم تخلقونه ام نحن الخالقون وقال
في الانسان انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا
وقال في عبس قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته من نطفة خلقه صح
فاقبره ثم اذا شا انشره وفي امثال هذه الايات كثيرة واعلم انه تعالى ذكر في القران
للمني صفات كثيرة منها قوله في سورة الطارق فلينظر الانسان مم خلق خلق من ما
دافق يخرج من بين الصلب والترائب وهذه الاية مشتملة على ذكر صفتين الصفة الاولى
كونه ما دافقا ولنذكر تفسير الدافق بحسب اللغة ثم ما يتعلق بكونه دافقا من وجوه
المصلحة اما اللغة فاعلم ان الدفق صب الما يقال دفقت الما اي صببته وهو
مدفوق اي مصبوب ولما كان هذا الما مدفوقا اختلفوا في انه لم وصف بانه
دافق وذكروا فيه وجوها الاول قال الزجاج معناه ذو اندفاق كما يقال
دارع وفارس ونابل وتامر اي ذو درع وفرس ونبل وتمر والثاني قال الفرا
انهم يسمون المفعول باسم الفاعل كقولهم سر كاتم وهم ناصب وليل نايم
قال تعالى في عيشة راضية اي مرضية الثالث قال الخليل في كتاب العين دفق الما
دفقا ودفوقا اذا انصب بمرة الرابع ان الدافق هو صاحب الما فاطلق هذا
الوصف على الما على سبيل المجاز واما وجه الحكمة في كون هذا الما مندفقا فاعلم
ان وجه الحكمة فيه التنبيه على انه ليس المقصود من المباشرة تحصيل اللذة بل تحصيل
الولد وذلك لان كون الما مندفقا يمنع من دوام اللذة وذلك لان السيلان المستمر

ومنهم من قال الترايب عظام
الذي يخرج من صلب الرجل صح

اقوى من ايجاد اللذة واكثر دواما لها بل الحكمة في الدفق بالقوة ان يكون في المني قوة في الوصول الى قعر الرحم الذي سماه الله تعالى قرارا مكينا والصفة الثانية كون المني خارجا من بين الصلب والترايب وترايب المراة عظام صدرها حيث تكون القلادة كل واحد من تلك العظام وهي تريبة وقد اختلف المفسرون فيه فمنهم من قال الولد مخلوق من الما الذي يخرج من صلب الرجل وترايب المراة واحتج له ولون بان الله بين ان الانسان مخلوق من ما دافق والذي يوصف بهذا الوصف هو ما الرجل ثم عطف عليه بان وصفه بانه يخرج من بين الصلب والترايب وذلك يقتضي كون هذه الصفة صفة لما الرجل واذا كان كذلك ثبت ان الولد مخلوق من ما الرجل واحتج اصحاب القول الثاني بقوله عليه السلام اذا غلب ما الرجل يكون الولد ذكرا ويعود شبهه الى الاب والى اقاربه واذا غلب ما المراة فبالضد وهذا صريح في ان الولد مخلوق من ما الرجل وما المراة والله اعلم بحقايق مخلوقاته الصفة الثالثة قوله تعالى في سورة والنجم وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وقال في القيامة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وللقايل ان يقول ما الفايدة في قوله من مني يمنى مع ان كل مني يمنى والجواب ان فيه تنبيها على حقارة حال المني والمقدار انه مخلوق من المني الذي جرى على مخرج النجاسة فلا يليق بمثل هذا الشي ان يتمرد على طاعة الله الا انه سبحانه عبر عن هذا المقصود على سبيل الرمز والكناية ونظيره قوله تعالى في عيسى ومريم كانا ياكلان الطعام والمراد منه قضا الحاجة الا انه تعالى عبر عن هذا المعنى بقوله كانا ياكلان الطعام وكان الحسن البصري رحمه الله عليه يقول كيف يليق التكبر والتجبر بمن مر على مجرى البول مرتين الصفة الرابعة قوله تعالى الم نخلقكم من ما مهين وفي المراد من كونه مهينا وجوه الاول قال مالك انه نجس رطبا ويابسا وقال الشافعي رحمه الله عليه انه طاهر رطبا ويابسا وقال ابو حنيفة رضوان الله عليه انه نجس رطبا طاهرا يابسا وحجة الشافعي رضي الله عنه من وجهين انه تعالى من بخلقنا منها حيث قال ولقد خلقنا الانسان

من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ولو كان نجسا لما حسن هذا الامتنان فان الزموا العلقة والمضغة قلنا جوابه من وجهين الاول انا لا ندري ما حالها حين ما تكون في الرحم والثاني ان المني انما يصير علقة ومضغة بسبب انه ممزوج به دم الحيض الطمث والدم نجس فلهذا العارض حكمنا بالنجاسة الا ان اصل المخلوق منه يقتضي كونه طاهرا والحجة الثانية انه تعالى من علينا بان جعل اللبن طاهرا لاجل انه غذانا ومن المعلوم ان الحاجة الى طهارة المني الذي هو الاصل اولى واعلم انا وان حكمنا بطهارته الا ان العلما لما اختلفوا في طهارته ونجاسته كان ذلك دليلا على غاية حقارته ونهاية مهانته والثاني ان مهانته لاجل كونه مستقذرا والثالث ان مهانته لاجل مروره على ممر النجاسة الصفة الخامسة انه تعالى اخزانه الرحم الذي هو موضع قرار مكين وهو قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وفيه فوايد الفايدة الاولى ان من ملك كوزا من الما ثم قلبه انصب ذلك الما ثم انه سبحانه اودع النطفة في قعر الرحم ثم خلق الرحم منكسا ثم حفظ فيه تلك النطفة بقدرته وحكمته وهذا وان كان عجيبا بالنظر الى قدرتنا الا انه غير عجيب بالنظر الى قدرته وذلك لان اجرام السموات والارض والجبال والبحار اثقل واكبر من تلك النطفة كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فلما امسك السموات والارض بقدرته من غير علاقة فوقها ولا دعامة تحتها كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا فبان يقدر على امساك النطفة في قعر الرحم بقدرته كان ذلك اولى واجرى الفايدة الثانية انه تعالى سمى الرحم قرارا مكينا ومعلوم ان النطفة في الرحم ليست مستقرة بل بقيت معلقة في الهوا فكيف يجوز تسمية الرحم بالقرار المكين وجوابه كانه قيل انا امسك النطفة في هوا الرحم بقدرتي كما يمسك الواحد منكم الشي الثقيل في مستقر الارض والمراد منه اظهار كمال القدرة ونظيره انه تعالى سمى خلق السما بنا فقال الذي جعل لكم الارض فراشا والسما بنا والشي المعلق في الهوى لا يسمى بنا وانما الشي المستقر على القرار هو الذي يسمى بنا

لا ان الجواب عنه كانه قيل اني لما امسكت السما بقدرتي في جو الهوا كان ذلك
السكون جاريا مجرى الشي الذي يكون مستقرا على الارض ويبنى عليه البنا وتسميه
السما بالبنا انما كان لاجل التنبيه على احكام خلقه والمقصود منه التنبيه
على كمال قدرة الصانع سبحانه فكذا ههنا سمى الرحم بالقرار المكين لتقرير هذا المعنى
والفايده الثالثه وهو ان استقرار النطفه في الرحم انما كان بسبب انه سبحانه
بقدرته وحكمته حفظها في الرحم فلما كان المستقر هو القدرة الازليه ولا شك
ان القدره الازليه مبراة عن الخلل والعجز والنقصان لا جرم سمى السما بنا والرحم قرارا
ونظيره قوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها يعني لها عمد غير مرئي
وهو قدرة الله وحفظه وحكمته والله اعلم الصفه السادسه للنطفه قوله تعالى
في الانسان انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا المشج في اللغه
الخلط والامشاج الاخلاط قال صاحب الكشاف الامشاج لفظ مفرد وليس بجمع
بدليل انه وقع صفه للمفرد وهو قوله نطفة امشاج ولا يصح ان يكون امشاج جمعا
للمشج بل هما مثلان في الافراد ونظيره برمه اعشار اي قطع منكسره وثوب اخلاق
وارض سباسب واختلفوا في معنى كون النطفه مختلطه على وجوه الاول انه
اختلاط نطفة الرجل بنطفة المراه قال ابن عباس ما الرجل ابيض غليظ وما المراه اصفر
رقيق مختلطان ويخلق الولد منهما فما كان من عصب وعروق وعظم فمن نطفة
الرجل وما كان من لحم ودم فمن ما المراه وقال الحسن من نطفة مشجت بالدم وهو دم
الحيض فان المراه اذا ابتلعت ما الرجل وحبلت امسك حيضها فاختلطت
النطفه بالدم وقال قتاده الامشاج هو انه يختلط الما والدم اولا ثم يصير
علقه ثم يصير مضغه وبالجمله فهو عباره عن انتقال ذلك الجسم من صفه الى صفه
ومن حال الى حال وقال اخرون الامشاج عباره عن كون النطفه مختلطه من الامهات
الاربعه والتقدير من نطفة ذات امشاج وهذا ادل على قدرة الله تعالى لان الطبايع
المتنافره لا تجتمع الا بقهر قاهر ثم ان كل واحد من تلك الطبايع منافيه للحياه

فبنا امر الحياه عليها يكون اظهارا للضد من الضد فيكون ادل على كمال القدره ونظيره
قوله تعالى في ياسين الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون
ويحتمل ايضا ان يكون المراد ما ذكرنا من كون النطفه متولده من الاخلاط الاربع
فبعضها يكون فيه خاصية العظم وبعضها فيه خاصية اللحم وخاصية العروق
وتلك الاجزا مخلوطه بعضها ببعض فيكون امشاجا بهذا التاويل المرتبه الثالثه
من مراتب خلقة الانسان صيرورة النطفه علقه وزعم اصحاب التجارب ان المني في
اول الامر يصير كره مستديره ويبقى على كونه ابيض في الرحم سته ايام كما شرحناه
ثم انه يظهر بعد ذلك في الباطن اعني مركز هذه الكره نقطه دمويه وذلك الموضع هو
الذي ذكرنا انه مجمع الارواح وهو الذي اذا تمت خلقته كان قلبا فلهذا المعنى
قالوا ان اول عضو يتكون من البدن هو القلب ثم يحصل بعد ذلك ايضا نقطتان
دمويتان احداهما فوق النقطه الاولى وهي التي اذا استحكمت خلقته كان دماغا
والنقطه الثانيه تحصل على يمين النقطه الاولى وهي التي اذا استحكمت خلقتها كانت
كبدا ثم ان هذه النقط الثلثه تمتد في الصفاق امتدادا ما وهذه الاحوال تحصل
بعد ثلاثه ايام اخرى فيكون ذلك تسعه ايام من الابتدا وقد يتقدم يوما او يتاخر يوما
ثم بعد سته ايام اخرى وهو الخامس عشر من العلوق تنفذ الدمويه في الجميع فيصير علقه
وربما تقدم يوما او يومين او تاخر يوما او يومين فهذا حال شرح العلقه ثم ههنا
اسرار وفوايد للحكمه الاولى ان كل من نقش نقشا على شي فانه يحتاج الى
امور احدها ان يكون محل النقش جسما صلبا كثيفا وههنا الحق سبحانه
وضع نقشه على الما المهين الثاني يجب ان يكون المكان الذي ينقش فيه واسعا
وان يكون الموضع مضيا وههنا الحق سبحانه نقش هذا النقش العجيب في الرحم وهو
موضع ضيق فقال هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا واستدل بهذا على
الالهيه والوحدانيه فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم وايضا نقش هذا النقش
في ظلمات الارحام فقال في الزمر يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات

ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون فما اعظم درجة الانسان
وما اعجب خلقته وذلك لانه تعالى انما ذكر جالا من احوال تخليقه ذكر عقيبه
اما التهليل كما في هاتين الايتين واما التعظيم والتقديس كما في قوله تبارك الله احسن
الخالقين الحكمة الثانية ان كل نقاش وكاتب اراد ان يكتب شيئا على جسم
فانه يكتب اولا ذلك النقش على ظاهر ذلك الجسم ثم انه يصل اثره من الظاهر الى
الباطن وها هنا الحق سبحانه اظهر اثار كتابته ونقشه وتصويره اولا في الباطن
وهو ظهور النقطة الثلاثة الدموية اولا في الباطن ثم سريانها من الباطن الى الظاهر
وهذا ليعلم كما ان ذاته وصفاته لا تشبه الذوات والصفات فكذلك لا يشبه
فعله افعال سائر الفاعلين وان اشتبه هذا عليك في مبدا الخلقة والفطرة فله مثال
حاضر في الحال وذلك لان الاعضا الظاهرة لا تتحرك ولا تسكن الا اذا احدث في القلب
داعية وارادة لذلك الفعل محدث تلك الدواعي والارادات في القلوب هو الله تعالى
وهو المراد بقوله تعالى كتب في قلوبهم الايمان وبقوله عليه السلام قلوب العباد
بيد الله وبقوله عليه السلام قلب المومن بين اصبعين من اصابع الرحمن فالحق سبحانه يكتب في
القلب تلك الدواعي والارادات ثم يتولد منها صور الافعال والحركات في ظاهر
البدن فظهر ان تاثير قدرته تعالى يظهر اولا في القلوب والضماير اولا ثم تسري
تلك التاثيرات من البواطن والضماير الى الظواهر ولما عرفت هذا المعنى في الحال فاعرف
مثله في تخليق الله تعالى في الابتدا الحكمة الثالثة ان كل نقاش ابدع نقشا حسنا
لطيفا فانه بالغ في صون نقشه عن ابعد اشياء التراب فان الغبار يبطل رونق
النقش ويزيل طراوته وعن الما فانه يغسله ويزيله وعن الرياح فانها تكدر النقوش
وتبطلها وعن النار فانها تحرق وتفني الاثر ثم انه سبحانه عكس هذه الصفة
فاظهر نقش خلقة البشر من التراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من
تراب واظهر نقش خلقة الدواب من الما فقال والله خلق كل دابة من ما واظهر خلقة
عيسى من الهوا فقال فنفخنا فيها من روحنا وايضا جعل نفخه سببا لتخليق

الحيوانات فقال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وخلق
الجان من النار فقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم وذلك يدل على ان فعله لا يشبه
فعل احد من الفاعلين الحكمة الرابعة انه سبحانه خلق القلب اولا وذلك لانه
سرير الروح ومدرسة المعرفة وخانقاه الصفوة ومنزل المحبة والنور الفائض من خطاب
فاعلم انه لا اله الا الله لا تحلى اللذة فيه والكرامة الحاصلة من تشريف يحبهم ويحبونه لا تظهر
الا فيه ولا استقرار المتولد من وعد الا بذكر الله تطمين القلوب لا يحصل الا فيه فلما
كان هو المقصود في الثواب والعقاب والخطاب والعتاب والوعد والوعيد
والترغيب والتحذير لا جرم كان هو المخلوق الاول ثم انه تعالى خلق الدماغ فوقه
والكبد تحته لان الدماغ منشا العقل الذي هو الواسطة بين القلب وبين العالم العلوي
والكبد منشا الغذا وهو الواسطة بين القلب وبين العالم السفلي فجعل العلوي في العلو
والسفلي في السفل تنبيها على هذه الدرجات والحكمة الخامسة ان القلب سلطان
البدن وليست سلطنته بسبب كبر الجثة والا لوجب ان يكون الفخذ اولى منه بالسلطنة
ولا بسبب الحدة والا لكانت المرارة اولى بها ولا بسبب القوة والا لكانت العظام
اولى ولا بسبب الحدة والقطاعية والا لكانت الاسنان اولى بها ولا بسبب كثرة
الذخيرة والا لكانت المعدة اولى بها ولما بطلت كل هذه الوجوه ولم يبق للقلب خاصة
سوى كونه معدنا للعلم والحكمة والفهم والادراك علمنا انه انما كان سلطان البدن
لكونه موصوفا بالعلم والحكمة والفهم والادراك علمنا انه انما كان سلطان البدن
فكل من كان عالما حليما كان سلطانا بالحق ونائبا للحق بالحق وكل من كان
محروما عن العلم والحكمة كانت سلطنته في التلبيس نيابة ابليس
والحكمة السادسة ان الروح سلطان الجسد وسرير الروح هو القلب لا جرم
كان القلب هو اول الاعضا الحادثة في البدن فنقول لما كان الروح سلطانا
محتاجا الى سرير جسماني كان ذلك السرير اول الاعضا المتكونة في القلب فالحق سبحانه
سلطان الموجودات فلو كان محتاجا الى سرير جسماني هو العرش لوجب على هذا

القياس ان يكون العرش اول المحدثات واول المتكونات لكنه ليس الامر كذلك
بنص القران والخبر اما نص القران فهو قوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض
فى ستة ايام ثم استوى على العرش بين تعالى انه استوا على العرش متاخرعن
خلق السموات والارض واما الخبر فانه روى انه صلوات الله عليه قال اول ما خلق الله
العقل وفى رواية اول ما خلق الله القلم وفى رواية ثالثة اول ما خلق الله نورى وفى
رواية رابعة اول ما خلق الله جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء وجميع هذه
الروايات متطابقة على ان العرش ليس هو المخلوق الاول وذلك يدل على كونه منزها
عن العرش والكرسى والمكان والجهة الحكمة السابعة ان القلب سلطان الجسد
وكان اشرف اعضا الجسد هو القلب ثم ان المجسمة يقولون كل موجود هو
اشرف من غيره وجب ان يكون اعلى من غيره ولما كان الحق اشرف الموجودات
يجب ان يكون فى المكان اعلى من جميع الموجودات فها هنا القلب سلطان البدن
واشرف الاعضا مع انه ليس فى اعلى موضع من مملكة البدن بل هو مستقر فى
الوسط فظهر بهذا قول المجسمة ان الاشرف يكون اعلى فى المكان والجهة بل ها هنا
دقيقة اخرى وهو ان اخس اعضا البدن انما هو الشعر والجلد والعظم واعلى
شى فى البدن هو هذه الثلاثة فعلمنا ان العلو لا يقتضى الشرف والسفل لا يقتضى
الخسة الحكمة الثامنة ان كل طباخ وضع اللحم الاحمر فى قدر وطبخه
فانه يزول تلك الحمرة ويحدث البياض وها هنا الحق سبحانه وضع المنى الابيض
فى قدر الرحم وطبخه بنار الطبيعة فانقلب الابيض احمر وايضا كل احد يسلط
الحرارة على جسم لطيف فان بسبب تلك الحرارة يزداد الرقة والرخاوة والحق سبحانه
قلب هذه القصة ها هنا فسلط الحرارة على النطفة الرطبة فصيرها منعقدة
كثيفة قوية فان قيل انما حصلت الكثافة والانعقاد لان الحرارة لما عملت فى تلك
الرطوبة بخرت عنها الاجزا الرطبة فبقى الباقى صلبا يابسا فنقول ان كان الامر
كذلك وجب ان يوثر تلك الحرارة القايمة برحم المراة وساير اعضاها فى تجفيف

تلك الاعضا فان تاثير تلك الحرارة فى محلها اولى فى تاثيرها فى الجسم الاجنبى عنها
المباين لها فلما لم يوثر تلك الحرارة فى تجفيف اعضا الام واثرت فى تجفيف جوهر
النطفة علمنا ان تاثيرها احد المحلين وعدم تاثيرها فى المحل الثانى بتدبير مدبر
المخلوقات وتقدير مقدر الكاينات فالطبايع معزولة والخواص باطلة والافلاك
معطلة والكواكب مسخرة ولا تاثير الا للقدرة الازلية ولا نفاذ الا للمشية
السرمدية سبحانه وتعالى عن قول الظالمين علوا كبيرا المرتبة الرابعة وهى صيرورة
العلقة مضغة والمعنى انه ينقلب ذلك الدم الجامد مضغة اى قطعة لحم كانها
مقدار ما يمضغ كالغرفة اسم لما يغترف واعلم انا بينا انه يصير علقة من خمسة
عشر يوما ثم انه بعد ذلك باثنى عشر يوما يصير مضغة ويتميز الاعضا الاطراف
بعضها عن بعض وامتدت رطوبة النخاع وربما تقدم ذلك او تاخر بيوم او بيومين
او ثلثة بعد تسعة ايام ينفصل الراس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع والبطن
يتميز الحس به فى البعض ويخفى فى البعض ويحس بذلك بعد تمام اربعين يوما فى الاكثر
وفى نهاية الخافى البحث الاول وهو ان المضغة اسم للقطعة من اللحم فقوله ثم
خلقنا المضغة عظاما يقتضى تقدم خلق اللحم الذى هو المضغة على خلق
العظام وقوله ثم كسونا العظام لحما يقتضى تقدم العظام على اللحم وذلك
متناقض والجواب ان المضغة اسم للقطعة الممضوغة من اللحم فهذا الجسم
المسمى بالمضغة لا يكون لحما البتة ولا يكون املس السطح وذلك لانه مركب من
اجسام مختلفة الصور فبعضها يكون اذا استحكمت خلقته كان عظاما
وبعضها اذا استحكمت خلقته كان عروقا ثم ان هذه الاجسام بعد ما استحكمت
خلقتها ولم تتميز بعضها عن بعض تمام التمييز ولم تظهر فيها صلابة وكثافة
بل هو باقية على الرخاوة فهى من حيث كونها لينة رخوة شبه اللحم ومن حيث انها لم
تبق على كونها وملاستها بل صارت اجساما مختلفة الطبايع صارت كاللحم
الممضوغ فلهذا المعنى سمى الله تعالى هذا الجسم فى هذا الوقت مضغة البحث الثانى

انه سبحانه وصف المضغة في سورة الحج فقال ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة
لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى والمخلقة المسواة الملساء من
النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة
خلقاء اذا كانت ملساء ثم للمفسرين في المعنى اقوال القول الاول ان المراد من تمت
فيه احوال من لم تتم كانه سبحانه قسم المضغة الى قسمين احدهما تام الصورة
والحواس والتخاطيط والثاني الناقص في هذه الامور وبين تعالى انه بعد ان
صيره مضغة فمنها ما خلقه انسانا تاما بلا نقص ومنها ما ليس كذلك وهذا
قول قتادة والضحاك فكانه تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو تام خالي
من العيوب ومنها ما يكون معيوبا ويتبع هذا التفاوت تفاوت الناس في
خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وغير المخلقة السقط
وهو قول مجاهد والثالث المخلقة المصورة وغير المخلقة اي غير المصورة
وهو الذي يبقى لحما من غير تخطيط وتشكيل واحتج اصحاب هذا القول
بما روى علقمة عن عبد الله انه قال اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا
وقال يا رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة مجتها الارحام دما وان
قال مخلقة قال يا رب فما صفتها اذكر ام انثى ما رزقها ما اجلها اشقي ام سعيد
فيقول سبحانه انطلق الى ام الكتاب فاستنسخ منه صفة هذه النطفة فينطلق
الملك بذلك فينسخها ولا تزال النسخة معه حتى ياتي على اخر صفتها والرابع
قال القفال رحمه الله التخليق ماخوذ من الخلق فما تتابع عليه الخلق بعد الخلق
حتى تم فهو المخلق وما لم يتم فهو غير المخلق لانه لم تتوارد عليه التخليقات
واعلم ان القول الاول اقرب لانه تعالى قال في اول الاية فانا خلقناكم من تراب
واشار الى الناس فيجب ان يحمل مخلقة وغير مخلقة على من يصير انسانا وذلك
يبعد في السقط لانه قد يكون سقطا ولم يتكامل فيه الخلقة فان قيل هلا
حملتم ذلك على السقط لاجل قوله تعالى ونقر في الارحام ما نشاء وذلك كالدلالة

على ان فيه ما لا نقره في الرحم وهو السقط قلنا ان هذا لا يمنع من صحة ما ذكرنا
في كون المضغة مخلقة وغير مخلقة لانه تعالى بعد ان تتم خلقة البعض ونقص
خلقة البعض لا يجب ان يكمل ذلك فيه بل فيه ما نقره تعالى في الرحم وفيه ما لا يقره
وان كان قد ظهر فيه خلقة الانسان فيكون من هذا الوجه قد دخل فيه السقط
اما قوله تعالى لنبين لكم ففيه وجهان الاول لنبين لكم انقسام المضغة
الى المخلقة وغير المخلقة يدل على ان المتولي لهذا التدبير ليس هو الطبع بل هو
الصانع المختار والثاني ان اول هذه الاية وهو قوله تعالى يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ويكون المعنى انا اخبرناكم انا
خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل عنكم ذلك الريب في امر بعثكم فان
القادر على هذه الاشياء كيف يعجز عن الاعادة واما قوله ونقر في الارحام ما نشاء
الى اجل مسمى فالمراد منه ان من اقسام هذه المضغة من يبلغه الله تعالى حد الولادة
والاجل المسمى هو الوقت المضروب للولادة وهو اخر ستة اشهر او تسعة او سنتين
او اربع كما شاء الله وقدر وانه تعالى لما كتب ذلك الوقت المعين في اللوح المحفوظ
صار ذلك اجلا مسمى البحث الثاني من مباحث هذا الموضع انا قد ذكرنا ان
اصحاب التجارب زعموا ان بعد اربعين يوما يصير الحال بحيث يتميز بعض الاعضاء
عن بعض وفيه اشكال وذلك لانه روى في الصحيح عن الاعمش عن زيد بن وهب
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق
ان احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة
مثل ذلك ثم يرسل الله اليه ملكا ينفخ فيه الروح فيؤمر باربع كلمات فيكتب
رزقه واجله وعمله وشقي ام سعيد فوالله الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل
عمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل
اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل عمل اهل النار حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل الجنة فيدخلها فهذا الحديث

يدل على انه يبقى اربعين يوما ثم يبقى علقة مثل هذه المدة ثم يبقى مضغة مثل هذه
المدة وذلك على خلاف ما حكيتم عن اهل التجارب والجواب انه وان اختلفت
اعضاه في مدة الاربعين الا ان صورة العلقة والمضغة انما تتم عند قضا
الاربعينات الثلثة فلا منافاة بين التجربة وبين كلام صاحب الشرع
اما المرتبة الخامسة وهي صيرورة المضغة عظاما فاعلم ان بدن الانسان
مركب من الاعضا والاعضا ينقسم الى قسمين الى اعضا بسيطة والى اعضا مركبة والاعضا
المركبة هي التي يكون جزه المحسوس مساويا للكل في الاسم والحقيقة كاليد فان
كل جزء من اجزاء اليد لا يكون مساويا لكل اليد في الاسم والحقيقة واما الاعضا
البسيطة فهي التي يكون جزه المحسوس مساويا للكل في الاسم والحقيقة كالعظم
فان كل جزء من اجزائه المحسوس يكون مساويا للكل في الاسم والحقيقة واعلم ان
الاعضا المركبة اما الاعضا البسيطة وهي كثيرة العظام والاعصاب والرباطات
والاوتار والاوردة والشرايين والاغشية واللحم والشحم والجلد الا ان اصل
البدن واساسه هو العظام فلهذا المعنى خص الله تعالى العظام بالذكر في هذا
الموضع واعلم ان العظام يمكن تقسيمها على وجهين الاول ان العظام بحسب
منافعها على اقسام احدها ما هو من البدن قياس الاساس وعليه مبناه
مثل فقار الصلب فانه اساس البدن عليه يبنى كما يبنى السفينة على الخشبة
التي تنصب فيها اولا وثانيها ما قياسه من البدن قياس المجن والوقاية كعظم
اليافوخ وثالثها ما قياسه قياس الالات التي بها تتم الاعمال وهي عظام
اصابع اليدين والرجلين ثم ما كان من هذه العظام انما يحتاج اليه للدعامة
او للوقاية ولا يحتاج اليه لتحريك الاعضا فانه خلق مصمتا وما كان منها
يحتاج اليه لاجل التحريك فقد زيد في مقدار تجويفه وجعل تجويفه في الوسط
واحدا ليكون جرمه صلبا ولا يصير رخوا بسبب كثرة المنافذ ثم جعل المخ في
وسطه ليرطبه ويمنعه اليبس المفتت وفايدة زيادة التجويف ان يكون

اخف وفايدة توحد التجويف ان يبقى جرمه اصلب وفايدة صلابة جرمه
ان لا ينكسر عند الحركات العنيفة القسم الثاني العظام انها بحسب
تجاورها على اقسام فاحدها ما تجاور وتجاوره مفصل سلس وهو الذي لاحد
عظميه ان يتحرك حركة سهلة من غير ان يتحرك معه العظم الاخر كعظام الاصابع
مع الكف ومفصل الرسغ مع الساعد وثانيها ما يتجاور تجاور مفصل عسر
غير موثق وهو كعظام فقرات الظهر في النصف الاعلى من الظهر ولولا ذلك لما قدر
الانسان تارة على ان ينتصب انتصابا تاما وقت القيام وتارة يصير منحنيا كما
في وقت الركوع فاما النصف الاسفل من الظهر فمفاصل عظامه موثوقة محكمة
وثالثها ان يكون المفصل موثقا ليس لاحد عظميه ان يتحرك وحده البتة
مثل مفصل عظام العجز ورابعها المركوز وهو ما يوجد لاحد العظمين زيادة
وللثاني نقرة ترتكز فيها تلك الزيادة ارتكازا لا يتحرك فيها مثل الاسنان
وخامسها المدروز وهو الذي يكون لكل واحد من العظمين اسنان كالمنشار
ويكون اسنان كل واحد منهما مهندمة في تجازيز الاخر كما يركب الصفارون صفائح
النحاس كالمفاصل القحف وسادسها ان يكون العظام متلاصقة فمنها
ما هي متلاصقة طولا مثل مفصل ما بين عظمي الساعد ومنه ما هو ملتزق
عرضا مثل مفصل الفقرات السفلى من فقار الصلب واعلم ان عظام البدن جملتها
مايتان وثمانية واربعون عظما اما عظام الراس فخمسة وخمسون سبعة هي
عظام اليافوخ واربعة عشر عظام اللحي الاعلى واثنان هما اللحيان الاسفلان
واثنان وثلثون سنا فالمجموع خمسة وخمسون واما خرزات الظهر فتسعة وعشرون
سبعة للعنق واحدى عشر يتصل بها الاضلاع وخمسة هي القطن وثلثة العجز
وثلثة العصعص واما الاضلاع فاربعة وعشرون من كل جانب اثنا عشر والقص
مؤلف من عظام سبعة والترقوتان عظمان موضوعان على كل واحد من جانبي
القص والكتفان معلومان من كل واحد من اليدين مؤلف من احد وثلثين عظما العضد

وطرفه والساعد وهما عظمان ملتصقان بالطول والكف وهو اثنا عشر
الرسغ وهو صفان من كل صف اربعة والمشط اربعة اخرى وللاصابع خمسة
عشر فالمجموع احد وثلثون ومجموع عظام اليدين اثنان وستون وعند
العانة عظمان و فخذان وطرفاهما والرضفتان وعظام القدم سبعة وعشرون
فهذا هو مجموع عظام البدن والكلام فيها وفي منافعها طويل و النكتة
الظاهرة في كيفية الاستدلال بهذه الحالة على الصانع ان العظام اجسام صلبة
قوية فكيف تولدت من النطفة السخيفة الرقيقة وايضا فهذه العظام مختلفة
فمنها صغيرة وكبيرة وطويلة ومستديرة ومجوفة ومصمتة وعريضة ودقيقة
واللائق بكل موضع من مواضع البدن عظم مخصوص ولو حصل في ذلك المكان
عظم لا يليق به لاختلت المصالح فالطبيعة التي لا شعور لها ولا ادراك كيف يمكن اسناد
تخليق هذه الاعضا اليها وكيف يعقل ان يقال ان هذه الطبيعة رتبت هذه
الاعضا بهذا الترتيب الموافق للمصلحة ان هذا مما لا يقبله العقل بل الفطرة
السليمة والطباع المستقيمة تشهد بان تخليق هذه الاعضا وتركيبها لم يصدر
الا عن الصانع الحكيم المدبر اما المرتبة السادسة وهو قوله تعالى ثم كسونا
العظام لحما فاعلم ان اهل التشريح ذكروا ان جميع عضل البدن خمسمائة
وتسع وعشرون عضلة واعلم ان الخالق سبحانه لما اقتضت حكمته ان جعل
منبع قوة الحس والحركة هو الدماغ ويكون الآلة الحامل لهاتين القوتين من
الدماغ وهو العصب ثم كانت العصب لا تحتمل ايصالها بالعظام التي هي
بالحقيقة اصول الاعضا المتحركة اذا كانت العظام صلبة والعصبة لطيفة
فانبت الخالق بحكمته من العظام شيئا شبيها بالعصب يسمى رباطا فجمعه مع
العصب وشبكه به كشيء واحد ثم ان هذا الجرم الملتئم من العصب ومن الرباط
كان ايضا دقيقا فدبر الخالق سبحانه في ذلك بان جعل في ذلك الجرم منفوشا
وملأ خلله لحما وغشاه غشاء دقيقا صلبا وجعل في وسطه شيئا كالمحور من

جملة العصب فهذا العضو هو العضلة وفيه فوائد كثيرة احدها انه لما فيه من اللحم
منشأ للمنافع كثيرة منها انه لم يكن حشوا الخلل الفرج التي اصله من العظام ومنها ان
اللحم متولد عن الدم الذي هو حار رطب فيكون اللحم سببا لزيادة السخونة في الاعضا
مثل حشو الجبة ومنها انه يكون حائلا بين عظام البدن بعضها عن بعض ومنها انه يكون
حائلا بين عظام البدن وبين الاجسام الصلبة التي خارج عن البدن ويكون ذلك اللحم شبيها
بالمضربة اللينة التي يجلس الانسان عليها فلا يتالم بسبب المصاكة الحاصلة بين عظام
البدن وبين الاجسام الصلبة الموجودة من الخارج الفائدة الثانية ان هذه
العضلات بسبب ما فيها من شظايا الرباط وبسبب كونها مجللة بهذه الاغشية
الصلبة يكون صلبة قوية لا يعرض لها آلة انفكاك ولا انقطاع بسرعة فهذه اشارة
مختصرة الى منافع هذه العضلات فان قيل انه تعالى ذكر في جميع المراتب المتقدمة
لفظ الخلق فقال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم خلقنا النطفة علقة
فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما وفي هذه المرتبة لم يذكر لفظ الخلق
بل قال فكسونا العظام لحما فما السبب فيه قلنا السبب فيه ان العظام
والاعصاب والعروق اعضا اصلية متولدة من النطفة ولذلك فان شيئا منها
اذا بطل لا يعود اما اللحم فانه ليس من الاعضا الاصلية فلذلك فانه اذا ذهب بالهزال
عاد بالسمن مرة اخرى وهو انما يتولد عن دم الطمث لا عن المني فلما كان الامر كذلك
لا جرم جعل اللحم كالكسوة للاعضا الاصلية وايضا فقد ذكرنا ان فائدة اللحم
افادة السخونة للاعضا الاصلية وان يكون كالمضربة اللينة التي اذا جلس
الانسان عليها لم يتالم بسبب المصاكة الحاصلة بين عظامه وبين الاجسام الصلبة
الخارجة وهذه الفوائد والمنافع شبيهة بالفوائد المطلوبة من الثياب الملبوسة
فلهذين السببين ذكر في هذه المرتبة لفظ الكسوة فسبحان من له تحت كل كلمة
من كلمات هذا الكتاب الكريم سر شريف ونكتة روحانية اما المرتبة السابعة
وهي قوله ثم انشاناه خلقا اخر فاعلم ان المراد بالخلق الاخر قولان الاول المراد منه

نفخ الروح وزعموا ان الروح ليس من جنس البدن فلهذا المعنى جعل هذه المرتبة
نوعا اخر من الخلق متغايرا للمراتب المتقدمة واحتجوا عليه بوجوه من المنقول
والمعقول الحجة الاولى ان المراتب المذكورة لا تكمل الا بسفاغ بها الا نفخ
الروح فوجب في الحكمة ذكر الروح عقيب تلك المراتب هو قوله ثم انشاناه
فدل على ان المراد منه نفخ الروح فلما عبر عن نفخ الروح بانه خلق اخر علم ان
الروح ليس من جنس البدن الحجة الثانية قوله تعالى فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي فالتسوية عبارة عن تخلق الابعاض والاعضا ونفخ الروح فيه
اشارة الى تعلق الروح بالبدن ثم انه تعالى اضاف الروح الى نفسه دل على انه
متميز في ذاته بمزيد شرف لا يحصل مثله للاجسام الحجة الثالثة
انه تعالى ميز بين عالم الارواح وعالم الاجسام فقال الا له الخلق والامر فحصل
التباين بين هذين النوعين ثم انه تعالى حكم بان الروح من عالم الامر فقال قل
الروح من امر ربي ثم بين انه لا سبيل للبشر الى معرفته فقال وما اوتيتم من
العلم الا قليلا ولو كان من جملة الاجسام لما صحت هذه الاحوال
الحجة الرابعة انه تعالى اضاف الافعال الى النفس فقال ان النفس لامارة
بالسو وقال تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة وقال تعالى يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك ومعلوم ان جميع اجزا النفس ليس مبدا للافعال
فعلمنا ان النفس شي يدبر البدن وهو غير البدن الحجة الخامسة
وهو قوله تعالى اخرجوا انفسكم وهذا صريح في ان النفس شي مغاير للبدن
تارة تدخل البدن وتارة تخرج منه الحجة السادسة قوله تعالى
ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم وكل احد فانه لا ينسى هذا
الهيكل الذي يشاهد خواصه فدل على ان تلك النفس التي ينساها
الانسان عند فرط جهله شي اخر غير هذا البدن الحجة السابعة
قوله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها وهذا صريح

في ان هاهنا نفسا هي محل الالهامات ومحل الفجور والتقوى ومعلوم ان
كل واحد من اجزا البدن وابعاضه ليس كذلك فهذه النفس شي مغاير
لهذه الاعضا الحجة الثامنة القران دل على ان الشي المشار اليه
بانه هو الانسان المخصوص باق بعد الموت قال تعالى في الشهدا ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم وقال تعالى في صفة
المعذبين بالنار يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال تعالى اغرقوا فادخلوا
نارا وقال عليه السلام انبيا الله لا يموتون ولكنهم ينقلون من دار الى دار
فثبت بان الشي المشار اليه بانه هو الانسان باق بعد الموت البدن حي يدرك
الالام واللذات واما ان هذا البدن المشار اليه ليس حيا بعد الموت
فهو معلوم بالضرورة ولو جوزنا كونه حيا لجاز مثله في جميع الجمادات
وهو سفسطة واذا صحت المقدمات علمنا ان المشار اليه بقولنا هذا
الانسان ليس هو هذا البدن الحجة التاسعة قوله عليه السلام
من عرف نفسه فقد عرف ربه وكان في كتب الله المنزلة اعرف نفسك
تعرف ربك ولو كان المراد من النفس هو هذا الجسد المشاهد لما امرنا
بمعرفته لان معرفته حاصلة بالضرورة والحاصل لا يمكن تحصيله
الحجة العاشرة انا نجد من انفسنا انا نضيف كل واحد من هذه الاعضا
الى انفسنا فنقول يدي ورجلي وقلبي ودماغي والمضاف غير المضاف
اليه فعلمنا ان النفس غير هذه الاعضا فان قالوا فقد نقول نفسي
وذاتي وهذا يقتضي ان يكون نفس الشي مغايرة لنفسه وهو محال وجوابه
انا اذا اضفنا النفس والذات الينا كان المراد من النفس والذات هو البدن
وهو مغاير لذلك الشي المشار اليه بانه هو الانسان فهذه استدلالات
سمعية على اثبات النفس ولمن انكر النفس ان يجيب عن الكل بجواب واحد وهو
انه لا نزاع ان النفس شي مغاير لهذا البدن المحسوس وكيف لا نقول ذلك

والانسان قد يمرض فيذبل غاية الذبول ثم يبرا فيسمن بعد ذلك غاية السمن
فالانسان واحد في الحالين مع ان الاجزا البدنيه متبدله لكن لم يجوز ان
يقال البدن منقسم الى قسمين احدهما اجزا اصليه باقيه من اول الخلقه الى اخرها
والثاني اجزا متبدله عرضيه تطرى وتزول والانسان عباره عن تلك الاجزا
الاصليه فهذا ما في هذا البحث اذا عرفت هذا فنقول اذا حملنا قوله تعالى
ثم انشاناه خلقا اخر على الروح فهاهنا لطايف النكته الاولى
قال بعضهم انه سبحانه خلق الارواح من انوار عالم الجمال والجلال فالقوه النظريه
مع ما فيها من بهجه المعرفه والمحبه من عالم الجمال والقوة العمليه المدبره للبدن
من عالم الجلال ولولا ان انوار الارواح مستوره بظلمات الاجساد والا
لسجد لها كل كافر الثانيه قال بعضهم انه تعالى خلق الارواح من النور
والطيب والبقا والعلو والعلم والحياه اما النور فلانه ما دام الروح
في الجسد يكون الجسد نورانيا فالعينان يبصران والاذنان يسمعان
واللسان يتكلم والقلب يفهم والدماغ يفكر فهذا يدل على ان الروح
من عالم الانوار والدليل على انه من جوهر الطيب انه ما دام الروح في الجسد
يكون طيب الرايحه مصونا عن العفونه والدليل على انه جوهر البقا انه ما دام
الروح في الجسد يكون الجسد مصونا عن الفساد والتفرق والانحلال والدليل
على انه من جوهر العلو انه ما دام الروح في الجسد يكون البدن مرتفعا عن
الارض غير ملتصق بها وكلما ازداد الروح قوةً ازداد الارتفاع الا ترى
ان الانسان عند استيلا عالم الروحانيات على روحه ياخذ في الرقص
والسبب فيه انه قويت روحانيته فصارت تلك القوه الروحانيه جاذبه له من
الارض الى عالم السموات والانبيا عليهم السلام لما كملت هذه الاحوال
فيهم صعدوا الى السموات فقال في حق ادريس ورفعناه مكانا عليا وقال في
حق عيسى اني رافعك الي وقال في حق محمد صلوات الله عليه وعليهم اجمعين

خلع

الحادي والعشرون

فكان قاب قوسين او ادنى والدليل على من جوهر العلم ان محل العلم هو الروح
وذلك لان العلوم نقوش علويه غيبيه طاهره مقدسه فلا يكون محلها
الا الجوهر القدسي العلوي الدليل على انها جوهر الحيوه انه متى انقطع
اثر الروح عن كل البدن صار كله ميتا وان انقطع اثره عن جزء من اجزا
البدن صار ذلك الجزو ميتا كما في المفلوج وان تعلق بكل البدن صار كله حيا
وبالجمله فالروح كالشمس والحياه الفايضه عن الروح كالانوار الفايضه
عن الشمس فكل جسم وصل اليه نور الشمس انقلبت احواله من الظلمه الى الضيا كذلك
كل عضو يصل اليه نور الروح انقلبت حالته من الموت الى الحيوه النكته الثالثه
دلالة ارتباط هذا البدن بالروح على افتقار كل العالم الى الصانع في
غايه الظهور وذلك لان هذا البدن مملكه صغيره جدا فاذا كانت هذه
المملكه الصغيره لا تعقل استغناها عن ملك مطاع فيه لكل العالم الذي هو
المملكه الكبرى كيف يمكن استغناها عن مدبر يدبرها ومتصرف يتصرف
فيها وكما ان المدبر في هذه المملكه واحد ولا يعقل حصول روحين في
بدن واحد كذلك المملكه الكبرى يجب ان يكون مدبرها واحدا
والنكته الرابعه ان الروح بذاته علوي وبصفاته علوي اما بذاته
فلقوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون وقال يرفع الله الذين امنوا
منكم والذين اوتوا العلم درجات وايضا اقواله وافعاله علويه قال تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكتابه علوي كلا ان كتاب الابرار
لفي عليين كما ان كلمه الله هي العليا واما الكافر فكله سفلي قال تعالى وارادوا به كيدا
فجعلناهم الاسفلين وافعاله سفليه ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها
لا تفتح لهم ابواب السما وكتابه سفلي كلا ان كتاب الفجار لفي سجين فيايها الروح
العلوي لا تجعل روحك سفليا بالمعصيه ويايها النوراني لا تجعل نفسك ظلمانيه
بالاعراض عن الله ثم انه تعالى بين من خلقتك ان العلوي اشرف من السفلي والروحاني

افضل من الجسماني وذلك لانه خلق فيك اعضا علويه واعضا سفليه
اما العلويه فالقلب والعين واللسان واما السفليه فالبطن والمخرجان
فمن استعمل العين في العبره واللسان في الحكمه والقلب في المعرفه صار
علويا شريفا ومن استعمل البطن في اكل الحرام والفرج في الزنا والحرام صار
سفليا خسيسا ثم اكد هذه الدلاله بان جعل الريه التي هي معدن النفس الصاعد
فوقانيا والمعده التي هي معدن الهابط سفليا ليعلم ان كل ما كان علويًا
سماويًا فهو الشريف وما كان ارضيًا سفليًا فهو الخسيس النكته الخامسه
الروح محل العلم ويجب ان يعلم ان الموجودات على ثلثه اقسام موجود
لا يجوز ان لا يعلم وهو الله سبحانه وتعالى وموجود لا يجوز ان يعلم وهو الجماد
وموجود يجوز ان يعلم ولا يعلم وهو انت فان صرت تعلم شيئًا فقد تخلقت
باخلاق الله وان صرت لا تعلم شيًا فقد صرت مشابها للجمادات فامتيازك
عن الجمادات والتحاقك بزمره الملايكه المقربين وملازمتك لعسكر رب العالمين انما
حصل بسبب ايصال الروح بالبدن وعند هذا يظهر منقبه الروح وفضيلتها
المقول الثاني ان المراد من قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر تخليق الاعضا
الجسمانيه واعلم ان تمام الكلام في شرح قدرة الله تعالى وحكمته في خلق
الانسان قد ذكرناه في علم التشريح من الطب الكبير الذي صنفناه ولنذكر
ها هنا نكتا قليله من المنافع الظاهره الجليله التي تصل اليها افهام كل احد
فنقول انظر الى النطفه وهي قطره قذرة من الما لو تركت ساعه لنشرها الهوا
بطلت وفسدت كيف اخرجها رب الارباب من بين الصلب والترايب وذلك لانه
سبحانه اوقع الالفه والمحبه في قلوبهم ثم قادهم بسلسله الشهوه والمحبه
الى الاجتماع ثم استخرج النطفه من الرجل بحركه الوقاع واستخرج دم الحيض
من اعماق العروق وجمعهما في الرحم ثم خلق المولود من النطفه وهي بيضا
مشرقه علقه حمرا ثم كيف جعلها مضغه ثم كيف قسم اجزا المضغه

الى العظام والاعصاب والعروق والاوتار واللحم في داخل الرحم في الظلمات
الثلاث ولو انكشف الغطا والغشا لكنت ترى التخطيط والتصوير يظهر في
النطفه شيا فشيًا ولا ترى المصور ولا قلمه ولا التة فهل رايت مصورًا او فاعلاً
لا يمس المصنوع ولا يلاقيه فسبحانه ما اعظم شانه ولنشر ها هنا الى
قليل من تشريح الاعضا اما الراس فتامل انه سبحانه دورها وشق سمعها
وبصرها وانفها وفمها وانه تعالى ركب كره الراس من بضع وخمسين وثلثه وعشرين
عظما وخلق تلك العظام على كيفيات مختلفه فكيف تولدت العظام
الصلبه من النطفه السخيفه الرقيقه ثم انه سبحانه قدر كل واحد من تلك العظام
بشكل مخصوص ومقدار مخصوص ووضع مخصوص لو وقع بخلاف ذلك
لبطلت المنفعه وفات الغرض وركب بعضها مع بعض بحيث يحصل من مجموعها
كره الراس على هذه الخلقه المخصوصه واعلم انه تعالى انما اظهر الاحتياط
في عظم الراس لاجل ان الدماغ اشرف اعضا الانسان فانه محل الفكر والعقل
ولما كان في غاية الشرف صانه سبع انواع من الصوانات وذلك لان الدماغ
يحيط به غشا رقيق يقال له الغشا المسمى وفوق ذلك الغشا غشا اخر
صلب وهو ملتصق بمقعر عظم اليافوخ ثم فوقها عظم اليافوخ ثم خلق
خارج العظم غشا اخر يقال له السمحاق وفوق هذه الغشا طبقه لحميه
وفوق تلك الطبقه اللحميه الجلد وفوق الجلد الشعر فتامل انه خلق تعالى
فوق الدماغ سبع طبقات جاريه مجرى السموات السبع والمقصود من
خلق الدماغ ان يكون من المتفكرين في دلايل الله المتاملين في مخلوقاته
ليستدل بها على جلاله خالقها وحكمته ولنذكر الان بعض صفات الدماغ
فنقول انه سبحانه قسمه في طوله الى ثلثه اقسام وجعل القسم المقدم محل الحفظ
والتخيل والبطن المتوسط محل التامل والفكر وجعل البطن الموخر محل الاسترجاع
والذكر ولكل واحد من هذه الاحوال الثلثه امور مهمه للانسان لا يحصل الانتفاع

بالانسانية لان معها اما الحفظ والتخيل فامر لا بد منه في الانسانية
ويدل عليه وجوه الاول ان الانسان محتاج الى التفهيم والتفهم بالكلام
والكلام مركب من الحروف وهذه الحروف لا توجد مجتمعة البتة بل متعاقبة
فلو لم يكن الانسان حافظا الصور المحسوسات بعد غيبوبتها لكان الانسان
اذا سمع حرفا ثم انقضى ذلك الحرف الاول وجد الحرف الثاني وعند حصول
الحرف الثاني لا يكون الحرف الاول موجودا في الخارج ولا يكون اثره ايضا
باقيا في الحفظ فحينئذ لا يكون المسموع ابدا الا حرفا واحدا والحرف الواحد
لا يفيد المعنى البتة فثبت انه لولا الحفظ ما كان يحصل التفهيم والتفهم
بالكلام وكانت هذه المصلحة العظيمة تختل وتبطل الثاني ان الانسان اذا
راى شيا ثم غاب عنه ثم راه مرة اخرى عرف ان هذا الذي راه الان هو الذي راه
قبل ذلك وذلك لانه لما راه في المرة الاولى ثم غاب عنه بقيت صورته في الحفظ
فلما راه مرة ثانية صارت هذه الصورة المحسوسة ثانيا منطبقة على تلك الصورة
المحفوظة في الخيال فحصل الشعور بان هذا الذي راه الان هو الذي راى قبل ذلك
فلولا القوة الحافظة لما حصل هذا المعنى ولاختل نظام العالم فما كان يعرف
الروح زوجه ولا السيد عبده ولاحتاج كل احد الى تعرف حال كل شخص في كل
مرة يراه الثالث ان خاصية الانسان ان يتوصل بالفكر الى ان يصير المجهول
معلوما والفكر عبارة عن تركيب الاشيا الحاضرة في الذهن ليتوصل بتركيبها الى تصيير
المجهول معلوما ولا معنى لحضور الاشيا في الاذهان الا حضور مثلها
واشباحها في القوة الحافظة فالقوة الحافظة في دماغك جارية مجرى اللوح
المحفوظ في عالم السموات وتلك صور المحسوسات في خيالك تشبه نقا كتبة احوال
المخلوقات في اللوح المحفوظ فثبت بما ذكرنا ان القوة الحافظة من اعظم
نعم الله على الانسان ثم ان فيه امرا عجيبا لا يعرفه الا الله سبحانه وذلك لان
هذه الصورة التي نتخيلها ونشاهدها حال ما نستحضرها اما ان يقال انها

موجودة او يقال انها معدومة والقول بكونها معدومة باطل لانا نميز بين
كل واحد منها وبين غيرها بل كانا نشاهدها وننظر اليها في خيالنا فانا اذا
نظرنا الى قرص الشمس ثم غمضنا العين فانا نشاهد قرص الشمس حاضرا في خيالنا
كانا ننظر اليه فثبت انها موجودة ثم قال قوم ان محل هذه الصور الخيالية مقدم
دماغنا وقال اخرون بل مقدم الدماغ الة في هذا العمل ومحل هذه الصور
جوهر الروح والروح ليس بجسم ولا جسماني وكل واحد من القولين عجيب جدا
اما الاول فهو ان مقدم الدماغ جسم صغير جدا فكيف ارتسم في ذلك الجسم الصغير
صور السموات والارضين والشمس والقمر وصور البلدان والمسالك والممالك
والانسان ايضا ربما يحفظ الكلمات التي سمعها من اول عمره مع كثرتها فكيف
ارتسمت هذه الصور الكثيرة في هذا الجسم الصغير من غير ان يختلط شي من هذه
النقوش بعضها ببعض ولا شك ان هذا من العجايب التي لا يعرفها الا المدبر الخالق
واما القول الثاني وهو ان محل هذه الصور جوهر الروح وهو ليس بجسم ولا
جسماني فهذا اعجب لان هذه الصور لها طول وعرض وامتداد في الجهات
والاحياز فكيف يعقل حلولها في شي ليس له طول ولا عرض ولا امتداد في الجهات
وبالجملة فنحن نعلم بالضرورة انا نحفظ صور هذه المحسوسات واذا اردنا ان
نعلم انا كيف نحفظها عجزنا عن ذلك فسبحان الخالق الحكيم ومن جملة نعم الله علينا
في كيفية هذا الحفظ انه جعل الحافظ لصور المحسوسات الخمسة شيا واحدا
والفايدة فيه انا اذا سمعنا صوتا علمنا ذلك الشخص لان القوة الحافظة
تعلم ان الذي له هذا الصوت فله ذلك الشكل فحينئذ يفيد السمع فايدة البصر
ويقوم كل واحد من الحواس الخمسة مقام الاخر واما البطن الاوسط من الدماغ فهو
محل الفكر ومعنى الفكر هو ان يركب القوة المفكرة شيين من الاشيا الحاضرة
عند قوة الحافظة فيصير ذلك التركيب سببا لاستحداث صورة جديدة عند العقل
وجميع التركيبات التي احدثها اهل الدنيا في بنا المساكن واستخراج الحرف والصناعات

فهو من اعمال القوه المفكره فالقوه المفكره تستخرج تلك الصور بهذا الطريق
ثم ان القوه العمليه تنقل تلك الصور من الافكار الى الخارج ومن المعلوم انه لولا الفكر
لما اهتدى الانسان الى تحصيل المصالح ودفع الافات فما اعظم النعم تخلق
القوه المفكره ومن اراد ان يعرف قدر هذه النعمه فلينظر الى البهايم والمجانين
واعلم ان القوه المفكره كالقلم والقوه الحافظه كاللوح فان القوه المفكره اذا
استنبطت صوره جديده ارتسمت تلك الصوره في لوح الخيال فكان المثبت
هو الفكره والقابل هو الخيال فكانت المفكره قلمًا والحافظه لوحًا واعلم انا اذا
كنا نعلم بالضروره انا نفكر لانا اذا اردنا ان نعلم ان هذا الفكر ما هو صعب ذلك
علينا فان هذا الذي طلبناه هل نعلمه ام لا فان علمناه فكيف نطلب العلم به
وان لم نعلمه فكيف يمكننا طلب شي لم يخطر ذلك الشي ببالنا واما البطن الاخير من
الدماغ فهو التذكر ومعنى التذكر ان من حضر في ذهنه امر من الامور ثم غاب عنه
فانه يسترجعه بعد غيبوبته وهذه الحاله حاصله للانسان فانه ليس كلما راه
الانسان وسمعه في مده عمره فانه يكون حاضرًا في خياله بل اكثر هذه الصور في اكثر
الاحوال غير حاضره في الذهن ولكنها وان كانت غايبه الا ان الانسان متى اراد
استحضارها قدر عليه فهذا الاستحضار هو التذكر ولا شك ان خلق هذه القوه
نعمه عظيمه من الله تعالى على الانسان واعلم ان ها هنا ايضا حاله عجيبه تعجز العقول
البشريه عن معرفه كيفيتها وذلك لان هذه الصور اذا كانت غير حاضره فتذكرها عباره
عن طلب رجوعها فهذا الطلب اما ان يكون طلبًا لتلك الصوره بعينها او يكون
طلبا لصوره ما مبهمه اي صوره كانت فان كان الاول فهو محال لانها غير معلومه
بعينها اذ لو كانت معلومه بعينها لكانت حاضره فما كان الانسان يحتاج الى
طلبها واذا لم تكن معلومه بعينها امتنع طلبها بعينها والثاني ايضا محال لان
المطلوب اذا كانت صوره ما لا هذه الصوره فلم حصلت هذه الصوره بعينها
دون ساير الصور ولم اذا حصلت هذه الصوره بعينها حكم العقل بانه مطلوبي

كان هو هذه الصوره فهذا اشكال عظيم وبالجمله كل احد يجد من نفسه بالضروره
انه يحفظ الاشيا ويتفكر فيها ويستعيدها بعد غيبتها ثم العقول متحيره في
معرفه حقيقه هذه الحفظ والفكر والذكر فسبحانه ما اعظم شانه وابهر
برهانه في اصناف ملكه وملكوته فهذا هو الاشاره المختصره الى خلقه الدماغ
ثم تامل احوال العين فانها مركبه من سبع طبقات وثلث رطوبات وفي الحقيقه
فهي مركبه من عشر طبقات فالطبقه السفلانيه هي الطبقه الصلبه وفوقها المشيميه
وفوقها الشبكيه وفي الطبقه الشبكيه الرطوبه الزجاجيه وفوقها الجليديه
وفوق الجليديه الطبقه العنكبوتيه وفوقها الرطوبه البيضيه وفوقها الطبقه
العنبيه وفوق الطبقه العنبيه الطبقه القرنيه وهذه الطبقه القرنيه يعدها اهل
الظاهر طبقه واحده لكنها في الحقيقه اربع طبقات ثم يحيط بهذا المجموع الطبقه
الملتحمه فاذا عرفت علمت ان طبقات العين عشر طبقه على عدد طبقات العالم
الاكبر فان اعلى طبقات العالم الاكبر العرش وتحته الكرسي وتحته السموات السبع
وتحتها الطبقات الاربعه العناصر فمجموع طبقات العالم الاكبر ثلثه عشر ثم
انه تعالى خص كل واحد من هذه الطبقات والرطوبات بشكل مخصوص ولون
مخصوص ومقدار مخصوص وترتيب مخصوص لو لم يوجد على ذلك الوجه بل على
وجه اخر لاختلت المصلحه ثم تامل في احوال العين من وجوه احدها انه تعالى جعل
موضع الابصار مقدار عدسه واحده ثم اظهر في تلك العدسه صوره السما
والعالم مع اتساع اطرافها وتباعد اكنافها الثاني ان البياض يناسب النور والسواد
يناسب الظلمه فجعل البياض سببًا للعمى والسواد معدنا للقوه الباصره ليعلم
ان سبب حصول هذه النعمه هو فضل الله وكرمه لا الطبع والخاصيه والثالث
انه سبحانه جعل الحدقه مصونه بالاجفان لتسترها وتحفظها وتصقلها وتدفع
الاقذا عنها والرابع انه سبحانه جعل الاجفان سودًا ليكون سوادها سببًا
لاجتماع النور الذي يعبر على الابصار ويكون مانعا عن تصرف ذلك النور

والخامس انه سبحانه خلق لتحريك الحدقة اربعة وعشرين عضلة لو نقصت واحدة
منها لاختل امر العين والسادس ان العين شبه المراة ومعلوم ان المراة انما
ينتفع بها اذا كانت في غاية الصقالة والصفا فلما كانت العين لا ينتفع بها
الا حال كونها في غاية الصقالة والصفا لا جرم خلق الحق سبحانه هذه الاجفان
متحركة الى الانطباق ابدا من غير اختيار الانسان حتى يبقى الحدقة نقية صافية عن
جميع الاكدار واما الذبابة فلما لم يخلق لعينيها الاجفان لا جرم الهمها
حتى انها بيديها تنظف عينيها عن اثار الغبار والكدورات السابع انه تعالى
جعل العين هاديا لصاحبها الى ادراك الاشيا لاطلاع غيره بواسطتها في قلب
صاحبه وذلك لان القلب في داخل البدن والعينان كالزجاجتين الموضوعتين
على جدار البيت فكيف ما كان الشمع في داخل البيت وقع ضوءه على الزجاجتين
فكذلك يستدل باحوال العين على احوال القلب في الرضا والغضب والرغبة
والنفرة فسبحان من جعل العين هاديا لصاحب العين الى معرفة الغير والغير الى
معرفة احوال صاحب العين الثامن وهو ان الطف اعضا البدن هو العين ثم ان
جميع الاعضا تتاثر من الحر والبرد فوق ما تتاثر منها العين وكان ينبغي ان يكون
الامر بخلاف ذلك لان الالطف اسرع تاثيرا الكثافة الا ترى ان الرجل على صلابة جلدها
تتاثر من الحر والبرد فوق ما تتاثر العين منها وما ذاك الا ليعلم الانسان ان حصول
هذه المصالح ليس بالطبع والخاصية بل بحفظ الرحيم العليم واما احوال
الاذن فاعلم انه تعالى شق الاذنين واودعهما ماء مرا ليكون ذلك معينا على
ادراك السمع وليمنع الهوام عن الدخول في الاذن ثم راعى فيه انواعا من المصالح
الاول انه تعالى حوطها بصدفة الاذن ليجمع الصوت فيردها الى الصماخ
الثاني انه سبحانه جعل في ثقبة الاذن انحرافات وانعراجات حتى تصير المسافة
بهذا السبب طويلة فلو دخل تلك الثقبة شيء من الهوام والحشرات فحينئذ يكثر
حركاته بسبب طول المسافة فينتبه الانسان فيسعى في اخراجه عن الاذن

والثالث انه خلق العينين مقدمتين والاذنين موخرتين لان العينين تدركان
الاجسام والاعراض وهي ادلة وجود الصانع والاذنان يسمعان الكلام
والدلايل العقلية مقدمة على الدلايل السمعية فلا جرم قدم البصر على السمع
والرابع خلق العينين مع الغطا والاذنين بلا غطا لان متعلق العين اجسام
واعراض باقية فلو لا الغطا لحصلت الملالة واما مدرك الاذن فهو الاصوات
وهي غير باقية فلو لا الغطا فربما زال الصوت قبل ارتفاع الغطا فلا يحصل
الانتفاع بالسمع الخامس روى كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضي الله عنها
فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان
ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طاب جنوده فقالت هكذا
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الانف فانه سبحانه رفعه من وسط
الوجه واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم وفيه منافع الاول
انه يستدل باستنشاق الروايح على الاغذية والمطاعم المستوية والثاني
يستنشق بمنفذ المنخرين الهوا البارد الطيب فيستغني بالمنخرين عن فتح الفم ابدا
الثالث انه جعل تجويفه واسعا حتى يحصر فيه هوا كثير فينكسر برده قبل النفوذ
الى الدماغ فان الهوا المستنشق وان كان اكثر الى الرية فان شطرا صالحا
المقدار ينفذ ايضا الى الدماغ ولذلك فان المزكوم يضره استنشاق الهوا البارد
والرابع انه بتجويفه الواسع يجذب الى نفسه هوا اكثر حتى يحصل امام الة الشم
فيكون ادراك الشم اسهل ولذلك فان من بالغ في الشم جذب الهوا بخيشومه اكثر
والخامس انه يعين في تقطيع الحروف وتسهيل اخراجها ولذلك فان من قبض على
انفه عسر عليه التكلم باكثر الحروف والسادس ان يكون للفضول المندفعة
من الراس ستر ووقاية عن الابصار واعلم ان منفعة النفس عظيمة فانه لو انقطع
عن الانسان لحظة واحدة لمات ثم تامل ان الهوا المستنشق يدخل اولا من
المنخرين فينكسر برده هناك ثم يصل الى الحلقوم فيعتدل مزاجه هناك ثم يصل

الى الرئة وتصفى فيها ثم تصل الى القلب وتروح عن الحرارة الغريزية وتنفذ من
القلب الى العروق المتحركة وتبلغ الى اقاصي اطراف البدن ثم اذا استخن جدا
وخرج عن حد الانتفاع عاد من تلك الاقاصي الى القلب ثم الى الرئة ثم الى الحلقوم
ثم الى المنخرين ثم تخرج وتعود مثله فمجموع هذه الافعال هو المسمى بالنفس
الواحد ويقال ان الانسان يتنفس في كل يوم اربعة وعشرين الف نفس فاعرف
مقدار النفس الواحد في المنفعة فانه لو انقطع لحصل الموت ثم انظر الى كثرة
الانفاس لتعرف عظيم نعمة الله عليك كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
واما الفم فانه سبحانه جعله آلة لتحصيل مصالح الروح ولتحصيل مصالح البدن
اما مصالح الروح فانه اودع فيه اللسان الناطق المعرف عما في القلب واعلم
انه سبحانه خلق القلب امير البدن ومعدنا للحرارة الغريزية فاحتاج القلب الى تعديل
تلك الحرارة القوية بالنسيم البارد المعتدل فاذا استدخل الهوا البارد ووصل
الى القلب واعتدلت حرارة القلب به وبقي ذلك الهوا هناك ساعة يسخن
واحترق فاحتاج القلب الى اخراجه وذلك هو اخراج النفس فجعل المدبر الحكيم
اخراج ذلك النفس سببا لحدوث الصوت ثم جعل في الحنجرة وفي اللسان وفي
الحنك وفي الاسنان وفي الشفتين مقاطع ومخارج لحروف مختلفة فحصلت
الحروف بهذا الطريق ثم جعل تلك الحروف عند تالفها وتركيبها مؤدية للمعاني
فانظر الى كمال الحكمة فان المقصود الاصلي من النفس هو ايصال النسيم البارد
الى القلب فاما اخراج النفس فهو جاري مجرى دفع الفضلة الفاسدة ثم انه
سبحانه صرف هذا المعنى الى رعاية مصلحة اخرى وهو انه جعلها مادة للحروف
والاصوات والكلام ثم انه سبحانه خلق الحناجر مختلفة الاشكال في الضيق
والسعة والخشونة والملاسة حتى اختلفت الاصوات لاجل اختلاف هذه
الاحوال فكما لا تتشابه صورتان البتة فكذا لا يتشابه صوتان البتة وكما يحصل
الامتياز بين الاشخاص بالقوة الباصرة فكذلك يحصل الامتياز بينهم بسبب القوة

السامعة فيحصل في الظلمة هذا التمييز ويحصل للاعمى هذا التمييز واما ما
يتعلق بتحصيل مصالح البدن فهو ان اعظم الاشيا المحتاج اليها في مصلحة
البدن هو الاكل وهو سبحانه اعد في الفم اسباب الاكل وذلك في وجوه الاول
انه تعالى خلق في الفم الاسنان ولها منافع الاول ما ذكرنا انها تكون مقاطع
للاصوات فتحدث الحروف المختلفة بسببها والثاني انها تكون آلة القطع والكسر
والطحن ثم انظر الى الحكمة وذلك ان الانسان في اول ما يتناول الغذا يحتاج الى
القطع فجعل الاسنان المقدمة حادة عريضة الرؤوس جارية مجرى السكين
وجعل الانياب مستديرة حادة الرؤوس للكسر وجعل الاضراس مسطحة
الرؤوس خشنة الرؤوس كالرحى لاجل الطحن ولو قدرنا كون الاضراس مقدمة وكون
الرباعيتين مؤخرة لبطلت المصالح والمنافع باسرها والثالث لتكون زينة
للوجه وذلك انه سبحانه زين الفم بالاسنان فبيض الوانها ورتب صفوفها وجعلها
متناسبة متناسقة كانها الدر المنظوم ثم انه سبحانه خلق الشفتين وحسن
لونهما وشكلهما لينطبقا على الفم ويسدا منفذها وليتم بهما مخارج الحروف
ومن لطيف الحكمة انه تعالى جعل الاذن بلا حجاب والاباب وخلق ورا اللسان
بابين احدهما الاسنان والثاني الشفتان وفيه تنبيه على انه يجب ان يكون استماع
الكلام اكثر من الاشتغال بالكلام فان استماع الكلام يجري مجرى الدوا والاشتغال
بالكلام كالدا النوع الثاني مما حصل في الفم من اسباب الاكل وذلك
انه تعالى جعله معدنا للرطوبة العذبة اللعابية فالانسان اذا وضع الطعام في
الفم وطحنه باسنانه امتزج ذلك المطحون باللعاب الذي في الفم فوصلت
آثار تلك الطعوم اللذيذة بواسطة ذلك اللعاب الى اللسان فيصير ذلك الطعام
سببا لقوة البدن في الاستقبال ثم ها هنا انواع من العجايب الاول ان كل من
اراد ادارة الرحا بسبب انصباب الما اليه وضع الرحا في موضع يكون اسفل من
مجرى الما حتى اذا انصب الما من الاعلى الى الاسفل فحينئذ يقوى على ادارة الرحى

والله سبحانه ادار رحى الفم بالماء الذى يصعد اليه من اسفل المعده ليعلم الخلق
ان ذلك بسبب الحكمه والقدره لا بسبب الطبع والخاصيه والثاني ان
الانسان قبل ان يضع الطعام في الفم لا يجتمع في فمه من تلك الرطوبات شي
كثير ولو اجتمع لكان في عنا بسبب اجتماعها وكما وضع الطعام في الفم
اجتمعت من تلك الرطوبات بقدر ما يستاير به ذلك الطعام ولو لم تجتمع تلك
الرطوبات في الفم في هذا الوقت لتعذر على الانسان مضغ ذلك الطعا م
ولعسر عليه ابتلاعه فانظر الى كمال الحكمه في الوقت الثالث ان الانسان
لما احتاج الى طحن الطعام ومضغه بالاضراس فقد ثقلت اجزا الطعا م
مما بين تلك الاضراس فكذلك ترى في حر فمك لسانك مضطربا بذكر الحكمه
وفي حر مقلتك ترى حدقتك مضطربه بمطالعه العبره وكما انك ترى بعض
اجزا الارض فيه نباتا وبعضها ليس كذلك فهكذا ترى في بعض اجزا بدنك
شعورًا وفي بعضها ليس كذلك وبالجمله فاختصاص كل عضو بصفه خاصه
وخلقه خاصه لابد وان يكون بقدره العزيز العليم الخامس انه سبحانه
جمع اكثر المحاسن في الوجه فجعل ربع اشعار اعضا الوجه ملونا بلون السواد
جعل موضع النور من الحدقه ملونا بلون السواد وجعل الاهداب سودا
والحاجبين اسودين والشعر اسود وجعل بعضه اسض جعل الملتحم من الحدقه
ملونه بلون البياض وجعل الاسنان بيضا وجعل الجبهه كالسطح المتخذ من
الفضه النقيه وجعل الذقن كالكره المتخذه من الفضه ثم جعل الخدين على لون حمره
الورد والشفس على لون حمره الياقوت ثم جعل الوجه دايره تامه
على شكل القمر والجبهه نصف دايره والحاجبين خطين مقوسين وامتداد
الانف كالخط المستقيم فتامل في رونق الوجه وانظر الى هذه الاصباغ
المختلفه وتامل في تركيب الحدقه من السواد والبياض فهما لونان في غايه
المضاده والمنافره فجعل النور في وسط الحدقه ثم جعل السواد محيطا

بالنور ثم جعل البياض محيطا بالسواد ثم جعل الاهداب السود مرة اخرى
محيطه بذلك البياض ثم جعل بياض الاجفان مره اخرى محيطه بذلك السواد
ثم جعل سواد الحاجبين مره اخرى محيطا بذلك البياض ثم جعل بياض الجبهه
مره اخرى محيطا بذلك السواد ثم جعل سواد الشعر مره اخرى محيطا بذلك
البياض فانظر وتامل في هذه الاصباغ العجيبه والتركيبات البديعه لتشهد
عقلك وحسك ومن روحك ولبك وفكرك وذكرك وجميع ذرات اجزائك وابعاضك
على جلاله قدره الخالق وكمال حكمته سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا
السادس قال صلوات الله عليه اطلبوا الحوايج عند حسان الوجوه
فجعل حسن الصوره الظاهره دليلا على حسن السيره الباطنه في الاعم الاكثر
ومنهم من ذكر فيه وجوها اخرى الاول كانه عليه السلام قال من حسن الله خلقه
وجب عليه ان يجعل شكر هذه النعمه حسن الفعل والثاني انه اراد بحسن الوجه
الدين وذلك لان العبد انما يتوجه الى ربه بدينه والدين عند الله الاسلام فاذا
رفع المحتاج حاجته الى من حسن دينه لم يرض من دينه ان يرده غير مقضي الحاجه
الا اذا كان عاجزا عن قضايها والثالث انه اراد بحسان الوجوه المتهجدين
بالليل بدليل قوله صلى الله عليه وسلم من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار
السابع روى انه عليه السلام كان يقول في سجدته سجد وجهي للذي خلقه
وشق سمعه وبصره بحوله وقوته وايضا قد يعبر بالوجه عن الذات
قال الله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال تعالى كل شي هالك الا وجهه
وقال عليه السلام وجه دينكم الصلاه ويقال للعربي يا وجه العرب ويقال
للطريق المفضي الى حصول المطلوب هذا وجه هذا الامر وقال عن الخليل عليه السلام
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض فكل هذه الاستعمالات تدل
على انهم يجعلون الوجه اسما لكل ذلك الشي تاره واسما لاشرف اجزايه اخرى
وهذا يدل على ان اشرف اجزا الانسان انما هو الوجه والامر في الحقيقه

مطلب في بيان ان مصالح هذا العالم لا تكمل الا بالحواس

كذلك وذلك لان العين المبصرة للاعتبار فيه ولان الاذن السامعة للاسرار فيه
واللسان الناطق بذكر الملك الجبار فيه فلهذا قال امير المومنين علي ابن ابي طالب
كرم الله وجهه سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم ولا شك ان مصالح
هذا العالم لا تتم الا بهذه الحواس واما مصالح العالم الروحاني ولاعتبار
القدسية فلا يتم الا بالفكر والذكر وهما لا يتمان الا بالدماغ واللوح والقلم
هناك والانوار والظلم هناك فلهذا السبب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياكل
الثوم لانه كان مضرا بالدماغ وكان يحب الطيب لانه يقوي الدماغ ولكل
مناصبه العالية ودرجاته الشريفة كان حسا على مصالح الدماغ ولنكتف بهذا
القدر من اثار حكمة الله في خلق الراس والحواس والله اعلم واما ما يتعلق بالقلب
فانا نفرد له فصلا المشروع الثاني في شرح اثار حكمة الله تعالى في خلق
الانسان وفيه وجوه الاول ان نقول تفكر في خلق الجنين في الرحم فانه لا حيلة له
في طلب الغذا فصرف الله اليه من دم امه ما يكفيه ثم لا يزال ذلك غذاه الى ان يستحكم
بدنه ويقوى جلده على مباشرة الهوا ويحتمل الطلق بالالام وينفصل الولد عن الام
فعند ذلك يصرف الله تعالى ذلك الدم الى ثدي الام ويحصل له ضرب اخر من الغذا
اوفق له مما كان وهو اللبن الخالص ثم هاهنا لطيفتان اللطيفة الاولى
انه سبحانه لما غذاك حين كنت في بطن الام بالدم لا جرم ما اوصل اليك هذا الغذا
من طريق الفم بل من طريق السرة والحكمة فيه ان الفم موضع الذكر والتسبيح
والتهليل والدم نجس ولا يليق بالحكمة ان تلطخ الفم الذي هو موضع ذكر الله
بالدم النجس والاشارة فيه ان الفم الذي لم يصر بعد محل الذكر بل ليس الا مجرد
صلاحية ان يصير محل الذكر فالله تعالى نزهه عن التلطخ بالدم فالان وقد
صار هذا الفم محل التسبيح والتهليل منذ خمسين سنة فلا يجوز ان تلطخه
باكل الميتة وهو الغيبة والنميمة واكل الحرام اللطيفة الثانية فرغ خاطرك
عن طلب الرزق وتيقن انه تعالى اذا سد عليك طريقا فتح طريقا اخر اجود من الاول

مطلب في بيان الحكمة في خلق الانسان على احسن تقويم

انظر الى الجنين فانه كان مادته غذاه وهو الدم من طريق واحد وهو السرة
فلما خرج من بطن الام وانقطع ذلك الطريق انفتح طريقان اخران وهما
الثديان وخرج منهما غذا طاهرا لطيف وهو اللبن الذي يخرج من بين
فرث ودم ليعلم انه مهما انسد طريق واحد فتح الله طريقين احسن وانفع من
الاول ثم اذا اتم الحولين وتمت مدة الرضاع انقطع هذان الطريقان
ولكن انفتح طرق اربعة طعامان وشرابان اما الطعامان فالنبات والحيوان
واما الشرابان فالمياه والالبان ثم اذا مات الانسان انقطعت هذه الطرق
الاربعة ولكنه تعالى بفضله ورحمته يفتح عليك الابواب الثمانية من الجنة لتدخل الجنة
من ايها شئت بفضله ورحمته الوجه الثاني في بيان الحكمة انه تعالى خلقك في
احسن تقويم وذلك لانه تعالى خلق المخلوقات في عالم الاجسام على اربعة
اصناف فقايم كالاشجار وراكع كالبهايم وساجد كالحيات والحيتان وجالس
كالجبال ثم انه تعالى خلق الادمي بحيث يكون تارة قايما وتارة راكعا وتارة
ساجدا وتارة قاعدا ثم انه يذكر الله تعالى على جميع هذه الاحوال كما قال الذين
يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ثم انه نضم الى هذا الذكر الفكر فقال
ويتفكرون في خلق السموات والارض فما اعظم هذه الحالة واحلى هذه الدرجة
وقد نذكر هذه الحكمة على وجه اخر فنقول النبات روسها في عمق الارض وارجلها
صاعدة في السما وهي منكسة كانها وضعت فمها راسها على الارض واما
الانسان فانه بالعكس من ذلك فرجلاه على الارض وراسه في السما والحيوانات
متوسطة في هاتين الحالتين لا منكوسة كالنبات ولا منتصبة كالانسان
والسبب فيه عند اهل الطبايع ان النبات جسماني محض فلا جرم كانت روسها
نحو الارض والانسان روحاني محض بالنسبة الى سكان الارض فلا جرم كانت
روسها الى عالم الروحانيات وهو عالم السموات ومساكن الملايكة واما الحيوانات
فهي متوسطة في هاتين في الجسمانية والروحانية فلا جرم كانت متوسطة بين

لا انتصاب والنكس واعلم ان هذا الكلام يوهم ان السبب لهذه الاحوال
انما هو الطبع والخاصية لا انه سبحانه وتعالى ابطل هذا الوهم وازال هذا
الخيال فقال يا ايها الانسان ما دامت راسك منتصبة كنت في مقام التكبر وفي
متابعة ابليس حيث قال ابى واستكبر وكان من الكافرين فاذا وضعت راسك
على الارض فهناك تقربك للحضرة الصمدانية كما قال واسجد واقترب ليعرف ان
هذا ليس بالطبع بل بفضل الله ورحمته الوجه الثالث اعلم ان بدنك
يشبه الدار الكاملة التي بنيت واكملت بيوتها وخزائنها وفتحت ابوابها واعد
فيها كل ما يحتاج اليه صاحب المنزل فالراس كالغرفة في اعلى الدار والثقب
التي في الراس كالروازن في غرفة الدار ووسط دماغه كالايوان في الدار
والفم كباب الدار والانف كالطاق التي فوق باب الدار والشفتان
كالمصاريع للباب والاسنان كالبوابين واللسان كالحاجب والظهر كالجدار
القوي الذي هو حصن الدار والوجه كصدر الدار والرية التي هي جاذبة
للنفس البارد كالبيت الصيفي وجريان النفس فيها كالهوا الذي يجري في
البيت الصيفي والقلب مع حرارته الغريزية كالبيت الشتوي والمعدة ونضج
الغذا فيها كالمطبخ والكبد وحصول الدم فيها كبيت الشراب والعروق التي
يجري فيها الدم كمسالك الدار والطحال بما فيه من السودا كالخوابي التي يبعث
فيها الادردي والمرارة بما فيها من الصفرا الحادة كبيت السلاح والامعا
بما فيها من ثقل الطعام كبيت الخلا والمثانة بما فيها من البول كبيت البير
والسيلان في اسفل البدن كالمواضع التي تجري منها القاذورات من الدار
والرجلان كالمركوب المطيع والعظام وبنا الجسد عليها كالخشب التي
عليها بنا الدار واللحم في خلال العظام كالطين والعصب الذي يربط بعض
العظام ببعض كالرسن الذي يربط به بعض الاشيا ببعض والتجويفات
في جوف العظام كالصناديق في الدار والمخ فيها كالجواهر والامتعة

المخزونة في الصناديق فسبحان من هيأ في بيت بدنك لمسافر روحك هذه
المصالح العجيبة والاسرار الغريبة فهذا ما يتعلق بسوق هذه الدار ثم ان
الروح في هذه الدار كالملك المتصرف فيبصر بالعينين ويسمع بالاذنين
ويشم بالمنخرين ويذوق باللسان وينطق بالفم ويمس باليدين ويعمل الصنائع
بالاصابع ويمشي بالرجلين ويبرك على الركبتين ويقعد على الاليتين وينام
على الجنبين ويستند بالظهر ويحمل الاثقال على الكتفين ويتخيل بمقدم الدماغ
ويفكر بوسط الدماغ ويتذكر بموخر الدماغ ويصوت بالحنجرة ويستنشق
الهوا بالخيشوم ويمضغ بالاسنان ويبلع بالمري والمقصود من كل هذه
الاحوال ان يكون في حضرة الربوبية مشتغلا بالعبودية كما قال تعالى
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ثم انه تعالى فوض تدبير هذه المملكة
الى ثلثة من الروسا احدها الشهوة ومسكنها في الكبد وجريانها مع الدم في
العروق الساكنة ولهذا المعنى قال عليه السلام ان الشيطان ليجري من ابن ادم
مجرى الدم وذلك لان القوة الشهوانية لا تسري الا من الكبد مع الدم في العروق
وثانيها القوة الغضبية ومسكنها القلب وهي تجري في العروق المتحركة
الى جميع اطراف البدن ثم هاولا الروسا الثلثة ليسوا اشيا متباينة مستقلة
بانفسها بل هي كالفروع المتفرعة من اصل واحد وكالاغصان النابتة من شجرة
واحدة وكالمنبع الذي يتشقق منه ثلثة انهار وكالاب الذي يتولد منه اولاد
كثيرون وكرجل يعمل اعمالا ثلثة فيسمى بثلثة اسما الحداد والصائغ والبنا
مثلا فهاولا الثلثة كملوك الاطراف الذين وراهم الملك الاعظم فالشهوة
تشبه افعالها افعال النسا والصبيان والحمقى من الناس اذا لم يودبهم اباوهم
وازواجهم والغضب تشبه افعاله افعال العيارين القتالين اذا لم يودبهم
الملوك والقوة المدبرة تشبه افعالها افعال الحكما والفقها واهل الخير والصلاح
الوجه الرابع كانه سبحانه يقول عبدي اردت ان اخرجك الى الدنيا واعرضك

على والديك وعلى اهل الدنيا فلما اردت ذلك بعثتك كما ترى بتمام الشفقة ولا هاجين تريد عرضه على الناس فجعلت جبهتك كالسطح المتخذ من الفضة النقية ليكون محل السجود واظهرت في رقعة وجهك انواع النقوش العجيبة فاعطيتك الحاجب المقوس والعين الملوزة والخد المورد وجعلت وجهك كالقمر ثم جعلت العينين للاهتدا والاذنين للاصغا والفم للاغتذا والمعدة للهضم والكبد للاتمام والعروق ليكون كالانهار والمنافع لدفع الفضول واليدين للاعمال والرجلين للمشي وانما فعلت بك كل هذه الاعمال ليكون عند خروجك الى الدنيا مبرأ عن النقصان فاذا ابرايك عن النقصان عندما اخرجتك الى الدنيا مع انها سجن ودار محنة وموضع ممر لا مسكن مقر فاعرف انه كيف يكون عنايتي بك وتحسين احوالك اذا اخرجتك من القبر الى محفل القيمة

الوجه الخامس انه سبحانه خلق اليدين الة للطلب والرجلين الة للهرب ثم انه تعالى خلق اليد مركبة من اربع مفاصل محسوسة العضد والساعد والكف والاصابع فان اراد الانسان جعل هذه العظام الاربعة بمنزلة العظم الواحد قدر عليه فيمد اليد ويجعلها كالرمح وان اراد ان ياخذ جسما مستديرا تحت ابطه جعل اليد كالدايرة المحيطة بذلك الشي لاجل انه حصل في اليد هذه المفاصل ثم انه سبحانه جعل الاصابع خمسا وقسم كل اصبع ثلثة انامل ووضع الاربع في جانب والابهام في جانب اخر وبهذا الترتيب صلحت اليد للاعمال الكثيرة فان بسطها كانت كالطبق يضع عليه ما يريد وان جمعها كانت الة للغرف وان ضمها ضما غير تام كانت مغرفة له وان ضم احد الكفين الى الاخر صار المجموع كالقدح الكبير ثم خلق الاظفار على رؤوسها زينة للانامل وعمادا لها من ورايها حتى يمكنه ان يلتقط باصابعه الاشيا الدقيقة وليمكنه ايضا ان يحك بها بدنه عند الحاجة ثم تامل في هذا المقام فان الظفر الذي هو اخس الاعضا لو لم يحصل للانسان لصار اعجز الخلق

عند الحاجة الى الحك فان احدا لا يقوم مقامه في حك بدنه ثم من عجايب هذا الباب انه اذا احتاج الى حك موضع معين من بدنه فانه لا يخطي فيه البتة ولو في وقت النوم والغفلة والاشتغال بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد تعب طويل ولنذكر منافع اليد في وجه اخر فنقول من المعلوم ان مصالح الانسان تنقسم الى قسمين الى روحانية والى جسمانية اما المصالح الروحانية فلليد فيها اعظم انواع المعونة وذلك لان عقل الانسان الواحد لا يستقل باستنباط جميع العلوم المحتاج اليها بل لا بد من استعانة بعض العقول بالبعض وذلك لا يتم الا بان يكتب المتقدم ما حصله من العلوم حتى يصل ذلك المكتوب الى المتاخر فيكمله وينتفع به ومعلوم ان الكتبة لا تحصل الا باليد واما المصالح الجسمانية فهي قسمان جلب المنافع ودفع المضار اما جلب النفع فلليد فيه اعظم انواع المعونة وذلك لان الانسان يتخذ بيديه الالات يصيد بها ما في البحر والبر والهواء من الحيوانات ويعمل السفن فيقطع بها البحار والمسافات البعيدة ويتخذ الالات يخرج منها اصوات لذيذة نافعة للبدن والروح ويبني بيديه المساكن الحسنة وينسج الثياب الحسنة ويتخذ الاطعمة الطيبة اللذيذة ومعلوم ان كل هذه الاعمال لا تتم الا باليدين فتارة ينسج الثياب المنقوشة بعجايب النقوش وصنوف الانواع والاصباغ فيصير لونه احسن من لون الطاووس وتارة يعمل لنفسه ذوايب ما يشبه به ذوات الاعراف وتارة يتخذ لنفسه من اصناف التحلي ما يصير احسن من ذوات الاطواق واما دفع الضرر فهو على قسمين تارة بالمجاهدة واخرى بالتحرز اما الجهاد فانما يكون بالسلاح فهو يمسك بيديه ما هو ابلغ واعظم من القرون كالرمح وما هو اقطع من الانياب كالسيف وما هو ابلغ في النخس من المخالب كالخنجر وما هو اشد رضا من الحافر كاللتوت والاحجار فاذا تاملت علمت ان اليد مع الرمح قرن ومع السيف ناب ومع الابرة حمة ومع الخنجر مخلب

واما التحرز فاما ان يكون بالهرب او بالتحصن اما الهرب فانه يدلل الفرس
بدنه فيعلوه حتى يصير سريع ركض الفرس له فيدرك به اذا طلب وينجو طالبه
اذا هرب واما التحصن فانه يعمل بيديه ما هو افضل مما جعلت للحيوانات
من الجلود الغليظة والاظلاف والاصداف وذلك مثل القوس والدرع
وانواع السلاح وتحديد القلاع والحصون احسن مما للساير الحيوانات
وكل هذه انما تاتي باليدين ثم انهما تخدمان كل البدن خدمة عظيمة فيعدان
انواع الافاق والقاذورات عن تلك البدن ويجران جميع المنافع اليها
ولو غاصت العقول ادوارا واعصارا في اثار حكمة الله تعالى في خلق
اليدين لاعترفت بعد التوغل التام بالعجز والقصور واعلم ان لا نستقصا
في بيان اثار حكمة الله في خلق الانسان مما لا يمكن في هذا الكتاب ونعم ما
قال الشيخ ابو حامد الغزالي رحمه الله في كتاب الاحيا فقال والعجب كل العجب
من يرى صورة انسان على حايط فيستحسنه ويصرف جميع همته الى
النقاش وانه كيف نقشه وكيف قدر عليه مع انه يعلم ان ذلك النقش
انما تم وكمل بالصبغ والقلم والحايط واليد والقدرة والعلم والارادة
وشي من ذلك ليس من فعل النقاش ولا من خلقه بل كل ذلك من خلق الله تعالى
وانما غاية فعل هذا النقاش الجمع بين الصبغ وبين الحايط على ترتيب
مخصوص فاذا كان هذا القدر من العمل سببا للاعتراف لذلك النقاش
بالعلم والحكمة فبان يستدل بظهور تركيب الانسان وخلقه على جلالة
علم الخالق ونهاية قدرته وحكمته كان اولى

الوجه السادس

انظر مع كمال قدرته الى تمام حكمته وذلك لان الجنين حين ما يكون في الرحم
يكون بعض اعضايه مضموما الى البعض ويكون المجموع كالكرة الموضوعة
في كيس الرحم وذلك لانه يكون قد ضم فخذيه الى صدره ووضع راحتيه
على ركبتيه ووضع راسه على ركبتيه ويكون عيناه على ظهر كفيه ويكون

بلغ مقابلة

الثاني والعشرون

انفه بين الركبتين ويكون جالسا على رجليه ومعتمدا على عقبيه كالشخص
المتفكر المغموم المهموم المنتظر لورود الامر عليه ويكون وجهه الى ظهر امه
حماية للقلب وهذه الجلسة ايضا اوفق للانقلاب ثم اذا صار الجنين
كبيرا وضاق عليه الموضع فانه سبحانه ملهمه الى كيفية الخروج فينكس راسه
ويعين على الانقلاب ثقل الاعالي في الجنين ثم في ذلك الوقت ينفخ الرحم
الانسفاخ الذي لا يمكن ان يحبل في مثله مثله ولا بد من انفصال يعرض للمفاصل
العظيمة ومدد وعناية من الله تعالى في ذلك الوقت يعجز عن معرفة كيفيتها
العقول البشرية ثم هاهنا احوال عجيبة الاول ان الجنين كان في البطن
ايده الله تعالى بالالهام حتى عرف ان مصلحته عند الخروج من ان ينقلب وينتكس
ثم بعد الانفصال من البطن والخروج الى الدنيا لا يهتدي البتة الى شي من مصالحه
وذلك لانه عند كونه في البطن ليس هناك من يعينه على شي من مصالحه وذلك لانه
فلما كمل عجزه هناك هدي الى رعاية مصلحته ولما خرج الى الدنيا فهاهنا من
يعينه على رعاية مصالحه فلا جرم انقطعت تلك الهداية وهذا يدل على ان
الانسان كلما كان اشد عجزا وقصورا كانت عناية الله تعالى به اتم ولا شك
ان عجز الخلق في موقف القيمة اشد واكمل فنرجوا من فضل الله ان يكون عنايته
بهم في ذلك الوقت اتم واكمل والثاني ان البيضة اذا انفقات عن الدجاجة
خرج الفرخ عنها وعلق والتقط من الحب ما ينفعها واحترز عما
يوذيها وفرق بين امها المشفقة لها وبين الهرة الطالبة لايذاها اما
الانسان فانه حال انفصاله عن الام لا يميز بين المنافع والمضار والصديق
والعدو فكان في هذا الوقت اكثر جهالة من الفرخ عند خروجه عن قشر
البيضة ثم ان الامر لو كان مستمرا على قانون الطبيعة والخاصية وجب ان
يكون الفرخ لما كان اذكى واكثر تمييزا من الانسان عند المنتهى والكمال لكنه تعالى
قلب هذه القضية فجعل من كان اكثر التمييز في اول الامر قليل التمييز عند الكمال

والغايه وجعل الانسان الذي هو اقل الحيوانات تميزا في اول الامر من اكثرها معرفة وهدايه وعقلا ليعرف ان كان ذلك بحسب القدره والحكمه والعنايه لا بحسب الطبع والعله والخاصيه الثالث ان الصبي بعد الخروج من بطن الام لما احتاج الى الغذا فانظر كيف هداه الله تعالى الى التقام الثدي ولما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذيه الكثيفه فانظر كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف ثم خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وانبت على راس الثديين حلمتين على قدر ما ينطبق عليه فم الصبي ثم جعل في تلك الحلمه ثقبا ضيقه جدا حتى لا يخرج منه اللبن الا بعد المص ولا على سبيل التدريج فان الطفل لا يطيق من اللبن الا القليل ثم انظر انه تعالى كيف هداه للامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شده الجوع على سبيل الرفق ثم انه سبحانه اخر خلق الاسنان الى تمام الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن واذا صار كبيرا ولم يوافقه اللبن واحتاج الى الطعام الغليظ يحتاج حينئذ الى المضغ والطحن فلا جرم انبت له الاسنان عند حدوث الحاجة اليها لا قبلها ولا بعدها فتبارك الله احسن الخالقين واحكم الحاكمين وارحم الراحمين

الفصل الخامس

في شرح احوال الانسان من وقت ولادته الى وقت موته في عجايب القلب ذهب اكثر العقلا الى ان اشرف اعضا البدن هو القلب وهو الرييس المطلق لساير الاعضا وهو المخاطب في الحقيقه وهو موضع التميز والاختيار واما ساير الاعضا فمسخره والدليل عليه الاخبار والقران والمعقول الحجة الاولى قوله تعالى في سورة البقره قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك وقال في سورة الشعرا وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك فدلت هاتان الايتان بصريحهما على ان التنزيل والوحي كان على القلب فوجب ان يكون المخاطب والمكلف هو القلب الحجة الثانيه

قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ولهذه الايه دلاله بصريحها على ان الذكرى والفهم انما يحصل بالقلب وتاويل القا السمع الجد في الاستماع حتى يصير سمعه كالشي الذي القى الى الكلام بلا اضطراب فيه ومن الناس من قال ان او في هذه الايه بمعنى الواو وذلك لان الذكرى لا بد فيه من مجموع الامرين لا بد فيه من حضور القلب ولا بد فيه من القا السمع لان القلب عباره عن محل ادراك الحقايق والقا السمع عباره على الجد والاجتهاد في تحصيل تلك الادراكات ومن المعلوم انه لا بد من الامرين معا فكان او ها هنا بمعنى الواو والجواب ان ما ذكرتم يحتمل لكن يمكن ايضا اجرا الايه على ظاهرها وذلك لان القوى العقليه قسمان منها ما يكون في غايه الكمال والصفا ويكون مخالفا لساير العقول بالكميه والكيفيه اما الكميه فان حصول المقدمات البديهيه والحسيه والتجربيه لها اكثر واما بالكيفيه فلان تركيب تلك المقدمات على وجه يساق الى النتايج الحقه ومثل هذه القوه العقليه يستغني في معرفه حقايق الاشيا عن التعلم والاستعانه بالغير لان مثل هذا يكون في غاية الندره واما القسم الثاني وهو الذي لا يكون كذلك فهو يحتاج في اكتساب العلوم النظريه الى التعلم والاستعانه بالغير والتمسك بالقانون الصناعي الذي يعصم عن الخلل والزلل اذا عرفت هذا فقوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اشاره الى القسم الاول وانما ذكر القلب بلفظ التنكير ليدل ذلك على الكمال التام بدليل قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياه اي على حياه عظيمه طويله المده فكذى ها هنا قوله لمن كان له قلب كامل في قوة الادراك عظيم الدرجه في الاستعداد لمعرفه الحقايق واما قوله او القى السمع وهو شهيد فهو اشاره الى القسم الثاني الذي يفتقر الى الكسب والاستعانه بالغير وهذا من الاسرار التي عليها بنا اصل العلم المنطقي وقد

لاح بتوفيق الله في هذه الايه ولما كان القسم الاول نادرا جدا كان الغالب
هو القسم الثاني لا جرم امر الكل في اكثر الايات بالطلب والاكتساب
فقال افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها
فان قوله افلم يسيروا في الارض حث على الطلب والجهد في الكسب
وقال صاحب المنطق ان القسم الاول وان كان غنيا عن الاستعانه
بالمنطق الا انه نادر جدا والغالب للقسم الثاني وكلهم محتاجون الى المنطق
فانظر الى هذه الاسرار العميقه كيف نجدها مندرجه في الفاظ القران
الحجه الثالثه الايات الداله على ان استحقاق الجزا ليس الا على ما في
القلب من المساعي فقال لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم
بما كسبت قلوبكم وقال تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله
التقوى منكم ثم بين تعالى في اية اخرى ان التقوى في القلب فقال اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال تعالى وحصل ما في الصدور
الحجه الرابعه قوله تعالى حكايه عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وسنعرف ان العقل في القلب
وان السمع منفذ اليه الحجه الخامسه قوله تعالى ان السمع
والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسولا ومعلوم ان السمع لا فايده
فيهما الا بما يوديانه الى القلب فكان السوال عنهما في الحقيقه سوالا عن
القلب ونظيره قوله تعالى يعلم خاينه الاعين وما تخفي الصدور ومعلوم
ان خيانه الاعين لا تكون الا بما يضمره القلب عند التحديق والنظر
الحجه السادسه قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافيده
قليلا ما تشكرون فخص هذه الثلثه بالزام الحجه بسببها واستدعا الشكر
عليها وقد قلنا انه لا طايل في السمع والابصار الا بما يوديان الى القلب
ليكون القلب هو القاضي فيه والحاكم عليه الحجه السابعه قوله تعالى

ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيده فما
اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي فجعل هذه الثلثه هي
تمام ما الزمهم من حجته والمقصود من ذلك هو الفواد القاضي فيما يودي
اليه السمع والبصر الحجه الثامنه قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وعلى ابصارهم فجعل العذاب لازما لهذه الثلثه ونظيره قوله تعالى
لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون
بها وجه الاستدلال بهذه الايه ان المقصود من هذه الايه بيان انه لا علم
لهم اصلا ولو ثبت العلم في غير القلب كثباته في القلب لم يتم الغرض
الحجه التاسعه انه تعالى كلما ذكر الايمان في القران اضافه الى القلب
فقال تعالى من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تومن قلوبهم وقال تعالى الا من
اكره وقلبه مطمين بالايمان وقال تعالى كتب في قلوبهم الايمان وقال
ولما يدخل الايمان في قلوبكم فثبت ان محل هذه المعارف هو القلب
واذا كان كذلك كان محل الارادات هو القلب لان الاراده
مشروطه بالعلم واذا كان محل الاراده والعلم هو القلب كان الفاعل
هو القلب الحجه العاشره محل العقل هو القلب واذا كان
كذلك كان المكلف هو القلب انما قلنا ان محل العقل هو القلب لقوله تعالى
اولم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب اي عقل اطلق على العقل اسم القلب لان القلب محل العقل
وايضا فانه تعالى اضاف اضداد العلم الى القلب فقال في قلوبهم مرض
ختم الله على قلوبهم وقالوا قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم يحذر
المنافقون ان تنزل عليهم سوره تنبيهم بما في قلوبهم يقولون بالسنتهم ما ليس
في قلوبهم كلا بل ران على قلوبهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فدلت هذه الايات

ونحوه قوله تعالى ولهم قلوب لا يفقهون بها
وقوله تعالى ولهم قلوب لا يعقلون بها

على ان موضع الجهل والغفله هو القلب فوجب ايضا ان يكون موضع العقل
والفهم هو القلب واما الخبر فما روى النعمان بن بشير قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا وان في الجسد مضغه اذا اصلحت
صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب
وهذا تصريح بان الفاعل هو القلب وباقي الاعضا تابع له ويروى ان
اسامه لما قتل الكافر الذي قال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم قتلته قال لانه قال هذه الكلمه عن الخوف فقال هلا شققت عن
قلبه وهذا يدل على ان محل المعرفه هو القلب وكان عليه السلام يقول
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وهذا يدل على ان المقصود
الاصلي هو القلب واما المعقول فاعلم ان هذه المسله مما عظم
اختلاف الفلاسفه فيها فزعم ارسطاطاليس ان النفس واحده ولها
افعال ثلاثه الفكر والغضب والشهوه فهذه صفات ثلاثه لجوهر
واحد هو النفس والمتعلق الاول للنفس هو القلب ومنه تتعدى القوى
النفسانيه الى ساير الاعضا وزعم بقراط وافلاطون وجالينوس
انها نفوس ثلثه كل واحد منها مستقل بنفسه ولكل واحد منها عضو
على حده فمعدن النفس المفكره هو الدماغ ومعدن النفس الغضبيه
هو القلب ومعدن النفس الشهوانيه هو الكبد واعلم ان القران والحديث
مطابقان لقول ارسطاطاليس ونحن نورد في هذا المقام هذه المسله على
سبيل الاستقصا فنقول اثبات صحه ماذهب اليه ارسطاطاليس
تتوقف على اثبات مقامين احدهما بيان ان النفس واحده والثاني ان العضو
الرييس على الاطلاق واحد وهو القلب اما المقام الاول وهو بيان ان
النفس واحده فنحن هاهنا بين مقامين اما ان ندعي البديهه واما ان ندعي
الاستدلال اما دعوى البديهه فهو ان المراد من النفس ما يشير اليه كل

احد الى ذاته الخاصه بقوله انا وكل احد يعلم بالضروره انه اذا اشار الى ذاته
الخاصه بقوله انا فان ذلك المشار اليه شي واحد غير متعدد فان قيل لم لا
يجوز ان يكون المشار اليه لكل احد بقوله انا وان كان واحدا الا ان ذلك
الواحد يكون مركبا من ثلثه اشيا وهو القوه المفكره والغضبيه والشهوانيه
والجواب هذا باطل وذلك لان بديهه عقلي حاكمه باني اشتهيت
وغضبت وتفكرت وبديهه عقلي حاكمه باني اذا قلت انا اشتهي انا اغضب عقلي صح
انا اتفكر فالموضوع في هذه القضايا الثلثه شي واحد والتعداد انما وقع
في المحمول كما اني قلت هذا الجسم حلو واسود ويابس فالموضوع واحد
والتعداد واقع في المحمولات واذا كان هذا معلوما بالضروره علمنا
ان الجوهر واحد في الذات متعدد في الصفات واما طريقه
الاستدلال فيدل على صحه قولنا وجوه الحجه الاول ان الغضب
حاله نفسانيه تحدث عند وقع المنافي والشهوه حاله نفسانيه تتولد عند
طلب الملايم ودفع المنافي وطلب الملايم مشروط بالشعور بكون الشي
ملايما ومنافيا فالقوه الغضبيه التي هي قوه دافعه للمنافي على سبيل
الاختيار والقصد لان القصد الى الدفع والجذب مشروط لا محاله
بالشعور فالشي المحكوم عليه بكونه دافعا للمنافي على سبيل الاختيار
لابد وان يكون له شعور بكونه منافيا فالادراك والغضب صفتان
من صفات شي واحد وكذا القول في الشهوه فثبت بهذا البرهان القاطع
ان الفكر والغضب والشهوه صفات ثلاثه لذات واحده لا انها صفات
متباينه الحجه الثانيه انا اذا فرضنا مبداين يكون كل واحد منهما
مستقلا بفعله الخاص امتنع ان يكون اشتغال احدهما بفعله الخاص
به مانعا للاخر من الاشتغال بفعله الخاص بذلك الاخر واذا ثبت هذا
فلو كانت القوه الفكريه مبدا مستقلا بنفسها وكذا القوه الشهوانيه والغضبيه

وجب ان لا يكون اشتغال القوه الغضبيه بفعلها مانعا للقوه الشهوانيه
من الاشتغال بفعلها ولا بالعكس لكن الثاني باطل فان اشتغال الانسان
بالشهوه وانصبابه اليها يمنعه من الاشتغال بالغضب والانصباب اليه
فعلمنا ان هذه الامور الثلثه ليست مبادي مستقله بانفسها بل هي
صفات لجوهر واحد فلا جرم كان اشتغال ذلك الجوهر باحد هذه
الافعال مانعا له عن الاشتغال بالفعل الاخر   الحجه الثالثه
انا اذا ادركنا شيا فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوه وقد يكون
سببا لحصول الغضب فلو كان الجوهر المدرك مغايرا للجوهر الذي يغضب
وللجوهر الذي يشتهي لكان ما ادرك صاحب الادراك لم يكن من هذا
الادراك اثر ولا خبر عند صاحب الشهوه ولا عند صاحب الغضب
فوجب ان لا يترتب على ذلك الادراك لا حصول الشهوه ولا حصول الغضب
وحيث حصل هذا الترتيب علمنا ان صاحب الادراك بعينه هو صاحب
الشهوه وهو صاحب الغضب فهذا جمله ما يحتج به على وحده النفس
واحتجوا على تعدد هذه النفوس فقالوا راينا النفس الشهوانيه حاصله
في النبات بدون النفس الغضبيه ورايتا النفس الغضبيه حاصله في
الحيوان بدون النفس النطقيه ثم راينا هذه الاثار الثلثه حاصله في
الانسان فعلمنا ان كل واحد من هذه الثلثه جوهر مستقل بنفسه منفرد
بذاته والجواب ثبت في اصول المعقولات ان الماهيات المختلفه
يجوز اشتراكها في اثار متساويه اذا ثبت هذا فنقول في الجايز ان يكون
النفس الانسانيه مساويه للنفس النباتيه في افعال التغذي والنمو وان
كانتا مختلفتين في الماهيه ومن الجايز ان يكون النفس الانسانيه مساويه
للنفس البهيميه في فعل الغضب وان كانتا مختلفتين في الماهيه وعلى هذا
يكون جوهر النفس الانسانيه واحده بالذات الا انها مبدا لافعال ثلثه

احدها النطق ولا يشاركها فيه ساير النفوس وثانيها الغضب ويشاركها
فيه البهيميه فقط والثالث الشهوه ويشاركه فيه البهايم والنبات فان
قالوا فالنفس الواحده كيف يكون مصدرا لافعال مختلفه قلنا لم لا يجوز
ذلك لا سيما عند حصول الالات المختلفه فهذا هو الباب المخلص في وحده
النفس وهو اقوى مما كتب جالنوس فيه المجلدات اما المقام الثاني في بيان
ان العضو الريس على الاطلاق هو القلب فنقول انا قد بينا فيما تقدم
ان المني اذا وقع في الرحم صار كالكره ويجتمع الاجزا الهوائيه والناريه
ويصير ماده للارواح ويجتمع الاجزا المائيه والارضيه ويحيط بتلك
الارواح ليكون صوانا لها والمانع لها من التحلل والتفشي وذلك الموضع
المبسوط الذي فيه اجتمعت تلك الاجزا اللطيفه والموضع الذي اذا تمت
خلقته كان قلبا فبهذا الطريق عرفنا ان اول عضو يتكون هو القلب واذا
كانت النفس واحده كان تعلقها الاول بواسطه القلب يسري اثره الى ساير
الاعضا فثبت ان العضو الريس على الاطلاق هو القلب هذا هو الكلام
المعول عليه في اثبات هذا المطلوب وهاهنا وجوه اخرى اقناعيه
رجوه ونحن نذكرها   الحجه الاولى   ان العقلا يجدون الفهم والادراك
والعلم من ناحيه القلب فعلمنا ان القلب محل العلم قال جالنوس مسلم ان
القلب محل للغضب فاما انه محل للعلم ممنوع وهو ان الغضب دافع
المنافي ودافع المنافي له شعور بكونه منافيا فوجب ان يكون القلب
محل العلم والشعور   الحجه الثانيه   ان النفس هي الحساسه المتحركه
بالاراده فاذا تعلقت النفس بالقلب فلا بد وان يفيض الحس والحركه الاراديه
فيكون القلب منبعا للحس والحركه الاراديه   الحجه الثالثه   ان الحس
والحركه الاراديه انما يحصلان بالحراره اما البروده فمعاوقه عنهما
والقلب منبع للحراره والدماغ للبروده فجعل القلب مبدا للحس والحركه

الارادية اولى من جعل الدماغ مبدا لها   للحجة الرابعة   كل احد اذا قال
انا فانه يشير بقوله انا الى صدره وناحية قلبه وايضا اذا قال الرجل العاقل
انا فعلت كذا وانا اقول كذا يضع يده على ناحية قلبه وهذا يدل
على ان كل احد يعلم بالضرورة ان المشار اليه بقوله انا موجود في القلب
لا في الدماغ   للحجة الخامسة   اظهر اثار النفس الناطقة النطق
فوجب ان يكون معدن النفس الناطقة هو الموضع الذي يبعث منه
النطق لكن النطق والكلام انما يبعث من القلب لان الصوت انما يتولد
من اخراج النفس وادخال النفس واخراجه فعل القلب وذلك لان المقصود
من ادخال النفس ترويح حرارة القلب والمقصود من اخراجه دفع الفضلة
المحترقة واذا كان ادخال النفس واخراجه مقصود للقلب بالذات
كان اسناد هذا الفعل الى القلب اولى من اسناده الى الدماغ الذي لا حاجة
به البتة الى النفس فثبت ان اخراج النفس فعل القلب والصوت انما يحدث من
اخراج النفس فثبت ان فاعل الصوت هو القلب   قال جالينوس الصوت
لا ينبعث من القلب بل من الدماغ ويدل عليه وجوه الاول ان الالة الاولى
للصوت هو الحنجرة بدليل انك اذا اخرقت قصبة الرية اسفل من الحنجرة
لم تسمع لذلك الحيوان بعد هذه الحالة صوتا فثبت ان الة الصوت هي
الحنجرة والحنجرة مولفة من ثلثة غضاريف وهذه الغضاريف تتحرك بعضلات
كثيرة وتلك العضلات انما تتحرك باعصاب نابتة من الدماغ فثبت ان فاعل
الصوت هو الدماغ   والثاني انا نرى عصب البطن يمتد عند التصويت
بالصوت العنيف واما القلب فانه لا يناله التعب عند التصويت
والثالث ان القلب اذا كشف عنه ثم قبض عليه لم يبطل من الحيوان صوته
وان كشف عن الدماغ ثم ضغط بطل في الحال صوت ذلك الحيوان فثبت
ان مبدا الصوت هو الدماغ لا القلب   والجواب انا بينا بالحجة

القوية ان مبدا الصوت هو القلب اقصى ما في الباب ان الدماغ يعين عليه
الا ان هذا لا يقدح في قولنا   للحجة السادسة   ان القلب موضوع
في موضع يقرب ان يكون وسط من البدن والعضو الرئيس يليق به ذلك حتى
يكون ما يشعب منه من القوى يصل الى جميع اطراف البدن على القسمة العادلة
والدماغ موضوع في اعلى البدن وذلك ينافي هذا المقصود   للحجة السابعة
ان الناس يصفون القلب بالذكا فيقولون قلب ذكي وقلب بليد قال
جالينوس الناس اذا وصفوا انسانا بان له قلبا قويا فمرادهم منه الشجاعة
واذا قالوا فلان لا قلب له فالمراد هو الجبن   والجواب ان هذا يدل
على ان القلب موضع الغضب وهذا لا ينافي ان يكون القلب ايضا موضع
الفهم والعلم والله اعلم   واحتج جالينوس على ان موضع الادراك هو الدماغ
بوجوه   للحجة الاولى   وهي ان الدماغ منبت العصب والعصب الة الادراك
وما كان منبتا لالة الادراك وجب ان يكون معدنا لقوة الادراك فهذه
مقدمات ثلثة المقدمة الاولى وهي ان الدماغ منبت للعصب والدليل عليه
ان الاعصاب الكثيرة انما توجد في الدماغ واما القلب فانه لا يوجد فيه
الا عصبة صغيرة وان كان كذلك وجب ان يكون الدماغ منبتا للاعصاب
واما المقدمة الثانية وهي ان الاعصاب الات الحس والحركة فالدليل عليه انك اذا
كشفت عن عصبة وشددتها وجدت ما كان اسفل من موضع الشد فانه يبطل
عنه الحس والحركة وما كان اعلى   مما يلي جانب الدماغ لا يبطل عنه
قوة الحس والحركة وهذا يدل على ان الة الحس والحركة هو العصب واما
المقدمة الثالثة وهي انه لما كان الدماغ منبتا لالة الحس والحركة وجب
ان يكون معدنا لهما فالدليل عليه انه اذا كان قوة الحس والحركة انما تصل
من الدماغ الى جميع اطراف البدن بواسطة هذه الاعصاب النابتة من
الدماغ فثبت ان المنبع والمعدن لهذه القوة هو الدماغ واعلم ان اصحاب

ارسطاطاليس اجابوا عن هذه الحجة من وجهين الاول قالوا لا نسلم ان الدماغ
منبت العصب اما دليل جالينوس على ذلك هو ان الاعصاب كثيرة وقوية
عند الدماغ وقليلة وصغيرة عند القلب فقد اجابوا عنه من وجهين
الاول ان هذه المقدمة الواحدة غير منتجة للمقصود بل لا بد من ضم
مقدمة اخرى اليها وهي ان القوة الكثيرة انما تكون عند المبدا والصغر والقلة
عند غير المبدا الثاني ان هذه المقدمة غير برهانية بل هي منقوضة من وجوه
الاول ان العصبة المجوفة تكون دقيقة عند المنبت فاذا دخل الموضع
الذي يكون التحريك فيه يغلظ تلك العصبة ويتسع وهذا نقض على هذه
المقدمة الثاني ان الحبة التي منها تتولد ساق الشجرة تكون اصغر بكثير من
ساق الشجرة فلم لا يجوز ان تكون العصبة الصغيرة التي في القلب تكون
كالحبة التي منها يتشعب الاعصاب الكثيرة في الدماغ الثالث لو صح
دليل جالينوس لوجب ان يقال ان مبدا العروق الضوارب هي النسجة
الشبيهة بالشبكة التي في الدماغ لا القلب لان في تلك النسجة من
العروق الضوارب عددا لا يحصى وهو في غاية المشابهة بعروق الشجرة
الوجه الثاني في الجواب سلمنا ان الكثرة والقوة لا تحصل الا عند المبدا
لكن لا نزاع ان القلب منبت للشرايين من جنس اجرام الاعصاب فيمكن
ان ينبت الاعصاب منها انما قلنا ان العروق من جنس الاعصاب وذلك
لان اجرام العروق تتفرق وتنقسم الى الشظايا الكثيفة التي لا حس لها وهي
بيض لانه عديمة الدم صلبة غير حساسة في نفسها والاعصاب كذلك في
جميع الصفات والدليل على ان الاعصاب غير حساسة في نفسها انك اذا
شددت العصبة برباط شدا قويا صار ما هو اسفل من موضع الشد
عديم الحس وذلك يدل على ان العصب غير حساس في نفسه وانما يجري
اليه الحس من موضع آخر فثبت ان العروق والاعصاب متشاركة في هذه

الصفات والاحوال فعلمنا ان العروق والاعصاب من جوهر واحد اذا ثبت
هذا فنقول لم لا يجوز ان يقال ان هذه العروق الضوارب لما انقسمت
وتشعبت دقت وصغرت وتعلقت من الدماغ التف بعضها على البعض
وانضمت اجزاوها واتصلت فصارت على شكل الاعصاب وتحقيق القول
فيه ان هذه الشرايين حين ما انفصلت عن القلب كان يحتاج اليها لتكون حاملة
للدم والروح الى جوهر الدماغ فلما صغرت وتعلقت في جوهر الدماغ
وحصل هذا المقصود حصل الاستغنا عنها فلا جرم صرفت الى
غرض اخر وهو ان ازيل عنها وصف التجويف وانضمت تلك الشظايا
بعضها الى بعض وصارت على اشكال الاعصاب فبهذا الطريق صارت
العروق اعصابا ولما كان منبت العروق هو القلب لا جرم كان منبت
الاعصاب ايضا هو القلب بهذا الطريق اجاب جالينوس عن هذا الكلام
من وجهين الاول قال الدليل على ان الاعصاب ليس من جنس العروق وجوه
الاول ان الشرايين نابضة والاعصاب ليست نابضة الثاني ان الشرايين
مجوفة والاعصاب ليست مجوفة الا القلب والثالث ان الشرايين محتوية
على الدم بدليل انها اذا انثقبت جلب ذلك الثقب على صاحبه من انفجار الدم امرا
صعبا والعصب كله لا دم له والرابع ان الشرايين مولفة من طبقتين
احدهما يتخلل الى اجزا ذاهبة في العرض على الاستدارة والاخرى يتخلل الى
اجزا تذهب على الاستقامة في الطول واما العصبة فهي يتخلل الى كواسر
عديم الدم ذاهب على الاستقامة في الطول والخامس انك اذا شددت
العصبة حصل عدم الحس والحركة الارادية ولا يبطل منه حركة النبض وان
شددت الشريان بطل النبض ولم يبطل الحس والحركة والسادس ان العصب
قد يمسك عن فعله كثيرا والشريان فعلها فعل دائم فثبت بهذه الوجوه ان
الشرايين ليست من جنس الاعصاب الوجه الثاني من الجواب عن هذا الكلام

قال ان اصل الشرايين المتولد من القلب ينقسم الى قسمين قسم يصعد الى جانب
الرأس وقسم ينزل الى اسفل البدن والقسم النازل الى الاسفل لا شك انه ينقسم
ويتفرق الى العروق الدقاق ثم انها بعد دقتها صارت اعصابا فوجب ان
يكون الحال كذلك في الشرايين الداخلة في الدماغ اجاب اصحاب ارسطاطاليس
فقالوا اما الجواب الاول فضعيف لان الصفات المذكورة للشرايين انما تكون
باقية قبل نفوذها في جوهر الدماغ ثم قلتم ان هذه الصفات تبقى والذي يدل
على ان الروح الدماغي لا شك انه كان متولدا في القلب ثم انه تصاعد عن القلب
وبقي في الشبكة المتولدة تحت الدماغ مدة ثم انه ينفذ في الدماغ فحدث له حال
كونه في الدماغ احوال وصفات ما كانت حاصلة حين كانت في القلب فلم لا يجوز
ان يكون الحال في الشرايين كذلك وهو ان الصفات المذكورة للشرايين كانت حاصلة
لها قبل نفوذها في جرم الدماغ اما بعد نفوذها في جرم الدماغ وتقسيمها
وتصغرها في الغاية اثر فيها جرم الدماغ وقلبها عن طبايعها فصارت في الصورة
والخلقة شيئا اخر فهذا الاحتمال لا يبطل بما ذكره جالينوس واما جوابه الثاني
فهو ايضا ضعيف وذلك لان الروح القلبي لما صعد الى الرأس في الشرايين
الصغيرة وصعد الى اسفل البدن في الشرايين الصغيرة ثم ان الجزء الصاعد الى الرأس
تغير عن حالته بسبب اختلاطه بجرم الدماغ والجزء النازل الى الاسفل لم يتغير
عن حالته البتة فلم لا يجوز ان يكون الحال في اجرام الشرايين كذلك فهذا تمام
الكلام على حجة جالينوس على ان الدماغ منبت العصب واحتج ارسطاطاليس
على ان منبت العصب هو القلب فقال الحركة الارادية لا بد وان تكون بالة
صلبة قوية والدماغ ليس له شيء من الصلابة والقوة واما القلب ففيه
انواع من الصلابة منها ان جرمه قوي شديد صلب اصلب من ساير
اللحوم ومنها ان فيه من الرباطات العصبية مقدارا كثيرا ومنها انه بسبب
كثرة حركته لا بد وان يكون اقوى جرما واذا كان كذلك كان جعل القلب

منبتا للاعصاب التي هي الالات للحركات القوية اولى من جعل الدماغ منبتا
اجاب جالينوس عنه من وجهين الاول انه بنى كلامه على المقدمة
القياسية والحس دل على ان المنبت هو الدماغ والقياس المعارض
للحس لا يلتفت اليه والثاني ان المتولي لتحريك الاعضاء ليس هو العصب
فقط بل العضل والعضلات مركبة من الاعصاب والرباطات والاغشية
واللحوم وهي مستندة الى الاعضاء والاعصاب تفيدها الحس والقوة
على الحركة واما ما يختلط بها من الرباطات والاغشية فيفيدها الشدة
والقوة والامن من الانقطاع وعلى هذا التقدير لا يمتنع كون الدماغ
منبتا للاعصاب اجاب اصحاب ارسطاطاليس عن الاول بان الحس
لم يدل الا على كثرة الاعصاب وقوتها عند الدماغ وقد بينا ان هذا القدر
لا يدل على كون الدماغ منبتا للاعصاب واما الثاني فضعيف ايضا
لان جالينوس استدل بغلظ العصب وكثرته على تولده منه وارسطاطاليس
عارض هذا فقال ان كان هذا الوجه يدل على قولكم لكن كون الدماغ
لينا والعصب قويا علكا يمنع من تولده منه بل كون العصب قويا صلبا
مع كون القلب قويا صلبا يدل على ان العصب اصل نابتا من الدماغ نابتا من
القلب فسقط كلام جالينوس بالكلية والله اعلم النوع الثاني من الجواب
عن شبهة جالينوس سلمنا ان الدماغ منبت للعصب الذي هو الة الحس
والحركة لكن قلتم انه يلزم من هذا كون الدماغ معدنا لقوة الحس والحركة
بيانه انه لا يبعد ان يكون قوة الحس والحركة لا ان الدماغ يرسل الى القلب
الات منه ليستفيد بتلك الالة قوة الحس والحركة من القلب واذا كان هذا
الاحتمال قائما سقط كلام جالينوس بالكلية والله اعلم الحجة الثانية
لجالينوس على ان معدن القوة المدركة هو القلب وهذه الحجة احسن دلائله انه
لو كان قوة الحس والحركة الارادية تنفذ من القلب الى الدماغ لكنا اذا شددنا

على العصبة بخيط شدا قويا وجب ان يبقى الحس والحركة في الجانب الذي يلي
القلب وان يبطل من الجانب الذي يلي الراس لكن الامر بالضد فعلمنا ان
قوة الحس والحركة تجري من الدماغ الى القلب ولا تجري من القلب الى الدماغ
وهذه الحجة لا يحتاج فيها المقدمات الكثيرة المذكورة في الحجة الاولى والجواب
لم لا يجوز ان يقال الروح القلبي يكون في غاية الحرارة واذا كان بينه وبين
الدماغ منفذ مفتوح وصل تبريد الدماغ اليه فلا جرم لم يبق مستعد
القبول قوة الحس والحركة فبطلت هذه القوة من الجانب الذي يلي القلب
وانما لم يبطل من الجانب الذي يلي الراس لان الشرايين في الدماغ كثيرة جدا
وكلها مودية اليه قوة الحس والحركة والله اعلم   الحجة الثالثة لجالينوس
قال الحكماء والاطباء اتفقوا على ان الحامل لقوة الحس والحركة جسم لطيف
نافذ في الاعضاء هو الروح واذا كان كذلك فالدماغ بكونه مبدا لهذا الروح
اولى من القلب وذلك لانا نجد في الدماغ مواضع خالية واما القلب
فليس كذلك اما التجويف الايمن منه فمملوء دما انما الشبهة في
التجويف الايسر فانه يعتقد فيه انه مملوء من الروح قال جالينوس وليس
الامر كذلك فان القلب اذا كشف عنه وابرز من غير ان يثقب ويخرق
اغشيته لم يمت الحيوان بسبب ذلك حتى انه يمكنك ان يلبث مدة طويلة
تلمسه بيدك وتنظر اليه بعينك وهو مكشوف فتعرف كيف ينبض وتعلم ان
نبضه عند ذلك كما لم يزل ينبض قبل ان يكشف عنه ولكن بشرط ان يقع هذا
التشريح في موضع لا يكون هواه باردا لكيلا يبرد القلب فانه لو برد
صار النبض حينئذ ضعيفا بطيا متفاوتا اذا عرفت هذا فنقول اذا
ثقبنا التجويف الايسر في هذه الحالة سال في الحال دم ولو كان هذا التجويف
مملوا روحا لوجب ان لا يسيل منه البتة الدم ولو كان هذا التجويف من
بعضه روح وفي بعضه دم لوجب ان يخرج الروح اولا ثم يسيل الدم

بعده فكان يجب ان لا يسيل الدم في الحال على هذا التقدير فلما سال الدم في
الحال علمنا ان التجويف الايسر مملوء من الدم وايضا الحيوان الذي مات يحلل
في التجويف الايسر من تجويفي قلبه علق الدم واما الدماغ فان جرمه مزرد
فلا يمنع ان يحصل في تلك الغضون اجزا الروح والجواب هذه الحجة في غاية
الضعف وذلك لان هذا الكلام ان صح فهو يقتضي ان لا يكون في القلب
روح اصلا وجالينوس لا ينازع في كون القلب معدنا للارواح الحيوانية
وسلم ان الروح الحيواني يصعد من القلب الى الدماغ ويصير هناك روحا
نفسانيا   الحجة الرابعة لجالينوس ان العقل اشرف القوى فيكون مكانه
اشرف واشرف الامكنة اعلاها فوجب ان يكون مكان العقل هو الدماغ
وهو بمنزلة الملك العظيم الذي يسكن القصر العالي وايضا الحواس محيطة
بالراس فكانها خدم الدماغ واقعة حوله على مراتبها وايضا محل الراس من
البدن محل السماء من العالم وكما ان السماء منزل الروحانيات فكذا الدماغ
وجب ان يكون مسكنا للعقل والجواب ان ما ذكرناه من البراهين لا يعارضه
هذه الاقناعيات فهذا اخر الكلام المنقح في هذه المسئلة وكنت قد
طالعت كتاب آرا ابقراط وافلاطون وهو كتاب طويل والمقصود منه هذه
المسئلة فبحثت في ابحاثه وضممت اليه اشيا اكثر من المعقولات ثم
خفت من ان يضيع ذلك مني فكتبته في هذا المكان لئلا يضيع وبالله التوفيق
المسئلة الثانية في شرح احوال القلب الذي يدل على شرف القلب
وجوه الاول ان المقصود من خلق الانسان اشتغاله بمعرفة الله تعالى
وخدمته وذلك لانه تعالى قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فبين ان
المقصود من الخلق هو العبادة ثم قال في اية اخرى المقصود من العبادة
هو المعرفة اما المعرفة فقوله لموسى عليه السلام اقم الصلاة لذكري واما
الاخلاص فلقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فظهر

ان لب اللب ومقصود المقصود انما هو معرفة الله تعالى ثم انك قد
عرفت ان محل هذه المعرفة هو القلب فحينئذ ظهر ان المقصود من خلق
العالم هو القلب لكن الحاصل انه ثبت في الروايات ان اول ما خلق الله
جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم سلط الحرارة عليها فارتفع
زبدا وعلاه دخان فخلق الارض من الزبد والسموات من الدخان فنقول انه
تعالى خلق تلك الجوهرة شيئا واحدا وسله من العدم الى الوجود فكل
ما وجد من المخلوقات فهو سلالة المعدومات ثم سل من ذلك المخلوق الارض
لانه قال كانتا رتقا ففتقناهما وهذا هو السلالة الثانية ثم سل من الارض
قبضة قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وهذا هو السلالة
الثالثة جسد ادم قلبه فكان هذا هو السلالة الرابعة ثم جعل القلب
سر سر المعرفة فظهرت تلك الحكمة المطلوبة في رابع السلالات ليعلم انه
الشيء المعظم من جميع المخلوقات وعند هذا ظهر ان جسم الانسان منقسم
الى قسمين الى الهيكل الظاهر والى المضغة الباطنة وهي القلب الذي هو
سر سر معرفة الله تعالى فالقلب تبع الهيكل الظاهر في الصورة والهيكل
الظاهر تبع القلب في المعنى ولما جعل الهيكل الظاهر تبعا للمضغة
الباطنة علم انك ما خلقت لاجل هذا الظاهر بل لاجل ان تطلب عن هذا
الظاهر باطنا ومن هذا الشاهد غائبا ومن هذا المحسوس معقولا فظهر
بما قلنا ان المقصود الكلي هو القلب وحصته هو كل البدن وحصة
البدن هو كل الارض وحصة الارض هو كل السموات وحصة السموات
عالم الممكنات والكل مسخر في قبضة قدرته ونفاذ الهيبة اذا عرفت
هذا فنقول القلب له في القران اسمان احدهما القلب والثاني الفواد
قال تعالى كتب في قلوبهم الايمان لهم قلوب لا يفقهون بها وقال ان السمع
والبصر والفواد كل اولئك كان عنه مسؤلا وقال وافئدتهم هواء وقال

تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة ثم نقول يحتمل ان يكون الفواد
اسما لجميع هذه المضغة والقلب يكون اسما لجزء مخصوص منه ونسبته
الى كل هذه المضغة كنسبة العين الى الهيكل الظاهر والشيء يكون اسما للشيء
الذي نسبته الى عين هذه المضغة كنسبة النقطة الناظرة الى العين وتلك النقطة
هي المسماة بسويداء القلب فهذه السويداء بالنسبة الى العين الباطنة كسواد
العين بالنسبة الى العين الظاهرة والسبب في ان الابصار الظاهر تحصل
بالسواد والبصيرة الباطنة تحصل بالسويداء وجهان الاول ان الابصار
يجري مجرى النور والسواد من جنس الظلمة فالسواد والابصار كالمتضادين
واظهار احد الضدين من الاخر ادل على القدرة والحكمة الثاني ان يكون
تنبيها على فوقيته بتدا يظهر نور الوجود من ظلمات العدم بايجاد الحق سبحانه
وتعالى فكذلك في الابتداء اظهر نور البصر والبصيرة من ظلمات سواد العين
وسويداء القلب ليكون المبدأ والغاية دالين يتقارن الاحوال وشواهد
المقال على تحقيق قوله فالق الاصباح وعند هذا ظهر ترتيب عجائب الظاهر
والباطن اما الظاهر فاوله الهيكل الظاهر ثم العين ثم الناظرة ثم النور
الباصر الموجود في النقطة الناظرة واما الباطن فالفواد هو اسم لتمام هذه
المضغة ثم القلب ثم النقطة الناظرة وهي سويداء القلب ثم نور البصيرة اذا
عرفت هذا فنقول ان الابصار في عالم الظاهر يتوقف على شرائط وتلك
الشرائط بعينها معتبرة في ادراك البصيرة الشرط الاول الابصار ان لا يكون
المبصر في غاية الجلاء كالشمس فان العين تتحير فيها فلا تقدر على ابصارها
بالتمام والكمال واما الذي في غاية الخفاء فكالذرة فكذا العقل مدركات
هي في غاية الجلالة والعظمة ومدركات هي في غاية الخفاء والصغر اما
الاشياء التي هي في غاية الجلاء والاشراق فهو جلال الله تعالى وكبريائه
وغاية عظمة الارواح العالية المقدسة فنور سويداء القلب يحترق في هذه

للحضرة فلا يصل اليها والاليه الاشاره بقوله من قال سبحان من احتجب عن العقول
بشدة ظهوره واختفى عنها بكمال نوره واما الذي في غاية الخفا فكتفاصيل
الاحوال وحركات المحدثات اما تفاصيل الاحوال بقوله وننشئكم
فيما لا يعلمون فان النطفه في حين ما يقع في الرحم الى ان ينفصل الجنين
لها في كل لمحة حاله وفي كل لحظه صفه لان التفاوت بين كل لحظتين مما
لا يصل اليه عقول البشر واما جريان المحدثات فهو انه تعالى لما ذكر
من الحيوانات الانعام فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ثم قال بعده والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ثم قال ويخلق
ما لا يعلمون والمعنى انه لا يمكنكم ان تحيطوا علما بتفاصيل جميع
احوال الحيوانات لكثرتها واختلاف احوالها وبالجمله فالعقول قاصره
عن معرفة الاوايل والاواخر ونظيره ان العقول متحيرة في ميدان الخلق
والايجاد وفي منتهى الاعلام والافنا بل العقول لا سبيل لها الى معرفة
الازل والابد فان كل ما يستحضره في ذهنه يكون متوسطا بين الازل
والابد ولو انه بقي الى قيام القيامه يتقدم الى ما قبل ويتاخر الى ما بعد
لم ير نفسه الا في المتوسط بين الازل والابد ويرى حقيقة الازل والابد
منزهة عن لواحق الانظار وعلايق الافكار وتمام هذا الكلام سياتي
في باب الصفات في تفسير القدم والبقا وشرح كونه اولا واخرا ان شاء الله
الشرط الثاني ان المبصر اذا كان حاضرا فما لم يحرك الانسان
حدقته من جانب الى جانب تحريكات كثيرة فانه لا يرى المبصر فكذا الفواد
ما لم يحرك عينه من معقول الى معقول لا يمكن من ابصار المطلوب وتلك
التحريكات هي المسماه بالفكر والرويه والنظر وكما ان نظر العين عبارة عن
تقليب الحدقة من جهة الى جهة طلبا لرؤية المرئي فكذا نظر القلب عبارة عن
تقليب حدقة القلب من جانب الى جانب طلبا لادراك المعقول والشرط

الثالث ان القوه الباصره لا يمكنها ادراك المبصرات الا عند صيرورة
الهوا مضيا بسبب طلوع الاشيا النيرة فكذا العقل لا يقدر على الابصار
الا عند طلوع الاشيا النيرة ثم نيرات العالم الجسماني اربعة الشمس والقمر
والكواكب ثم النار فكذلك نيرات العالم الروحاني اربعة اولها نور جلال الله
كما قال تعالى واشرقت الارض بنور ربها وهي بمنزلة الشمس وكما لا يستطيع
ابصار الخفافيش مطالعة قرص الشمس فكذلك لا يستطيع ابصار الارواح
البشرية مطالعة نور الجلال وهذه المرتبه بمنزلة الشمس والمرتبة الثانيه
منزلة انوار الارواح العلويه الروحانية الكروبية كما قال ينزل الملائكة
بالروح من امره على من يشاء من عباده وقال نزل به الروح الامين على قلبك
واكابر الانبيا والصديقين هم الذين يطيقون مطالعة هذه الانوار قال تعالى
في واقعه وانه هو رب الشعرى وقال في واقعة الخليل فلما جن عليه الليل راى
كوكبا وهذه المرتبه بمنزلة القمر وكما ان القمر تاره يكون بدرا يضي للعالم
اضاءة كاملة وتاره يكون هلالا دقيقا يظهر قليلا ثم يخفى فكذا الارواح
العلويه قد يكون عظيمة الاضاءة والانارة كقوله ومن عنده لا يستكبرون
عن عبادته وقوله يستغفرون للذين امنوا وتاره يكون كالهلال الضعيف وهو
قوله وكم من ملك في السموات والارض لا تغني شفاعتهم شيئا والمرتبة الثالثه
انوار الارواح السفليه وهم الصديقون الملازمون لعتبة جلال الله المعتكفون
في حظاير قدس الله استنارت ارواحهم فانارو ارواح غيرهم وهذه المرتبه
بمنزلة الكوكب وكما ان الكوكب قد يكون في العظم الاول دريه متلاليه
كما قال تعالى كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة وقد يكون ضعيفا جدا
كالسهى وامثاله فكذا الارواح السفليه منها ما يكون قوية ومراتبها
اربعة اولها الذين يكونون في العظم الاول وهي روح الخليل والكليم والروح
الحبيب صلوات الله عليهم فان ارواح الخلق يهتدي بانوار هذه الارواح السفليه

الثانية انها ارواح قدسية قريبة الدرجة من الارواح العلوية ولهذا قال تعالى
يا ايها الناس قد جاكم من الله نور وكتاب مبين ‌ كما ان القافلة في الكواكب
قوله وعلامات وبالنجم هم يهتدون فلذا دعوة الانبيا عليهم السلام
نورانية تهتدي بها في ظلمات بر الشبهات وبحر الشهوات قال تعالى وانك اعلام صح
لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض
الا الى الله تصير الامور ‌ وثانيها الذين يكونون العظم الثاني وهي الارواح
اولوا العزم كما قال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ‌ وثالثها
ارواح المرسلين وهم ثلثمايه وثلثه عشر وهاولاي هم الذين يكونون في
العظم الثالث من الكواكب ‌ ورابعها ارواح جملة الانبيا عليهم السلام
وهم كما يقال مايه الف واربعة وعشرون الفا وهاولا هم الذين يكونون
في مرتبه العظم الرابع من الكواكب ثم بعد هذا مراتب المومنين وهي
ثلثة السابقون والمقتصدون والظالمون كما قال تعالى ثم اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات فالسابقون هم الاوليا كما قال تعالى الا ان اوليا الله لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والمقتصدون هم العلما قال تعالى لعلمه الذين
يستنبطونه منهم والظالمون هم العوام ‌ ولكل واحد من هذه الارواح
اثر ونور فاذا اتصلت صارت كالمراه المتحاذيه فينعكس انوار
بعضها الى بعض فيصير كل واحد منها مكمله للاخر من وجه ومستكمله
به من وجه ولهذا السبب كان احد مقامات الصديقين الحب في الله
والمرتبه الرابعه من نيرات العالم الروحاني العقل وهو بمرتبه من مرتبه
النار في عالم الجسمانيات واعلم ان نور العقل له عيوب كثيرة كما
ان نور النار له عيوب كثيره فالاول كما ان نور النار ممزوج
بدخان كثير يسود الثوب ويجفف الدماغ فكذا نور العقل ممزوج

بدخان الشبهات وذلك الدخان تاره تسود ثوب العبوديه بلطخه
التشبيه والتعطيل واخرى يجفف الدماغ البشريه فيلقي صاحبه في وهم
الحلول والاتحاد ‌ والثاني ان نور السراج فيه اشراق وفيه احراق
فكذا نور العقل فيه اشراق وفيه احراق اما اشراقه وهو التفكر في
غير الله ليستدل به على جلال عظمة الله واما الاحراق فهو التفكر في
جلال الله فلهذا السبب قال عليه السلام تفكروا في الخلق ولا تفكروا في
الخالق ‌ والثالث ان نور السراج ينطفي بادنى ريح فكذا سراج نور العقل
ينطفي بادنى شبهة فلهذا السبب قال لمحمد صلى الله عليه وسلم ولولا ان
ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا ‌ وقال الخليل عليه السلام ربنا واجعلنا
مسلمين لك ‌ وقال يوسف الصديق توفني مسلما ‌ وقال سليمن وادخلني
برحمتك في عبادك الصالحين ‌ وقال الكليم رب اشرح لي صدري ‌ وقال عيسى
ربنا انزل علينا مايده من السما ‌ وتلك المايده مايده الهدايه والمعرفه
الرابع ان السراج انما يضي اذا وضع في بيت صغير فاما اذا وضع في
صحرا واسعه فانه يقل ضوءه فكذا سراج العقل انما يظهر نوره اذا وضع
في بيت البدن كما قال وفي انفسكم افلا تبصرون فان هذا البيت بيت
صغير مختصر الا ترى ان سراج العقل لما وضع في ميدان الارواح
انطفي ولم يظهر له لمعان وشروق كما قال تعالى ويسلونك عن الروح قل
الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ‌ فاذا كان حاله في ميدان
الارواح كذلك فاعرف انه كيف يكون حاله في صحرا جلال الانوار الصمديه
وفضا كمال الاسرار الالهيه التي تقدست عن ان يكون لها بدايه ونهايه او مقطع
وغايه ‌ الخامس ظهور نور السراج مشروط بان يكون بينه وبين قرص الشمس
حايل اما اذا وضع في مقابله قرص الشمس انطفي فكذلك العقل انما يضي
فيما ورا حجب الغيب وعالم انوار الصمديه واما اذا ازيل الحجاب وتجلت

الانوار انطفى نور العقل ولهذا قال لموسى عليه السلام اخلع نعليك انك بالوادي
المقدس طوى فقوله اخلع نعليك اشاره الى تلاشي قوه العقل واضمحلالها
وقوله انك بالوادي المقدس طوى اشاره الى تجلي لمعان انوار العظمه والكبريا
السادس نور السراج وان طال بقاؤه لكنه بالاخره ينطفي اوان استمر
لكنه تطلع الشمس فيبطل ضوؤه لا محاله فكذا نور سراج العقل اما ان ينطفي
لطوفان الغفلات والشهوات وان بقي الى اخر العمر لكنه اذا انقضى ليل
الحيوه الدنيويه وتجلى نهار عالم الاخره وانكشفت السرائر وتجلت الضماير
لم يبق لسراج العقل نور ولا قوه البته فهذا هو شرح نيران عالم الروحانيات
الشرط الرابع للابصار القلب انه كما ان انتفاع البصر بنيران
عالم الجسمانيات يتوقف على امور فكذلك انتفاع البصيره بنيران عالم
الروحانيات تتوقف على مثل تلك الامور وبيانه ان ابصار الاشيا ورؤيتها
يختلف بالكمال والنقصان فتاره يرى الانسان رؤيه تامه وتارة يرى رؤيته
ناقصه وسبب هذا التفاوت اما ان يكون عايدا الى ذات القوه الباصره
او الى امور خارجه عنها فكذا ادراكات البصيره قد تختلف بالكمال
والنقصان وذلك التفاوت قد يكون بسبب عايد الى ذات البصيره وقد يكون
بسبب امور خارجه عنها اما العايد الى ذات البصير فهو على وجهين الاول
اختلاف جواهر الارواح قال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم
وال عمران على العالمين وهذا يدل على ان ارواح هذه الشعبه من معشر البشر
وجنس الانس مخصوص بمزيد القوه تاره بالنبوه وتاره بالخلافه وقال تعالى في
صفه عيسى فنفخنا فيها من روحنا وقال في وصف محمد صلى الله عليه وسلم علمه
شديد القوى ثم ترقى من تعليم الملك الى تعليم الملك فقال الرحمن علم القران
ثم انتقل من خطاب الغيبه الى خطاب الحضور فقال وعلمك ما لم تكن تعلم
قال تعالى في حق جميع الانبيا على العموم الله اعلم حيث يجعل رسالاته

يطلع

مختلف باب

ولعلاله والرخصة وتارة
بطون اثار تلك القوة

وقال عليه السلام الارواح جنود مجنده وقال عليه السلام الائمه من قريش
وهو اشاره الى اختصاص هذه الشعبه بمزيد قوه نفسانيه روحانيه فلما لم
يظهروا اثر تلك القوه بالنبوه بعد محمد صلى الله عليه وسلم فلا بد من ظهور
اثرها بقوه الخلافه والرياسه وكل ذلك يدل على اختلاف الارواح في ماهياتها
فمنها ما يكون في غايه النزاله والدناة ومثاله في عالم الجسمانيات الابصار
فمنها ما يكون في غايه القوه كزرقا اليمامه ومنها ما يكون في غايه الضعف
وهذا الاستعداد الذاتي لا سبيل البته الى تبديله والثاني اختلاف جواهر
الارواح بسبب الصفات العرضيه التي تقبل العلاج ومثاله في الجسمانيات
انه قد يكون بصر اضعفا اضعف من بصر لا لاجل النخلقه الاصليه بل
لسبب رمد عرض له فاورث ضعفه او لسبب انه استعمل كحلا قويا
فافاده ذلك الكحل في تلك الساعه زياده قوه فكذا الارواح تعرض لها عارض
فيحصل فيه نوع من الكلال بسبب ذلك العارض والى الاشاره بقوله عليه السلام
انه ليغان على قلبي وهذا النوع من التفاوت قد يطرى وقد يزول واما
التفاوت الحاصل بسبب الامور الخارجيه فهو انواع السبب الاول
حصول الاشتغال بغير الله ومثاله في عالم المحسوسات ان من شغل حدقته بالنظر
الى شي كان نظره اليه مانعا من ابصار غيره ثم كلما كان التحديق اليه اشد واكمل
كان الحرمان عن ابصار الثاني اشد واكمل فكذا عالم الروحانيات على هذا
القياس كلما كان اشتغال القلب بغير الله اشد واكمل كان حرمانه عن الاطلاع
على انوار جلال الله اشد واكمل ولهذا المعنى حكم تعالى بوقوع المنافاه بين
الامرين فقال كلا بل تحبون العاجله وتذرون الاخره وقال في ايه اخرى
وتحبون المال حبا جما وقال وانه لحب الخير لشديد وقال زين للناس حب
الشهوات من النسا وقال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئه ثم اذا انصفنا
علمنا انا كالمعذورين في حب الدنيا وكيف لا نحبها ونحن انما خلقنا منها

وانما ان تضعنا من طعامها وشرابها وانا تربينا على ظهرها وانما الفنا
وشاهدنا احوالها ولو اتفق لبعض الخلق على سبيل الندرة اطلاع على شي
من الروحانيات فذاك انما يكون بعد استحكام الالف بالدنيا فمع هذه
الاسباب القوية كيف ينفك القلب الا ينازع عن محبة الدنيا اليس انه عليه السلام
قال جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها فانظر الى
الدنيا كم انتفعنا بطعامها وشرابها وانهارها واشجارها ولذاتها وطيباتها
واذا كان كذلك فلا محالة نكون مجبولين على حبها اذا عرفت هذا فنقول
كل من احب شيئا نظر اليه بكل عينيه ومن نظر الى شي بكل عينيه لم يرى غيره
وايضا اذا كنت محبا الشي عميت عن رؤية معايبه وصرت مشتغلا برؤية
محاسنه وفضائله وايضا اذا استحكمت تلك المحبة امتلا القلب منها
والظرف اذا امتلا من شي لم يتسع لغيره فهذه قلوب لا يدخل فيها محبة الله تعالى
واليه الاشارة بقوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
وقال تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون وذلك لانه كانت قلوبهم مملوة
من حب الدنيا فما كان ينتفعون بما يرون ويسمعون ويتكلمون ثم
ان هذه الحالة كلما كان دوامها اكثر كان استحكامها اشد وهو
مرض القلب كما قال تعالى في قلوبهم مرض والمرض ما لم يكن مستحكما
فانه يرجى علاجه فاذا استحكم وصار لا يقبل العلاج قرب من الموت
واليه الاشارة بقوله تعالى انك لا تهدي من احببت وبقوله ان الذين
كفروا سوا عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وعند هذا يظهر ان
الكل منه وان الخير والشر بتقديره وقضائه وهاهنا سوالات السوال
الاول اذا استحكم مرض الجسم بحيث لا يرجى علاجه سقط الخطاب
فاذا استحكم مرض القلب فلم لا يسقط الخطاب والجواب عدم
سقوط الخطاب في هذه الحكمة انما كان حتى يعلم الانسان قبل انتهائه

الى هذه الحالة انه لو لم يعلم يشتغل بالعلاج قبل الانتها الى هذه الحالة فانه
سينتهي الى هذه الحالة وعند انتهائه الى هذه الحالة لا يمكنه العلاج
ولا يسقط عنه ايضا الخطاب فلا جرم لاجل الخوف من هذه الحالة يشتغل
بالتوبة وبالعلاج قبل الانتها الى هذه الحالة ثم ان هذه المرتبة لما لم تكن محدودة
كان هذا الخوف حاصلا عند الاقدام على كل ما كان ذنبا فكانت التوبة
حاصلة عند جميع الذنوب السوال الثاني انكم ذكرتم انا مجبولون على
حب الدنيا وذكرتم ان حب الدنيا يورث الاعراض عن الاخرة ثم انا مع ذلك
امرنا ببغض الدنيا وحب الاخرة فكيف يجتمع هذا مع قوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها والجواب يظهر منه ان العبد لا قدرة له على الوفا بهذه
الطاعة الا بفضل المولى واعانته والا بان يجذبه من التوغل في حب الدنيا الى حب
المولى فلهذا السبب امره الله تعالى ان يقول كل يوم مرات اياك نعبد واياك
نستعين وجا في الاخبار المتواترة فضل عظيم في قوله لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم السوال الثالث اليس الدنيا ام حاضنة
فما السبب في ان الله تعالى اوجب بغضها والجواب حبها مانع عن حب الله تعالى
وهذا كما انه فرض بغض الابوين الكافرين وعصيانهما عند دعوتهما
الولد الى الكفر قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي شيئا فلا تطعهما
السوال الرابع ما علامة رجحان حب المولى على حب الدنيا والجواب
ترجيح المحبة على المحبة انما يظهر باحد امرين احدهما قدر الحزن عند الفوات
والثاني قدر السرور عند الوجدان واعلم انه ما لم يترجح حب الله على حب
الدنيا فلا ايمان واذا حصل الرجحان فلا يطيب الايمان الا عند زوال العارض
من كل الوجوه وعلامة ذلك ان لا يخطر الدنيا بباله الا عند الحاجة اليها
كانها شربة ما او مدرة استنجا السبب الثاني لحصول التفاوت
في هذه الانوار الروحانية طيب الغذا وخبثه قال تعالى يا ايها الرسل كلوا من

الطيبات وقال تعالى ويحرم عليهم الخبائث والسبب فيه ان الغذا يصير جزءا
من البدن ومن القلب ولا شك ان الذى يصير جزءا من الشى يختلف حال ذلك الشى
بسبب اختلاف حال هذا الذى يصير جزءا له فالبيت ان طينته بالطين
الكدر جا كدرا وان طينته بالجص الابيض جا صافيا نورانيا واذا اختلف
حال البدن باختلاف احوال الاغذيه لا جرم يختلف احوال ملكة الانوار بسبب
اختلاف البدن الا ترى ان الما الصافى يكون لونه لون الظرف والقاروره
فثبت ان طيب الغذا وخبثه سبب لاختلاف الاحوال الانوار الروحانيه
السبب الثالث الامكنه والازمنه اما الامكنه فلقوله تعالى
ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وقال الى المسجد الاقصى
الذى باركنا حوله واما الازمنه فقال تعالى فى ايام نحسات وهذا يدل
على انها اذا كانت ايام رحمه كانت متصفه بالسعود اى يسعد فيها كل من
اقدم فيها على عمل من الاعمال ومن كلام اهل التصوف الوقت سيف
قاطع ولارباب القلوب فى هذه الكلمه كلمات والذى يميل اليه قلبى
انه تعالى عين كل وقت لحادث فصار ذلك الوقت مربوطا بذلك الحادث
بروابط المشيه الازليه الذى لا يمكن دفعه وابطاله فاذا جا ذلك الوقت جا
معه ذلك الحادث فكما ان السيف قاطع فالوقت بما يمضيه الحق
ويجريه غالب فاذا كان الوقت الذى فيه تفتح الله رحمته متاخرا فلا ينفع
الجد والجهد فى الزمان المتقدم وسمعت بعض المشايخ قال بعث
الشيخ ابو سعيد ابى الخير رحمه الله واحدا الى النهر ليجيه بما يتوضا فكان
بطى فى الرجوع فقال الشيخ ذلك الما الذى يمكننا ان نتوضا به بعد
ما خرج من النهر السبب الرابع وهو الاقوى الجذبه العلويه
والهدايه الالهيه ولا يتم جميع الاسباب الا بهذا المعنى قال تعالى الله
يجتبى اليه من يشا ويهدى اليه من ينيب وقال تعالى والذين جاهدوا فينا

لنهدينهم سبلنا افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه
فهذه الاحوال اشاره الى مبادى هذه الدرجه واما وسطها فقوله تعالى ففروا
الى الله ونهايتها هى قوله قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وايضا الى
اوله الاشاره بقوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به والى وسطها الاشاره
بقوله واعف عنا واغفر لنا وارحمنا والى اخره الاشاره بقوله انت مولانا
ثم اذا وصل القلب الى هذه الحاله صار القلب فى عالم القلوب كالشمس فى عالم
الافلاك فعند هذا يبقى مستحره فى انوار عالم الجلال كما قال تعالى والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره ثم صار قصد هذه الروح ينبوعا لبعض الانوار
على اسرار الارواح كما قال تعالى واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من
اصحاب اليمين وبعد هذا درجات لا يصل اليها الخيال ولا يعبر عنها
المقال ومن ارادها فليكن من الواصلين الى العين لا من السامعين للاثر
الشـــرط الخامس للابصار اعلم ان للحسن حال ما يكون
فى رحم الام فى اول ما يخلق الله عينيه يكون الجفنان ملتصقين ثم بعد
زمان ينفصل الله احد الجفنين عن الاخر لان الجفنين يكونان منطبقين
فاذا انفصل عن بطن الام انفتح العين فى بعض الاوقات لا انه فى اكثر
الاوقات يغمضها ويكون قايما وعند فتح العينين يكون جاهلا بالامه
والام مع ذلك تراعى مصالحه وتغذيه لعلمها بانه ما جاز ان قدرته
على التمييز بين المحسن والمسى ثم لا يزال الطفل ينظر اليها الى ان يميز بين الام
وبين غيرها ثم اذا واظب على النظر الف النظر والابصار حتى يصير بحيث
لا يمكنه ان لا ينظر الى شى اذا عرفت هذه المراتب فى العين الظاهره فلنعرف
مثلها فى العين الباطنه ففى اول الامر يكون عين القلب منطبقا ثم ينفتح
ولكنه لا يقدر على ان يميز بين الخير والشر ثم لا يزال ينظر بعين عقله الى ان
يصير بحيث ان يدرك الفرق بين المحسن وبين المسى فيعرف ان المحسن هو الحق

وان ما سواه فهو بسبب الضرر ثم اذا واظب على هذا النظر صار بحيث لا يمكنه
ان يصبر عن نظر العقل وكما ان الام تغذي الطفل في اول عمره في ان لا يعرف
ربه وذلك من قبل البلوغ ثم اذا واظب على النظر في افعال الله واثار
حكمته في مخلوقاته حصل له عشق ومحبة مع هذا النظر فلا يرى شيئا
يعقله الا وينتقل منه الى مبداه وغايته اما المبدا فهو قدرة الحق واما الغاية
فهي حكمة الحق فيصير بحيث لا يرى شيئا الا ويرى الله بعده وحينئذ يستنير
السر كما يستنير القمر بمقابلة الشمس والقلب في هذا المقام قد استلذ النظر
والفه فلا جرم ابدا انقلب الفواد والقلب حدقة من منظور الى منظور
وقد كان للقلب عينا واحدا واما الان فقد صارت كل ذرة من ذرات
المبدعات والكائنات عينا للقلب وذلك لان العالم كله يصير مراه
للقلب والمراه للعين بمنزلة بصر زايد فانه يرى بها ما لا يراه بدونها فعند
ذلك يصير كل ذره من ذرات الممكنات عينا له والعين ينبوع النور في حقه
واذا اتصلت انوار العالم به صار كله نورا قال تعالى في صفة هاولاي
يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وفي الحديث ان اهل الجنة ليرون اهل
عليين كما ترون الكوكب الدري في السما وان ابا بكر وعمر منهما وبالله التوفيق

الباب الرابع في الاستدلال باحوال الحيوانات على وجود الصانع الحكيم سبحانه وتعالى وفيه فصول

الفصل الاول في الاستدلال الكلي باحوال الحيوانات

وقبل الخوض في المقصود
لا بد من الاشارة الى تقسيم الحيوانات فنقول اعلم ان الحيوانات التي تطير
في الهوا قسمان احدهما الطيور والثاني الحشرات والفرق بين القسمين
ان كل حيوان صغير الجثة ليس له عظم ولا ريش فهو من الحشرات وما
كان له عظم وريش فهو من الطيور اذا عرفت هذا فنقول اقسام الحيوانات
خمسة قسمان منها من حيوانات الهوا والقسم الثالث حيوانات الما والقسم الرابع

حيوانات وجه الارض كالبهايم والسباع والقسم الخامس حيوانات تحت
الارض وهي الحشرات كالحيات والخنافس والديدان واشباهها واعلم
ان حيوانات الما اعظم الحيوانات وهي ايضا اصغرها والمراد منه انه
يوجد في حيوانات الما ما يكون في العظم فوق جميع الحيوانات ويوجد
فيه ايضا ما يكون اصغر من جميع الحيوانات واما حيوانات وجه
الارض فهي دون حيوانات الما في العظم وبعد حيوانات وجه الارض
حيوانات الهوا فانها اصغر جثة من حيوانات وجه الارض فهي دون
حيوانات الما في العظم وبعد حيوانات وجه الارض حيوانات الهوا
فانها اصغر جثة من حيوانات وجه الارض واخر المراتب في الصغر
الحيوانات المتولدة في داخل الارض فهذا هو ضبط هذه الاقسام
ثم نقول اعلم ان الله تعالى استدل بخلق الحيوانات على وجود الصانع
الحكيم تارة مجملا وتارة مفصلا اما المفصل فسياتي شرحه في
الفصول الاتية ان شا الله تعالى واما المجمل فقال في سورة البقرة والهكم
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ثم ذكر عقيبه ما يدل على وجود
الصانع الحكيم ثمانية انواع من الدلايل فقال ان في خلق السموات
والارض وهما دليلان ثم قال واختلاف الليل والنهار وهو الدليل الثالث
ثم قال والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وهو الدليل الرابع ثم قال
وما انزل الله من السما من ما فاحيا به الارض بعد موتها وهو الدليل الخامس
ثم قال وبث فيها من كل دابة وهو الدليل السادس ثم قال وتصريف الرياح
وهو الدليل السابع ثم قال والسحاب المسخر بين السما والارض وهو الدليل
الثامن ثم لما ذكر هذه الدلايل الثمانية مدح المتفكرين والمتاملين فيها
فقال لايات لقوم يعقلون والمقصود انه سبحانه احتج بخلقة الحيوانات
المختلفة على وجود الصانع الحكيم وهو قوله وبث فيها من كل دابة

ولما كان الامر كذلك وجب علينا ان نبحث عن وجوه دلالة هذا الدليل
فنقول الاختلاف في ابدان الحيوانات وفي صفاتها ظاهر ونحن نشير الى
بعضها ثم نستدل بها على وجود الصانع الحكيم واعلم ان الاختلاف
بين الحيوانات حاصل من وجوه لا يحيط بها علم البشر لانا نشير الى
بعض تلك الوجوه فالاول الحاصل في صورها واشكالها فاحدها
الاختلاف الحاصل في الجلد الظاهر وذلك ان بعضها كالسلحفاه
يحيط به صدف وبعضها كالسمك على جلدته فلوس وبعضها على جلدته
شوك كالقنفذ وبعضها على ظاهره ريش وجناح كالطير وبعضها
على ظاهره شعر ووبر وصوف كالبهايم والانعام والسباع وبعضها
يكون عاريا عن كل ذلك كالانسان وثانيها الاختلاف في الالوان والاشكال
فمنه ما يكون ملونا بلون واحد وهو الاكثر ومنه ما يكون ملونا بلونين
وهو الفرس ومنه ما يكون ملونا بالوان كثيرة عجيبة حسنة كالطاووس
وثالثها الاختلاف في الاصوات فمنه ما هو مصوت ومنه ما لا
صوت له والمصوت منه ما هو طيب الصوت كالعندليب ومنه
ما هو قبيح الصوت كالحمار قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير
ورابعها قد يكون صغير الجثة عظيم العين كالبوم وقد يكون كبير
الجثة صغير العين كالعقاب وقد يكون منه سريع التحير من الضو
كالخفاش وقد لا يكون كذلك كالخطاف وخامسها منه ما يمشي
على بطنه ومنها ما له رجل اما رجلان كالطير والادمي واما اربع
كالبهايم والسباع واما ارجل كثيرة ستة او ثمانية وكل طاير ذو جناحين
فانه يمشي برجليه ومن جملة ذلك ما يكون المشي صعبا عليه كالخطاف الكبير
الاسود والخشاف واما الذي جناحه يكون جلدا وغشا فقد
يكون عديم الرجل كضرب من الخطاف بالحبشة يطير وسادسها ثدي

الفيل والانسان يكون عند الصدور وثدي البقر والغنم يكون عند السرة
وسابعها اذن الفيل صالح للذب مع كونه الة للسمع وانفه الة للقبض
مع كونه الة للشم فهذه اختلاف احوال الحيوانات في الخلقة الظاهرة
النوع الثاني اختلاف احوالها في المسكن والماوى فمنها مائيه
ومنها ارضيه ومنها ما يكون مائيا وارضيا معا اما الحيوانات المائية
فمنها ما يكون مكانه وغذاه ونفسه مائيا ولا بد النفس النسبي للتشق
مائي فهو يجلب الما الى باطنه ثم يرده ولا يعيش اذا فارقه والسمك كله
كذلك ومنه ما مكانه وغذاه مائي ولكنه يتنفس من الهوا كالسلحفا المائية
ومنه ما مكانه وغذاه مائي ولا يتنفس ولا يستنشق مثل اصناف
من الصدف ولا يظهر البته للهوا ولا يستدخل الما الى باطنها وايضا
الحيوانات المائية بعضها ماواه الانهار الجارية وبعضها مياه البطائح
مثل الضفادع وبعضها ماواها مياه البحار وايضا الحيوان المستقل
في الما منه ما يعتمد في غوصه على راسه وفي السباحة على اجنحته
كالسمك ومنه ما يعتمد في السباحة على ارجله كالضفادع ومنه ما يمشي
في قعر الما كالسرطان ومنه ما يزحف مثل ضرب من السمك لا جناح له
او كالدود واما الحيوانات البرية فمنها ما يتنفس من طريق واحد
كالفم والخيشوم ومنه ما يتنفس لا على هذا الوجه بل من مسام مثل
الزنبور والنحل وايضا الحيوانات الارضيه منها ما له ماوى معلوم
ومنها ما ماواه كيف اتفق الا ان يلد فيقيم للحضانه واللواتي لها ماوى
معلوم فبعضها ماواه حفر وبعضها ماواه اقله رابيه وبعضها ماواه وجه
الارض وايضا الطير يختلف فبعضها يتعايش معا كالكراكي وبعضها يختار
التفرد كالعقاب وجميع الجوارح التي يتنازع على الماكول يتفرد لاجل احتياجها
الى الاحتيال في الصيد ومنافستها فيه ومنها ما يتعايش زوجا ويكون معا

كالقطا ومنها ما يجتمع تارة وينفرد اخرى والحيوانات المفردة قد يكون
مدنية وقد يكون بريه صرفة ايسانيه والانسان من بين الحيوانات هو الذي
لا يمكنه ان يعيش وحده فان اسباب حيوته لا تقوم الا بالمشاركة المدنية
والنحل والنمل وبعض الغرانيق يشارك الانسان في ذلك لكن النحل والكراكي
تطيع رئيسا واحدا والنمل لا اجتماع لا رئيس له واما الحيوان الذي يكون
تارة مائيا واخرى يكون ارضيا فيقال انه حيوان يكون في البحر ويعيش فيه
ثم انه يبرز الى البر ويبقى فيه — النوع الثالث — اختلاف احوالها بحسب
الاخلاق فاعلم ان الحيوان منه ما هو انسي بالطبع كالانسان ومنه ما هو
انسي بالمولد كالهرة والفرس ومنه ما هو انسي بالقهر كالفهد ومنه ما لا يانس
كالنمر والذي يستانس بالقهر منه ما يحصل استئناسه سريعا ثم يبقى مستانسا
كالفيل ومنه ما يكون ذلك بطيئا كالاسد ويشبه ان يكون من كل نوع صنف
انسي وصنف وحشي وايضا بعضها يكون ساكن الطبع قليل الغضب كالبقرة
وبعضها رديء الحركات كالحية وبعضها شجاع كريم النفس كبير الطبع
كالاسد ومنها قوي وحشي محتال كالذئب ومنها مكار رديء الحركات
كالثعلب ومنها غضوب شديد الغضب سفيه الا انه ملق متودد كالكلب
وبعضها شديد الذكا كالفيل والقرد والفرس وبعضها حسود مباه
بجماله كالطاووس وبعضها شديد الحفظ كالجمل والحمار وايضا احوالها
في التناسل مختلفة فبعضها يلد انثاه حيوانا وبعضها يبيض انثاه
بيضا وبعضها تلد انثاه دودا كالنحل والعنكبوت ثم ان تلك الدود
يستكمل اعضاؤها بعد ذلك ويقال انه اذا ظهرت السخونة وقت الربيع
طلب الجراد ارضا طيبة التربة رخوة الجسم وطرحت في تلك الارض بيضها
ثم طارت بعد ذلك وعاشت اياما وماتت واكلتها الطيور فاذا دار
الحول وجا الربيع مرة اخرى وطاب الهوا خرجت من تلك البيض المدفونة في

تلك الارض امثال الديدان الصغار ودبت على وجه الارض واكلت العشب
والكلا وخرجت لها اجنحة فطارت واكلت من ورق الشجر ونمت ثم
باضت كما في العام الاول وهذه عادتها بتقدير العزيز العليم واما
دود القز التي يكون على رؤوس الاشجار في الجبال فانها اذا شبعت وشبعت
من الرعي ايام الربيع وسمنت اخذت تنسج على نفسها من لعابها شبه العش
والكن ثم تنام فيها اياما معلومة فاذا انتبهت طرحت بيضا في داخل ذلك
الكن التي نسجت على نفسها ثم تثقبها وتخرج منها وتسد ذلك الثقب ثم
تخرج لها اجنحة فتطير فتاكلها الطير او تموت من الحر والبرد والريح والمطر
ويبقى ذلك البيض في تلك الاكنان محروزة ايام الصيف والخريف والشتا الى
ان يحول الحول ويجي ايام الربيع فينشا من ذلك البيض ديدان صغار ويخرج من
تلك الثقب وتدب على فوق الاشجار اياما معلومة فاذا شبعت وقويت
اخذت تنسج على انفسها من لعابها كما في العام الاول وهذا دابها وعادتها
بتقدير العزيز الحكيم فسبحان من هدى كل واحد من هذه الحيوانات الى هذه
الاعمال — واعلم ان الاستدلال باحوال هذه الحيوانات من وجوه الاول
هو انه سبحانه خلق الحيوانات مختلفة الصور متفننة الاشكال بعضها كبيرة كثيرة
الالات والادوات وبعضها صغيرة قليلة الالات فكما اعطى الفيل الجثة
العظيمة والبنية القوية الشديدة حتى يدفع عن نفسه المكاره بانيابه الطوال
الصلاب ويتناول بخرطومه الطويل انواع المنافع فكذلك اعطى البقة
على صغر جثتها جناحين لطيفين حتى قدرت بهما على سرعة الطيران وتناول
الغذا بخرطومه فصار الكبير والصغير في هذه المواهب متساوية وفي جذب
المنافع والاحتراز عن المضار متشاكلة بل ههنا لطيفة عجيبة وهي انك
ترى ما كان منها اصغر جثة واقل حيلة كان اكثر راحة واطيب نفسا
واقل اضطرابا في جر المنافع ودفع المضار مما هو اعظم جثة واقوى

قوه بنانه ان منها ما كان قوى القوه كامل البنيه يدفع عن نفسها المكاره
بالقهر والغلبه كالاسد والفيل ومنها ما يدفع عن نفسه المكاره بالفرار
وسرعة العدو كالغزلان والارانب ومنها ما يدفع المكاره عن نفسها
بالطيران في الجو كالطيور ومنها بالغوص في الما ومنها بالاختفا في
الثقب والحجوه كالفار والنمل كما قال تعالى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا
مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون واما طلبها
للمنافع فتاره بقوة البصر وشدة الطيران كالنسر والعقاب وتاره
بقوة الشم كالنمل والجعل وتاره بقوه السمع كالنسر فاما هذه
الحيوانات الصغار الجثه العظام القوى والبنيه التي ليس لها شي من الالات
والادوات ولا مع لها ادراكات ولا احساسات كالديدان الصغار
واشباهها فانها خلقت في اماكن كثيره ومواضع حريزه اما في النبات
او في حب النبات او في اجواف الحيوانات او في الطين او في السرقين وجعل
غذاوها محيطا بها وجعل في جميع اجزا ابدانها قوى جاذبه تمتص
الرطوبات المغذيه لها المقويه لابدانها ولم تحوجها الى الطلب ولا الى
الهرب فسبحان الخالق العظيم الذي اعطى كل شي مصلحته ويروى ان
الليله التي اوحى الله فيها الى موسى عليه السلام وذلك ان قلب موسى كان متعلقا
باحوال زوجته فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك على ذلك الحجر فخرج منه
حجر اخر ثم ضرب العصا عليه فخرج منه حجر اخر فضرب العصا عليه
فخرجت منه دوده في غايه الصغر وفي فمها مثل مقدار ذره من ورق
الشجر فرفع الله الحجاب عن سمع موسى عليه السلام فكانت تقول سبحان من
يراني ويسمع كلامي ويذكرني ولا ينساني الوجه الثاني في الاستدلال
باحوال هذه الحيوانات كثيره جدا ويقال ان حيوانات البحر ستمايه نوع
وحيوان البر خمسمايه واحد منها هو البشر واذا كان كذلك فكيف يمكن

بلغ مقابلة

الاطلاع على احوالها وعجايب صفاتها الا ان وجه الاستدلال بها على
الصانع الحكيم ظاهر وذلك لانه لو كان السبب لوجودها هو تركيب
الطبايع وتاثير الافلاك والكواكب فذاك بالنسبه الى الكل على السويه بل
صريح العقل يشهد بان اختصاص كل واحد منها بما له من الاعضا والقوى
والصفات والاشكال لا بد وان يكون بتدبير مدبر قادر حكيم يخلق
الاشيا بقدرته ويدبرها بحكمته واعلم انه تعالى قد نبه في القران
على عجز البشر عن معرفة احوال الحيوانات في ايات فاحدها ان الله تعالى
لما شرح احوال الحيوانات في سورة النحل في قوله والانعام خلقها لكم
الى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة قال بعد ذلك ويخلق
ما لا تعلمون والمعنى انا شرحنا لكم احوال بعض الحيوانات فاما
شرح احوال الكل فذاك مما لا يليق بعقولكم بل يجب تفويض معرفتها
الى خالقها فلهذا اختتم الكلام في شرح احوال الحيوانات بقوله ويخلق ما لا
تعلمون وثانيها قال تعالى في سورة النور الم تر ان الله يسبح له من في
السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما
يفعلون ثم قال بعده ولله ملك السموات والارض والى الله المصير وفيه
فايدتان الفايده الاولى انه مع وجازته دال على تمام معرفة المبدا والمعاد
فقوله ولله ملك السموات والارض ينبه على ان الكل منه لان كل ما سواه
ممكن ومحدث والممكن والمحدث لا يوجد الا عند الانتها الى قدرة الواجب
في وجوده الازلي في ثبوته ثم ان حدوث هذه الحيوانات دال على قدرة
الصانع ووقوع حدوثها على جهة الاحكام والاتقان دال على الصانع
وحكمته فكان حدوث هذه الحيوانات مرادا الادلال على كونه تعالى ملكا
بالحق مالكا بالصدق ولهذا قال ولله ملك السموات والارض ثم قوله والى الله المصير
دال على ان المعاد حق وان البعث والحشر والنشر حق حتى يظهر في ذلك اليوم

بلغ

نتائج افعال هذا اليوم والفايدة الثانية انه تعالى لما شرح احوال
بعض الحيوانات على سبيل التفصيل وهو قوله والطير صافات كل قد علم
صلاته وتسبيحه ثم ذكر بعد ذلك التفصيل هذا الكلام المجمل وهو
قوله ولله ملك السموات والارض كان ذلك المجمل بعد ذلك المفصل تنبيها على انه
لا سبيل للعقول البشرية الى الوقوف على تمام تلك التفاصيل وثالثها
قال تعالى ايضا في هذه السورة والله خالق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على
بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع ثم قال بعد ذلك
يخلق الله ما يشا ان الله على كل شي قدير وذلك لانه تعالى ذكر انقسام
الحيوانات الى هذه الاقسام وهذا كلام تفصيلي ثم انه تعالى اردفه بالكلام
المجمل وهو قوله يخلق الله ما يشا والمقصود التنبيه على انه لا سبيل للبشر
الى معرفة تمام هذه التفاصيل وقد ذكرنا في الفصول المتقدمة انه في شرح
احوال الافلاك جرى على هذا المنهاج فقال في ال عمران ويتفكرون في خلق
السموات والارض اي يطلبون معرفة الحكمة في كل واحد منها ثم عدل الى
التعظيم الاجمالي وهو قوله ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال في الاعراف
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ثم عدل منه الى التعظيم المجمل فقال الا له
الخلق والامر تبارك الله رب العالمين والمقصود من هذه الايات التنبيه على
انه لا سبيل للعقول البشرية الى الاطلاع على تمام الحكمة الالهية في تدبير
العالم العلوي والسفلي بل الواجب تفويض اسرارها الى علمه المحيط
بالغيوب المقدس عن النقصانات والعيوب كما قال وعنده مفاتح الغيب
لا يعلمها الا هو وفيها سوالات السوال الاول قال تعالى
في سورة الانعام وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم
فظاهر هذه الاية يوهم مذهب التناسخ من وجوه الاول ان قوله تعالى
الا امم امثالكم يقتضي حصول المماثلة بينها وبيننا في الروح والعقل

والادراك والتكليف والثاني انه ثبت بهذه الاية ان كل نوع من انواع هذه
الحيوانات امة واذا ثبت هذا وجب ان يحصل في كل واحد منها رسول
ونذير لقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير ولا معنى لتحقق
الا في حق العقلا المكلفين وهذا يقتضي كون هذه الحيوانات عارفة
بربها مكلفة بالطاعات والثالث ما روي عن ابي الدردا انه قال
ابهمت عقول البهايم عن كل شي الا عن اربعة اشيا معرفة الرب والسعي في
طلب الرزق ومعرفة الذكر والانثى واهتمام كل واحد منهما بامر صاحبه
والجواب ان لفظ المثل يقتضي حصول المثلية في كل الامور فاذا حملنا
الاية على ثبوت المثلية ولو في شي واحد فقد وفينا بمقتضى اللفظ ثم اختلف
المفسرون في معنى المثلية ولو في شي واحد على وجوه الاول انها
امثالكم في كونها امم وجماعات فكان المراد من هذا كونها انواعا مختلفة
واقساما متباينة في الخلق والخلق والطبع والشكل والثاني
المراد انها امثالنا في كونها مخلوقة لله تعالى وفي انه سبحانه تكفل بارزاقها
كما قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها
والثالث انها امثالنا في ان مقادير اعمالها معلومة لله تعالى مع انها
خالية عن التكليف وخوف العقاب فاحذروا ايها البشر المكلفون فانكم
باحصا الله اعمالكم اولى الرابع انها امثالنا في انها محشورة يوم القيمة
والله يقضي لها بالحق كما يقضي للانسان دليله ما روي في الحديث انه تعالى
يقتص للجما من القرنا الخامس انه لا يبعد حمل الاية على جميع ما ذكرنا
من الوجوه لانه غير مخصوص لان على هذا التقدير يكون الفايدة اكثر واما التمسك
بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير فالجواب انه مخصوص بالامة
الموصوفة بالعقل بالدلايل العقلية وباجماع الامة والله اعلم السوال الثاني
ما الحكمة في خلق الحيوانات الموذية كالحيات والعقارب والذيب والاسد

والجواب المعتمد عندنا في الجواب انه تعالى مالك الملك والمالك له ان يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد لا انا نذكر ههنا وجوها اخرى فالاول انه تعالى
رغب المكلفين في الطاعات بان وعد عليه الثواب وزجرهم عن المعاصي بان
توعدهم عليها بالعقاب فلا بد وان يشاهدوا في الحال شيئا يشبه الثواب
وشيئا يشبه العقاب حتى يتكامل رغبتهم في طلب الثواب ونفرتهم عن الهرب
من العقاب فلا جرم اظهر في الدنيا انواع اللذات وانواع المحن والآفات
ليكون ذلك كالمعرف لاحوال الثواب والعقاب وقد نبه الله تعالى على ذلك في
قوله افرايتم النار التي تورون انتم انشاتم شجرتها ام نحن المنشون نحن جعلناها
تذكرة ومتاعا للمقوين اي جعلنا النار سببا للمنافع في الدنيا وجعلناها
ايضا مذكرة للعذاب في الاخرة والثاني انه تعالى خلق الذيب يختطف ويفترس
الغنم ثم ان الانسان يبالغ في صون غنمه عن الذيب فاذا بالغ في هذا الحفظ
مع ان هذه المضرة قليلة فلان يبالغ في صون طاعاته عن الشبهات والشهوات ان جح
مع ان نتايج تلك المضرة عظيمة كان ذلك اولى الثالث اذا احترز
الانسان عن سم الحية والافعى فلان يحترز عن سم الكفر والبدعة والفواحش
والذنوب مع شدة الالام الحاصلة منها وطول مدتها كان ذلك اولى
والله اعلم

الفصل الثاني في الاستدلال باحوال الطيور

على وجود الصانع الحكيم سبحانه اعلم انه تعالى ذكر الاستدلال بوقوف
الطير في الهوا على وجود الصانع المختار في مواضع من القران العظيم
احدها قال تعالى في النحل الم يروا الى الطير مسخرات في جو السما ما يمسكهن المها
الا الله ان في ذلك لايات لقوم يومنون وثانيها قال تعالى في النور
الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم
صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون وثالثها قال في الملك اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شي بصير بلغ

اما الاية الاولى فنقول قرا ابن عامر وحمزة والكساي الم تروا على سبيل
المخاطبة والباقون بالياء على الحكاية لمن تقدم ذكره حجة من قراها على المخاطبة
ان ما قبل هذه الاية مخاطبة وما بعدها مخاطبة فوجب ان يكون هذه
الاية ايضا مخاطبة اما ان ما قبلها مخاطبة فهو قوله تعالى والله اخرجكم
من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافيدة
لعلكم تشكرون واما ان ما بعدها مخاطبة فهو قوله تعالى والله جعل
لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها
يوم ظعنكم ويوم اقامتكم واذا ثبت ان ما قبل هذه الاية وما بعدها
جا على سبيل المخاطبة وجب مجي هذه الاية ايضا على سبيل المخاطبة حتى يكون
النسق واحدا في الكل حجة القراة الثانية ان الغرض من ذكر هذه
الاية الارشاد الى الدليل والارشاد الى الدليل انما يحتاج اليه الجاهل
لا العالم فوجب ان يحمل هذا على لفظ المغايبة صرفا له الى الكفار المنكرين
قلنا نحن لا ننكر احتمال ما ذكرتم الا ان ما ذكرناه ايضا محتمل لان الدليل
كما يذكر للمنكر حتى يصير مقرا فكذلك قد يذكر للمقر حتى يزداد ايمانا
على ايمان وعرفانا على عرفان وهذه السورة مشتملة على دلايل كثيرة
ولا شك ان المقصود منها هو التاكيد بسبب تكثير الدلايل اذا عرفت
هذا فنقول قوله تعالى في النحل الم تروا معناه الم تعلموا والدليل عليه
انه تعالى عدى الروية في هذه الاية الى شيين احدهما كون الطير مسخرة
في جو السما ومن المعلوم ان كونها مسخرة يعلم ولا يرى والثاني هو
قوله ما يمسكهن الا الله وهذا المعنى يعلم ولا يرى فثبت بهذين الوجهين
ان قوله في هذه الاية الم تروا معناه الم تعلموا واعلم انه تعالى ذكر في هذه
الاية من دلايل المعرفة والتوحيد امرين الاول كون الطير مسخرة والثاني انه
ما يمسكهن الا الله والمراد من كونها مسخرة انها في انفسها اجرام ثقيلة

والجرم الثقيل يكون هاويا بالطبع لان قدرة الله تعالى غالبة على جميع
الطبائع والخواص فهو بقدرته يشيل الثقيل الى فوق وينزل الخفيف الى
تحت من غير ان يشق عليه هذا الفعل ومن غير ان يتعب بسببه وكيف
والسموات السبع مع ما فيها من الشمس والقمر والنجوم التي لا يعلم
مقادير ثقلها الا الله والارض مع ما فيها من البحار والجبال والحيوان
والنبات وهو تعالى يمسكها بقدرته ويسكنها بحكمته كما قال تعالى
الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها فاذا اقدر على تسكين هذه
الاجسام العظيمة من غير تعب ولا مشقة فكيف لا يقدر على امساك
اجرام الطيور بقدرته في الهوا اليس انه تعالى قلع الجبل في وقت موسى عليه السلام
واوقفه في الهوا كما قال تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه
واقع بهم فها هنا قدرته على امساك الطير في الهوا اولى اذا عرفت هذا
فنقول كون هذه الاجرام منقاده والهيته من غير منازعة ولا مدافعة
هو المراد بكونها مسخره واذا عرفت هذا ظهر الفرق بين كون الطير
مسخره في جو الهوا وبين كونها واقفه هناك بامساكه وتسكينه
فهذا هو الكلام في هذه الايه واما الايه المذكوره في سوره النور وهي
قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض فظاهر لفظ
قوله الم تر خطاب مع الرسول فلا جرم اشتملت هذه الايه على فوايد
زايده على ما في الايه الاولى اولها قوله تعالى يسبح له من في السموات
وفي هذا التسبيح ثلثة اقوال وذلك لان التسبيح المذكور ها هنا اما
ان يكون المراد منها دلالة الاشيا على قدسه وعزته وعظمته واما ان
يكون المراد منه انها تنطق بالتسبيح واما ان يكون المراد منه حصول هذه
الدلالة في حق البعض وحصول هذا النطق في حق الباقين
والقسم الاول اقرب … اما القسم الثاني ففيه اشكال لان

بعض من في الارض ليسوا مكلفين وهم الاطفال والمجانين وهولاء
لا يسبحون باللسان واما المكلفون ممن في الارض فمنهم من لا يسبح
بهذا التفسير وهم الكفار اما بتفسير التسبيح بكون هذه الاشيا
داله على السبوحيه والعظمه فهذا عام في حق كل الممكنات فما
وجه تخصيصه في هذه الايه بالعقلا قلنا لان خلقة العقلا اشد
دلاله على وجود الصانع سبحانه لان العجايب والغرايب في خلقهم اكثر
وهي العقل والنطق والفهم مع حصول الشهوه وحصول الغضب
وحصول الشيطانيه وثانيها قوله تعالى والطير صافات ولقايل ان
يقول ما وجه ايصال هذا بما قبله والجواب انه سبحانه لما ذكر ان اهل
السموات يسبحون واهل الارض ايضا يسبحون ذكر ان الاشيا التي
مقرها فيما بين السما والارض وهي الطيور فهي ايضا مسبحه لله تعالى
وذلك لان ابدان هذه الطيور اجرام ثقيله ثم انه سبحانه اعطاها قوى
تقوى بها على الوقوف في جو السما صافه باسطه اجنحتها وذلك من
اعظم الدلايل على كمال قدرة الصانع ونهاية علمه وحكمته واعلم ان
هذا الوصف قد وصف الله الملايكه به فقال والصافات صفا وقال
وترى الملايكه حافين من حول العرش والملايكه ايضا وصفوا انفسهم بهذا
الوصف فقالوا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وبالجمله فهذا يشعر
بان الصافين واقفين في موقف الهيبه ومقام العظمه مشتغلين
بتسبيح جلال الله وتعظيم كبريايه على وجه الخشوع والخضوع
وثالثها قوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه ففيه ثلثة اوجه
احدها ان يكون المعنى كل من الطيور قد علم صلاته وتسبيحه وهذا
قول جماعه من اصحاب الاخبار قال ابو ثابت كنت جالسا عند ابي جعفر
الباقر رضوان الله عليه فقال اتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع

الشمس وبعد غروبها فلابد قال انها تقدس ربها وتسأله قوت يومها
وثانيها ان يكون معنى الاية كل مسبح قد علم صلاته وتسبيحه ويدل على
صحة هذا التاويل قوله سبحانه والله عليم بما يفعلون وثالثها ان يكون
الهاء راجعة الى الله والتقدير الاية كل مسبح ومصلي قد علم صلوته الله الذي
كلفه اياها فهذا تاويل لفظ الاية والكلام الذي لا بد من البحث عنه في
هذه الاية انه هل يجوز ان يكون الطيور والبهايم عارفة بربها ام لا فاكثر
ارباب الاثار والاخبار جوزوا ذلك واحتجوا عليه بان كون هذه الطيور
عارفة بربها مشتغلة بتسبيح ربها امر جائز في العقول والنصوص وردت
بوقوعها فوجب الاعتراف بذلك اما الجواز العقلي فيدل عليه وجهان
احدهما الاجمال والثاني التفصيل اما الاجمال فهو ان حصول الفهم والعلم
في ذات هذه الحيوانات من جملة الممكنات والله تعالى قادر على كل الممكنات
واذا صحت المقدمتان وجب القطع بهذا الجواز واما التفصيل فهو
انا نشاهد من هذه الحيوانات افعالا لا تصدر الا من افاضل العقلاء
وذلك يدل على كونها عاقلة ومتى كان الامر كذلك ثبت جواز كونها عارفة
بربها ونبين ما ذكرنا وجوه الاول ان الفارة تدخل ذنبها في قارورة
الدهن ثم تلحسه وهذا الفعل لا يصدر عنها الا لعلمها بقياس مركب
من مقدمات وهي انها محتاجة الى الدهن وان راسها لا يدخل في راس
القارورة وذنبها يدخل والمقصود حاصل بهذا الطريق فوجب
الاقدام عليه الثاني ان النحل تبني البيوت المسدسة وهي لم تفعل
الا لعلمها بانها محتاجة الى ان تبني بيوتها من اشكال موصوفة بصفتين
احدهما ان لا يكون زواياها ضيقة حتى لا يبقى الموضع الضيق
عطلا والثاني ان يكون تلك البيوت مشكلة بشكل متى انضم بعضها الى
بعض امتلات العرصة منها ولا يبقى شي منها ضايعا ثم انها علمت

ان الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو المسدس فقط وذلك لان
المثلثات والمربعات وان كان يمكن ان يمتلي العرصة منها الا ان زواياها
ضيقة واما ساير الاشكال فان زواياها وان كانت واسعة الا انه
لا يمتلي العرصة منها بل تبقى فيما بينها فرج خالية ضايعة واما المسدس
فهو موصوف بهاتين الصفتين فاقدام النحل على تسديس بيوتها مبني على
علمها بانه لا بد وان يكون بيوتها موصوفة بهاتين الصفتين وعلى علمها بان
المسدس موصوف بهاتين الصفتين فلا جرم علمت ان البيت الموافق لها
هو المسدس ثم انه تعالى اعطاه من الذكا ما قدر به على بناء تلك البيوت
مسدسة من غير مسطر ولا الة ولا شك ان البشر لا يقدرون على بناء البيت
المسدس الا عند الاستعانة بالالات الكثيرة فظهر ان علمها بهذه الحقايق
وقدرتها على بناء هذا البيت ازيد من عقل البشر ومن قدرته والثالث
ان النمل تسعى في تحصيل الذخيرة وكان ذلك بانه قد يحتاج في الازمنة
المستقبلة الى الغذاء ولا يكون قادرا على تحصيله في تلك الاوقات فوجب
السعي في تحصيله في هذا الوقت الذي حصلت فيه القدرة على الادخار
والرابع ان العنكبوت يبني بيوتا على وجه عجيب وانها ما نسجت الشبكة
التي هي مصيدتها الا بعد ان تفكرت كيف يمكنها اصطياد الذباب فهذه
افعال فكرية ليست اقل من افعال الفكرية الانسانية فوجب الاقرار
بثبوت العقل لها الخامس ان الجمل والحمار اذا ذهبا طريقا في ليلة
ظلماء ففي المرة الثانية يقدر على سلوك ذلك الطريق من غير ارشاد مرشد
من شك حتى ان الناس اذا ضلوا في ذلك الطريق قدموا الحمار والجمل وتبعوه
وجدوا الطريق المستقيم عند متابعته وايضا ان الانسان لا يمكنه
من بلد الى بلدة الا عند الاستدلال بعلامات مخصوصة وهذا القطا يطير في
الهواء من بلد الى بلد طيرانا سويا من غير غلط ولا خطا وكذلك الكركي ينتقل من

طرف من اطراف العالم الى طرف اخر لطلب الهوا الموافق من غير ان يضل البته
فهذا فعل يعجز عنه العقل البشري وهي قادر عليه السادس ان الاف
اذا ارادت ان يفترس الثور ولا يمكنه ان يقصله ظاهرا فيقال انه يستلقي
في ممر ذلك الثور فاذا قرب الثور منه واراد نطحه جعل قرنيه فيما بين
ذراعيه ولا يزال ينهش ما بين ذراعيه حتى يثخنه وايضا انه ياخذ العصا
ويضرب الانسان حتى يتوهم انه مات فيتركه ثم عاد يتشممه ويتجسس
نفسه وايضا يصعد الشجر اخف صعود ويهشم الجوز بكفه بعضها
بالواحده ويصدمها بالاخرى ثم ينفخ فيه فيذر واقشره وياكل لبه
السابع يقال من خواص الفرس ان كل واحد منهما يعرف صوت
الفرس الذي قابله والكلاب تعالج بالعشبه المعروفه لها والفهد اذا سقى
الدوا المعروف بخانق الفهد طلب زبل الانسان فاكله والتماسيح تفتح
افواهها الطاير يقع عليها كالعقعق حتى ينظف ذلك الطاير ما بين
اسنانها وعلى راس ذلك الطير شي كالشوك فاذا هم التمساح بالتقام ذلك
الطاير تاذى من ذلك الشوك فيفتح فاه فيخرج الطاير والسلحفاه تتناول
بعد اكل الحيه سعترا جبليا وحكى بعض الثقات المجربين للصيد انه
شاهد الحبارى يقاتل الافعى وتنهزم عنه الى بقله تتناول منها ثم تعود
الى ان لا يزال ذلك فعله وكان ذلك الشيخ قاعدا في كمين غايب كما يفعله
الصيادون وكانت البقله قريبه من ذلك الموضع فلما اشتغل الحبارى
بالافعى قلع الرجل البقله فعادت الحبارى الى منبتها فلم تجده فاخذت
تدور حول منبتها دورانا متتابعا حتى خرت ميته فعلم الرجل انها
كانت تعالج باكلها من لسعه الافعى وتلك البقله هي الخس البري واما
ابن عرس فيستظهر في قتال الحيه باكل السذاب فان النكهه السذابيه
مما تشمئز عنها الافعى والكلاب اذا تدود بطنها اكلت سنبل

الحنطه واذا جرحت اللقالق بعضها بعضا داوت تلك الجراحات بالسعتر
الجبلي فانظر كيف حصلت لهذه الحيوانات هذا الطب وهذا العلاج
الثامن ان القنافذ تحس بريح الشمال والجنوب قبل الهبوب فتغير
المداخل الى حجرتها يحكى انه كان بالقسطنطينيه رجل قد اثرى
بسبب انه كان ينذر بالرياح قبل هبوبها وينفع الناس بانذاره وكان
السبب فيه قنفذا في داره يفعل الفعل المذكور والتاسع ان الخطاف
صناع حسن في اتخاذ العش لنفسه من الطين وقطع الخشب فان اعوزه
الطين ابتل وتمرغ في التراب ليحمل جناحاه قدرا من الطين واذا فرخ بالغ
في تعهد الفراخ وياخذ ذرقها بمنقاره وترميها عن العش ثم
يعلمها القا الذرق بالتوالي نحو طرف العش العاشره اذا اتى
الصياد من مكان فراخ القبجه ظهرت له القبجه وقربت منه مطمعه بها الى ان
تتبعها ثم تذهب الى جانب اخر سوى جانب فراخها الحادي عشر
ناقر الخشب قلما يجلس على الشجر وينقر الموضع الذي يعلم فيه
دودا ويخرجه وياكله الثاني عشر الغرانيق تصعد في الجو
جدا عند الطيران فان حجب بعضها عن بعض ضباب او سحاب احدثت
عن اجنحتها خفيفا مسموعا يلزم بسبب ذلك الصوت بعضها بعضا
واذا نامت نامت على فرد رجل وقد اضطجع الرووس الى القايد فانه ينام
مكشوف الراس فيسرع انتباهه فاذا سمع صوتا او حسا با فصاح
الثالث عشر ان النعامه اذا اجتمعت لها من بيضها عشرين وثلثين
قسمتها ثلثه اثلاث ثلثا تدفنها في التراب وثلثا تتركها في الشمس وثلثا تحضنه
فاذا خرجت فراخها كسرت ما كان في الشمس وشقت فراخها ما فيها من
تلك الرطوبات التي خرجتها الشمس ورققتها فاذا اشتدت فراخها وقويت
اخرجت المدفون منها في الارض وفتحت لها ثقبا وقد اجتمع فيه النمل

على الارض بل علس صح

والذباب والحشرات والديدان ثم تطعمها الفراخ بحبها فاذا تناولت ذلك
قويت وقدرت على الرعي واللعب فقل لي ايها العاقل اي امراه في تربيه
اولادها تهتدي الى مثل هذه الحيله واعلم ان الاستقصا في هذا
الباب مذكور في كتاب طبايع الحيوان وهذا القدر يدل على ان هذه الحيوانات
قد تاتي بافعال يعجز عنها اكثر الاذكيا والعقلا ولولا كونها عاقله
لما صح منها شي من ذلك واذا ثبت كونها مهتديه عارفه بهذه الدقايق
فاي بعد في كونها عارفه بربها مسبحه لمالكها فثبت بمجموع ما ذكرنا
ان الامكان حاصل واما النصوص الداله على حصول هذه الحرفه فكثيره
الحجه الاولى قوله تعالى حكايه عن سليمن عليه السلام يا ايها الناس
علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي ان هذا لهو الفضل المبين الحجه الثانيه
حتى اذا اتوا على وادي النمل قالت نمله يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم
الحجه الثالثه قوله تعالى وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغايبين لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه او لياتيني
بسلطان مبين وهذا التهديد والوعيد لا يحسن الا مع الفاهم
العاقل الحجه الرابعه قوله تعالى حكايه عن الهدهد فقال احطت
بما لم تحط به وجيتك من سبا بنبا يقين الى قوله فهم لا يهتدون
وهذا الترتيب في ايراد الكلام لا ياتي الا من العاقل الذي يكون في
غايه الذكا وذلك لان اشد الاشيا اخذا قلوب الرجال امر النسا
ولهذا السبب بدا الله تعالى بذكر النسا في قوله زين للناس حب الشهوات
من النسا ولما لم يلتفت سليمن الى ذكر المراه ثنى الهدهد بذكر المال فقال
واوتيت من كل شي فلم يلتفت ايضا سليمن فثلث بذكر الجاه والملك العظيم
فقال ولها عرش عظيم فلما لم يلتفت سليمن البته الى شي من امور الدنيا ربع
الهدهد بما يتعلق بالدين فقال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من

دون الله ومعلوم ان مثل هذا الترتيب لا ياتي الا مع الذكا العظيم
الحجه الخامسه ظاهر هذه الايه التي نحن في تفسيرها وهو قوله كل قد
علم صلاته وتسبيحه فانه يدل على ان كل الطير التي هي صافات في
السما قد علم صلاته وتسبيحه الحجه السادسه قوله تعالى في
قصه داود يا جبال اوبي معه والطير والتكليف لا يتوجه الا على العاقل
الحجه السابعه قصه هابيل وقابيل وهو قوله فبعث الله
غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سواة اخيه فثبت بما ذكرنا من
التجارب امكان كونها عارفه بربها وثبت بهذه النصوص كونها
عارفه بربها عاقله فوجب الاعتراف بذلك هذا تمام حجه القايلين
بانها عارفه بربها واحتج من انكر كونها عاقله عارفه بربها
بانها لو كانت عاقله لكان اثار العقل ظاهره في حقها لان ايجاد
العقل لها مع انه لا يظهر اثره في حقها عبث وذلك لا يليق بحكمه
الحكيم ولكنا لا نرى اثار العقل حاصله في حق شي منها وذلك لانها
لا تحترز عن الافعال القبيحه ولا تميز بين ما ينفعها وبين ما يضرها
فوجب القطع بانها غير عاقله اجاب الاولون بان المتكلمين
لما استدلوا بدليل الاحكام والاتقان على كونه تعالى عالما اوردوا على
انفسهم سوالا وهو انا نرى في العالم افعالا خاليه عن الاحكام والاتقان
فوجب ان يدل ذلك على جهل الفاعل واجابوا بان الاحكام والاتقان
تدل على علم الفاعل اما عدم الاحكام والاتقان لا يدل على الجهل لان الجاهل
لا يمكنه الفعل المحكم اما العالم يمكنه الفعل الخالي عن الاحكام فكذا
ها هنا نشاهد صدور الافعال المحكمه عن هذه الحيوانات ونشاهد ايضا
صدور افعال غير محكمه عنها فيكون افعالها المحكمه داله على عقلها اما
افعالها التي ليست محكمه فهي لا تدل على عدم عقلها
افعالها التي ليست محكمه فهنا فيكون اضعافها عقلها فهذا تمام الكلام

في هذا الموضع وبالله التوفيق الاية الثالثة في هذا الباب
قوله تعالى في سوره الملك الم يروا الى الطير فوقهم صافات و يقبضن
ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شي بصير فقوله صافات اي باسطات
اجنحتهن في الجو عند طيرانها ويقبضن اي و يضممن اذا ضربن بها
جنوبهن وها هنا سوالان السوال الاول لم قال و يقبضن ولم
يقل قابضات حتى يكون مطابقا لقوله صافات والجواب الطيران
في الهوا يشبه السباحه في الما والاصل في السباحه مد الاطراف
وبسطها واما القبض فطاري على البسط للاستظهار به على الحركه
والاسم يدل على الثبات والاستقرار والفعل يدل على التجدد فعبر عن
البسط بقوله صافات ليدل لفظ الاسم على ان هذا هو الاصل وعبر
عن القبض بلفظ الفعل ليدل على ان هذا القبض تبع وعلى انه يصدر
القبض عن الطيور تاره بعد تاره كما يكون عن السابح بطيره ما يقال
فلان رجل مناظر و يشعر فهذا يدل على ان حرفته هي المناظره ثم انه قد
يشعر في بعض الاوقات فكذى ها هنا ثم قال تعالى ما يمسكهن الا الرحمن
وذلك لانها مع ثقلها وضخامة اجسامها وضعف ادمغتها
وقلة اهتدايها الى الفرق بين المصلحه والمفسده لا يمكنها البقا في جو
الهوا الا باِمساك الله تعالى السوال الثاني انه قال في سوره النحل
الم يروا الى الطير مسخرات في جو السما ما يمسكهن الا الله وقال ها هنا ما يمسكهن
الا الرحمن فما الفرق الجواب ذكر في النحل ان الطير مسخرات في جو السما
فلا جرم كان امساكها هناك محض الالهيه وذكر ها هنا صافات
وقابضات فكان الهامها الى هذا التصفيف والقبض على الوجه المطابق
للمصلحه والمنفعه من كمال رحمته ثم قال انه بكل شي بصير والمراد من البصير
كونه تعالى عالما بالاشيا الدقيقه وحاصل الامر ان امساكها في جو السما

فعل على خلاف الطبايع فهو موافق للمصلحه فدل كونها على خلاف الطبيعه
على وجود مدبر قادر قاهر قلب الطبايع وابطل الخواص ودل كون هذا
الفعل محكما متقنا مطابقا للمصلحه على كون ذلك المدبر القادر عالما
بجميع المعلومات لا يعزب عن علمه مثقال ذره في الارض ولا في السموات
فهذا ما يتعلق بهذا البحث يروى ان الشبلي راى طوطيا في القفص
وكان يقول سبحان من صورني وفي الهوا طيرني وفي القفص صيرني
بسكوني ما قضي بخط العبد ام رضي فاشتراه الشبلي بثمن كثير
واخرجه من القفص وخلصه وقال استحي ان اترك من يسبح الله مسجونا
الهنا ان الشبلي خلص ذلك الطير لانه سبح الله فنحن المساكين نسبحك
من اول عمرنا من صميم قلوبنا فخلصنا من اليم عقابك يا ارحم الراحمين
الفصل الثالث في البحث عن احوال اربعه
انواع من الطيور الخفاش والطاووس والطوطي والعندليب
ولامير المومنين علي ابن ابي طالب رضوان الله عليه خطبتان جليلتان في خلقه
الخفاش والطاووس فنقول اما الخفاش فقد جعله الله تعالى معجزه
لعيسى عليه السلام قال تعالى في ال عمران اني اخلق لكم من الطين كهيه الطير
فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله يروى ان عيسى عليه السلام لما ادعى
النبوه واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه وطالبوه بخلق خفاش
فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير بين السما والارض قال
وهب كان يطير ما دام ينظر الناس اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط
ميتا ثم اختلف الناس فقال قوم انه عليه السلام لم يخلق غير الخفاش
ولهذا قرا نافع فيكون طايرا بالالف على الواحد وقال اخرون انه خلق
انواعا من الطير ولهذا قرا الباقون طيرا بلا الف لانه اسم جنس يقع على الواحد
وعلى الجمع وانما قال باذن الله اي بتكوينه وتخليقه كقوله وما كان لنفس ان

توهم الا باذن الله وقال تعالى هو الذي خلق الموت والحياة وانما ذكر
عيسى عليه السلام هذا القيد ازالة للشبهة وتنبيها على ان الذي اعمله
انما هو هذا التصوير فاما خلق الحياة فهو من الله على سبيل اظهار المعجز

الفصل الرابع في الاستدلال باحوال الحشرات على وجود الصانع الحكيم

اعلم انها كثيرة الا انا نذكر الحيوانات التي ذكرها الله سبحانه في القران وهي النحل والبعوض والذباب والعنكبوت والنمل والجراد والضفادع والفراش والدابة التي تقع في الخشبة فتاكلها اما النحل فقوله تعالى واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون

الفصل الثالث في البعوض

قال الله تعالى في اول البقرة ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وفي الاية ابحاث

البحث الاول ذكروا في سبب نزول هذه الاية اقوال الاول قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له فطعن في الاصنام ثم شبه عبادتها ببيت العنكبوت قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله المثل بهما فنزلت هذه الاية والقول الثاني ان المنافقين طعنوا في ضرب المثل بالنار والظلمات والرعد والبرق في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله والقول الثالث ان هذا الطعن كان من المشركين قال القفال رحمه الله والاقوال الثلثة كلها محتملة هاهنا اما اليهود فلانه تعالى قال في اخر الاية وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وهذا صفة اليهود لانه تعالى قال بعد هذه الاية يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت

عليكم واوفوا بعهدي اوف بعهدكم واما الكفار والمنافقون فقد ذكر الله تعالى في سورة المدثر وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء فاما الذين في قلوبهم مرض فهم المنافقون واما الذين كفروا فيحتمل ان يكون هم المشركون لان السورة مكية فثبت ان الكل محتمل

البحث الثاني الحيا تغير وانكسار يحصل في مزاج الانسان من خوف ما يعاب به ويذم لا ترى انه يقال هلك فلان حياء وكذى ومات حياء وذاب حياء ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحيا اذا ثبت هذا كان الحياء من صفات الاجسام والله تعالى ليس بجسم فكان الحيا محالا في حقه الا انه ورد في القران والاخبار اما القران ففي هذه الاية وذلك لان ما لم يجوز ثبوته في حق الله تعالى لا يجوز اطلاقه في حق الله تعالى على طريقة النفي وانما الواجب ان يقال انه تعالى لا يوصف به واما ان يقال لا يستحيي فغير جائز لانه يوهم نفي ما يجوز عليه وما ذكره تعالى في كتابه من قوله لا تاخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فهو وان كان في صورة النفي الا انه ليس بنفي في الحقيقة وكذى قوله ما اتخذ الله من ولد وقوله وهو يطعم ولا يطعم وليس كل ما ورد في القران اطلاقه جاز ان يطلقه الواحد منا فلا يجوز اطلاق هذه الالفاظ مع ما ان ذلك محال وللقايل ان يقول هذه الصفات لما كانت منتفية عن الله تعالى مع وجوب كونها منتفية كان الاخبار عن انتفايها صدقا فوجب ان يجوز اطلاقه ثم ان يقال الاخبار عن انتفايها يوهم صحتها فنقول هذه الدلالة ممنوعة لفظا لان تخصيص هذا النفي بالذكر لا يدل على ثبوت صحته بل لو قرنا باللفظ ما يدل على انتفا الصحة كان ذلك احسن من حيث انه يكون مبالغة في البيان وليس

اذا كان غيره احسن لزم ان يكون تركه قبيحًا واما الخبر فما روى سلمان
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حيي كريم يستحيي اذا رفع
العبد يديه اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرًا وقال ابن
عباس في تفسير قوله تعالى او لامستم النساء ان الله حيي كريم يكني
عن القبيح بالحسن وان مما كنى قال او لامستم النساء واعلم انه
لما ثبت بالدليل انه لا يمكن اجرا لفظ الحيا في حق الله تعالى على ظاهره ان ح
وجب تاويله وفيه وجهان الاول وهو القانون
في امثال هذه الالفاظ ان كل صفة ثبتت للعبد مما يختص
بالاجسام فاذا وصف الله تعالى به فذاك محمول على نهايات الاعراض
لا على بدايات الاعراض مثاله ان الحيا حالة تحصل للانسان بسبب
انكسار وتغير في المزاج فهذه حالة لها مبدا وغاية اما البداية فهو
ذلك التغير المزاجي واما النهاية فهي ان يترك الانسان ذلك الفعل فاذا
ورد الحيا في حق الله تعالى فليس المراد منه ذلك الانكسار الذي
هو المبدا بل المراد منه ترك الفعل الذي هو الغاية وكذلك الغضب
له مقدمة وهي غليان دم القلب وشهوة الانتقام وله غاية وهو
انزال العقاب بالمغضوب عليه فاذا وصفنا الله بالغضب فليس
المراد ذلك المبدا الذي هو غليان دم القلب بل المراد تلك النهاية
وهي انزال العقاب فهذا هو القانون الكلي في هذا الباب
الوجه الثاني ان تقع هذه العبارة في كلام الكفار فقالوا
ما يستحيي رب محمد ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فجا هذا
الكلام على سبيل اطباق الجواب على لفظ السوال وهذا فن مشهور
من الكلام البحث الثالث هو ان تسمية هاولاى الكفار
اما ان يقال انها وقعت من حيث انهم استبعدوا من الله ضرب المثل

او من حيث انهم استبعدوا من الله تعالى ضرب مثل بالذباب والعنكبوت
والبعوض وامثالها اما الاول فباطل لان ضرب الامثال لتعرف المعاني
امر مستحسن في العرف وفي الشرع وفي العقل اما انه مستحسن في
العرف فلان امثال العرب كثيرة مشهورة وايضا كتاب كليلة ودمنة
اكثره امثال واما في الشرع فلانه ضرب الامثال في الانجيل بالاشيا الحقيرة
قال شبه ملكوت السما رجلا اخذ حبة الخردل وهي اصغر الحبوب
فزرعها في قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت كاعظم شجرة من
البقول فجا طير السما فعشش في فروعها فكذلك الهدى من دعا اليه
ضاعف الله اجره وعظمه ونجا به من اهتدى وقال ايضا
ولا تكونوا كمنخل تخرج منه الدقيق الطيب وتمسك النخالة كذلك
انتم تخرج منكم الحكمة من افواهكم وتبقون الغل في صدوركم وقال
ايضا قلوبكم كالحصاة التي لا تنضجها النار ولا يلينها الما وقال
لا تدخروا ذخايركم حيث السوس والارضة فتفسدها ولا في
البرية حيث السموم واللصوص فتحرقها السموم وتسرقها اللصوص
ولكن ادخروا ذخايركم عند الله وقال ايضا تحفر الارض فتجد دواب
عليها لباسها وهناك رزقها وهن لا يغزلن ولا يشخصن ومنها ما هو
في جوف الحجر الاصم او في جوف العود من ياتيهن بلباسهن وارزاقهن الا
الله افلا تعقلون وقال لا تثيروا الزنابير فتلدغكم
كذلك لا تخاطبوا السفها فيشتمونكم فثبت ان الله تعالى ضرب بلغ
الامثال في الانجيل بالاشيا الحقيرة واما ان ضرب الامثال مستحسن في
العقول فلان من طبع الخيال حب المحاكاة والتشبيه فاذا ذكر
المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال واذا ذكر معه
التشبيه ادركه العقل مع معاونة الخيال ولا شك ان الثاني يكون

اكمل وايضا فنحن نرى ان الانسان يذكر معنى فلا يلوح كما يجب فاذا ذكر
المثال اتضح وصار مبينا مكشوفا واذا كان التمسك يفيد زيادة
البيان والوضوح كان ذكره مفيدا نافعا واما ان قيل ان موضع
الشبهة للقوم هو انهم استبعدوا ان يضرب الله الامثال بهذه الاشيا
الحقيرة فاعلم ان هذا جهل لانه تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير
وحكمه في كل ما خلق وبرا عام لانه قد احكم جميعه وليس الصغير اسهل
عليه من العظيم ولا العظيم اصعب من الصغير واذا كان الكل بمنزلة
واحدة كان ضرب المثل بالكل جايزا حسنا بل المعتبر ما يليق بالقصة
فاذا كان الاليق بها ضرب المثل بالبعوض والذباب كان ضرب
المثل فيها بالفيل والجمل غير جايز وها هنا المقصود تقبيح عبادة
الاصنام فكان ضرب المثل فيه بالذباب والعنكبوت اولى ويدل
عليه وجوه الاول انه تعالى خلق عباده ضعفا فقال
وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف فلا جرم
ضرب المثل لهم بالاشيا الضعيفة لان الجنس اقرب الى الجنس قال
عليه السلام امرت ان اكلم الناس على قدر عقولهم والثاني انه تعالى
لم يستحي من خلقها ورزقها فاولى ان لا يستحي من ذكرها وضرب المثل
بها وكيف يستحي من ذكر شي لو اجتمع الخلايق على ان يخلقوا مثله لم يقدروا
عليه قال تعالى ان الذين يدعون من دونه لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
والثالث ان البعوضة تحيى اذا جاعت فاذا امتصت الدم كثيرا انشقت
وماتت فهذا ينبه الانسان على انه اذا تم امر الانسان فقد قرب اجله
كما قيل اذا تم امر بدا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم
واعلم ان المفسرين اختلفوا في لفظة ما في قوله مثلا ما فقال بعضهم
انها صلة زايدة كقوله فبما رحمة من الله وقال ابو مسلم معاذ الله

ان يكون في القرآن زيادة ولغوا لان الله تعالى وصف القرآن بكونه هدى
وبيانا وكونه لغوا ينافي ذلك وفي بعوضة قراءتان احدهما بالنصب وعلى هذه
القراءة فلفظ ما ابهامية والمعنى مثلا اي مثل كان واما قراءة الرفع ففيه
وجهان الاول انها موصولة صلتها الجملة والتقدير الذي هو بعوضة الا انه
حذف المبتدا كما حذف في قوله تماما على الذي احسن والثاني ان يكون
استفهامية فانه لما قال ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا كانه قال بعده
ما بعوضة فما فوقها حتى لا يضرب المثل به بل له تعالى ان يمثل بما هو اقل
من البعوضة وهو كما يقال فلان لا يبالي بما وهب مايه دينار ودينارين اي
يهب ما هو اكثر منه واما لفظ البعوض ففي اشتقاقه قولان الاول ان
البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بضعه البعوض
ومنه بعض الشي لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع
فغلبت والقول الثاني ان اشتقاقه في بعض الشي سمي به لقلة جرمه وصغره
لان بعض الشي قليل بالقياس الى كله اما قوله تعالى فما فوقها ففيه قولان
الاول فما هو اعظم منها في الجثة كالذباب والعنكبوت والكلب والحمار
وذلك لان القوم استبعدوا تمثيل الله تعالى بكل هذه الاشيا والقول الثاني
وهو اختيار المحققين ان المراد فما فوقها في الصغر اي بما هو اصغر منها
واحتجوا على هذا القول بوجوه الحجة الاولى ان المقصود من هذا التمسك تحقير
الاوثان وكل ما كان المشبه به اشد حقارة كان المقصود في هذا الباب اكمل
الحجة الثانية ان المقصود من هذا الكلام بيان ان الله تعالى لا يترك التمثيل بالشي
الحقير واذا كان الامر كذلك كان المذكور ثانيا يجب ان يكون اشد حقارة من الاول
ويقال ان فلانا يحتمل الذل في اكتساب الدينار بل في اكتساب ما فوقه والمراد
ما فوقه في القلة الحجة الثالثة ان الشي كلما كان اصغر كان الاطلاع على
اسراره اصعب فاذا كان في نهاية الصغر لم يحط به الا علم الله تعالى فكان

التمسك به اقوى واكمل في الدلالة على العلم والحكمة من التمسك بالشي الكبير
البحث الرابع في شرح عجايب حكمة الله تعالى في خلقة البعوض
وبيانه من وجوه ان اكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل ثم الفيل مع كبر الاول ج
جثته ليس له الا اربع ارجل وخرطوم وذنب والبعوضة لها هذه الاعضا مع
ملاحن زايدتين واربعة اجنحة ثم انها تشارك الفيل في الفم والحلقوم والجوف
واعضا اخر لا تدركها ابصار الخلق ولا يحيط بها الا علم الخالق
الثاني ان هذا البعوض مع غاية صغره مسلط على الفيل والاسد
بالايذا ولا قدرة لهما على البعوض وهذا يدل على ان الاستيلا على
الغير ليس بالقوة والشدة وكثرة العدد والعدد بل بنصر الله وتاييده
كما قال تعالى كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
وقال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم اليس ان نمرود
كان اكبر ملوك بني ادم واطغاهم واعظمهم سلطانا واشهرهم
صولة ثم ان بعوضة طارت الى دماغه وكانت توذيه وتوقع
الدغدغة في دماغه وكان اكثر الناس محبة له وشفقة عليه
من يضرب على دماغه مايه صفعة بالشدة والقوة واكثر حتى
يسكن تلك الدغدغة بل ان كنت ما شاهدت نمرود ولا احواله
فاعتبر نفسك فانه اذا وقعت بعوضة على راسك او وجهك
فربما صفعت راسك ولطمت وجهك مرات وكرات تريد ان
تقتلها ثم انها تطير ولا تصيبها منك افة البتة ويبقى ضرر اللطم
والصفع على خدك وراسك الثالث ان الصانع
البشري يقدر ان يصور فيلا من الخشب او من الحديد ولا يقدر
احد من الصناع ان يصور بعوضة من الخشب ولا من الحديد فعلى
هذا يكون البعوضة اشرف من الفيل من هذا الوجه وذلك لان الفيل

والبعوضة يشتركان في دلالة اجزا كل واحد منهما على قدرة
الصانع وحكمته ثم ان كل ما حصل في الفيل من وجوه الدلايل
فهو حاصل في البعوض وقد حصلت وجوه من الدلايل
في البعوض لم تحصل في الفيل فانا بينا ان الصانع
البشري يمكنه تصوير الفيل ولا يمكنه تصوير البعوض
فكانت البعوضة اشرف من الفيل من هذا الوجه فتامل
انك ان اعتبرت الاعضا الظاهرة فالبعوض ازيد فيها
من الفيل وان اعتبرت الاستيلا والقهر والقدرة فالبعوض
مستولي على الفيل والفيل لا قدرة له على البعوض وان
اعتبرت الدلالة على قدرة الله تعالى وحكمته فالبعوض
ازيد من الفيل بالوجه الذي ذكرناه لتعلم انه لا عبرة
بالصور والظواهر انما العبرة باعانة الله وتاييده الرابع
اعتبر قوة حواس البعوضة وكمال معرفتها بمصالحها
اما حسن البصر فلان البعوض اذا جلس على عضو من اعضا
الانسان فانه لا يزال يدير خرطومه من جانب الى جانب حتى
يجد الموضع المثقب من جلد الانسان وذلك لان جلد
الانسان فيه مسام كثيرة يخرج منها النفس والعرق
وهو براس خرطومه يطلب تلك الثقبة فاذا وجدها
غوص خرطومه فيها فمن الذي هداه الى مقصوده من جذب
الدم ومن الذي عرفه ان بدن الانسان فيه منافذ ومسام
وان ادخال الخرطوم في تلك المنافذ الموجودة اسهل من احداث
منفذ اخر في الجلد واما حسن السمع فلان البعوضة في
الليلة الظلما اذا وقعت على عضو الانسان فاذا حاول

الانسان بتقريب اليد منها لتضربها احست بحركة اليد
فيها وطارت بها احست بحركة اليد وطارت ولو بالغ الانسان
في اخفا حركة اليد فانها لا بد وان تحس تلك الحركة فمن
الذي اعطاه هذه القوه السامعه بهذه الكمال ثم ها هنا
شي اخر وهو انها علمت ان مص الدم من جلد الانسان
جنايه عليه وايذا له وان الانسان لا بد وان يقابل الجنايه
بان يقصد قتلها وايذاها فالبعوضه لعلمها بهذا
المعنى بقيت مستعده للفرار والحذر فانظر انه سبحانه
كيف هداه الى تحصيل الغذا الموافق له ثم اودع في خاله
انه لا بد من الحذر فكلما قرب الشر طارت وتخلصت
ولا يتاتى مثل هذا التدبير الا من الاله الذي خلق فسوى
والحكيم الذي قدر فهدى   والخامس تامل في
صغر جثه البعوض ولا شك ان خرطومه اصغر منه
بكثير ثم ان ذلك الخرطوم مع غايه صغره مجوف ولولا
ذلك التجويف لما قدر على الامتصاص الدم منه فانظر الى
ذلك الخرطوم كونه مجوفا كيف يكون غايه رقته ثم تامل
انها مع غايه رقتها كيف قوتها وشدتها فانها يغوص
ذلك الخرطوم في جلد الجاموس والفيل على شدته وثخانته
ويستخرج الدم منه كما يغرب الرجل اصبعه في الخبيص
السادس انه سبحانه خلق في خرطوم البعوضه
عضوا كبيره كما في خرطوم الفيل فتارةً يمدها ويطولها
وذلك عندما يغوص الخرطوم في الجلد وتاره يقبضه الى
نفسه وذلك عند الاخراج فتامل في كل واحد من اجزا

بلغ

ذلك العضو وذلك لانه على قياس خرطوم الفيل لا بد
وان يكون اصله غليظا   وراسه مستدقا ولا بد وان
يتدرج من الغلظ الى الدقه على تناسب مخصوص ولا بد
وان يكون قد اختص كل واحد من تلك الاجزا بشكل
مخصوص وصفه مخصوصه ولا يقدر على ذلك الشكل
والتصوير الا القادر على جميع الممكنات العالم بجميع
المعلومات   السابع تامل في جسد البعوضه
فانه في غايه الصغر وخرطومه اصغر منه بكثير وراس
خرطومه اصغر من ذلك الخرطوم بكثير ثم انه تعالى اودع
في راس خرطومه سمًّا وفيه فايدتان   الفايده الاولى
ان ذلك السم اذا انصب على ذلك الموضع من الجلد افسد
مزاج ذلك الموضع وبسبب فساد مزاجه يحدث فيه نوع
من اللين والرخاوه فحينئذ يسهل على البعوضه يغوص
خرطومها في ذلك الموضع   والفايده الثانيه ان تلك
الحراره السميه تعين البعوضه على هضم ذلك الدم المخصوص
وقال   اهل العلم ان الحكمه في خلق السم فيما بين فكي الحيه
انه ليس لها اضراس يقوى بها على مضغ الاغذيه
فخلق الله سبحانه وتعالى فيما بين فكيها سما حادا قويا
منضجا فالحيه اذا قبضت على جثه الحيوانات وجعلتها
بين فكيها اقبل ذلك السم على ذلك الجسم وتهرى بها من
ساعتها فحينئذ يبلعها ويستمريها ولولم يخلق الله فيما
بين فكيها ذلك السم لما تمكنت من الاكل لانه ليس لها
اسنان ماضغه طاحنه فكانت تموت من الجوع

اذا عرفت هذا فنقول بنية البعوضة صغيرة وحرارة بدنها
قليلة وليس لها شي من الاسنان فخلق الله سبحانه وتعالى في
راس خرطومها ذلك السم ليعينها ذلك السم على هضم الغذا
واعلم ان سم البعوضة له قوة شديدة في الكيفية
ولذلك فانه اذا اكثر اجتماع البعوض على بدن الانسان
اسود البدن وربما تادى الى الموت ثم هاهنا حالة
اخرى هي اعجب من كل ما تقدم وهو ان جثة البعوضة
في غاية الصغر وخرطومها اصغر منها وذلك الخرطوم
والسم الذي في راس ذلك الخرطوم اصغر لا محالة من
راس ذلك الخرطوم ثم ان البعوضة اذا وضعت راس
خرطومها على موضع في بدن الانسان فانه لا ينصب
على ذلك الموضع جميع ما معها من السم فانها اذا عضت
موضعا اخر حصل فيه مثل ذلك الالم فعلمنا انه لا ينصب
من السم الذي في راس خرطوم البعوضة الا القليل واما
الاكثر فيبقى هناك فتامل ان ذلك الذي ينصب منه
على بدن الانسان كم يكون في القلة والصغر فلعله
يكون جوهرا فردا وجزوا لا يتجزى في علم الله ثم انه
سبحانه وتعالى قد اودع في ذلك الجز القليل من الخاصية
والقوة ما يزعج الفيل ويقلقله ويجعله مضطربا متحيرا
ثم انه سبحانه وتعالى ما اودع تلك القوة الشديدة في السم
البعوضة الا ليعينها على اصلاح غذائها ونظم معيشتها
وكل من له عقل سليم وطبع مستقيم يشهد بان هذا
لا يكون عن تدبير مدبر عالم بجميع الكليات والجزيات

الامر

قادر على جميع الكاينات والممكنات
الثامن تامل من حال البعوضة فانها اذا وقعت
على عضو الانسان اعتمدت على ما لها من الايدي
والارجل وغوصت خرطومها في الجلد فاذا احست
بمجي اليد اخرجت ذلك الخرطوم في الحال على اسهل
الوجوه واطرق قبل وصول اليد اليها ولو ان الانسان
جعل ابرة او مسلة في جرم غليظ فانه لا يمكنه ان يخرجها
منه الا بعد تعب شديد التاسع تامل ايضا في
حالها فانها اذا وجدت الفرصة والمهلة مصت دما
كثيرا جدا الى ان ينشق وتموت وربما مصت
الى حيث تعجز عن الطيران فاذا حاول الانسان ضرب
يده عليها عجزت عن الطيران بسبب ثقلها فبقيت
هناك وتصل اليد اليها وتموت وهذا فيه تنبيه
عظيم للانسان على احوال دنياه واخراه اما دنياه
فلان الاستكثار من اللذات والشهوات سبب
للوقوع في المحن والافات واما الاخرة فلان الانسان
اذا كان خفيفا قليل العلايق فاذا وصل اليه ندا قوله
ارجعي الى ربك طار من وكر مكر الدنيا الى عش عش
الاخرة اما اذا كان ثقيلا من حب الدنيا عجز عن الطيران
فبقي في هاوية الجسمانيات وظلمات الخيالات
كما قال تعالى في صفتهم ناكسوا رؤسهم
العاشر تامل في راس البعوضة ووجهها فانها مع
غاية صغرها قد جعلها الله تعالى منقسما الى اقسام

كثيره واودع في كل قسم من تلك الاقسام خاصيه
معينه وقوه معينه وذلك لانه تعالى خلق في
راس البعوضه عينين واودع فيهما قوةً ناظره
اكمل مما للانسان ويدل عليه وجهان احدهما انها
تبصر في الظلمه الشديده الموضع الذي منه يمكنها
مص الدم والثاني انها ترى ببصرها مسام جلد
الانسان ولذلك فانها اذا وجدتها غوص خرطومها فيها
والانسان لا يرى ذلك البته وايضا انه تعالى خلق في
راسها اذنين واودع فيهما قوةً سامعةً اقوى مما
للانسان ولذلك فانها تسمع في الظلمه حفيف اليد مع
ان الانسان البته لا يسمعها الثالث انه خلق
في راسها قوة الشم ولذلك تحس بوقوع الجيف من المكان
البعيد ولولا الشم لما عرفت ذلك الرابع انه خلق
في راسها الفم واودع فيها القوه الذائقه ولذلك فان
البعوض يرغب في بعض الطعوم دون البعض ولولا القوه
الذائقه ولذة لما كان الامر كذلك والخامس
انه تعالى اودع في بدنها القوه اللامسه ولذلك فانها تهرب
من الحر الشديد والبرد الشديد السادس انه تعالى
خلق في راسها قوة الحفظ ولولاها لما ميزت بين ما ينفعها
وبين ما يضرها وخلق ايضا فيها قوه الفكر ولولاها
لما عرفت وجوب الفرار عند مجي اليد وخلق فيها قوة
الذكر ولولاها لما ميزت بين المعاني النافعه والضاره
فانظر الان الى راس البعوضه كم يكون مقدار ذلك الجرم ثم

انه سبحانه وتعالى قسم ذلك الجرم الصغير الى اجزا كثيره واودع
في كل واحد من تلك الاقسام خاصيه معينه فهذا عيناه
وهذا اذناه وهذا انفه وهذا فمه وهذا مقدم دماغه
الذي فيه قوة الحفظ وهذا وسط دماغه الذي فيه
قوة الفكر وهذا موخر دماغه الذي فيه قوة الذكر
ثم لا شك انه تعالى خلق له منفذ الغذا ومخرج الفضله
ومتى كان الامر كذلك فقد خلق له جوفا وامعا وعروقا
وعظاما فهل يخطر ببال العاقل السليم العقل ان يسند هذه
التاثيرات العجيبه والتصرفات البديعه الى الطبيعه مع
انها قوه لا شعور لها بشي من الاشيا ولا تمتز لها في حال
من الاحوال هذا مما لا يقوله عاقل بل شواهد الفطر وصرايح
الافكار وبدايه الانظار تنادي باعلى صوتها على انها انما
حدثت بتدبير من لا يعزب عن قدرته وعلمه وحكمته ذرة من
الارض والسموات الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ورحم الله من قال يا من يرى مد البعوض جناحه في ظلمه الليل البهيم
الاليلي ويرى عروق نياطه في نحره والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته ما كان منه من الزمان الاول

الفصل الرابع في الذباب بلغ

قال الله تعالى في سورة الحج يا ايها الناس ضرب مثل
فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا
ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق
قدره ان الله لقوي عزيز وفي الايه ابحاث

البحث الاول اعلم ان هذه الايه من جملة الايات التي اقر بفصاحتها
الصديق والزنديق والموافق والمخالف تحكى انه احتمع اربعه من
الزنادقه بمكه ابن المقفع وابن ابي العوجا وابو شاكر الديصاني
وعبد الملك البصري وقالوا تعالوا نعارض القران كل واحد
منا ربعه فتواعدوا وتفرقوا على ان تجتمعوا في السنه
المستقبله فلما رجعوا قال ابن المقفع اني عجزت عن معارضه
قوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك وقال ابن ابي العوجا عجزت عن
معارضه قوله فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا وقال
ابو شاكر اني عجزت عن معارضه قوله لو كان فيهما الهة الا الله
لفسدتا وقال عبد الملك البصري اني عجزت عن معارضه
قوله يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له فهاولاي الزنادقه
كانوا اكابر فصحا العالم وقد عجزوا عن معارضه هذه الايات وذلك
لجزاله الفاظها وقوه معانيها وعذوبه سياقها وفي هذه
القصه نكته اخرى عجيبه وذلك لان الاعدا لما طعنوا في فصاحه
القران وقالوا كيف يليق بالله سبحانه وتعالى ذكر الذباب
والعنكبوت فاجاب الله تعالى عنه بان حقاره هذه الحيوانات
لا تقدح في فصاحه هذه الايات اذا كان المقصود بذكرها
التنبيه على الحكم البالغه والمعاني الدقيقه الشريفه ثم ان اشد
الزنادقه عداوه واكثرهم علما بوجوه الفصاحه والبلاغه
اعترفوا بالعجز عن معارضه هذه الايه المشتمله على ذكر الذباب
فكان ذلك جاريا مجرى معجزه اخرى لمحمد صلى الله عليه وسلم
وفيه سوالان السوال الاول ان الذي ذكره الله تعالى في هذه
الايه ليس بمثل فكيف سماه مثلا والجواب لما كان المثل في
الاكثر بكلمة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل ما كان كذلك مثلا
السوال الثاني قوله ضرب مثل يفيد ان هذا الكلام المذكور ليس
هو كلام الله بل هو كلام لبعض المقدمين وذلك يجر الى
القران العظيم اعظم وجوه الطعن والجواب لما كان الكلام
المذكور في هذه الايه في غاية القوه والبعد عن الشبهه كان ذلك
كالامر المعلوم من قبل فلا جرم كان ذكره بمنزله اعاده امر
قد تقدم اما قوله تعالى فاستمعوا له اي تدبروه حق التدبر
لان نفس السماع لا ينفع انما النافع هو التدبر والتامل
ثم انه تعالى احتج بامر الذباب على ابطال مذهب عبده الاوثان
فقال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت باسرها واجمعها لما قدرت
على خلق ذبابه على ضعفها فكيف يليق بالعاقل الاشتغال
بعباده مثل هذا الشي وقوله تعالى ولو اجتمعوا له نصب على
الحال كانه تعالى قال مستحيل ان يخلقوا الذباب حال اجتماعهم
فكيف حال انفرادهم ثم قال وان يسلبهم الذباب شيئا
لا يستنقذوه منه والمعنى كانه سبحانه قال اترك احداث الخلق
والايجاد واذكر ما هو اسهل منه فان الذباب ان سلب منها شيئا
فهي لا تقدر على استنقاذ ذلك الشي من الذباب واعلم ان
المقصود من هذا الاستدلال يظهر من وجوه الحجه الاولى
ان فعل العاقل لا بد وان يشتمل على فايده وتعظيم هذه الاصنام
لا فايده فيه لانها جمادات لا تضر ولا تنفع والاشتغال بالعبث
محظور عند العقول الحجه الثانيه ان العباده غايه
التعظيم والانسان اشرف من الجماد واقدام الاشرف على غايه التواضع

لا حس خلاف العقل الحجة الثالثة انهم لما عظموا الاوثان
غاية التعظيم لم يقدروا على ان يعظموا الخالق سبحانه وتعالى تعظيما
ازيد من ذلك فحينئذ يلزم حصول التسوية في التعظيم بين مدبر
السموات والارض وبين مدبر تلك الاحجار والجمادات وذلك
غاية السفاهة اما قوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب ففيه
اقوال احدها المراد منه الصنم والذباب فالصنم كالطالب
من حيث انه لو طلب ان يخلقه او يستنقذ منه ما استلبه لعجز عنه
والذباب بمنزلة المطلوب والثاني ان الطالب عابد الصنم
والمطلوب نفس الصنم وهذا اقرب لان كون الصنم طالبا ليس
على سبيل التحقيق بل على سبيل التقدير اما هاهنا فعلى سبيل
التحقيق والقول الثالث ان يكون معنى قوله ضعف لا من القوة
لكن لظهور قبح هذا المذهب كما يقال للرجل عند المناظرة ما اضعف
هذا المذهب وما اضعف هذا الوجه اما قوله ما قدروا الله حق
قدره فالمعنى ما عظموه حق تعظيمه حيث جعلوا هذه الاصنام
على نهاية خساستها شريكة لخالق السموات والارض في العبودية
واعلم ان منشا جميع الشبهات هو القول بالتشبيه فالتشبيه
في الذات باطل كما يقول المجسمة والتشبيه في الصفات باطل
كما يقوله الكرامية والتشبيه في الافعال باطل كما يقوله المعتزلة
قال الامام ابو القاسم الانصاري انه سبحانه جبار النعت عزيز
الوصف فالاوهام لا تصوره والافكار لا تقدره والعقول
لا تمثله والازمنة لا تدركه والجهات لا تحويه ولا تحله صمدي الذات
سرمدي الصفات اما قوله ان الله لقوي عزيز فاعلم انه تعالى
ذم الاصنام باشياء ثم اثنى على نفسه باضدادها فالاول انه تعالى

لما قال في هذه الاية للاصنام ضعف الطالب والمطلوب
فوصفها بالضعف ووصف نفسه بالقوة فقال وكان الله قويا عزيزا
ان الله لقوي عزيز صح
والثاني قال في حقها ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم
وقال لنفسه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو والثالث
انه تعالى قال لها فادعوهم فليستجيبوا لكم وقال لنفسه
ادعوني استجب لكم والرابع قال في حقها لبئس المولى ولبئس العشير
وقال لنفسه نعم المولى ونعم النصير والخامس قال في حقها وتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقال لنفسه لا تدركه الابصار
وهو يدرك الابصار والسادس قال في حقها ان الذين تدعون
من دون الله عباد امثالكم وقال لنفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير
البحث الثاني في اثار حكمة الله تعالى في خلق الذباب اعلم
ان اكثر الاحوال المذكورة في البعوض عائد في الذباب ثم انا نخصه
البعوض صح
بمزيد وجوه فنقول ان في الذباب انواعا من المنافع الدينية فالاول
انه يدل على التوحيد من وجهين الاول انه من جملة من يسبح الله قال تعالى
وان من شيء الا يسبح بحمده فهو يسبح الله بحالته ولا يعصيه بعمله البتة
واما الكافر وان كان يسبح الله بدلالة خلقته لكنه ينكر بلسانه ويعصيه
باعماله فكان الذباب مع غاية حقارته خيرا من الكافر والثاني انه تعالى
جعل الذباب حجة على بطلان مذهب عبدة الاوثان فقال وان يسلبهم
الذباب شيئا لا يستنقذوه منه فمعبوداتكم لا يقدرون على خلق
ذباب واحد ولا على دفعها عن انفسهم ولا على استرجاع شيء سلبها الذباب
عنهم ومن كان في الضعف والعجز هكذا كيف يستحق ان يعبد واما الثاني
فهو ان الذباب يدل على النبوة فلانه صح في الاخبار انه ما كان يقع البعوض
ولا الذباب على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان اعز على الله من ان يكون

مطلب في ان الذباب يدل على طهارة الصحابة

جلده مركبا للبعوض والذباب او دمه مشربا لهما فكون هذين الحيوانين
مسلطين على كل الخلق مع كونهما ممنوعين عنه على النفس من اقوى
النفاق واظهر المعجزات واما الثالث فهو ان الذباب يدل
على طهارة الصحابة روي ان المنافقين لما طعنوا في عائشة رضي الله عنها
ونسبوها الى الفاحشة حصل الغم العظيم في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عمر ما قولك
في هذه الواقعة فقال يا رسول الله انا اقطع بكذب المنافقين في هذه الواقعة
فقال عليه السلام وما الدليل عليه فقال عمر الدليل عليه ان الله عصمك عن وقوع
الذباب على جلدك فلما تفكرت فيه علمت ان السبب انها تجلس على النجاسات
فتلطخ ارجلها بها فالله سبحانه عصم جلدك عن ذلك القذر عن القاذورات
فكيف لا يعصمك عن كل من يكون متلطخا بالفواحش والسيئات فاستحسن
صلى الله عليه وسلم ذلك ثم دخل عليه عثمان بن عفان فسأله عن هذه الواقعة
فقطع بكذب المنافقين فطالبه بالدليل فقال عثمان الدليل عليه ان الله ما اوقع
ظلك على الارض ثم تفكرت فيه فعلمت ان السبب فيه انه لو وقع ظلك على الارض
فربما وضع انسان قدمه على ذلك الظل فالله سبحانه لم يمكن احدا من وضع القدم
على ظلك فكيف يمكن الاجنبي من تلويث عرضك وجلك ثم دخل عليه علي فسأله عن
ذلك الواقعة فقطع بكذب المنافقين فطالبه بالدليل فقال الدليل عليه انا كنا
نصلي خلفك فنزعت في اثناء الصلاة رجلك عن نعلك فنزعنا ايضا ارجلنا
عن نعالنا فلما تممت الصلاة قلت لنا لم نزعتم ارجلكم عن نعالكم قلنا فعلت
ذلك فوافقناك فقلت انما فعلت ذلك لان جبريل عليه السلام اخبرني ان عليه
قذرا فلما امرك الله باخراج ذلك عن رجلك بسبب ما التصق به من القذارة
فكيف يليق بهذه العناية ان لا يامرك باخراجها تقدير ان يكون متلطخة بشي
من الفواحش فطاب قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند سماع هذه الادلة بل

مطلب في انه تعالى اظهر بخلق الذبابة قبائح الكفار

ثم انزل الله الايات الدالة على طهارتها وبراءتها عن الفواحش لعن الله باغضها
والمقصود من رواية هذا الخبر ان الذبابة وان كانت متلطخة ملوثة لكنها انها
دلت على براءة عائشة عن كل لوث وهذا يقتضي كون الذبابة اشرف واعلى من
اولئك المنافقين وارفع درجة منهم فصارت الذبابة دالة على قدرة الله وحكمته
ووحدانيته ودالة على ابطال القول بعبادة الاوثان ودالة على نبوة سيدنا نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ودالة على طهارة عائشة رضي الله عنها فصارت على حقارتها
مستجمعة للادلة على صحة اصول الاسلام الوجه الثاني انه تعالى اظهر بخلق
الذبابة قبائح الكفار وفضائح الفساق والفجار اما قبائح الكفار فلانه اذا
وضعت قصعة من المرقة الحارة تبادرت الذباب اليها ولا تستاني بها عن تلك المرقة
الحارة بكل طريق ثم انها تلقي نفسها في تلك المرقة وتموت فيها وهذا تشبه
طريقة الكفار فان الانبياء عليهم السلام يدعونهم عن نار جهنم باقصى ما يقدرون
ثم انهم يلقون بانفسهم في نار جهنم الا ان عاقبة الذباب احسن من عاقبة الكفار
لان الذبابة كما ماتت تخلصت من الالم والكافر كما مات بقي في العذاب
ابد الابد قال تعالى اغرقوا فادخلوا نارا واما فضائح الفساق فلان
في الذباب خساسة عظيمة فلا يميز بين الطيب وبين الخبيث فتارة تقع على
السكر واخرى على القاذورات فكذا الفاسق قد وضعت له مائدة الجنة
واعدت له جميع النعم الطيبة فهو تارة يقدم على تلك المائدة الطيبة واخرى
يجلس على مائدة المعاصي والمنكرات وهي من جنس القاذورات والنجاسات
فمن اراد ان يصون نفسه عن خساسة الذباب وجب ان لا يدور حول الخبائث
والمنكرات الوجه الثالث انه تعالى اظهر بخلق الذباب ذل المتكبرين
حكي عن سعيد بن جبير انه توارى عن الحجاج وكان مع ذلك لا يترك الصلاة
بالجماعة فقيل له ما لك والخروج فان عليك من الحجاج عيونا فقال كيف
اتخلف عن الجماعة والمؤذن ينادي حي على الفلاح ثم اخذه اعوان الحجاج

في طريق المسجد واتوا به اليه فقال للحجاج ما بن جبير ما الحكمة في خلق الذباب وكان
قد تاذى به لكثرة ما يذب عنه وهي تعاوده فقال انما خلق الله الذباب
لاذلال الجبابرة وذلك انه يقع على النجاسات ثم يقع على وجوه الجبابرة
فيظهر بذلك ذلهم حيث عجزوا عن دفع اضعف المخلوقات واحقرها عن انفسهم
الوجه الرابع قال اهل الحكمة ان في الذباب منفعة عظيمة من ثلثة اوجه وذلك
لان الذباب لا يظهر الا في مواضع العفونة والاماكن المستقذرة ثم انه
سبحانه وتعالى يخلق من بعض اجزاء تلك العفونات ذات الذباب ويجعل بقية
تلك العفونات غذا لها ثم انها بكثرة طيرانها تحرك الهوا وتحريك الهوا سبب
لازالة بقية العفونات عن الهوا فصارت الذبابة سببا لازالة العفونات عن الهوا
من هذه الاوجه الثلثة فالذبابة اذا طارت وجلست على وجه الانسان واذته فذلك
في الحقيقة انعام عظيم في حق الانسان فانه لولا وجوده وطيرانه لاستولت
العفونات على الهوا وتادى ذلك الى تحصيل المضار العظيمة فكما ان الصبي
يتاذى من الفصد والحجامة والعاقل يعلم انه من اعظم وجوه الانعام في حق ذلك
الصبي فكذا وقوع الذبابة على وجه الانسان وان تاذى منه الجاهل الا ان العاقل
يعلم انه من النعم العظيمة في حقه من حيث انه سبب لازالة العفونات عن الهوا الذي
هو مادة الحياة فان قيل خالق العفونات هو الله تعالى فكان ينبغي ان لا يخلقها
حتى لا يحتاج في دفعها الى خلق الذباب قلنا هذا السوال غير مختص بالذباب
فانا اذا قلنا انه سبحانه خلق الخبز والماء واصناف الفواكه للتلذذ الانسان باكلها
فيقول السايل خالق اللذات هو الله تعالى فكان ينبغي ان يخلقها ابتداء حتى
لا يحتاج الى خلق الماء والخبز ولما كان هذا واردا على كل القران علمنا سقوطه
ثم التحقيق ان الانداد للاسباب فربط الله تعالى كل شي بشي حتى انه كما ظهرت
قدرته بالايجاد للاشيا فكذلك يظهر حكمته بخلق الاشيا اسبابا لساير الاشيا
الوجه الخامس من امثال العرب اجرا من الذباب واطيش من الذباب والح من

الذباب واشبه بالذباب من الذباب اما شدة جراته فظاهر من ان الانسان كلما
ما دفعه عاد اليه وقيل انه انما سمي الذباب ذبابا لانه كلما ذب آب والحكمة في
وصفه بالجراة انه لما كان المقصود من خلقته افنا العفونات تارة
بالاغتذا بها وتارة بتحريك الهوا وتلطيفه بسبب الطيران وجب كونها
موصوفة بالجراة حتى انها متى ذبت لم تمتنع عن حركتها فيبطل هذا المقصود
وكذا طيشها والحاحها من الامور المعينة على هذا المقصود واما كون بعضها
شبيها بالبعض ففيه حكمة عجيبة وذلك لانا بينا انه لو حصلت المشابهة
بين الاشخاص الانسانية اختلت مصالح العالم فان على هذا التقدير ما كان يتميز
زوج هذه المراة من غيره وما كان يتميز مالك هذه الدار عن غيره وذلك يفضي الى
وقوع المفاسد العظيمة في العالم فلاجل رعاية هذه المصالح ميز الله تعالى
كل انسان عن غيره في الشكل والصورة والصوت واما الحيوانات الاهلية فهي غير
مكلفة فما كانت مصالحها تختل عند حصول هذه المشابهة في الصورة والخلقة
الا ان الانسان ربما انتفع بفرد معين منها ولم ينتفع بفرد اخر منها مثل ان كان
هذا الفرس احسن ركضا واشد عدوا من ساير الافراس فلاجل هذا المعنى
اظهر الله تعالى المخالفة بين صورها الا ان المخالفة ها هنا اقل من المخالفة التي بين
صور الانسان واما الحيوانات البرية فان حاجة الانسان اليها قليلة وانتفاعه
بواحد معين منها دون غيره نادر فلا جرم كانت المخالفة بينها في الصورة والاشكال
اقل من المخالفة الحاصلة بين صور الحيوانات الاهلية واما هذه الحيوانات الخسيسة
التي لا يتعلق حاجة الانسان بها البتة فلم يحصل المخالفة بين صورها البتة وصارت
في المشابهة بحيث لا يمكن تمييز بعضها عن البعض وهذا الترتيب الذي ذكرناه في خلق
ابدان الحيوانات يدل على انها باسرها مخلوقة لمنفعة الانسان حتى انها صارت
مخلوقة على وفق مصلحة الانسان واذا عرفت هذا فنقول ان امتياز الانسان عن
ساير الحيوانات ليس الا بكونه عارفا بالله مشتغلا بطاعة الله فلا هذا على

ان كل الحيوانات مخلوقة لهذه الحكمة كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
ودل ايضا على ان خالق هذه الحيوانات ليس هو الطبيعة ولا العلة ولا الخاصية
بل المؤثر فيها هو قدرة الصانع المختار حتى انه سبحانه حيث تعلقت هذه المصلحة
باظهار المخالفة بين الصور والاشكال اظهرها وحيث لم تتعلق المصلحة باظهار
هذه المخالفة لم يظهرها فسبحان من لم يخل ذرة من ذرات الارض والسماء عن دلايل
ظاهرة وبراهين باهرة على كمال قدرته وغاية حكمته الوجه السادس من عجايب
خلقة الذباب انا نشاهد ان كثرة طيرانها سبب لزوال العفونة عن الهوا فيقول ان كثرة
طيرانها في العفونات يصير سببًا لوقع تلك العفونات على اجنحتها وبجرى عن الطيران
فدبر الخالق الحكيم المدبر الرحيم ان اقدر الذبابة على ان يسطف جناحيها برجلها عن كل
ما التصق بها من العفونات ثم انا كما انها تنضف جناحيها برجليها فلذلك خلق
في مقدم بدنها يدين زايدتين تنظف ابدًا بهما عينيها وذلك لان العين لا تكمل
الانتفاع بها الا اذا كانت صافية صقيلة والحيوانات الكثيرة خلق الله تعالى على
وجه احداقها اجفانا وهي تكون مطرقة ابدا حتى ان باطراقات الاكثر للاجفان
تنظف سطح الحدقة في كل لحظة وازاله عن انواع البخار والغبار فيبقى صقيلة صافية
فيبقى القوة الباصرة كاملة فاما الذبابة فان راسها صغير ولا يحتمل الاعينها الاجفان
فلما لم يحصل لها الاجفان التي تصقل عيونها لا جرم دبر الحكيم الرحيم في ذلك ان خلق
في مقدم يديها هاتين اليدين الزايدتين واقدرها على ان يسطف بهاتين اليدين الزايدتين
عينيها حتى يبقى صقيلة صافية ابدا فسبحان من خلق كل شيء على احسن الوجوه
الوجه السابع في عجايب خلقة الذباب قوله عليه السلام اذا وقع الذباب في انا
احدكم فامقلوه ثم انقلوه فان احد جناحيه دا والاخر دوا واعلم ان هذه خاصية
اطلع عليها الرسول عليه السلام بنور النبوة والرسالة وهذا ايضا من عجايب الخلقة
فان كون احد الجناحين دا والاخر دوا مخصوص بالذباب ولا يوجد في غيره
الوجه الثامن انه تعالى خالف حالتي الذباب بحسب الصيف والشتاء دلالة على اختلاف

حالتي الانسان بحسب الموت والبعث فكما ان الذباب يغيب في الشتاء ثم يظهر في
الصيف فكذى الانسان يغيب في اللحد بالموت ويظهر في القيمة بالبعث وبالله التوفيق
الفصل الخامس في الكلام في بعض الحيوانات المذكورة في
القران اما العنكبوت فقال تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت
اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون وفي تشبيه عبادة
الاصنام ببيت العنكبوت وجوه الاول ان بيت العنكبوت لا تصون عن البرد والحر
فكذى عبادة الاصنام لا تجلب النفع ولا تصون عن الضر والثاني ان بيت العنكبوت
ينهدم بادنى سبب فكذى مذهب عبادة الاوثان يبطل بادنى حجة والثالث ان الشي
انما يعرف بضده فلما كان الاشتغال بغير الله كبيت العنكبوت في الضعف لزم
ان يكون الاشتغال بطاعة الله وعبوديته اعظم واقوى من السموات السبع والارض
ثم في الاية لطايف دالة على شرف المومن الاول انه قال مثل الذين اتخذوا من دون الله
اوليا سمى الاصنام اوليا للكافرين ثم وصف نفسه بكونه وليا للمومنين فقال
الله ولي الذين امنوا فالصنم ولي الكافر وجبار السموات والارض ولي المومن
الثانية انه تعالى خلق البعوضة والعنكبوت فجعل البعوضة سببًا لهلاك اشد الخلق
طغيانا وكفرا وهو نمرود وذلك لان البعوضة التي اهلكت نمرود قالوا كانت لها
نصف البدن اما النصف الثاني فكان مفلوجا فاسدا واما العنكبوت فانه
جعله تعالى سببًا لنجاة محمد صلى الله عليه وسلم عن شر الكفرة وذلك لانه عليه السلام
لما دخل الغار نسج العنكبوت على باب الغار والحكمة في الكل انه تعالى خلق
الاشيا الحقيرة الصغيرة ثم جعلها اسبابا للامور العظيمة ليعلم الخلق ان الامر
بيد الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد ومن عجايب احوال العنكبوت انه اذا اراد ان
يبني بيته طلب زاوية يحيط بها ضلعان ثم يتدي فيلقي اللعاب الذي خيطه على
جانب ليلتصق به ثم يعدو الى الجانب الاخر فيلصق الطرف الاخر من الخيط به ثم
لا يزال يذهب ويجي ثانيا وثالثا على تناسب مخصوص السدى تارة واللحمة اخرى ثم

ذكر عجايب احوال العنكبوت

اذا احكم الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة ونصف البعض الى البعض على مناسبة
هندسية ثم يهيا شبكة يقع فيها البق والذباب ثم يقعد في زاوية مترصدا للوقوع
الصيد في الشبكة فاذا وقع الصيد فيها بادر الى اخذه فان عجز عن الصيد بهذا
الطريق طلب لنفسه زاوية من حايط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه
منها بخيط اخر وبقي منكسا في الهوا ينتظر ذبابة يطير فاذا طارت الذبابة رمى
بنفسه اليها فاخذها ولف خيطه على رجليها واحكمها ثم ما من حيوان صغير
ولا كبير الا وفيه من هذه العجايب ما لا يحصى افترى انه تعلم هذه الصنعة من
نفسه او تعلم من ادمي بل هذا من الالهامات الربانية والهدايات الرحمانية
واما النمل فقال الله تعالى في سورة النمل في قصة سليمان عليه السلام حتى اذا اتوا
على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان
وجنوده وهم لا يشعرون قال المفسرون وادي النمل وادي بالشام
كثير النمل فان قيل لم عدي اتوا بعلى قلنا لوجهين الاول ان اتيانهم كان من فوق
فاتي بحرف الاستعلا والثاني ان مراد قطع الوادي وبلوغ اخره من
قولهم اتى على الشي اذا بلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي وبلوغ
اخره من ~~قولهم اتى الشي اذا بلغ اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي~~
اما قوله قالت نملة فالمعنى انها تكلمت بذلك وهذا غير مستبعد فان
حصول العلم والنطق بها ممكن في نفسه والله تعالى قادر على كل الممكنات
وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوا عما شيتم وكان
ابو حنيفة رحمه الله حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت
ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له كيف عرفت فقال
من كتاب الله وهو قوله قالت نملة يا ايها النمل ولو كان ذكرا لقال قال نملة وذلك
لان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والانثى ثم يميز بينهما
بعلامة كقولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي اما قوله ادخلوا مساكنكم

انظر الزام الامام الاعظم ابي حنيفة لقتادة رضي الله عنهما

فاعلم ان النملة لما قاربت حد العقل لا جرم خوطبت بما يخاطب به العقلا فلهذا
قال ادخلوا مساكنكم واما قوله لا يحطمنكم سليمن وجنوده ففيه وجهان احدهما
التقدير ادخلوا مساكنكم لئلا يحطمنكم والثاني ان يكون التقدير لا تكونوا
حيث انتم فيحطمنكم على طريقة لا ارينك ها هنا وفي هذه الاية تنبيه على امور احدها
ان من يسير في الطريق لا يلزمه التحرز وانما يلزم من في الطريق التحرز وثانيها النملة
قالت وهم لا يشعرون كانها عرفت ان النبي يكون معصوما والمعصوم
لا يقع منه قتل هذه الحيوانات الا على سبيل السهو ثم انها كما اثبتت هذه
العصمة لسليمن اثبتت هذه العصمة لاصحاب سليمن حيث قالت لا يحطمنكم
سليمن وجنوده وهم لا يشعرون فتلك النملة كانت اكثر عقلا من الحشوية
الذين يجوزون المعصية على الانبيا ومن الروافض الذين يطعنون في
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فان النملة ما طعنت في صحابة سليمن عليه السلام
وهولاي الروافض يطعنون في صحابة محمد صلى الله عليه وسلم وثالثها ما رايت
في بعض الكتب ان تلك النملة انما امرت رعيتها بالدخول في مساكنها لئلا ترى
تلك النعم فلا يقع في كفران نعم الله تعالى وهذا تنبيه على مجالسة ارباب الدنيا
محذوره وروي ان سليمن عليه السلام قال لملك النمل لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم
اخفت مني عليها ظلما قال لا ولكني خشيت ان يفتتنوا بما يرون من مملكتك
فيشغلهم ذلك عن طاعة ربهم قال بعض اهل التذكير ان النملة تكلمت في هذه
الاية بعشرة اجناس من الكلام نادت ونبهت وسمت وامرت ونصت
وحذرت وخصت وعممت واشارت وعذرت اما النداء فيا واما التنبيه
فقوله ها واما التسمية فقوله النمل واما الامر فقوله ادخلوا واما النص
فقوله مساكنكم واما التحذير فقوله لا يحطمنكم واما التخصيص فقوله سليمن
واما التعميم فقوله وجنوده واما الاشاره فقوله وهم واما العذر فقوله
لا يشعرون وايضا ان هذه النملة قامت باداء خمسة من الحقوق اولها حق الله تعالى

ان صح

قال النمل صح

انظر بيان ان النملة في اجناس الكلام

فانه تعالى جعلها ملك النمل فاحتاطت في رعاية الرعيه وثانيها حق سليمان عليه السلام
فانها نبهته على الاحتراز عن قتل البرئ عن الجرم وثالثها حق النمل فانها
نصحت النمل حتى دخلت مساكنها فتخلصت عن البلا ورابعها حق جنود
سليمان فانها حذرتهم الاقدام على ايذا الحيوانات من غير فايده وخامسها
حق جميع الخلق فانها بهذا الكلام علمت جميع الخلق الاجتهاد في
ايصال الاحسان الى الخلق والمبالغه في كف الاذى عن الخلق كما قال عليه السلام
كلكم راع وكلكم مسوول عن رعيته فهذا ما يتعلق بهذه الايه على سبيل
الاختصار واما الحكمه في خلقه النمله وفي عجايب احوالها من وجوه الاول
انه تعالى اشار بخلق النمل في الدنيا الى كيفيه حال المتكبرين في القيامه من الذله
والحقاره قال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرين امثال الذر يوم القيامه
يطاهم الناس باقدامهم والثاني ان النمل يجمع في الصيف للشتا وفي
وقت الوجدان لوقت الفقدان فينبغي ان يكون العبد كذلك يشتغل بالطاعه
في الدنيا ليجد الثواب في العقبى قال صلى الله عليه وسلم في خطبه له فليأخذ العبد
من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبه قبل الكبر ومن الحيوه قبل
الموت فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا
من دار الا الجنه او النار الثالث ان النمله قد تتكلف حمل نوى التمر
وتحمل العنا والمشقه العظيمه في ذلك ثم انها لا تنتفع بتلك النواه لانه لا
نصيب لها فيها ولا تنتفع بها قط الى ان تموت فيكون نصيبها من تلك النواه
محض المحنه والمشقه فكذا الحريص يتحمل المشقه في جمع الدنيا ثم يموت
ولا ينتفع بها ولا يكون له منها حظ الا التعب الرابع ان النمله تحمل
اضعاف وزن بدنها فكذا العبد ينبغي ان يتحمل اضعاف فوق
المشقه في طاعة الله الخامس من عجايب احوالها انها تتخذ تحت
الارض منازل وبيوتا وتملاها حبوبا وذخاير قوتا للشتا ثم تجعل

ذكر الحكمة في خلق النملة وعجائب احوالها

بعض بيوتها معوجا عن البعض لئلا يجري اليها ما المطر وربما اتخذت بيتا
فوق بيت لئلا يسيل اليها ما المطر واذا ابتل من تلك الحبوب شي اخرجتها الى
الشمس ايام الصحو ليجف ثم انها تقطع الحبه بنصفين خوفا من ان تنبت
وكذلك تقشر الشعير والباقلى والعدس حذرا من ان لا تنبت ثم اذا خرجت من جحرها
فيوما تذهب يمنة ويوما تذهب يسره ثم انها في الذهاب والمجي كانها قوافل
لا تنحرف عن الطريق ثم اذا ذهبت واحدة منها فوجدت شيا لا تقدر على حملها
اخذت منها قدرا ورجعت فاخبرت الباقين بذلك وربما اجتمع على الشي
الواحد عدد منها يحملونه ويقبلونه ويذهبون به الى الجحر ويتحملون العنا والمشقه
والشدة فيه واذا علمت بان واحده توانت في الحمل او تكاسلت في الاعانه اجتمعت
على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها قال امير المومنين علي ابن ابي طالب رضوان الله عليه
في خطبه له انظر الى النمله في صغر جثتها ولطافه هيتها كيف دبت على
ارضها وضنت على رزقها تنقل الحبه الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع
في حرها لبردها وفي ورودها لصدورها مكفول برزقها مرزوقه بوفقها
لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر
واما الارضه فقد قال الله تعالى في سوره سبا في قصه سليمان عليه السلام
فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابه الارض تاكل منساته
فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين
قيل انه عليه السلام قال اللهم ابهم على الجن موتي ليعلم الانس انهم لا يعلمون
الغيب ودخل محرابه وقام متكيا على عصاه فمات وبقي قايما سنه
حتى تم بنا مسجد بيت المقدس ثم سلط الله الارضه على منساته فخر
فعرفت الجن موته وكانوا يحسبونه حيا لكثرة ما شاهدوا من طول قيامه
قرا نافع وابو عمرو وابن كثير منساته بغير همز وقرا ابن عامر بهمزه ساكنه والباقون
بهمزه مفتوحه وكلها لغات صحيحه واصله الهمز لانه من نسات الشي طردته واما

اخرجتها

ذكر احوال الارضة

قوله تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ففيه
قولان احدهما تبينت حال الجن للانسان ان الجن لا يعلمون الغيب والثاني
عرف عوام الجن ان رؤساهم لا يعلمون الغيب فانهم كانوا يوهمون انهم
يعلمون الغيب والعذاب المهين هو تلك الاعمال الشاقة في البناء ومن عجايب
احوال هذا الحيوان امور ثلثة الاول ان الله تعالى اعطاها مشفرين تشبه
السواطير تقرض بهما الخشب ونوى التمر وتثقب الاجر والحجارة وهذا من
العجايب فان ذلك الحيوان على صغر جرمه ورخاوة بدنه كيف حصل لمشفريه
هذه القوة العظيمة والثاني انها اذا نحتت الخشبة من داخل تبني هناك
على نفسها بناء من الطين الصرف يشبه الازاج والاروقة فمن اين وجدت
هناك التراب والماء حتى جعلتهما طينا وبنت لنفسها من ذلك الطين بيتا
والثالث ان الطير المسمى بنقار الخشب لا ينقر الا على الموضع الذي يكون انظر نكتة نقار الخشب
تحته هذا الحيوان فتامل ان هذا الطير باي علامة عرف ان تحت
ذلك الموضع هذه الارضة وكيف يميز عنده ذلك الموضع من الشجرة
عن ساير المواضع ومن انصف علم ان علوم الخلق لا يصل الى هذه
الاسرار واقر بجلاله علم خالق العالم وكمال قدرته وحكمته
واما الفراش فقال تعالى في سورة القارعة يوم يكون الناس كالفراش ذكر الفراش
المبثوث واعلم انه تعالى وصف يوم القيامة بامور الاول كون الناس
فيه كالفراش المبثوث قال قال الزجاج الفراش هو الحيوان الذي
يتهافت في النار وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره ثم انه تعالى شبه
الخلق وقت البعث في هذه الاية بالفراش وفي اية اخرى بالجراد المنتشر
اما وجه التشبيه بالفراش فلان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة
بل كل واحد منها يذهب الى غير جهة الاخر وهذا يدل على ان الخلق اذا بعثوا
فزعوا فاختلفوا في المشي الى جهات مختلفة غير مضبوطة والمبثوث المتفرق

بعد

تعالى شبه اذا فزعوا واما وجه التشبيه بالجراد فهو في الكثرة قال الفراء كغوغاء
الجراد يركب بعضه بعضا وبالجملة فالله سبحانه وتعالى شبه الناس في وقت
البعث بالجراد المنتشر وبالفراش المبثوث لانهم لما بعثوا يموج بعضهم
في بعض كالجراد والفراش ويتاكد ما ذكرناه بقوله تعالى فتاتون افواجا
وقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين وفي قوله في قصة ياجوج وماجوج
وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض فان قيل الجراد ~~فالشبه الى الفراش~~ كبير والفراش صغير م
كبير فكيف شبه الشيء الواحد بالصغير والكبير قلنا لا شبه الشيء الواحد بالصغير
والكبير لكن في صفتين اما التشبيه بالفراش فلاجل ذهاب كل واحد الى
غير جهة الاخر واما بالجراد فلاجل الكثرة والتتابع ويحتمل ايضا ان يقال
انها تكون كبارا اولا ثم تصير صغارا كالفراش بسبب احتراقهم بحر الشمس
وذكروا للتشبيه بالفراش وجوها اخر الاول ما روي انه صلى الله عليه وسلم
صح قال الناس عالم او متعلم وساير الناس همج رعاع فيجعلهم الله في
الاخرة كذلك جرادا وفراشا والثاني انه تعالى انما قال كالفراش لانهم يكونون
في ذلك اليوم اذل من الفراش لان الفراش لا يعذب وهم يعذبون ونظيره
قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل الثالث ان الفراش كلما منع
عن ان يلقي نفسه في النار فانه يعود فكذا هاولاي الكفار كانوا
يمنعون عن نار جهنم وهم كانوا يلقون انفسهم فيها الصفة الثانية
من صفات ذلك اليوم قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش
والعهن الصوف ذو الالوان والنفش هو جعل الصوف بحيث ينفش
بعضه عن بعض ويتميز بعضه عن بعض واعلم انه تعالى اخبر ان الجبال
مختلفة الالوان كما قال ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب
سود ثم انه سبحانه يفرق اجزاها ويزيل التاليف والتركيب عنها فيصير
ذلك مشابها للصوف المتلون بالالوان المختلفة اذا جعل منفوشا وانما

ضم تعالى بين جبال الناس وبين حال الجبال كانه قال تعالى قال ان تاثير تلك
الفزع في الجبال هو انها تصير كالعهن المنفوش فكيف يكون حال الانسان
عند سماعها فالويل ثم الويل لابن ادم ان لم يتداركه الله برحمته ويحتمل ان
يكون المراد ان جبال النار تصير كالعهن لشدة حمرتها وانما لم يقل يوم
يكون الناس كالفراش والجبال كالعهن المنفوش لان التكرير في مثل هذا
المقام ابلغ في التحذير واعلم ان حال هذا الحيوان عجيب فانه كما يقال
انه يحب النور ويبغض الظلمة جدا فاذا احس بالسراج ظن انه منفذ الى عالم
النور فيلقي نفسه على السراج يطلب ان يتخلص من عالم الظلمات الى عالم الانوار
ومنهم من قال انه يحب شكل النار وصورتها فلفرط حبه للنار جعل
نفسه فدا للنار وعلى التقديرين فهو اما ان يكون محبا للنور او للنار وكيف
كان فانه جعل نفسه فدا المحبوبه واذا كان الامر كذلك فالانسان اولى
بان يجعل نفسه فدا لنور معرفة الله تعالى ولنار محبته بل اهل الهند
يحرقون انفسهم على حب الصنم فالمومن اولى بان يحرق قلبه في حب الله تعالى
فان قيل قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله
والذين امنوا اشد حبا لله ثم ان الهنود يحرقون انفسهم والمومن
لا يفعل ذلك والجواب من وجوه الاول ان معبود الكافر لا رحمة له
عليه ومعبود المومن رحيم ولذلك معبود الكافر لا علم له بشي ومعبود
المومن عليم فعابد الصنم اذا احرق نفسه لاجله فالصنم ما علمه ولا رحمه
واما الحق تعالى فانه عليم باحوال عبيده رحيم بهم فلهذا منعهم عن ذلك
العمل والثاني ان الكافر يحرق نفسه وهو يرى معبوده بعينه
والمومن يعرض نفسه للقتل ولا يرى معبوده فكان هذا اعظم
الثالث ان قليل الحقيقة خير من كثير المجاز وفعل المومن حقيقة وفعل
الكافر مجاز والرابع قال الجنيد اهل الهند يحرقون انفسهم لاجل الصنم

فاذا كان يوم القيامة حشروا مع اصنامهم الى باب جهنم فيقال لهم ادخلوا
النار مع اصنامكم كما دخلتم النار في الدنيا فيابون ويقول الله تعالى للمومنين
ادخلوا النار فيقولون سمعنا واطعنا ويتسارعون الى النار فذلك قوله تعالى
والذين امنوا اشد حبا لله وصلى الله على محمد واله

الفصل السادس

في حيوانات الما قال تعالى والله خالق كل دابة من ما فمنهم من يمشي على بطنه
ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على اربع يخلق الله ما يشا
ذكروا انه حصل في الربع المعمور اربعة عشر ابحرا كبارا منها بحر الروم وبحر
القلزم وبحر الفارس وبحر الهند وبحر الصين وبحر ياجوج وماجوج
وبحر الحبشة وبحر الخضر وبحر الشرق وبحر الغرب وبحر الشمال وبحر
الجنوب وبحر طبرستان وثمانية انهار طوال مثل جيحون وسيحون
والدجلة والفراة ونيل مصر ونهر الكر والارس وهيرمند طول كل واحد
من مايه فرسخ الى الف فرسخ وقريبا من خمس مايه انهار صغار واما الاجام
والغدران وكذا انهار الصغار فلا تعد ولا تحصى فهذا مجموع في الربع
المعمور واما الارباع الثلثة من الارض فانها مغمورة في البحر فاذا عرفت
هذا فتامل في الحيوانات الموجودة في بحار الربع المسكون واوديتها
واجامها ثم تامل فيما حصل في البحر المحيط حتى تعلم ان حيوانات البحر لا نسبة
لها في الكثرة وعجايب الخلقة والصفة الى حيوانات البر ثم ان الله سبحانه يحفظها
ويرعاها ولا يخفى عليه خافية من امورها ويعلم مستقرها ومستودعها
كل في كتاب مبين وذكروا ان ملك حيوانات البحر هو الثعبان وجنوده
التماسيح والكواسج والسرطانات واصناف من الحيوانات البحرية لا يحصى
عددها وانواعها الا الله تعالى قالوا وهذا الثعبان حيوان هايل
المنظر مهيب المخبر يخافه كل حيوانات البحر لشدته وقوته وعظم صولته اذا
تحرك يموج البحر من شدة سباحته براق العينين واسع الفم والجوف كثير

ابحرا

اردا... بحار الربع المعمور ١٤

الانهار الطوال ٨

الصغار ٥٠٠

لاسنان يبتلع كل يوم من حيوانات البحر عددا لا يحصى فاذا امتلا
جوفه منها والتخم تقوس والتوى واعتمد على راسه وذنبه ورفع وسطه
خارجا من الما مرتفعًا في الهوا مثل قوس قزح ومقصوده ان يوثر
فيه حر الشمس فيستمرى ما في جوفه وربما عرض له في تلك الحاله ما يشبه
الغشي والسكر فيبقى كذلك اياما ثم ينعقد السحاب من تحته ثم يرفعه
الرياح الشديده وترمي به الى البر فيموت ويأكل جيفته السباع مده
مديده ويرمى به الى ياجوج وماجوج وما ورا السد فيصير غذا لهما ثم
ان هذا الحيوان على عظمه لا يتاذى من شي الا من حيوان صغير
في البحر يلسعه وهو لا يقدر عليه فيدب سمه في جسم هذا الثعبان فيموت
ويصير غذا الحيوانات البحر وهكذى حكم تلك الحيوانات وذلك ان الجراد
والنمل والذباب والبق وما شابههما غذا للعصافير والقنابر والخطاطيف
ثم هذه الخطاطيف والعصافير غذا للبواشق والشواهين ثم هذه الحيوانات
اغذيه للنسور والعقبان ثم انها اذا ماتت اكلتها الحيوان الصغره من
النمل والذباب والدود وهكذى حال بني ادم فانهم ياكلون الطيور ثم
ان الطيور ياكل الذباب والبق ثم اذا مات ابن ادم اكلتهم في قبورهم
الديدان والحشرات فتاره ياكل صغار الحيوانات كبارها وتاره ياكل
كبارها صغارها ليحصل العدل فان بالعدل قامت السموات والارض
ومن عجايب البحر صدف الدر ويقال ان لها وقتا معينا في السنه تصعد
من قعر البحر الى ظاهر سطح الما في يوم المطر فيفتح اذنين لها اشبه السفطين
فيقطر فيهما من مياه المطر حبات فاذا احست بذلك ضمت السفطين
ضما شديدا حتى لا يقع فيه شي من الما المالح الذي في البحر ثم تنزل برفق
الى قعر البحر وتمكث هناك منضمه على الصدف من الحال ينعقد فيه الدر

الفصل السابع في احوال الانعام اعلم انه سبحانه

استدل على وجود الصانع وقدرته وحكمته باحوال البهايم وذكر ذلك في
ايات كثيره واجمعها ما ذكر في سورة النحل فقال والانعام خلقها لكم فيها
دفء ومنافع ومنها تاكلون واعلم ان هذه الحيوانات مخلوقه لمصلحه
المكلفين فكل حيوان كان انتفاع المكلفين به اكثر كان اشرف ومعلوم
ان انتفاع المكلفين بالانعام اكثر من انتفاعهم بغيرها وذلك لان الانعام
ينتفع بها في الاكل وذلك باكل لحومها وفي الشرب وذلك بشرب البانها
وفي الملبس باتخاذ الملابس من اصوافها واوبارها وبالركوب وذلك
بركوبها وبالحمل وذلك بان تحمل امتعتهم في الاسفار وفي كثره المال
وذلك بسبب درها ونسلها وفي التجمل بها وذلك لانها اموال ظاهره
فيحصل التجمل بها ولما كان انتفاع الناس بالانعام اكثر من انتفاعهم
بساير الحيوانات لا جرم كانت الانعام اشرف انواع الحيوانات فلهذا
السبب قدمها الله تعالى في الذكر على ساير الحيوانات فقال والانعام
خلقها لكم ثم انه سبحانه وتعالى فصل القول في بيان منفعتها فالمنفعه
الاولى قوله تعالى لكم فيها دفء والمراد من الدفء هو اللباس وذلك لان
اللباس سبب الدفء فسمى اللباس باسم الدفء وتحقيق الكلام ان الروح
الانسانيه اشرف الارواح السفليه بل هي سلطان الارواح السفليه والسبب
في هذا الشرف العظيم كونها مشرفه بتشريف الاضافه المذكوره في قوله
ونفخت فيه من روحي ولما كانت الروح ولما كانت الروح الانساني
اشرف الارواح السفليه وجب ان يكون البدن الانساني اشرف الابدان
السفليه واشدها اعتدالا وابعدها عن الكثافه والصلابه ولما كان
بدنه في غايه الاعتدال لا جرم تنبت على جلده الشعور الكثيره فبقي عاريا
عن الغطا والدثار الذي هو حاصل لساير الحيوانات واذا كان كذلك
فلطافه مزاجه الى التصون عن الحر والبرد وكثافات الاهويه ورطوبات الامطار

يحوجه

فهذا هو السبب في احتياج الانسان الى الملبوس المنفعة الثانية
قوله تعالى في هذه الاية ومنافع للناس واعلم ان ما قبل هذه الكلمة هو ذكر
الدفء وما بعدها هو ذكر الاكل ولفظة المنافع مبهمة محتملة
فلما قدم ذكر الدفء يحتمل ان يكون المراد من هذه المنافع هو المسكن
ولما ذكر بعد هذه الكلمة الاكل يحتمل ان يكون المراد من هذه المنافع
الشرب اما الاحتمال الاول فنقول ان الانسان كما هو محتاج
الى الملبس فكذا هو محتاج الى المسكن وسبب الاحتياج من وجوه الاول
ان كل احد من الناس قد يقدم على ما يستحي من اطلاع الغير عليه لام
فلا جرم يحتاج الى المسكن مفردا والثاني ان الانسان لا يمكنه
الجلوس في الحر الشديد للشمس وفي الهوا البارد جدا ولا يمكنه ان يجلس
في الرياح الشديدة وفي الامطار القوية فلا جرم يحتاج الى المسكن
والثالث ان الانسان محتاج الى ادخار الاموال والمطعومات
والملبوسات ولا يمكن حفظها الا بالدار الرابع ان الانسان يحتاج الى
ان يحترز عن ضرر الاعدا من الناس والسباع وذلك لا يمكن الا بالدار فلاجل
هذه الوجوه يحتاج الانسان الى التفرد بالمسكن واعلم ان المسكن
يجري مجرى الثوب في كونه ساترا للبدن ومانعا من وصول المؤذيات
من الحر والبرد والرياح اليه ولما ذكر الله تعالى امر الملبوس قال بعده
ومنافع اي ومنافع من جنس منفعة الملبوس وهي منفعة المسكن
واعلم انه تعالى شرح امر هذه المنفعة في هذه السورة في اية اخرى
فقال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن اصوافها
واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين فقوله جعل لكم من
بيوتكم سكنا اي مسكنا تسكنون فيه اما متخذا من الحجر او المدر وكل

ذلك مخلوق لله تعالى ولكنه تعالى جعلها بحيث يمكن المقيمين
اتخاذ الابنية منها ثم قال وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها
يوم ظعنكم ويوم اقامتكم يعني الخيام والقباب والفساطيط
المتخذة من الانطاع والجلود للسفر وللحضر ثم قال ومن اصوافها
واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا فالاثاث ما يحتاج اليه في البيت
والمتاع ما يستمتع ويتجمل به ثم قال الى حين اي الى الموت والمعنى ان
الانتفاع بالدنيا يكون الى مدة ولا يدوم فينبغي للعاقل ان يختار
الاخرة واما الاحتمال الثاني وهو ان يحمل المنافع المذكورة في هذه
الاية على المشروب فاعلم انه تعالى جعل البانها مشروبا لطيفا طاهرا
لنا وذكر هذه النعمة في ايات احدها قوله تعالى في هذه السورة اعني
سورة النحل وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين
فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين وثانيها قال في سورة
المؤمنين وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها
ولكم فيها منافع كثيرة المنفعة الثالثة من المنافع المطلوبة
من الانعام قوله تعالى ومنها تاكلون واعلم انه تعالى ذكر
منفعة الاكل في المرتبة الثالثة وها هنا ابحاث البحث الاول
في سبب احتياج الناس الى اكل اللحم واعلم ان السبب فيه ان
الانسان مركب من العظم واللحم ومن شان الغذا ان يكون شبيها
بالمتغذي لهذا السبب كان اكمل الاغذية للانسان هو اللحم
البحث الثاني ان قوله تعالى ومنها تاكلون يفيد الحصر والمعنى ب
ومنها تاكلون لا من غيرها وظاهر هذه الاية يقتضي تحريم اكل غيرها يحرم
الا ما خصه الدليل فلما قال بعده والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة ذكر هذه الحيوانات وخصها بانها مخلوقة للركوب

مع ان الاية المتقدمة دالة على حصر منفعة الاكل في جنس الانعام
كان مجموعها دالا على حرمة لحم الخيل كما يقوله ابو حنيفة رحمة الله عليه
المنفعة الرابعة قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون
الاراحة رد الماشية بالعشي من مراعيها الى مباركها وسرح الماشية
اطلاقها وانما قدم في الذكر مع انها متاخرة في الوجود لان وقت
الاراحة يكون وقت شبعها وامتلا اثدايها من اللبن بخلاف وقت
التسريح ولا شك ان التجمل في ذلك الوقت اكمل المنفعة الخامسة
قوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
المشقة والتحقيق ان الشق نصف الشي والمعنى لم تكونوا بالغيه
الا بذهاب نصف قواكم واعلم انه تعالى ذكر هذه المنفعة
في ايات كثيرة منها قوله تعالى ومن الانعام حمولة وفرشا
ومنها قوله تعالى في يس اولم يروا انا خلقنا لهم مما
عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم
فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع
ومشارب افلا يشكرون ومنها قوله تعالى في المومن
الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون
ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم اياته فاي ايات الله
تنكرون ومنها قوله في الزخرف وجعل لكم من
الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم
تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا
لمنقلبون وبالله التوفيق والنكتة فيه ان الابل

استدل بالاية الامام ابي حنيفة بتحريم لحم الخيل

اقوى من سايقه وكذا الجمل والفيل فذلك الانقياد لا يكون
الا بتسخير الله تعالى كما قال تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا
وما الغرض منه الا التنبيه كانه تعالى يقول انا الذي جعلت
القوي منقادا للضعيف فاعلم اني قادر عليك ومستولي
عليك فينبغي ان تكون خائفا مني ومنقادا لحكمي
ولا تكسر رقبتك في محل القهر وبالله التوفيق

اللهم اغفر وارحم لكاتبها العبد الفقير المذنب الراجي عفو الله
وغفرانه عبد الله الفقير الحلبي ولمن دعا له ولجميع المسلمين
ووقع الفراغ منه في شهر المحرم في العشر الاوسط منه
من سنة تسع وثمانين وستمائة
من الهجرة النبوية احسن الله خاتمتها
والحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد سيد المرسلين
وعلى اله وصحبه اجمعين وازواجه امهات المومنين وسلم تسليما كثيرا
الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل
نعم المولى ونعم النصير

بلغت المقابلة بعون الله تعالى
بحسب الطاقة

اوراق هذه النسخة المباركة هكذا لا سدس [illegible]
٢٦٣

طول سطر هذا الكتاب ٢٣ سطرا [illegible]

٧٠٠
٦٠٠

حسبي الله
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد امين عوني بن الصدور
وكفى